عبد العزيز الرشيد

تاريخ الكويت

[illegible]

يعقوب عبد العزيز الرشيد

منشورات دار مكتبة الحياة

عبد العزيز الرشيد

تاريخ الكويت

طبعة منقحة

وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه

يعقوب عبد العزيز الرشيد

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
١٩٧٨

المؤلّف

الإهداء

. إلى روح مؤرخ الكويت الأول الشيخ عبد العزيز الرشيد

. وإلى روح رائد النهضة سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح

. وإلى سمو الشيخ صباح السالم الصباح الذي أرسى

جذور النهضة على أسس متينة ، فأينعت

براعمها وأعطت ثمارها لخير كويتنا الحبيبة .

أقدم هذا الجهد المتواضع والله ولي التوفيق .

يعقوب عبد العزيز الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رحم الله مؤرخ الكويت الأول الشيخ عبد العزيز الرشيد ، فقد كان متفوقاً من المتفوقين ، يتحلى بصفات حميدة أهمها انه ذو همة بعيدة ، وطموح كبير ، يدلك على ذلك كثرة اسفاره الى كثير من البلاد النائية في زمن كانت فيه وسائل النقل بطيئة أشد البطء بالنسبة الى ما وصلنا اليه في وقتنا الحاضر بوسائل نقلنا من سرعة وراحة تكاد لا تكلف المسافر الا قليلاً من العناء ، فقد سافر المرحوم الى العراق ومصر والحجاز والبحرين وجاوه ولم يكن قصده من وراء اسفاره طلباً للتجارة او أي كسب مادي آخر ، وانما كان همه الوحيد اكتساب العلم والثقافة والجهاد في سبيل نشرهما بين الناس . ومن صفاته رحمه الله انه كان قوي الشخصية حلو المعاشرة ، يدلنا على ذلك انه نال كثيراً من المناصب في كثير من البلاد التي سافر اليها ومكث فيها بعض الوقت ولكنه كان مغرماً بالتنقل من بلد الى بلد لأنه كان من الذين يرون في اكتساب الثقافة والعلم متعة لا تعادلها متعة ، لقد رغب اهل المدينة المنورة في ان يجعلوه قاضياً عندهم ولكن وجود منافس من اهل المدينة حال بينهم

وبين ما كانوا يشتهون ، غير انهم استطاعوا ان يجعلوه مدرساً في الحرم النبوي الشريف ولكنه لم يمكث في المدينة الا عاماً أو بعض عام .

كان رحمه الله صادق اللهجة صريحاً في آرائه التي يعتنقها ، لا يستطيع ان يسكت على الذين يخالفونه في آرائه ، وقد لقي بطبيعة الحال انكار كثير من الناس وتعنتهم ضده وتشهيرهم عليه ، كان يرى حرمة مطالعة الكتب العصرية وقراءة الصحف والمجلات فأعلن هذه الآراء ودعا الناس الى اعتناقها كما دعاهم الى الابتعاد عن تعلّم اللغات الأجنبية ، فلما اتسع افق تفكيره تبين له انه كان غير مصيب فيما دعا اليه واذا به يعلن ذلك للناس ويدعوهم الى متابعة الحركة الفكرية وتعلّم اللغات بل لم يكتفِ بذلك وانما اصطنع هذه الوسيلة فأنشأ مجلة الكويت المعروفة ، ولقد استطاع ان يجتذب اليها كبار الكتاب في ذلك الحين ، كان قوي الجنان لا يهمه ما يقف في طريقه من عقبات . فان انشاء الصحف في ذلك الحين من أشق الأمور ولا سيما لمثل عبد العزيز الرشيد الذي لا يملك أي ثروة مادية . غير أن حرصه وولعه في خدمة العلم والادب كانا يدفعانه إلى تذليل كل عقبة تقف امامه ، ويبدو لي انه كان ذا شخصية جذابة تستطيع ان تكتسب احترام كل من يصل اليه ، بدليل ما نراه من تقدير مواطنيه وغير مواطنيه بالرغم من مخالفته آرائهم واعلانه عن هذا الخلاف ، فقد عين مديراً لمدرسة المباركية سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م. وزاول التعليم فيها زهاء سنتين ، وبعد ان ترك العمل في هذه المدرسة انشأ بعض المعلمين مدرسة جديدة عرفت باسم (المدرسة العامرية) ولكنه لم يعلم فيها لأنه انصرف الى التجارة حتى رأى المرحوم الشيخ احمد الجابر ، ولي عهد الامارة اذ ذاك ان يتخذ له واعظاً في مجلسه العام فأسند الوظيفة له .

ولقد طلب للذهاب للتدريس في البحرين، الا ان سمو الأمير وبعض وجوه البلد لم يدعوه يذهب حرصاً على وعظه وارشاده ، وحينما تولى المرحوم سمو الشيخ احمد الجابر الامارة والف المجلس الاداري ليكون عوناً للأمير في ادارة

شؤون البلاد كان المرحوم عبد العزيز الرشيد احد اعضائه، وسعى سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١ م) في تأسيس النـــادي الأدبي سنة ١٣٤٢ هـ. (١٩٢٣م) والقى فيه اول محاضرة وكان موضوعها (الخطابة) وخلاصة القول انه كان حريصاً اشد الحرص على نشر الثقافة والعلم مهما كلفه ذلك من جهد وعناء وكان يرى ان على العالم ان يشترك مع سائر المواطنين في الدفاع عن الوطن ، فقد مضى الى الجهراء سنة ١٣٣٩ هـ. (١٩٢٠م) واشترك مع المحاربين المدافعــين عن الكويت اشتراكاً فعلياً ، ولقد عاد الى الكويت وهو جريح . من هـــذا يتضح لك ان استاذنا الشيخ لم يحصر جهاده في القول وانما كان يجاهد حيث ما وجد الجهاد ، وفي اعتقادي ان كثيراً من اثاره قد ضاعت كما ضاع كثير من معالم سيرته لأنه انفق الشطر الأخير من عمره في إندونوسيا فنحن لا نعرف من آثاره الا : (تحذير المسلمين) و (محـــاولات اصلاحية) و (الدلائل البينات في حكم تعليم اللغات) وله مؤلفات مخطوطة وهي :

« تحقيق الطلب في رد تحفة العرب » و « النصائح الكافية فيمن يتولى معاوية » رداً على كتاب ابن عقيل الحضرمي . و « الهيئة والاسلام » وقــد نشر بضع مقالات في جرائد بغداد ومجلاتها ، ومجلة الهلال، وجريدة الشورى المصرية ولم يبق لنا من هذه الآثار إلا اسماؤها [١]، اما الذي بقي بين ايدينا فهو كتاب « تاريخ الكويت » الذي نريد ان نقدمه للقراء في هـــذه الطبعة الجديدة ، راجين أن تكون طبعته طبعة لائقة بهذا الكتاب .

ولقد أفضت في ترجمة المؤلف افاضة متعمدة وانا اقصد من ذلك انا اصور

---

١ ـ مجلة الشورى : أول وآخر مجلة في العالم الاسلامي دافعت عن العرب والاسلام لوجه الله والحق ولم تقبل أي هبة أو اعلان . صاحبها المجاهد الكبير محمد علي الطاهر ما زال حياً يسكن بيروت لاجئاً الى فيئها من ظلم حاق به. وما زال منزله ندوة حية عامرة بكبار شخصيات العالم العربي والاسلامي ومفكريه مدّ الله بحياته وعافاه .

المستوى الفكري والثقافي الذي كانت عليه بيئتنا في ذلك الحين ، فيتصور القارىء ان الناس كانوا يتساءلون في ما بينهم عن جوازتعلّم اللغات الأجنبية ومطالعة الصحف والمجلات ، ويبدو لي ان هذا التساؤل كان قوياًبشكل حاد حتى ان المؤلف شغل ذهنه هذا الموضوع فألف رسالة يوضح فيها ان مطالعة الصحف والمجلات وتعلّم اللغات الأجنبية من الأمور التي لا تخالف الدين،من هذا يتضح ان مقاييسنا وموازيننا لفهم التاريخ لم تكن ذاتها في ذلك الوقت ، فنحن نفهم من التاريخ أو نريد من المؤرخ على الأصح ان لا يكتفي بسرد الحوادث والوقائع وانما نريد منه ان يصور لنا الحالة الاجتماعية والاقتصادية كما نريد منه ان يبين لنا الحالة السياسية والثقافية ، أما بيئتنا فانها كانت تكتفي من المؤرخ بسرد الوقائع والحوادث ، وربما لا تهتم بذكر تواريخها ، اللهم الا الحوادث المهمة ، فالذين يأخذون على المؤلف اغفاله تواريخ بعض الحوادث واطالته فيما يجب ان يختصر فيه واختصاره فيما يجب ان يطيل فيه، هؤلاء الناس عليهم ان يتصوروا ما لقيه المؤلف من مصاعب وعقبات عندما أراد أن يؤلف كتاب تاريخ الكويت. فنحن نعلم ان هذا الكتاب الذي يأخذ النقاد عليه بعض المآخذ قد احتجز مدة طويلة لأن بعض ما فيه لم يرض بعض الناس . ومهما يكن من أمر فان هذا المؤلف كان ولا يزال مرجعاً مهماً لا يستطيع أي مؤلف لتاريخ الكويت إلا ان يرجع اليه فاذا ما وضح ذلك عرفنا أي خدمة جليلة قدمها المؤلف للكويت بصورة خاصة وللوطن العربي بصورة عامة ، ولقد ابتهج الادباء لدى ظهور الكتاب ، فكتبوا المقالات الطوال في مدحه والثناء عليه ، وليس من شك ان هذا يدل على ان الكتاب قيمة علمية جليلة .

عبد الرزاق البصير

تصـــدير

هناك حاجة دائمة لمعرفة التاريخ . فعلى كل أمة أن تعرف تاريخها مهما كان قريب الزمن أو بعيده . وبهـــذه المعرفة تجعل الأمة من ماضيها واعظاً يجنبها الزلل ، وحافزاً يدفعها الى المضي في الطريق الذي بدأته لتبلغ الغايـــة التي تشدها اليها. وربما كانت الحاجة أمسّ الى معرفة التاريخ عندما يشعر الشعب بشيء من الوعي يدفعه الى تنمية حضارته على أساس من تقاليده وتراثه وهذا ما حملني على اعادة طبع هذا الكتاب لمؤلفه المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد الذي هو والدي ، بل لعل هذا السر الذي دعا بعض المواطنين أن يشيروا عليّ ملحّين باعادة الطبع بعد أن نفدت الطبعة الأولى .

ومـــا لا شك فيه ان كتب التاريخ التي تعنى بسرد الأحداث وتاريخ المجتمعات انما تحقق الغاية فيها اذا توخى كاتبها فيما يتوخى الشمول ، والدقة ، والصراحة ، وأنا أعتقد أن هـــذا الكتاب قد أوفى على الغاية في النواحي الثلاث، وحقق للقارىء ما يريد منها جميعاً : أما الشمول ففي التفصيل الذي امتاز به الكتاب حيث تناول تاريخ الكويت من لدن نشأتها حتى الفترة الاولى من تاريخ سمو الأمير الراحل الشيخ أحمد الجابر الصباح .

وأما الدقة فتظهر بوضوح في تصوير الحياة الماضية تصويراً جعلنا نحسها ونعيش في جوها ، ونلتقي برجالها وهم يكافحون في مضمار الحياة باذلين مـــا

يستطيعون من جهد ليتغلبوا على طبيعة الكويت الشاقة ، وليلونوا ظروفها من حولهم تلويناً يسبغ عليها المتعة والجمال . فرأيناهم من أجل هذا كله أهل طموح يركبون البحر باسطولهم الضخم حاملين التجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي وغيرهما ، حتى بلغ بعض تجارها فرنسا في ذلك العصر ، ورأيناهم أهل جلد وصبر يغوصون في أعماق البحار بحثاً عن نفائسها مستهينين بما يلاقون من صعاب ومشقات حتى اذا ما تهيأت لهم الفرصة للدفاع عن وطنهم تجلى صبرهم وجلدهم ومخاطرتهم في اللقاء العارم والكفاح المرير .

وأما الصراحة فقد كانت منهاجه في كل ما يكتب ، وهي صراحة تطالع القارىء في كل صفحة من صفحات الكتاب، فتوقفه على الغرض الذي استهدفه المؤلف ، انه الحرص على تصوير الواقع والأمانة العلمية في تسجيل الأحداث ، وربما دعته هذه الأمانة الى الالمام بالجزئيات أو الاستطراد في ذكر الحوادث ليلقي بهذا كله ضوءاً على ما يريد بيانه وإيضاحه .

على أن الكتاب لم يقف في فصوله عند حد الأحداث وتاريخ الحكام وإنما تجاوزهما الى النهضتين العلمية والأدبية فسجل لرجالها ما بلغوه من فضل ، وما قاموا به من جهود في سبيل بلادهم ، فجاء الكتاب بسبب هذه الإحاطة وافياً ، يجد فيه القارىء ما يريد من امتاع العقل والحس والعاطفة في وقت معاً ، وأنا حين أقدم هذا الكتاب الى القراء في طبعته الثانية آمل أن يلقى منهم قبولاً وأن يحقق في ثوبه الجديد ما يبتغون على انني حرصت أشد الحرص على بقائه في صورته التي ألف عليها حتى لا يذهب التغيير بقيمته التاريخية ، وقنعت من تحسينه وتهذيبه بتبويبه واخراج الجزئين في جزء واحد، وبتجويد الطبع ، وبالاشارة العابرة في الهامش الى بعض الحقائق أو التعليقات التي لا بد منها للمقارنة .

وأنا أرجو بعد هذا أن تتحقق به الفائدة والله الموفق .

يعقوب عبد العزيز الرشيد

سمو أمير الكويت المعظم الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح
حاكم الكويت السابق

التاريخ يشكر الأمير أحمد الجابر الصباح

لا أدل على الميل إلى العمل النافع والتقدير له من بذل المساعدات المادية والأدبية في سبيله وإذا كانت هذه الحقيقة من البديهيات التي لا تحتاج إلى برهان فلنا أن نغتبط بسمو أميرنا المحبوب الذي تعطف على هـذا التاريخ بتسهيل الاطلاع لنا على ما في ديوان حكومته من الرسميات ، ثم بتفضله على (كاتب هذه السطور) بمكافأة مالية كبرى لأتعابه في جمعه وسهره في تأليفه . لنا أن نغتبط بسموه فإن ألفين وخمسمائة روبية يبذلها[1] لأحد أفراد رعيته تقديراً لقيامه بمشروع أدبي ليبشر بمستقبل حسن للوطن وأهله .

ستنزل أيها المولى بهذا العمل الجليل سويداء قلوب الأحرار والمفكرين ، وسيشكرك منهم القريب والبعيد .

أما أنا فباسم العلم أثني عليك ، وباسم الأدب أرفع ذكرك على هـامة

---

(١) قد تكرم الشيخ أحمد الجابر الصباح بتقديم هذه الاعانة سنة ١٩٢٩ .

الإجلال ، ولم لا ... وقد شئت أن تشملني بنعمتك مقيماً وظاعناً ، فجزاك الله الجزاء الأوفى عني وعن التاريخ .

الزعيم التونسي الكبير الشيخ عبد العزيز الثعالبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد ، فلم أزل راغباً في تدوين ما علق بأذهان اخواني الكويتيين من أخبار وطني العزيز وحوادثه وما طرأ عليه من التقلبات والتطورات منـــذ

المرحوم أحمد الفهد الخالد

تأسيسه الى يومنا هذا ، علماً مني ان جمع شتات ذلك أعظم خدمة يقوم بهـا الوطني لوطنه وأنفس هدية يقدمها لأبناء جلدتـه ، غير اني كنت أقدم قدماً وأؤخر اخرى لأن المشروع خطير والمسلك وعر لا يقطع إلا بمشقـــة كبيرة وتضحية بوقت ليس بالقليل ، مشروع مهم يحتاج الى خلو بال وراحـة قلب

وتجرد عن العوائق ، واني وقد أناخ عليّ الدهر وأزعجني بنوَبه وأمضّني حين رماني بقوم يأخذون عليّ الحق إذا به تطقت ويطيرون فرحاً بالخطإ إذا به وقعت ، رماني بما لا أحب الافاضة فيه هنا ، اني من جراء ذلك كله أكاد انزع المشروع من القلب وأرميه في زوايا الاهمال ، أفعل ذلك لأن الإقدام عليه والحالة هذه مظنة الخطأ ، وفي ذلك فضيحة للكاتب وعار ، غير ان التشجيع الذي كنت أسمعه من بعض الاخوان الأفاضل[١] الغيورين والتأسف الشديد منهم لعدم القيام بهذا الفرض وتعليقهم الأمل في لقضاء ذلك الواجب، سهل عليّ أخيراً اقتحام هذا المضيق والخوض في ذلك العباب فأقدمت عليه بعد استخارة الله فيه ، أقدمت عليه غير معتمد إلا على أفواه النقلة وأخبار الرواة وعلى نبذ من الرسميات لا غير ، ولا أذكر في الغالب من الحوادث إلا ما هو شائع عند الكثيرين وقد أعتمد على رواية فرد إذا كانت معقولة وليس ثمة ما يخالفها ، والقضية الواحدة التي يتفق على أصلها جملة من الرواة ، ولكن يختلفون في تفاصيلها فاما اذكر الروايات كلها او اختار منهــا ما أراه في نظري أصح . وقد يكون للحادثة الواحدة وجوه متعددة ولم تبلغني إلا من وجه واحد ربما كان سواه أولى بالترجيح ، وسأورد ما أظنه ضعيفاً بصيغة التعريض مثل يحكى ويروى وقيل وحكي وروي ، وسأفيض في أمور لا يهم اهل الكويت امرها كالغوص واحواله لأهميتـه في نظر الأجنبي ، كما واني سأفيض فيما لا يهم إلا الكويتيين وحدهم نظراً لأنه يدور حديثه في مجالسهم وأنديتهم ، وقد لا يسلم المحدث به من الخطأ ، فإلى هذه التنبيهات ألفت نظر القارىء في كل ما يقف عليـه في هذا السفر ليتأنى قبل الجري في ميدان الانتقاد ، على اني لا أدعي العصمة فيما كتبت ولا الكمال فيما جمعت ، ولكن حسبي أني أول من رمى حجراً في ذلك الأساس وأول من سلك هذا الطريق المخيف ، وحسبي اني سهلت به على من يأتي بعدي كثيراً من الصعوبات التي تنتاب المؤرخ في بحثه وتنقيبه .

---

(١) ومن أجلهم وأفضلهم الحر الغيور والمحسن الكريم أحمد الفهد الخالد الخضير .

تبويب التاريخ

يقسم هذا التاريخ الى قسمين : (الاول) وهو الذي أقدمه الآن بين يدي القارىء ويبحث عن حكام الكويت الغابرين والحاضرين وعن حوادثهم وحروبهم وعلاقاتهم بالدول والحكام ، ويبحث في حالة الكويت الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والسياسية ، وما فيها من قرى وآثار ، ومع ما حوت من مدارس ومساجد ، ويبحث في حركتها العلمية ونهضتها الأدبية .

أما (الثاني) وهو ما سأقوم بأعبائه فيما بعد فيبحث عمن فيها من علماء وأدباء وشعراء مع طرف من أخبارهم وأشعارهم ، وعن بيوتها المعروفة ومن له في تاريخها أثر يذكر ، وعمن زارها من العلماء والادباء والكتاب والأعيان، كل ذلك سنبحث عنه إن شاء الله بعدل وانصاف ، راجين ان يكون مجال الصراحة أمامنا واسعاً لنشر ما نعرفه من الحقائق عن مسقط رأسنا ليكون عبرة لأبنائنا الحاضرين والآتين ونؤمل ألا تكم أفواهنا عن النطق بالحق أو تقيد أقلامنا عن الجري في ميدان الحرية فإننا في وقت شعر فيه كل فرد أن الحرية هي من اسمى ما يتطلبه العقل البشري .

اقول هذا وأنا على يقين أن من القراء من سيلاحظ عليّ اشياء فيما كتبت ولكني اجيبه بقول الشاعر :

في فمي ماء وهل ينطق مَن في فيه ماء ؟

التاريخ والرسميات

أخطأت في ظني ان ما جمعته من حوادث الكويت وأخبارها فيه غنى للباحث وأنه ليس في حاجة إلا الى عرضه على بعض من لهم المام بتلك الحوادث لأمحص وايام حقائقها وأستنير بآرائهم فيما قد يخفى عليّ فيه وجه الصواب ، أخطأت في ذلك إذ علمت أخيراً أن هناك أمراً لا يستغني عنه التاريخ مهما بلغ من الجودة والاتقان ومهما تسنى من التحقيق والبحث بل قد يكون لا قيمة له تذكر بدونها ذلك هو تحلية جيده بعقود من الرسميات التي منها تضبط الحوادث ضبطاً تاماً ، ومنها تنار الطرقات المدلهمة أمام المؤرخ . علمت ذلك فبقيت حينئذ حائراً لا أدري كيفية الوصول الى تحقيق تلك الأمنية ، وأخذت أفكر فيما يسهلها علي حتى تمثل أمامي أمل عظيم بسمو أميرنا المحبوب دفعني الى استعطافه بكتاب تشرف بالتقديم اليه ، وهذا نصه :

مولاي الأمير الجليل صاحب العز والسعادة الشيخ احمد الجابر الصباح
حاكم الكويت المفخم أدام الله عزه وتوفيقه

غير خـاف على سيادتكم ان ضبط تاريخ الوطن وحفظ وقائع وحوادث حكامه وأخبارهم مـن الواجبات المهمة على أبنائه ومن أعظم ما ينبغي

لهم أن يقدموه على ما سواه ، وبما أني أيها الامير الخطير لم أر من قام بهذا الواجب فقد أخذت على نفسي القيام به وتحمل المشقات في سبيله حتى وفقت الى شيء كثير تناولت فيه جميع المسائل اللازمة . غير اني يا حضرة الامير في حاجة كبرى الى معاضدتكم بالأخبار الرسمية المحفوظة الآن في ديوان جلالتكم الموقرة مما وقع بين أسلافكم الكرام وبين الدول والحكام .

فعسى أن تكون مجيباً يا مولاي لما لا يعود عليكم وعلينا إلا بالفائدة والنفع فان ما ينشر من تلك الأخبار اذا تناولها الكتاب بالنقد والتصحيح يرى من خلال آرائهم وأبحاثهم مـا قد يجهله الكثيرون منا .

زار الاستاذ الريحاني عظمة سلطان نجد فقدم له شيئاً من الرسميات التي سينشرها[1] عن قريب في كتاب (تاريخ نجد الحديث) وأنت تعلم يا سمو الامير ان عظمته لم يقدم له ما قدم إلا لعلمه بالفائدة التي يجنيها من وراء النشر ، فعسى ان تكون لك به قدوة حسنة لا سيا وفي نشر ذلك خدمة لسعادتكم ونشر لأياديكم على العلم والأدب .

هذا نص ما قدمت اليه :

أما حضرته فقد ابدى اهتماماً بما طلبت وسروراً بهذا المشروع الجديد ،

---

(١) حدث ذلك قبل نشر كتاب تاريخ نجد الحديث .

وقال لي انه مستعد لأن يقدم لي ما أريد،وأظهر شديد أسفه لاهمال الوطنيين هذا الواجب المهم وقال : « إنه من العار علينا أن يسألنا أجنبي عن تاريخ بلدنا وعن أخبار من أسسها من آبائنا الأقدمين فيكون جوابنا السكوت » . صرح بهذا التصريح المنعش المنشط فعلمت حينذاك ما انطوت عليه نفسه من الميل إلى هذا المشروع وانجابت عني بما قاله غياهب قد أحاطت بي ، وتيقنت ان قرب تناول المنى سيكون على يديه الكريمتين .

ثم أتبعت الكتاب بأبيات إلى سعادته لا لأستحثه فإن لديه من الرغبة ما يكفي عن كل حث واستنهاض ، ولكن لأعلمه بحرصي الشديد على السرعة والانجاز ، فقلت شعراً :

أيا أحمد الأفعال يا من حياته	سماء بها بدر المفاخر سارا
ويا من له خلق صفا مثل ماصفت	لآلىء منهـا الليل عـاد نهارا
يناديك تاريخ الكويت بلهفة	لتبني له بـين الأنام منارا
يناديك كي تحيي رفات عظامه	وتمنحـه من راحتيك يسارا
فأنت الذي دون البرية قادر	على أن تقيل اليوم منه عثارا

بعد هذا أصدر أمره العالي في البحث والتنقيب إلى صاحب الهمة العالية والثبات المدهش الكريم المفضال « ملا ّ صالح بن محمد الملا ّ » رئيس الكتاب في أيامه وفي جل أيام جده الشيخ مبارك وأيام أبيه الشيخ جابر كلها وعمه الشيخ سالم ، فقام هذا الفاضل بالمهمة التي أسندها إليه الأمير خير قيام يشكره عليه العلم والأدب والفضل وذووه .

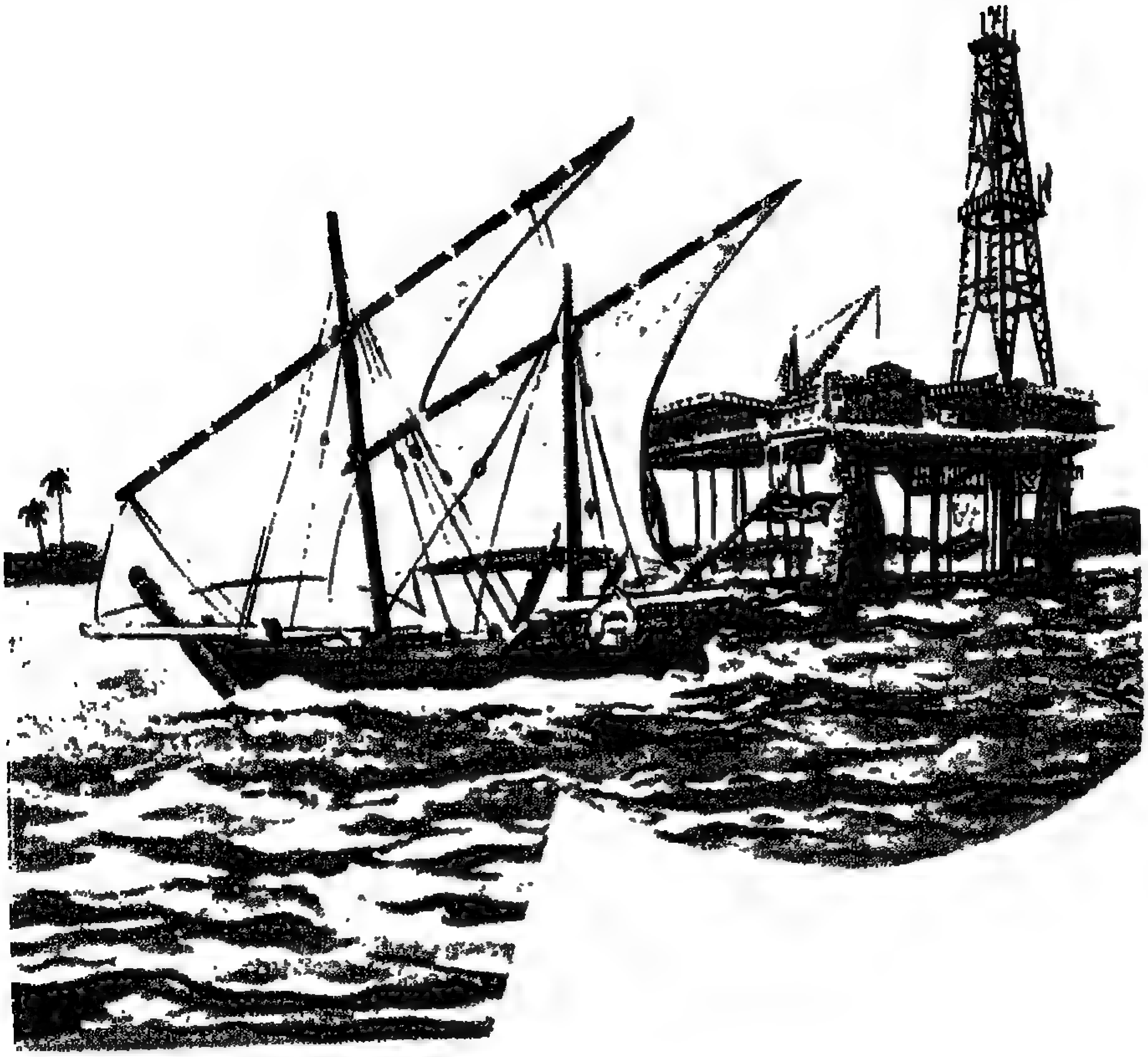

الجزء الأول

الباب الأوّل

متى تأسست الكويت ؟

هناك اقوال متضاربة في السنة التي أسست فيها الكويت أو قبل السنة التي هبط ارضها آل الصباح وآل خليفة ، وليس من تلك الاقوال ما يقطع بصحته أو تطمئن اليه النفس أو يزيل كل ما يخالجها من ارتياب، فمدحت باشا يقول : ونسل هؤلاء العرب (أي الصباح) من الحجاز وكانوا قبل خمسمائة سنة قد حضروا إلى هذه البقعة هم وجماعة من مطير ، قال هذا في أيام (عبدالله الصباح الثاني) سنة ١٢٨٧ ويصرح الشيخ مبارك في احدى رسائله لبعض ولاة البصرة أنها تأسست سنة ١٠٢٢ ويقول البعض بل كلمة « طغى الماء » هو تاريخها ، أي سنة ١٠٨٣ وآخرون يقولون تأسست سنة ١١٠٠ .

أما العلامة المحقق الشيخ أبراهيم بن شيخ محمد الخليفة شيخ الأدباء في البحرين فيرى أن تأسيسها سنة ١١٢٥ وكل هذه الاقوال حدس وتخمين واقربها إلى الصواب واولاها بالترجيح القولان الاخيران، وبمعرفتنا عدد الحكام الذين تولوا عليها من آل الصباح يزول عنا كثير من الغموض وتكون بيدنا حجة

قوية في رفض بقية الاقوال لا سيما اذا علمنا ان صباحاً الاول هو اولهم وانه توفي حوالي سنة ١١٩٠ ولكننا مع هذا لا نجزم بان ما رجحناه قضية لا تحتمل المناقشة ولا النقض ، نعم الذي يصح لنا الجزم به أنها كانت موجودة قبل سنة ١١٣٥ – اعتماداً على ما قاله الشيخ ابراهيم بن عيسى النجدي في اجازته لاستاذنا الجليل الشيخ عبدالله الخلف الدحيان فقد ذكر في سلسلة مشائخه الشيخ محمد بن فيروز جد ابن فيروز المشهور وقال انه توفي في الكويت سنة ١١٣٥ .

معنى كلمة الكويت ؟

الكويت تصغير كوت ، والكوت كلمة مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم ، وقد شاع استعمالها على الألسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الاصلية. فصغروها وجمعوها فقالوا كويت واكوات وبالمصغر سميت البلدة التي على ضفاف (الخليج العربي) وهي تطلق عندهم على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة وتبنى حوله بيوت صغيرة حقيرة بالنسبة اليه ، ويكون هذا البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده لتتزود منه بما ينقصها من الفحم والزاد وما أشبه ذلك من حاجات السفر ولا تطلق الا على ما يبنى قريباً من الماء سواء كان من البحر أو النهر أو البحيرة أو المستنقع وقد يطلق الكوت على النهر الصغير ويسمى به بعض القرى توسعا ا.هـ (١).

لم سميت بالكويت ؟
ومن الذي أسسها ؟

سميت بذلك الاسم نسبة الى حصن صغير كان موجودا فيها ، قيل بناه

---

(١) من مقالة للاديب الفاضل والكاتب القدير السيد محمد الهاشمي صاحب مجلة اليقين .

محمد لصكة بن عريعر زعيم بني خالد وقد أقام فيه أحد عبيده واتخذه مستودعاً للزاد والذخيرة وما يحتاج إليه ، فإذا أراد الغزو شمالاً أو المرعى قريباً من ذلك الحصن تزود بما يريد وانه وهبه لآل الصباح ومن كان معهم عندما نزلوا تلك الأرض ، وقيل أسسه آل الصباح أنفسهم بعد هبة ابن عريعر لهم ما حوله من الارض ، ويقال إن موضعه كان في النفود الصغير الذي أسس في أعلاه (المستشفى الامريكاني الآن) .

كانت الكويت قبل نزول آل الصباح فيها أرضاً فقيرة لا يسكنها إلا لفيف من العشائر التابعة لابن عريعر ، وأول من شاد فيها البيوت الحجرية هم آل الصباح الذين اتخذوها لهم مقراً ، فالكويت حينئذ لم يحكمها أجنبي عن القوم الذين أسسوها ولم ينفرد بالأمر والنهي فيها أحد سواهم على تكاثر الأعداء الذين أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم .

نسب آل الصباح

ينتمي آل الصباح وآل خليفة وآل سعود إلى قبيلة عنزة المعروفة وهي من أكبر قبائل العرب وأشهرها إلى يومنا هذا ، وتنقسم كغيرها إلى أفخاذ عديدة ، ومن تلك الأفخاذ (جُمَيْلة) بالتصغير ، وتنقسم جميلة إلى عدة فروع منها الشملان ، وتنقسم الشملان إلى عشائر منها آل الصباح .

وطن آل الصباح الاصلي
وسبب هجرتهم منه

اختلف في وطنهم الأصلي الذي كانوا فيه زمن صباح الاول جدهم الأكبر فقيل كانوا في نجران ، وقيل بل تحدروا من خيبر ، والصحيح انهم كانوا في الهدار من مقاطعة الافلاج في نجد .

أما سبب هجرتهم منه فلا نعلم عنه شيئاً ، وغير بعيد أن يكون سببها إهانات فوجئوا بها من أناس أدنياء ، أو ذلة ضربت عليهم لم يطيقوا دفعها لأن العربي الصميم ذا أنفة ينفر من الذلة ولا يتحمل الضيم ولا يخنع له .

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الاذلان عير الحي والوتد

ولنا على صدق هذه النظرية دليل شاهده الكل منا وهو هجرة الدواسر من البحرين وسكناهم الدمام ، وقبلهم أهل الجبيل أيضاً الذين هجروا قطر لاضطهاد حكامها لهم .

ومن المحتمل أن يكون السبب الوحيد هو كبر نفوسهم وطموحهم إلى الاستقلال بالحكم فالنفوس إذا كبرت زعزعت أصحابها من مقرهم وطوحت بهم في المهاوي أملاً في العلا .

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الأجسام

لا سيما إذا عرفوا من أنفسهم الكفاءة والاقتدار فهناك يحاولون ما يريدون إلى ان يعذروا ، حين عجزهم عن بلوغ امانيهم .

والخلاصة انهم هجروا وطنهم العزيز فما زالوا يعلو بهم جبل ويهبط بهم واد ديدنهم الحل والترحال من بلد إلى اخرى حتى ألقوا عصا التسيار في الكويت .

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فشيدوا تلك البلدة التي حسدهم عليها القريب والبعيد، اسسوا تلك المدينة الصغيرة التي هي الدرة في تاج الخليج (العربي) بل الجوهرة الثمينة التي ستنير

ما حواليها بنورها ، وستأخذ بأيدي غيرها إلى المجد، بعد ان يأخذ اهلهـــا والمسيطرون عليها بيدها إلى ربوع الفخر[1] .

البلاد التي مر عليها
آل الصباح قبل الكويت

مروا بقطر فأناخوا فيها ركائبهم واستوطنوها تحت ظل حكامها إذ ذاك آل مسلم ولكن أحدهم قتـــل رجلاً من أهلها سمع منه سخرية به واستهزاء فحل عليهم غضب حكامها الذين أوجسوا منهم خيفة وخشوا استفحال أمرهم فأمروهم بمغادرة البلاد والنزوح عنها . وقد لبى آل الصباح وإخوانهم الطلب وأودعوا أموالهم والعزيز لديهم سفناً شراعية ثم ساروا بهـــا ضاربين عرض البحر وطوله .

أما آل مسلم فجهزوا بعد ذلك خلفهم سفناً أخرى وساروا يقتفون أثرهم ، ولا نعلم ما الذي دفعهم الى اقلاتهم أولاً ومطاردتهم أخيراً ، ومهما يكن فإنهم ادركوهم في رأس تنورة وعندما أبصرهم آل الصبـــاح مقبلين وعلموا بمـا يريدون نزلوا الى البر واستعدوا للقتال وجرى بين الفريقين قتال شديد كان النصر فيـــه حليف آل الصباح ولم يؤثر هذا النصر في عزمهم

(١) بعد كتابة هـــذه الأسطر تفضل علينا الاستاذ المحقق الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة ببيان السبب في ارتحال آل الصباح واخوانهم آل خليفة من موطنهم الأصلي وسأثبت ما قاله هذا المفضال هنا اعترافاً بغيرته وبفضله ، قال :

« أما سبب ارتحال الصباح والخليفة منْ المدار فقد كان نتيجة لنزاع حصل بينهم وبين بني عم لهم من بطن « جميلة » من عنزة وأخيراً تغلبوا على خصومهم وأخرجوهم من البلد فلجأ الخصوم إلى قبيلة الدواسر في الوادي وهناك اجتمعت بطون الدواسر وركز كل بطن رمحاً ، وخيروا الجميليين في الرمح الذي يريدون الالتجاء تحت ظله وحمايته فاختاروا رمح آل حسن وزحفوا معهم على المدار على ان البلد لم تخل من مناصر لهم علاوة على مساعدة الدواسر فتم لهم التغلب عليهـــا وأخرجوا منافسيهم المتغلبين من آل الصباح واخوانهم » اهـ .

وزهدهم في سكن قطر ، فساروا ، قيل ميممين (قيساً) من بلاد فارس ، وقيل بل ذهبوا الى المحراق ولكن لم يطب لهم المقام فتحولوا الى الصبية وهي أرض واقعة شمال الكويت الشرقي وتبعد عنها نحو ستة عشر ميلا وكان حظهم فيها حظهم في سواها فهجروها ونزلوا الكويت كما تقدم .

ويقال في سبب تحولهم عن المحراق ان الحكومة العثمانية طردتهم منه لما كانوا يقومون به من السلب والنهب وقطع الطريق في هاتيك الجهات .

أما تركهم الصبية فيقال هو من الحكومة ايضاً ويقال بل ان قبيلة الظفير همت بمهاجمتهم وفي طريقها اليهم قبضت على رجل منهم ولم تفلته إلا بعد أن أخذت عليه العهد والميثاق ألا يخبرهم وما كاد يفلت حتى سار اليهم وهناك شرع يخاطب احد زعمائهم المسمى (دولة) بقوله :

عمر الغليون يا دوله ترى دنياك معلوله
اني حلفت بالله ما أقوله

ففهم الزعيم وإخوانه إشارة الرجل وعلموا منها بما يراد بهم ففروا من أرض الصبية ولم يقفوا إلا في أرض الكويت التي هي في حماية ابن غزيعر إذ ذاك .

الباب الثاني

موقع الكويت الطبيعي

الكويت واقعة على (جون) من الخليج (العربي) تمتد على ساحله شرقاً وغرباً وهي قائمة على آكام قليلة الارتفاع وفي بطون أودية لها منظر بديع لا سيما من جهة البحر ، طيبة التربة عذبة المناخ هواؤها صحي لطيف وجوها معتدل صيفاً وشتاء ، وقلما تخلو ليالي صيفها من نسيم عليل يكسب الجسم نشاطاً والقلب سروراً ويسمى (الغربي) وفي الشمال الغربي منها جبل يسمى (أغضى) ممتد شرقاً وغرباً على الساحل الشمالي للجون تبلغ مسافته من الصبية إلى الجهراء نحو ثمانية وعشرين ميلاً ويسمى سفحه مما يلي البحر (البطانة) وفي رأسه الغربي وسفحه الجنوبي على ساحل البحر توجد (كاظمة) المشهورة .

ويبلغ طول نفس المدينة من رأس السورين نحو ثلاثة اميال . ونصف وأما عرضها فيبلغ في بعض الجهات نحو ميلين .

حدود الكويت

يحدها غرباً ملتقى وادي العوجا بالباطن الممتد على خط مستقيم الى حيث

يلتقي عرضاً بالخط التاسع والعشرين وجنوباً القليعة وشرقاً (الخليج العربي).

احياء الكويت القديمة

في الكويت احياء عـــديدة اكبرها (حي القبلة) والشرق والمرقاب والوسط ، ومن الأحياء الصغيرة (حي العوازم) والرشايدة والمطران واحياء أخرى غيرها .

حي الوسط :

هو مطابق لاسمه واقع وسط المدينة بين الشرق والقبلة فيه بيت الإمارة وقصور آل الصباح بأسرهم ، ودائرة القمرق (الجمرك) ودائرة المراكب البخارية ، وفيه السوق بأقسامه والصفاة [1] ، وبيت الشيخ الفاضل يوسف ابن عيسى الجناعي واخوانه ، وبيت آل عبد الرزاق وآل بودي ، وهنـــاك ايضاً بيت الفاضل ملا صالح رئيس الكتاب ، وبيت الحاج جبر والحـــاج شاهين الغانم وهما من آل زايد ، وبيت الشيخ احمد الفارس وبيت العداسنة قضاة الكويت ، والعالم التقي المرحوم الشيخ محمد الفـــارس ، وبيت آل زين وآل عبد الجليل وآل معرفي وبيتهم من اكبر بيوتات الشيعة في الكويت ، وفيه المدرسة المباركية والمكتبة الاهلية والنادي الادبي.

حي القبلة :

هو القسم الغربي من البلد وسمي (بحي القبلة) لان قبلة الكويتيين غرباً

---

(١) الصفاة هي ارض واسعة اتخذت مناخاً للعربان الذين يفدون الى الكويت لعرض سلعهم وبضائعهم في سوقها من ابل وغنم وصوف ودهن وجنود وقد يكثر فيها الزحـــام احياناً حتى ليتعسر التخلص للبصير ، فما بالنا بالاعمى ، والى هذا المعنى يشير شاعر الكويت الشيخ صقر بن سالم الشبيب بقوله :

ما في الصفاة لذي عمى ... مثـــل امور تحمد ،
كم مرة قـــد ضمني ... فيها زحام أنكد
كادت به عن جثتي ... نفسي العزيزة تفقـــد

وجل القاطنين فيه من الاسر التي هاجرت من نجد أو من البادية والكثير من اهل هذا الحي لهم اياد بيضاء على الحركة العلمية والادبية في الكويت مثل آل خالد الكرام وآل النقيب الفخام وآل بدر النجباء ، واستاذنا الجليل الشيخ عبدالله الخلف ، والمحسن الكريم محمد الثنيان وغيرهم من الافراد والعائلات ، وفي هذا الحي من البيوت المعروفة ايضاً بيت الحاج حمد الصقر الغانم وهو من اكبر المثريين ، له تجارة واسعة في الهند واليمن والعراق. وبيت آل الحميضي وهم من المثريين أيضاً وقد اتخذهم آل الصباح أمناء لهم ، وفيه المدرسة الأحمدية ، وفي أقصاه المستشفى الاميركاني ، وسنأتي بكلمة صالحة فيما بعد عمن له اثر من اهل هذا الحي في الحركة العلمية والادبية في الكويت .

حي الشرق :

هو القسم الشرقي في البلد يضم اخلاطاً من الفارسيين وبعض الأسر التي هاجرت مع آل الصباح مثل آل الرومي ، وهناك أيضاً بيت آل نصف[1] وهم من (الجلاهمة) وبيت صقر الغانم الذي سمل مبارك الصباح عينيه وهو من آل زايد . وفيه طائفة من الأعاجم السنيين والشيعيين وثلة من اليهود ، وفيه قصر السيد هاشم النقيب ، ودائرة معتمد الحكومة البريطانية ، ومركز « التلغراف والبوسطة » ، وفيه طبيب على نفقة الحكومة الانكليزية ، وبيت هلال المطيري أكبر ثري في الكويت ، وبيت شملان بن علي بن سيف وابراهيم ابن مضف ، وهؤلاء الثلاثة هم الذين هاجروا من الكويت ايام مبارك الصباح كما سيأتي في ترجمته ، وهناك بيت شاعر الكويت وبيت الاديب الحر عيسى القطامي صاحب دليل المحتار في علم البحار ، واكثر اشتغال أهل هذا الحي باللؤلؤ صيداً وتجارة بل جل تجار اللؤلؤ منهم ، والقليل منهم يتعاطون الاتجار بغيره .

---

(١) من هذا البيت اديبان فاضلان الشاعر المجدد عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف وهو شاب حر ذكي له من العمر عشرون سنة نؤمل أن يكون له مستقبل زاهر في الشعر والنثر وسنورد نبذاً من شعره الطلق ، أما الثاني فنصف آل نصف وهو من الشبان الأذكياء الغيورين .

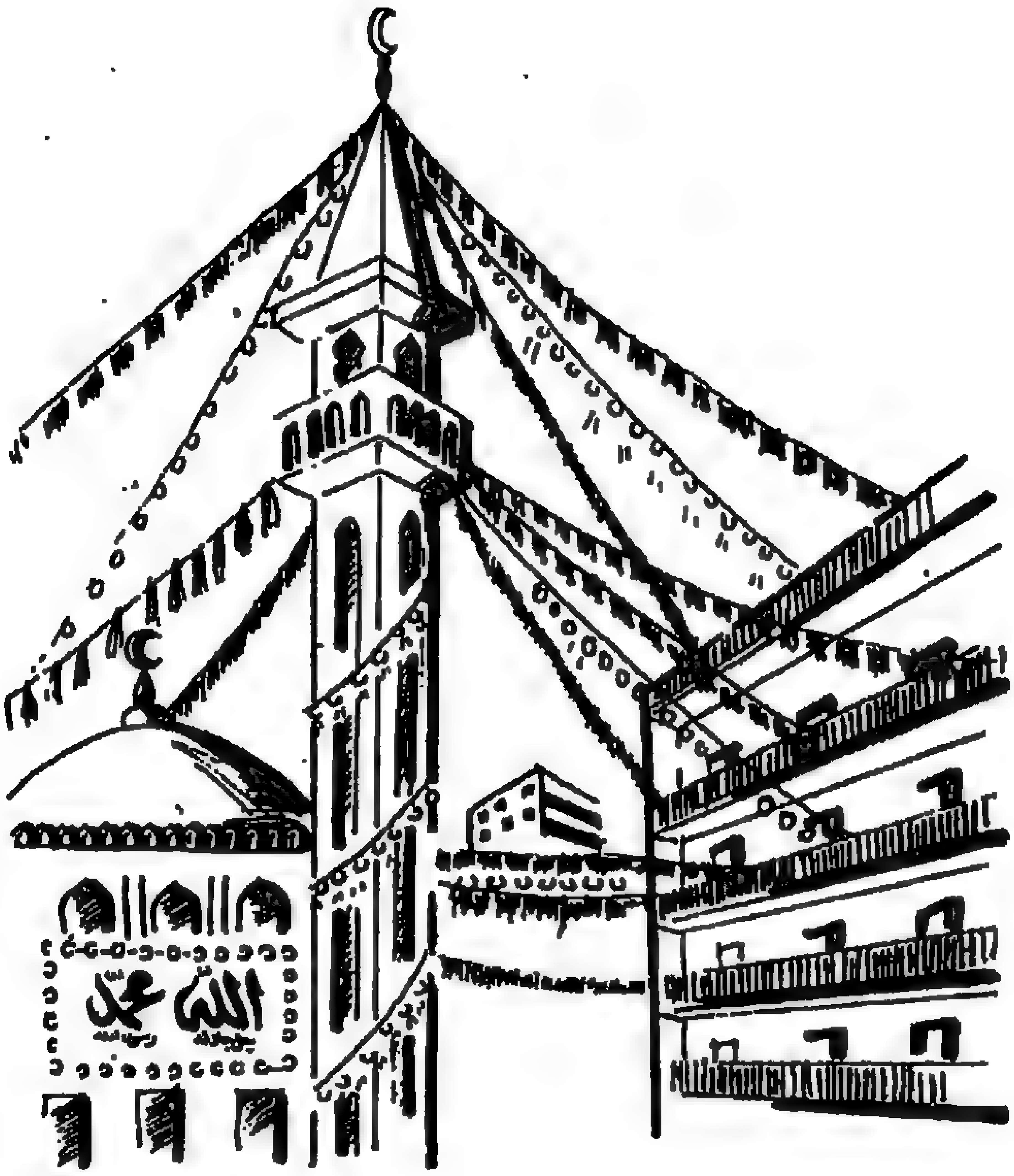
الله محمد

الباب الثالث

مساجد الكويت

في الكويت الآن نحو خمسين مسجداً ، منها نحو اثني عشر تقام فيها صلاة الجمعة وأما أقدم هذه المساجد فلا يعرف على وجه التحديد ولكنه واحد من ثلاثـــة : مسجد آل خليفة ومسجد ابن بحر ومسجد العدساني ، وكل هذه المساجد للسنة اما الشيعة فليس لهم إلا ثلاثة مساجد .

مسجد مبارك :

هو مسجد في حي (الجناعـــات) ومبارك الذي يضاف اليه قيل هو مبارك من آل فاضل وقيل من آل خليفة حكام البحرين وأمامه أرض واسعة تسمى (براحة مبارك) يطل عليها حمام للعجم هناك ، وفي هذا المسجد بئر يعتقد العامة ان ماءها يشفي من الأمراض إذا استحم به الانسان ولا ريب في انه اعتقاد باطل .

مسجد آل خليفة :

وهو واقع على شاطىء البحر وينسب الى آل خليفة حكام البحرين وقد

كان صغيراً فزاده مبارك الصباح زيادة كبيرة في زمن السلطان عبـــد الحميد وسماه (الحميدي) نسبة اليه ، وتقام فيه الجمعة .

مسجد ملا صالح :

اسمه الكريم المفضال ملا صالح بن محمد الملا رئيس الكتاب سنة ١٣٣٨ وقد أنفق على بنائه نحو ثلاثة وعشرين ألف روبية وأوقف عليه اوقافاًعديدة من بيوت وحوانيت ، وهو من المساجد التاريخية في الكويت حيث وضع الشيخ سالم الصباح أول حجر في أساسه الشمالي،وقد شيده في حي (الصالحية) وهو حي متوسط بين القبلة والمرقاب ينسب الى ذلك المحسن .

مسجد آل يعقوب :

هو في الحي القبلي اسمه (يعقوب) زعيم عـــائلة آل يعقوب المعروفة في الكويت اما أخيراً فحقه ان يسمى (بمسجد آل خالد) حيث قام بتعميره واصلاحه زعيمهم الاكبر الحاج المكرم حمد الخالد الخضير سنة ١٣٤٢ وبذل في ذلك ما لا يقل عن اربعة عشر الف روبية نعم يجب ان ينسب اليهم لأنه بذلك الاصلاح حاز قسطاً وافراً من البهاء والجمـال وتغير عن شكله الاول تغيراً عظيماً ، ولله در الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي حيث يقول في هذا البيت الكريم بمناسبة اصلاح هذا المسجد :

لو قيل من هم في الكويت اولى المكارم والمحامد
الطيبون المحسنون على المدارس والمساجـــد
الراحمون الثابتون على المبـــادىء والمقاصد
لأجبتهم هذي الخـــلال تجمعت في آل خـــالد

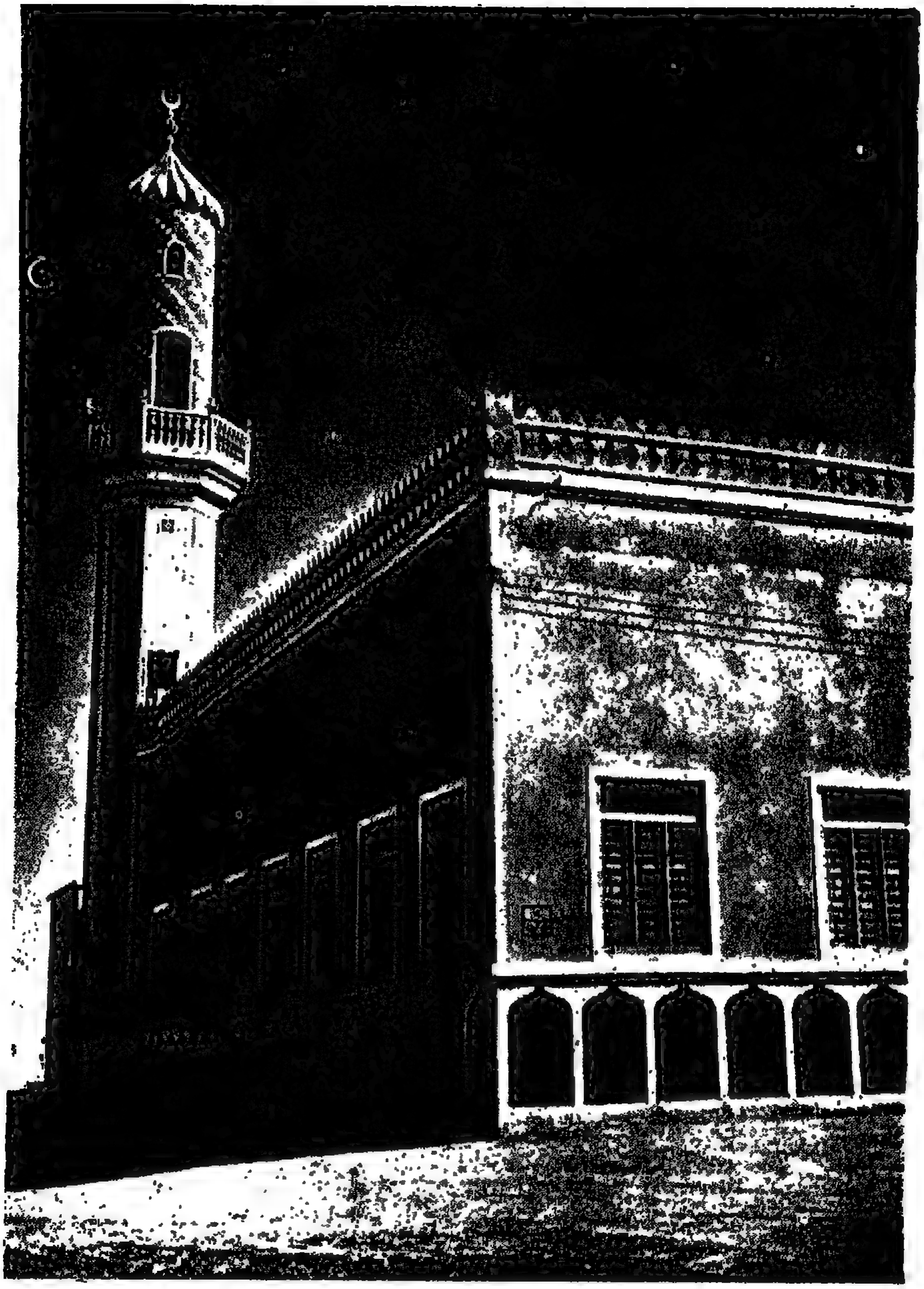

مسجد بوابة الجهرة

اسس هذا المسجد دائرة الاوقاف العامة

بتاريخ ١٣٧٤/١١/١٧ الموافق ١٩٥٥/٦/٢٧ م . وقد بلغت تكاليفه ـ/١٠٣٢٢١ روبية

وقلت أنا من قصيدة قدمتها الى الحاج المكرم حمد في ابان اصلاحه لهذا المسجد ايضاً :

هذي المدارس ناطقات بالذي يخزي لمن هو للحقيقة ينكر
اما المساجد فهي تشكر فضلكم شكر الرياض لوابل لا يفتر
لا غرو ان شهد الجماد بفضلكم ان الجماد بكل فضل يشعر

مسجد العدساني :

كان في ابتداء امره صغيراً وقد شيده الذي نسب اليه ، ووسعه اخيراً محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم وزاده زيادة كبيرة ووقف عليه اوقافاً ، وهو الآن من اكبر مساجد الكويت وتقام فيه الجمعة ، والعدساني الذي ينسب اليه هو أحد قضاة الكويت السابقين .

مسجد السوق :

سمي بذلك لأنه متوسط في السوق ، وكان في ابتداء تأسيسه صغيراً ولكن يوسف البدر زاده زيادة مهمة من ثلث (ابن دليم) وقد اوصى يوسف الصقر احدهم على شراء اخشاب من « المليبار » لتعميره فاشترى من أحد التجار هناك ما يلزمه وعندما علم التاجر بانها لاصلاح مسجد امتنع عن اخذ الثمن وتبرع بها ، وكان الشروع في زيادته سنة ١٢٥٣ وإلى جانبه مدرسة يعلم فيها القرآن الكريم وقد قام العلامة المرحوم الشيخ محمد بن فارس معتنياً بالتعليم فيها .

مسجد هلال :

هو مسجد في حي العوازم أسسه (عزران الدماج) ثم انتدب لتوسيعه هلال المطيري اكبر ثري في الكويت ، وقد صرف عليه اموالاً طائلة بحيث يعد الآن من افخر واضخم مساجد الكويت ، اوقف عليه حوانيت وبيوتاً عديدة ، وتقام فيه الجمعة بعد ان لم تكن ، وقد قال فيه وفي مؤسسه احدهم:

مسجد اسس على التقوى المبين لجلال الله رب العالمين
مسجد قد اسست اساسه من هلال الخير بدر الآمنين
نطق السعد لدى تاريخه اسس البيت على التقوى المبين

ان هلالاً قد احسن كل الاحسان في اصلاح هذا المسجد وزيادته فان الحي الذي هو فيه في حاجة كبرى اليه ولكن يؤسفنا جد الأسف ان لا يكون لمدارس الكويت ومعارفها نصيب من ثروة هلال الطائلة التي ينظر اليها الكويتيون بعين الاهتمام ؛ وهو يعلم ان الانفاق في سبيل العلوم والمعارف من الإنفاق في سبيل الله الذي يفوق الانفاق حتى في تأسيس المساجد ومعاهد العبادة إذ لا تفيد العبادة صاحبها مع الجهل ، وان لنا في هلال املاً كبيراً بأن تصادف كلمتنا هذه الصادرة عن اخلاص محلاً من القبول في نفسه لنقلد جيده بعقد المدح والثناء في القسم الثاني من التاريخ .

مسجد سرحان :

ينسب هذا المسجد الى امامه الشيخ سرحان وهو عالم مالكي كان يدرس فيه الفقه وهو في حي الوسط .

مسجد آل نصف :

متوسط من الحي الشرقي ، أول من أسسه رجل من آل بطي وهم من العائلات المعروفة في الكويت سابقاً ، وقد جهل تاريخ ابتداء تأسيسه ونهض راشد آل نصف أخيراً لتوسيعه وتعميره سنة ١٢٨٤ فكانت تقام فيه الجمعة بعد ذلك ، ومدح أحدهم راشد آل نصف على احسانه بقصيدة قال فيها مشيراً الى التاريخ :

ان رمت تاريخاً لذي التعمير قل ذا بيت مال الجود والإيجاد

وآل نصف الذين ينسب اليهم المسجد الآن هم فرع من (الجلاهمة) الذين يقال انهم هاجروا مع آل الصباح .

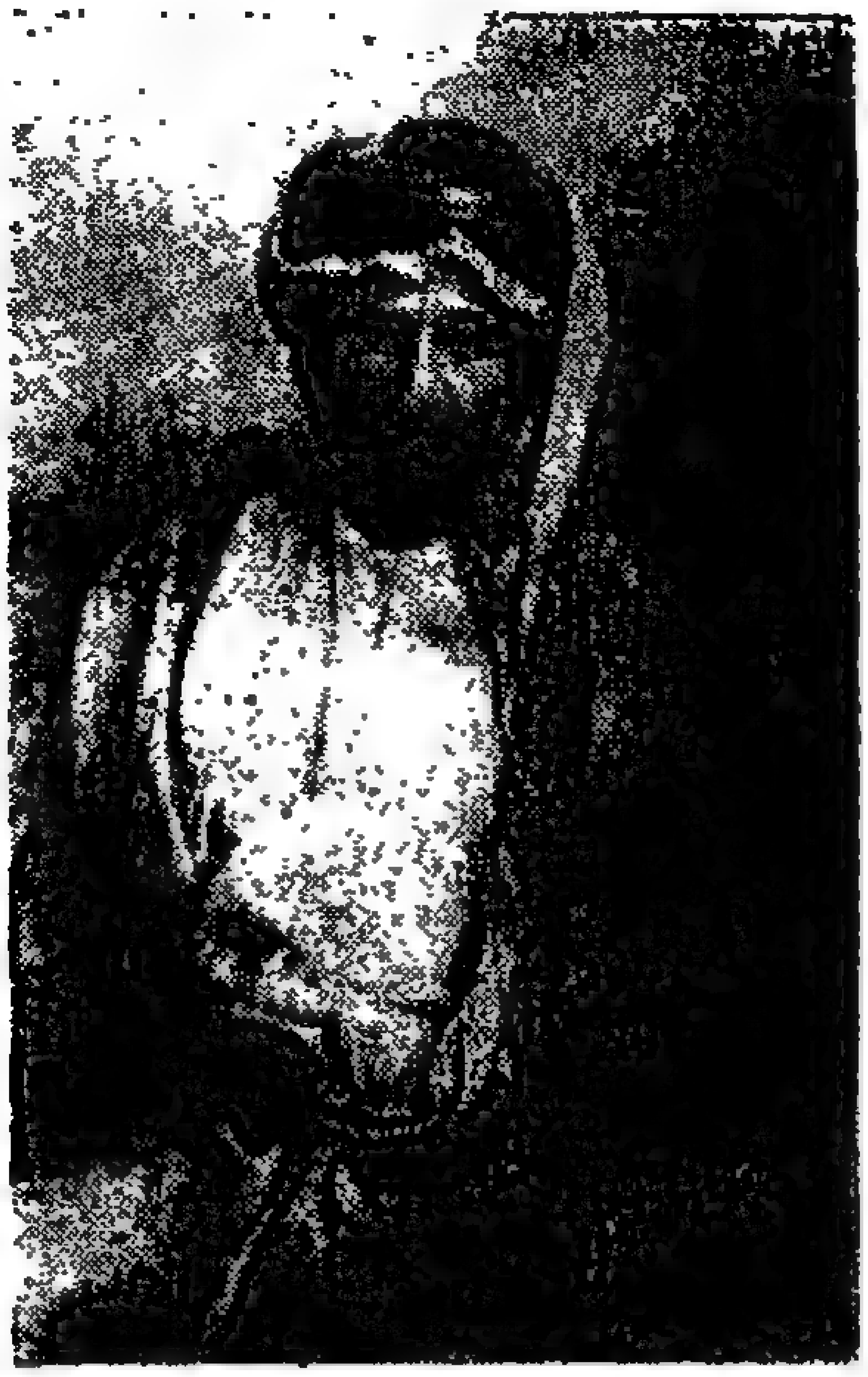

المرحوم الحاج ناصر البدر

مسجد آل بدر :

اسسه الحاج ناصر البدر في الحي القبلي من ثلث والده يوسف البدر المشهور سنة ١٣١٥ وهو من المساجد التي تقام فيها الجمعة ، وأول من عين فيه اماماً وخطيباً استاذنا الفاضل الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وقد زيد هذا المسجد حوالي سنة ١٣٢٨ بأمر من الشيخ مبارك الصباح[1] .

---

(١) اما الآن فيوجد في الكويت ٦٩ مسجداً جلها حديث البناء وهي تتبع لدائرة خاصة من دوائر الحكومة هي دائرة الأوقـــاف . كما وضع لهذه الدائرة مخطط لبناء ، من قبل دائرة الاشغال العامة ، ليكون مقراً لها . ومن مشاريع هذه الدائرة المقبلة تشييد جامـــع فخم يسع الآلاف من المصلين في الاعياد والاحتفالات الدينية. انشاء مكتبة عامة تحوي أمهات المصادر العربية والدينية ، مما يساعد المواطنين في الحصول على المعلومات المطلوبة .

وتعتمد هذه الدائرة على الايرادات التي تأتيهـــا من أجور العقارات التي تملكها ومن بعض الايرادات الطارئة .

الباب الرابع

قرى الكويت

من قرى الكويت الجهراء وفيلكا والدمنة والفنطاس والفحيحيل وابو حليفة والشعيبة .

الجهراء :

واقعة غرب الكويت وتبعد عنها تسعة عشر ميلاً فيها من البيوت نحو مائة وسبعين بيتاً ، وتقدر نفوسها بنحو ألف نسمة ، وفيها مسجد تقام فيه الجمعة وأمير من قبل حاكم الكويت ، وفيها عدة آبار وبساتين ونخل تسقى من تلك الآبار ، وفيها قصران احدهما للشيخ مبارك وهو القصر الأحمر ، وأما الثاني فلسعادة خلف باشا النقيب . وفيها حدثت الواقعة المشهورة بين الشيخ سالم الصباح وفيصل الدرويش وقد أحاطها سالم بعد تلك الحادثة بسور منيع في ١٧ ربيع أول سنة ١٣٣٩ وفي هذه القرية والواقعة المشهورة يقول شاعر الكويت :

يؤلم قلبي ذكرك الجهرة التي بها مات من صحبي الكرام كثير

بها مات من لم يقض حق اخائهم اذا ما سلا عنهم وعاش ضرير
فكانوا له عكاز صدق يعينه اذا كثرت ممـا يخاف وعور

فيلـكا :

هي جزيرة شرقي الكويت الشمالي تبعد عنها نحو خمسة عشر ميلاً ، جل اهلها من الهولة من فارس بفيها امير من قبل حاكم الكويت . ماؤها عذب زلال حتى الآبار التي على شاطىء البحر ولا يزيد عمق البئر عن ذراع واحد ، فيها من البيوت نحو مائتين ، ومن النفوس نحو الف ومائتين ، وفيها اربعة مساجد تقام في احدها الجمعة ، وآثار قرى دارسة منتشرة في طولها وعرضها منها الصباحية (ولها مقبرة واسعة) ومنها الدشت والقرين وسعيدة .

وفي فيلكا مزارع وبساتين ويشتغل اهلهـا بصيد السمك وبالزراعة وبالغوص ، وينبت فيها الجزر وشيء من الخضر ، وفيها مزارة قد فتن العامة بهـا فكانوا يذبحون لها وينظرون ويبتهلون اليها في قضاء الحاجات وابراء العاهات ويستغيثون بهـا في رد الغائب ومنح الأولاد الى افعال واعتقادات لا يقرها عقـل ولا نقل . والمعروف من تلك المزارات خمسة : الخضر وسعد وسعيد والبدوي وابن غريب ، ولكن هذه الاعتقادات قد أخذت في التناقص والاضمحلال . وقـد انجبت تلك القرية العلامة الشيخ عثمان بن سند العالم المشهور المالكي النجدي المتوفى في بغداد سنة ١٢٤٢ وقد دفن بجوار الشيخ معروف الكرخي .

الدمنة :

تبعد عن المدينة نحو خمسة اميال وتقع جنوبيها على ساحل البحر بـين الرأس والشعب ، وكانت في ابتداء تأسيس الكويت محلاً لصيادي السمك ولم تزل هكذا حتى شرعت من وقت قريب طائفة من العوازم في بنائها ، وقد بلغت بيوتها إلى هذا اليوم نحو اربعين بيتاً ، وفيها من النفوس نحو ثلاثمـائة نفس ، يعتمد اهلها على الزراعة والاشتغال بالصيد واستخراج اللؤلؤ ، وفيها

مسجد أسسه محمد المدعج وقد مضت له مدة طويلة لم تقم فيه الجمعة وكنت اول من صلاها فيه إماماً وما زالت تقام فيه حتى اليوم وقد ضاق بالمصلين اخيراً فهب لتوسيعه وزيادته حضرة الامير الجليل الشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت سنة ١٣٤٣ .

وفي سنة ١٣٤٢ اسس الاستاذ الفاضل مصلح الكويت الشيخ يوسف ابن عيسى فيها مدرسة لتعليم الاطفال القراءة والكتابة وكان المحرك الأكبر لتأسيسها الاستاذ العلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي في زيارته الكويت تلك السنة .

الفنطاس :

تبعد عن الكويت نحو سبعة عشر ميلاً جنوباً وتقدر نفوسها بنحو ثلاثمائة نسمة وفيها مسجد تقام فيه الجمعة وعدة بساتين .

بو حليفة :

وهي على مسافة عشرين ميلاً من الكويت وهي تقع جنوب الكويت وجنوب الفنطاس ايضاً ، ويقرب عدد نفوسها من عدد نفوس الفنطاس .

الفحيحيل :

وهي على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من الكويت جنوباً وتزيد نفوسها على ستمائة نسمة .

الشعيبة :

وهي اقصى قرية في الجنوب وعلى بعد ثلاثين ميلاً من الكويت ، وجميع هذه القرى مطلة على الساحل الغربي من (الخليج العربي [1]) .

(١) اما تقسيم الكويت الحديث فهو كما يأتي :

المدن : ١ – مدينة السالمية ٢ – مدينة الاحمدي ٣ – مدينة حولي ٤ – مدينة الكويت

القرى : ١ – الفنطاس ٢ – الفحيحيل ٣ – الجهرا ٤ – ابرق خيطان ٥ – الفروانية ٦ – المقوع ٧ – جليب الشيوخ ٨ – العقيلية ٩ – مدينة العيال ١٠ – عشيرج .

والتوزيع السكني في الاحياء هو كما يأتي :

الضواحي : ١ – الدسمة ٢ – الشامية ٣ – الشويخ ٥ – الصليبخات ٥ – الايحات وكيفان ٦ – القيحاء ٧ – القادسية ٨ – الدعية ٩ – الشعب .

الباب الخامس

بعض أماكن الكويت المشهورة

في غربي الكويت موضع يسمى (عشيرج) تقطع منه الصخور التي يبني الكويتيون بها بيوتهم وهو شبه جزيرة في الجون وفيه اكواخ وحضور لطائفة من العوازم وقد شيد سلمان الرشدان فيه بركة أنفق عليها نحو تسعمائة روبية لحفظ مـــاء السيل هناك فعاد بفائدة كبيرة على الساكنين فيه جزاه الله على عمله ذلك خيراً ، وهناك أيضاً (الشويخ) وهو ملجأ للسفن من عواصف البحر ، وفي الشرق (بنيد القار) وهو أيضاً ملجأ للسفن من الزوابع وفي جنوبها (الدسمة[1]) وهي من موارد الكويت سابقاً وفيها سدرتان وقد كانت في الأيام الخالية مبرزاً للقوافل التي تزمع الرحيل الى الرياض والاحساء، وهناك أيضاً في الجنوب (البدع) و (النجفة) وهمـــا من متنزهات الكويتيين أيام الربيع .

(١) يقصد المؤلف من ذلك وجود ماء عذب في هذا المكان .

الشِعب[1] هو اسم لوادي يفضي الى البحر فيـــه أثل ونخل وسدر قليل يبعد عن المدينة نحو ثلاثة أميال جنوباً وكان من المتنزهات ايضاً سيما لآل خالد وقد رأى الشيخ سالم أخيراً أن يتخذه متنزهاً خاصاً له فبنى فيه قصراً على شاطىء البحر أقام فيه إحدى نسائه وكان يمضي فيه جل أوقاته لطلاقة هوائه وعذوبة مائه وجمال منظره فقد أحاطت به كثبان الرمل التي يحاكي لمعانها ذهب الأصيل ويشرف المرء من اعلاها على منبسط فسيح من الأرض واسع الأطراف لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا ، وقد أقام سالم فيه سداً

الشيخ سالم المبارك الصباح

من الرمل ليحفظ ماء السيل الغزير الذي ينحدر من أعلى الوادي فيبتلعه البحر وبذلك حفظ الماء وعاد السد بفائدة كبيرة ولو أقامه من الحجارة لكانت فائدته أعظم . توفي سالم فحل محله فيه نجله الاكبر سمو الأمير الجليل

---

(١) بكسر الشين . وهو سيل الماء بين الجبلين .

الشيخ عبدالله السالم الصباح وقد بذل همة في اصلاحه حتى فاق ما كان عليه أيام أبيه وحتى امتزج جماله الصناعي بجماله الطبيعي .

شعب آل خالد : وهناك شعب آخر أسسه آل خـــالد الكرام حديثاً سنة ١٣٣٤ جنوب الشعب المتقدم يأوون اليه للنزهة ايام الصيف والربيع وقـــد بنوا فيه قصراً وغرسوا اثلاً كثيراً ، ويبعد عن المدينة نحو ثلاثة أميال ونصف .

الرأس : هو لسان من الأرض السهلة ممتد في البحر واقع في الجهة الجنوبية من البلد ويبعد عنها نحو ستة أميال بين الدمنة والبدع ، فيه منارة بنتهـــا الحكومة الانجليزية وجعلت في اعلاها مصباحاً ليهتدي به المسافرون ليـــلا وفيه عدة اكواخ ومزارع صغيرة لبعض الخضروات وقد اتخـــذه الكويتيون ايضاً متنزهاً لهم ، وفي جنوبيه (البدع والنجفة) وفي هـــذه الاماكن يقول شاعر الكويت الشيخ صقر :

سقى الدسمة الغراء منهمر القطر ... ومد بهـــا اطنابه مذهب الزهر
وعادت اخاها الشعب كل غمامة ... الى ان يعود الشعب اندى من البحر
لا زال يسقى البدع منهمر الحيا ... وصافح راس الارض بالانامل العشر
مواضع فيهـــا للسرور مواضع ... فلم الف فيها ساعة غـــير مستر

السرة [1] : هي اسم جبل مرتفع في ارض واسعة جنوب البـــلد الغربي في اعلاه قصر [2] بناه الشيخ مبارك الصباح وسماه (مشرفا) واتخـــــذه

---

(١) السرة بضم السين . معناه منفذ الغذاء الى الجنين او تجويف البطن . وقد سميت قريتنا هذه بالسرة . لانها تشبه سرة الجنين بعد قطعها .

(٢) جدد هذا القصر الشيخ عبدالله المبارك نجل الشيخ مبارك الصباح الذي قام ببنائه سابقاً.

مأوى له إذا ما أراد النزهة هناك وقد حمى آل الصباح الأرض التي احاطت به لإبلهم وخيلهم وفيها ماء عذب كان الكويتيون سابقاً يستقون منه وتبعد السرة عن المدينة بنحو سبعة اميال .

المعدنيات وملح والصبيحية : المعدنيات موضع يبيت فيه الحجاج قبل وصولهم الى الكويت فيقابلهم هناك اهلوهم واقاربهم ويخرجون لهم بعشاء تلك الليلة من البلد التي تبعد عنها نحو تسعة أميال .

وأما الصبيحية فهي مورد من الموارد الجنوبية وكثيراً ما يقطنها العربان ايام الصيف وسميت بذلك نسبة لآل الصباح . وملح هو اسم الارض التي وقعت فيها الحادثة المعروفة بملح بين ابن السعود والعجمان كما سيأتي .

جزر الكويت

في الكويت عدة جزر منها : وربة ، بوبيان ، مسكان ، فيلكا ، عوهة ، كبر ، قارورة ، أم المرادم ، الجزيرة الكبيرة وتسمى أم النمل ، والجزيرة الصغيرة وتسمى جزيرة الشيوخ .

وربة : اما وربة فهي عدة جزائر والكبيرة منها طولها سبعة اميال وعرضها اربعة ، وتقع في الشمال الشرقي من الكويت .

بوبيان : تقع شمال الكويت طولها شمالاً وجنوباً نحو اربعة وعشرين ميلا وعرضها نحو ثلاثة عشر ميلا فيها حضور لصيد السمك يسمى رأسها الجنوبي الغربي (رأس البرشة) ويفصل بينها وبين الفاو خور عبدالله وفي الجهة الشمالية من بوبيان شبه انهار دارسة وخوران خور الملح وخور آخر كبير .

مسكان : تبعد عن الكويت نحو خمسة عشر ميلا فيها مصباح

للمسافرين ليلا تبعد عن البوية التي في خور البصرة نحو اثنين وثلاثين ميلا وطولها ميل الا ربع وعرضها أقل من نصف ميل وتقع فيلكا جنوباً عنها والمسافة بينها ميلان .

فيلكا : تبعد عن الكويت نحو خمسة عشر ميلا وطولها نحو ثمانية اميال وعرضها نحو ثلاثة اميال ، وقد تقدم الكلام عنها .

عوهة : تقع جنوب فيلكا الشرقي والمسافة بينهما نحو اثني عشر ميلا ونصف ميل ، وطولها غرباً وشرقاً نصف ميل وعرضها ثلث ميل .

كُبّر : جنوبي فيلكا وتبعد عنها نحو تسعة عشر ميلا ونصف، ومساحتها مثل عوهة .

ام المرادم : هي جنوب كبر ومساحتها مثلها ايضاً .

قاروره : هي في الجنوب الشرقي من كبر وهي جزيرة صغيرة تبعد عن الكويت بنحو اربعة وخمسين ميلاً .

الجزيرة الكبيرة : هي غرب الكويت فيها حضور للعوازم لصيد السمك وأكواخ يأوون اليها .

الجزيرة الصغيرة : هي غرب الكويت فيها حضور واكواخ كما في اختها، اتخذها بعض الكويتيين منتجعاً لهم في ليالي الصيف يروحون فيها عن أنفسهم بالتعرض لهوائها الطلق وجوها الصافي يبيتون هناك ثم يرجعون في الصباح ، وقد كثرت مداعبة فضلائنا لها بالمدح والذم شعراً ، مما سنورده في قسم الادب .

الباب السادس

آثـــار الكويت

ليس لنفس الكويت آثار لانها حديثة العهد كما علمت ، ولكن جزرهـــا وبعض أماكنها المعروفة لا تخلو من ذلك ، ففي فيلكا آثار مبان قديمـــة وقبور أكل الدهر عليها وشرب وحصون حربية وهي التي توهم بعض ضعاف العقول انها قبور أناس صالحين .

أما العارفون فيرونها من آثار البرتغاليين الذين ملكوا بعض بلاد الخليج العربي ، إذ لا يبعد أن يمتد ملكهم الى تلك الجزيرة وبعضهم يرى أنهـا من آثار الفرس الاقدمين[1] .

ويرجح بعض الباحثين ان الجزيرة الكبيرة كانت مسكونة من بعيد ويؤيد ذلك ما يوجد فيها من آثار ؛ فقد عثروا هناك على صنم منحوت عليه كتابة

---

(١) كشفت بعثة آثار دنمركية في جزيرة فيلكا عن آثار تعود لسنة ٢٥٠٠ ق.م، وهذه الآثار تختلف عن آثار الهنـــد وآثار ما بين النهرين مما يشير الى ان حضارة خاصة قد نشأت في هـــذه المنطقة . كما ظهرت آثار يونانية تعود لزمن حملة الاسكندر ذي القرنين حيث كان من بين التماثيل تمثال لرأس الاسكندر ذاته .

غير عربية، ولكن من عثر عليه حطمه بفأسه ولم يبق عليه، جهلاً منه بفائدة الآثار المادية والأدبية وقد أسف الكولونيل (تاكس) قنصل انجلترا في الكويت عندما أخبر بما جرى اسفاً عظيماً وقال للمرحوم المكرم فهد الخالد الخضير الذي ابلغه الخبر (لو كان الأثر موجوداً لبذلت فيه دراهم طائلة) .

وعثر فيها آخر على جرار مختومة فيها تراب احمر ظنه لا يخلو من اجزاء نافعة ، وقد قال الكولونيل (تاكس) ايضاً عندما أفضي اليه بالأمر (ان تلك الجزيرة كانت مأهولة بالسكان من سنين عديدة وان اهلها كانوا يأتون بهذا التراب من مكان سحيق لأنهم يعتقدون فيه اعتقاداً خاصاً .)

وشوهد في جنوب الكويت قرب (الشعيبة) قبور عليها آثار القدم لا تشبه القبور المعروفة اليوم في تلك الانحاء لا قبور الحضر ولا البادية من المسلمين .

ووجد في (الجهراء) آجر قديم تحت الثرى وقيل وجدت قبور نصبت فيها الأموات طولاً وكذا وجدت هناك ايضاً في الجزيرة الصغيرة قطع من الخزف والآجر ، وهذا كله يدلنا دلالة واضحة على سكنى هاتيك الاماكن قبل تأسيس الكويت

الباب السابع

موارد الكويت المائية

كان الكويتيون اول ما نزلوا الكويت يشربون من آبار هي وسط المدينة وقد تحولوا عنها عندما احاطت بها البيوت الى آبار اخرى تسمى (بالشامية) في جنوب البلد الغربي ، ثم هجروها بعد ان تغير ماؤها لقلة الامطار وكثرة الوارد الى (العديلية) و(النقرة) وهما موضعان متقاربان في الجهة الجنوبية وقد تركوهما ايضاً لاستحالة مائها وحفروا آباراً في اعلى الوادي الذي في اسفله (الشعب) فكان ماؤها عذباً زلالاً وقد حصلت لاكتشافه رنة في الكويت حتى سموه لحلاوته (حوليا) واطلقوا هذا الاسم ايضاً على كل ما اعجبهم وكل شيء يستحسنونه وافرط بعضهم ففضله على جميع المياه بقوله :

ماء الحولي مثله مـــا دارا   من حسنه قد تيه الافكارا

ولكن بعضهم عارضه فقال:

يا مادحاً ماء الحولي مسرفا   هلا مدحت الشط والانهارا

غير أن هذا الماء قد نكب أيضاً بتغيره وباستحالته الى مـاء اجاج أفقده

الأهمية الأولى فأخذوا يجلبون الماء من شط البصرة في السفن الشراعية وبذلك زالت عنهم بعض الاخطار التي كانوا يحاذرون منها ، ولكنهم أخيراً شعروا بخطر آخر لا يقل عما كان يساورهم أولاً، ذلك هو سكون الرياح او اشتدادها الذي قد يمنع السفن من السير أياماً عديدة فيقعون من جرائه في مشكلة عظيمة قد تقضي عليهم بسيف العطش والظمأ، فاتقاء لذلك الخطر المداهم اتخذ الأغنياء بركاً لخزن الماء وقت الحاجة ومنهم من اتخذها للاتجار بالماء في مثل تلك الأيام التي تتقلص فيها الشفاه من العطش ، تلك الأيام السود التي تبلغ القربة فيها اضعاف قيمتها وقت الرخاء ، تلك الأيام السود التي ترى النساء والاطفال فيها يتهافتون على السفن تهافت الفراش على السراج وهناك المنظر المحزن الذي يفتت الأكباد ويذيب الصخور ، هناك المشهد الذي لا يكون الغلب فيه إلا للقوي العزيز أما الضعيف الذليل فمهان محتقر وقد وصف تلك الحالة صاحبنا الاديب الفاضل خالد بن محمد الفرج الكويتي في قصيدة له ترد في حينها .

نعم هذه هي الحالة في الكويت ولكن القوم بعد ان قلبتهم الشدائد ظهراً لبطن وبعد ان ضاقت بهم الحيل هبوا يبحثون عن طريق يقلل آلامهم ويهوّن عليهم الأخطار . وأخيراً علموا ان ذلك لا يتم إلا بحفر الآبار الارتوازية في ربوعهم وادخالها لمصادمة نوائب الدهر وهي فكرة جميلة جداً حبذا لو تحققت وسارعوا في انجاز المشروع فان الكويت اذ ذاك عدا اتقائها لخطر الظمأ ستكون من الجنان ذات المزارع النضرة والبساتين الملتفة الاشجار وسيكون لها مستقبل زاهر ، لا سيا وأرضها صالحة للزراعة لا يعوزها إلا الماء والأيدي العاملة[1] .

---

(١) أما اليوم، فقد أنشئت فيها مصفاة لتكرير ماء البحر المالح وتقطيره واسقاء الناس ماء زلالاً سائغاً للشاربين ومع أن هذه المصفاة من أكثر المقطرات في العالم، فقد أقيمت معها واحدة اخرى لا تقل عنها كثيراً ، وكلتاهما تقطران ماء يكفي سكان الكويت وتزايد أعدادهم إلى نصف قرن تقريباً .

الباب الثامن

تجارة الكويت

حالة الكويت الاقتصادية

التجارة هي الركن الأعظم لتقدم البلاد والسبب الأقوى لارتقائها . ومن هنا كان لها المقام الأسمى في العالم المتمدن والقدح المعلى بين جماعاته وأفراده لأن بحر المال لا يزخر إلا بها والمال هو أساس العمران وأصل الحياة. اذاً فمن الضروري أن آتي هنا بنبذة يسيرة عن تجارة الكويت منذ نشأتها الى يومنا هذا تكيلاً للبحث وتتميماً للفائدة .

لا ريب ان آل الصباح واخوانهم قد أخذوا بأسباب التجارة منذ استوطنوا الكويت واتخذوها لأن التجارة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ولأن الكويت ايضاً قاحلة لا زرع فيها يغنيها عما سواها ولا صنائع تقوم بما يحتاجون اليه وأول بلد اتخذوها لهم مصدراً في حاجاتهم الضرورية والكمالية هي البصرة فكانوا يستصدرون منها الرز والقمح والشعير والتمر والخضر والفواكه والألبسة والأواني وما هو من هذا القبيل ، كما اتخذوا بغداد سوقاً لتجارة اللؤلؤ ، ولم تكن سفنهم اذ ذاك لتتجاوز البلاد التي على ضفاف الخليج العربي نظراً لصغرها

وقد ظلت التجارة لهذا مدة من الزمن وهي ضعيفة العرى ضيقة العطن سيما ولم يهاجر الى البـلد من المثرين من يستطيع انشاء السفن الكبيرة او تسييرها الى الاقطار الشاسعة كالهند واليمن وسواها .

مرت التجارة على ايام صباح الاول كلها وهي في دور طفولتها أما بعد أن قبض ابنه عبدالله زمام الحكم فانها تحسنت نوعاً ما وكان لها شأن غير الاول وذلك يرجع لأسباب عديدة .

احدها : كثرة المهاجرين اليها من المثرين والوجهاء سيما والد الشيخ احمد الرزق فقد كانت الكويت قبل هجرته اليها كما قال العلامة الشيخ عثمان بن سند في كتابه (سبائك العسجد) الذي الفه في ترجمة ابنه الشيخ احمد قال :

« هذا وحيث أشرنا إلى بلده المصغرة وضما المكبرة بطلمته عظماً ورفعاً فنقول هي (الكويت) (بضم الكاف واسكان الياء بلا خلاف) على ساحل بحر العدان (بفتح العين) . في ضبط ذي الاتقان . لم تمصر قبل ورود ابيه العظيم الشأن الا ببرهة من الزمان . سكنها بنو عتبة ولهم في عنزه ابن أسد نسبه والذي يظهر انهم متباينو النسب لم تجمعهم شجرة أم وأب . ولـكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض . وما قارب الشيء يعطي حـكمه على الفرض . والمقدم عليهم حين ورد ابيه اليهم (عبد الله الصباح) . وفقه الله للصلاح . وكان لما قدم ابو المشار اليه . يفوض ابرام الامور ونقضها اليـه . حتى انهم قبل وصوله شرذمة قليلة . ذوو مسكنة وذلة . وحين جعلوه لآرائهم قبلة . وفوض خواصهم الأمر اليه كله . شد أزرهم وسد ثغرهم . ورأب صدعهم . ونصب جمعهم فسما فرع الثروة في تلك البلاد . وطغى بحر المكارم وزاد . وأقبل العز بعجزه وبحره . وأطلع الجد في سمائها وجـه قمره . وذلك أيام صغره فتصدر أبيه في أموره . ارهاصاً لظهوره . ا هـ »

أما نجله الأكبر الشيخ احمد الرزق الذي اشتهر صيته في الآفاق وتغنت

بفضله الركبان ومدحه لكرمه الحاتمي كثير من الشعراء فقد كانت له تجارة واسعة زهت بها الكويت ولبست حلة قشيبة وكان حظها منه أعظم من حظ أبيه وقدره فيها أجل وأكبر ولله در الشيخ عثمان بن سند حيث يقول في هذا المحسن الكريم في كتابه المتقدم .

« وقد ابرزته قدرة القـــادر من الرحم الطيب الطاهر . منتمياً لأزكى العناصر في بلدة مصغرة فكبرها حتى تبوأها وتديرها . ولعمري انه أجـل قدراً من ان يتخذها داراً .

شرفتها أوصافـــه الغر لما أن تسامى في دوحها وتعالى
وتعالت على البـــلاد ولما ان قلاها كانت بعيني (تفالا) (١)

وقال في موضع آخر ولقد اتجر في اللآلىء بثلاثة دنانير . اقترضهـــا من الوالي فبلغت في زمان قصير ثلثماية على التحرير كما رأى ذلك افضل مجـــالسيه والطف مسامريه . ا هـ .

الثاني : انشاء السفن الكبيرة التي تصل إلى البلاد النائية والمرجح ان الشيخ احمد الرزق هو أول من استخدمها وقد عثر احد الافاضل له على كتاب بعث به إلى أحد ولاة بغداد ينبئه فيه بوصول اخشاب اوصاه عليها من المليبار في احدى سفنه التي كانت تسافر الى الجهات وينكر فيها ممـــالأة الكويتيين لآل السعود في غزوهم العراق ويقول إن ما اشيع عنهم هو من الأراجيف لأن الكويتيين يقتفون آثار حكامهم وحكامهم متعلقون بالحكومة العثمانية ومحبون لها.

الثالث : كون الكويت اذ ذاك من المصادر التجارية لبعض البلاد كالشام ونجد والاحساء وارتياد أهل الكويت السفر اليها ايضاً للاتجار ولكنها مـع

---

(١) كذا « تفالا » اي زبد بمعنى لا شيء .

هذا كله فقد مرت على حكم عبدالله وجابروصباح وعبدالله الثاني ومحمد، والتغيير الذي طرأ طفيف لا يذكر نسبة لما حصل في أيام من بعدهم من الحكام كمبارك وسالم فانها في تلك الأيام تغيرت تغييراً عظيماً واتسعت اتساعـــاً مدهشاً واليك الأسباب :

احدها : سهر مبارك على حفظ التجارة من السلب والنهب وميله الشديد إلى شد عضدها بما له من قوة ومال وجاه وانزاله العقاب الصارم بمن يعتدي عليها وعلى أهلها، ولمبارك من الاخبار والحكايات في هذا المعنى ما سلم بطرف منه في ترجمته ان شاء الله .

الثاني : كثرة السكان والمهاجرين الى الكويت من نجـــد وفارس والعراق والاحساء لما كان يبديه مبارك من النشاط في اصلاح طرق التجـارة وتسهيل اسبابها .

الثالث : كثرة السفن الكبيرة التي يتسنى لها الوصول الى البعيد من كثرة الاقطار كثرة لا نسبة بينها والماضي .

الرابع : وهو من أظهر الاسباب ، المعاهدة التي وقعت بين مبارك وانجلترة واتفاقه مع احدى الشركات التجارية لترسو بواخرها في مينــــاء الكويت للركاب والبضائع حتى اصبح التاجر بامكانه التردد على الهنــــد في كل شهر بلا مشقة ولا عناء بعد ان كان ليس في استطاعته ذلك الا مرة او مرتين في السنة مع ما يلاقيه من الصعوبات والاخطـــار ، ولا ريب ان قرب المواصلات بين الاقطار يديم دولاب الحركة التجارية ويفيض الارباح الطائلة على أهلها .

وكانت الاموال التي تحمل في المراكب البخارية من الهند قبل الاتفـــاق تنزل في المحمرة ومنها تشحن في سفن شراعية الى الكويت. وقد بقيت الحال كذلك مدة طويلة .

الخامس : وجود اللؤلؤ وكثرة المشتغلين به من اهل الكويت صيداً وتجارة ، حتى نجم من جراء تعاطيه تجار تعد ثرواتهم بالملايين من الروبيات بعد ان كانت بالألوف .

السادس: الحرب العامة ، فان التجارة في ايامها قطعت شوطاً بعيداً لم تقطعه في سواها وانهالت فيها الارباح والفوائد على المتاجرين بما ليس في حساب ، سيما والكويت اذ ذاك كانت من البلاد التي تصل بثلمها الى بعض الاقطار التي ضرب عليها الحصر البحري كالشام والحجاز والعراق ، بل ذهبت الى أبعد من هذا مدى ، ذهبت الى الاستانة وتخللت اسواقها وقد بقيت الحال كذلك حتى آخر أيام مبارك وأيام جابر كلها وجل أيام سالم ، وفي نهاية ايام الاخير حصل لها ذلك الانقلاب الفجائي وما زال يتفاقم الى يومنا هذا وهو يرجع الى ثلاثة امور .

احدها : الحصار الذي ضربت فيه الكويت اثناء الحرب كما سيأتي تفصيله في ترجمة سالم .

الثاني : نزول الاسعار بعد الهدنة ، فقد سبب ذلك النزول الفاحش خسائر فادحة ونقصاناً عظيماً على التجار ، ولم يقتصر على ما ادخلوه في خزائنهم من الارباح بل جر بعض رؤوس الاموال بسلاسله .

الثالث : وقوع ازمة تجارية في الكويت اصبحت منها على شفا جرف من الافلاس ووصلت الى غاية كادت تذهب بالعين منها والأثر ، ازمة عظيمة جداً فبعد ان كنت ترى الاسواق غاصة والحوانيت مملوءة ، وبعد ان كنت ترى القوافل الواحدة تلو الاخرى آتية ذاهبة ، بعد هذا كله اصبحت في حالة

يرثى لها من البؤس والشقاء ، حالة اذا استشعرها الحكيم علم ان البلد صائرة الى الخراب ومشرفة على الفناء ان لم يتدارك امرها ، ففي كل يوم للافـلاس فيها مناد وللفقر المدقع داعٍ ،وأسباب ذلك كله مشكلة بين الكويت ونجد لم يهتد الى حلها بما يكفل مصلحة الجميع ، ولعلك تسألني ما هي تلك المشكلة التي نزل جندها على رأس التجارة هناك فهشمه وأعدمهـا النفس والحركة ، اني سأجيبك عنها بعداد من الأسس

الباب التاسع

المشكلة التجارية بين الكويت ونجد

كانت الكويت هي البلدة الوحيدة التي يستدر اخواننا النجديون من ضرعها الحافل الخيرات والفوائد ، هي التي من اجلها ظهر في نجد تجار مثرون ضربوا من الغنى بسهم وافر ، هي البلدة التي يفد اليها الفقير المجهول منهم وهو خالي الوفاض ، صفر الكفين ، ثم لا ترجع القافلة التي اصطحبها إلا وهو واحد من تجارها المعدودين ببضائعه المتنوعة وسلعه الثمينة ، لأنه في تلك اللحظة القصيرة التي أقامها هناك احكم رابطة التعارف بين كثير من اهلها فكان له منهم اخوان وأصحاب هذا يقرضه مالا ليجني ثمرته وذلك يقدم اليه بضائع يتاجر بها ، ولا يزال هذا دأبه بين نجد والكويت حتى يعد من التجار المالين في مدة وجيزة .

مضى دهر طويل والحال كذلك والمصالح متبادلة بين القطرين والكل مغتبط بصاحبه . ولكن في أخريات الايام أصيبوا بعين حطمت سدود الاتصال بينهم . رأى عظمة سلطان نجد ان يكف رعاياه عن الاتجار مع أهل الكويت ويصرفهم الى بلاده كالقطيف والاحساء والجبيل فاصدر امره

البات بالمنع وان من يخالفه يعرض نفسه لخطر هائل . جرى ما سمعت ولكن على غير رغبة من رعيته. وبالطبع لا يكون وهم يرون الكويت امهم الرحيمة وحياتهم المنعشة وثروتهم الواسعة،ولقد فوجئوا من جراء ما حصل بمصائب لا تقل عما أصيب به الكويتيون وحاولوا مراراً من عظمة السلطان ان يمن عليهم بما يخفف عنهم الويلات فلم يجبهم الى ما يريدون .

ماذا يريد ابن سعود
من منع رعيته عن الاتجار مع الكويت ؟

يريد ان لا يجني ثمرتهم غيره ولا ان تمتلىء خزائن سواه منهم وخزائنه فارغة . وقد صمم على ان لا يتنازل الا اذا قبل الكويتيون احـــد ثلاثة امور: اما ان يجروا له راتباً سنوياً يسد به حاجته او يسمحوا باقامة موظف في سوق الكويت لقبض الرسومات من رعاياه او يقيموا هم بانفسهم من يقبض تلك الرسوم ثم يرسلونها اليه .

أما وجهاء البلد فرأى جلهم اجابته الى احد هذه الامور وعارض القليل منهم . وقال المعارض يؤسفنا جداً ان لا نرى مسوغاً لما رمى به عظمته الكويت . فهو مع كونه من العقوق ليس بيد صاحبه حجة وجيهة تبرر ما أتى ، فالتجارة حرة ومنذ وجدت في سائر الأقطار والأزمان وبين جميع الامم والقبائل ، سيا من لم يسر بينهم سم العداء ، زيادة عليه فالكويت لم تصب بمثل تلك المصيبة السوداء حتى ممن أغصها بالريق ومنهم اسلاف عظمته في نجد مع انها لم تحسن اليهم كما أحسنت اليه ولم تشملهم بعطفهـــا كما شملته وذويه، ولا ريب ان معاملة كهذه تذيق المروءة الحمام وترمي المعروف بنكبة

لا تندمل منها جروحه وتجتث الفضيلة من أساسها . ثم لو كان ما وقع هو في آخر أيام مبارك او في ايام سالم التي ناصبه فيها العداء لـكان هناك عصا يتوكأ عليها عظمته وان كانت نخرة . اما وهو لم يقع إلا في ايام هذا الامير الجليل الحبيب المسالم الذي ستعلم من ترجمته قوة الصلة بينهما فاللوم على عظمته شديد جداً .

واذا كان غرض عظمته كما يقول المصلحة التي يجنيهـــا من رعاياه ففي استطاعته الجمع بين الامرين اذا ما اقام رجالاً على المياه التي لا يمكن للخارج من الكويت الى نجد المرور على غيرها . ولكن الذي يتراءى لنا انه لم يقم بتمثيل هذا الدور إلا لتنفيذ اغراض كانت تجول في خاطره نحو الكويت ، على انا نرى الرضوخ لتسليم الراتب السنوي له يعد من التدخل في شؤون الكويت الداخلية ،وهذا يقضي على ما لها من استقلال،وهو أمر لا يقبله عاقل ملك الامر بيده وقد يهون كل هذا ونعذر عظمته ببعض العذر لو كان مـا كان في مصلحة رعيته ، ولرعيته من ورائه منافع وفوائد اما وهو لم يندفع اليه إلا لمصلحته الشخصية غير ناظر الى ما يجر من البلاء عليهم ولا الى مـا يصابون به من البوار،فهناك المجال الواسع في تأنيبه لان رعيته هم السلاح الذي به يقاتل والحصون التي بها يلتجىء والنبال الصائبة التي يرمي بهـا صدور اعدائه، بل هم كل شيء ولا بقاء له إلا ببقائهم ولا ثروة يناها إلا بثروتهم،فاذا ما نكبوا بالفقر وضربوا بالافلاس جروه في معيتهم الى الهوة السحيقة التي هم اليها سائرون . هذا ما يقوله الفريق المعارض وهو كما ترى من القوة بحيث يصعب الجواب المقنع عن جميعه . ولكني مع هذا كله اضم صوتي الى الفريق الآخر ، ذلك لان الكويت لا خوف عليها من عظمة السلطان ومطامعه ما دامت على معاهدة مع انكلترة التي لا يمكنها ولهـا فيها شيء من المصالح

والامال بغض النظر عمن يحاول ابتلاعها مهما كان جنسه ومهما كانت المنافع التي تجنيها من ورائه نظراً لاهميتها الجغرافية والسياسية في الخليج .

أما النفرة من الراتب السنوي لتلك الاعذار فليس بشيء لان الضرورات لها احكام،ولأن الوقت ايضاً يخولهم الاشتراط عليه في ابتداء الأمر ما شاؤوا بما لا يستطيع التفلت منه . واذا ما اراد ذلك هدت ارادته بتلك المعاول والفؤوس على ان الفريق المعارض مع هـــذا لم يتخذ احتياطاً لدرء الخطر المحيط بالفقراء ولا بالتجارة فيكون لتصلبه وتشدقه مبرر .

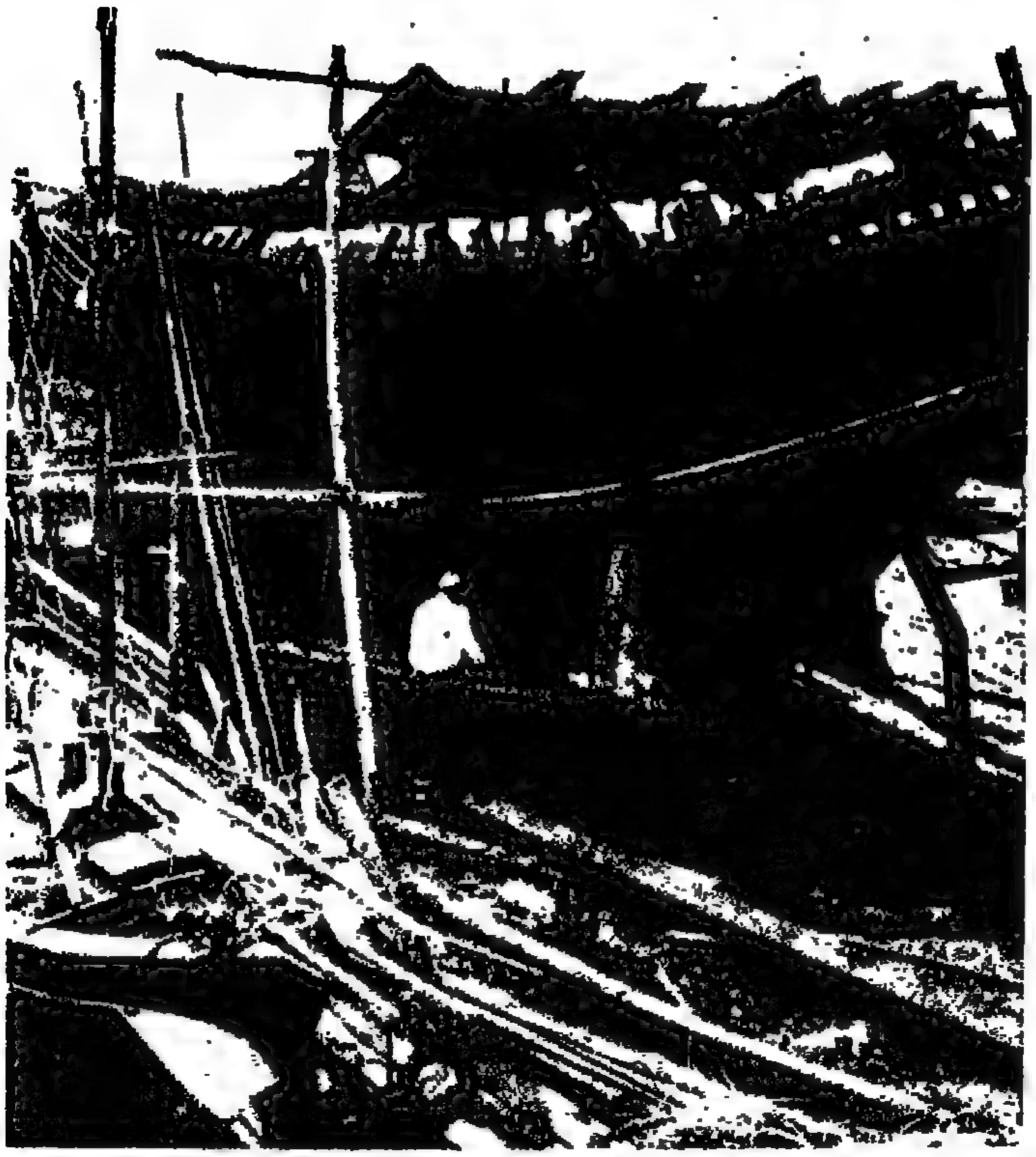

الباب العاشر

صناعات الكويت

في الكويت من الصناعات : النجارة والحياكة والحدادةوالصياغة والبناء، وهذه وان كانت هي امهات الصناعة في العالم المتمدن غير ان الكويتيين لم يستخدموها إلا في الضروريات كالأبواب والشبابيك والسفن الشراعية ، واكبر سفينة صنعت هناك تسع ستة آلاف من التمر ، أي ما يقارب خمسمائة (طن) وصياغة أنواع كثيرة من حلي النساء .

وعمل السكاكين والمطارق وآلات الهدم وغيرها وبعض الأواني البيتية وأباريق القهوة والمراجل الكبير والصغيرة .

حاصلات الكويت

وصادراتها

الكويت كما قلنا آنفا ليست بذات زراعة ولا صناعة . ومن هنا فليس لها من الحاصلات والصادرات ما يستحق الذكر الا اللؤلؤ والدهن والصوف وجلد

البهم والثعلب والبقر وفرو الغنم والطماط [١]، واهمها اللؤلؤ بل لولاه لما كانت الكويت كويتاً ولما اصبحت ذات قيمة ولهذا فاني سأتحدث الى القراء بفصول طويلة عن هذا الجوهر الثمين وعن كيفية العمل في استخراجه علما مني بتشوقهم اليه .

اهمية اللؤلؤ في الكويت

اللؤلؤ في الكويت اهمية عظمى يشعر بها كل فرد من اهلها صغير وكبير وفقير وذو مال ، وله اهمية في كل ما يتعاطونه من الاسباب .

فاذا ما كسد سوقه تصاب بضنك من العيش وضيق ويصاب اهلها بما يدع الحليم من جرائه حيران .

انظر إلى الكويت في عام كساد اللؤلؤ وقد نكبت بكساد تجارة ذلك الجوهر الثمين تجدها مع ما اصابها من العوامل التي اسلفناها كالسفينة المتضعضعة التي تتقاذفها الامواج ولا تدري متى تلبي نداء الغرق انظر الى اهلها على اختلاف طبقاتهم فالفقير يئن ويشتكي ويتضور جوعاً والغني يدعو بالويل والإفلاس ليغلق إبواب الامل والرجاء به امام المحتاجين الى فتات خبزه المضطرين الى ما تسقطه سفرته من الطعام والعظام .

اقسام المشتغلين باللؤلؤ : الجم الغفير من أهل الكويت يشتغلون باللؤلؤ[٢] وهم يقسمون الى قسمين المباشرون لاستخراجه من البحر والمساعدون لهم على

---

(١) حين ألف الكتاب لم يكن البترول قد ظهر إلى الوجود بعد. أما وقد أصبحت الكويت اليوم أعظم مصدر للبترول تقريباً في العالم فسنلحق في نهاية البحث تعليقاً مفصلا عنه .

(٢) بلغ عدد العاملين في البحث عن اللؤلؤ عام ١٩٢٠م أكثر من ٢٥ ألف شخص، وقدر دخله بمليوني دينار تقريباً ، ثم تضاءلت تجارته بعد اكتشاف اليابان للؤلؤ الصناعي ، وانحدرت تجارته الى الحضيض بعد اكتشاف البترول .

ذلك ويسمون (غواويص) جمـــع (غواص) والمتاجرون به يسمون (بالطواويش) جمع (طواش) وهؤلاء يقسمون الى قسمين من يشتري اللؤلؤ من (الغواويص) لبيعه في البحر وهم صغارهم ومن يشتريه منهم ومن سواهم ليعرضه في أحد اسواق اللؤلؤ امـــا في الكويت أو في البحرين أو بمبي وهم الكبار منهم .

اسماء السفن التي تسافر الى الغوص : لتلك السفن اسمـــاء مختلفة وهي (شوعي) (سنبوك) (بتيل) (جالبوت) (بوم) ومنهـا كبيرة تسع ستين أو سبعين شخصاً وصغيرة لا تسع الا خمسة أو ستة، وقد بلغت في أحد الأعوام سيما في زمن مبارك الصباح نحو ثمانماية سفينة .

وقت استخراج اللؤلؤ : لا يسافر الغواصون لاستخراجه الا إذا دفىء البحر لانهم لا يطيقون مزاولة العمل مع شدة البرد .

والوقت الذي يستغرقونه هناك نحو اربعة اشهر تقريباً غير انهم في اثناء العمل يذهبون الى البلاد القريبة منهم كالبحرين والقطيف ودارين للاستراحة من التعب ولأخذ ما يحتاجون اليه من طعام وشراب وغيره أو لاصلاح السفن فيمكثون ثمة يومين أو ثلاثة فيكون ذلك في الشهر مرتين أو ثلاثاً ويسمون اقامتهم تلك (جدافاً) .

صعوبة العمل

ليس عمل استخراج اللؤلؤ سهلاً يطيقه كل من حاول ، بل هو من الصعوبة بمكان عظيم غير أنه يخف احياناً ويشتد أخرى ، فاذا كان البحر دافئاً فعملهم يستمر النهار كله إلا القليل لينفضوا عنهم التعب أو ليؤدوا الصلاة وان كان فيه قليـــل من البرد فعملهم يكون أقل واستراحتهم اكثر ، وبعبارة اخرى يكون عملهم متعاقباً، فقوم يغوصون وآخرون يستريحون فاذا كلّ الاولون

نزل الآخرون وهكذا ، أما اذا قطعوا ثمرة الأرض التي أرسوا فيها فانهم يتحولون الى غيرها، وفي أثناء تحولهم يتركون العمل ايضاً.

زعيم الغواصين

ولهم زعيم لا يرجعون الى وطنهم إلا باشارة منه. فاذا انتهت المدة المعينة لهم من قبل حاكم البلد اخذوا ينتظرون الاشارة من زعيمهم ، وما هي تلك الاشارة ؟ هي مدفع يثور من سفينة بالفضاء فاذا ما سمعوا دويه تركوا عملهم وشرعوا بأهبة السفر فنشروا أجنحة سفنهم آمّين ديارهم . لا يلوي أحد على أحد وقافلين إلى أهليهم ولهذا يسمون رجوعهم ذلك (قفالاً) فاذا ما شاهدوا الكويت ولاحت لهم قصورها اطلقوا المدافع شكراً لله على وصولهم سالمين وبذلك ينتهي (الغوص الكبير) ومنهم من اذا استقر عند أهله أياماً رجع مرة أخرى، يسمى هذا السفر (ردّه) والمسافرون (رداده) ولم ينطقوا بمفرد ، وعلى مقتضى لغتهم يكون (رادا).

وظائف أهل السفينة

لكل طائفة من الغواصين الذين تضمهم السفينة وظيفة تقوم بهـــا واسم تتميز بـــه عن غيرها فالمباشرون لاستخراج اللؤلؤ يسمون (غاصه) جمع (غيص) والقائمون على رؤوسهم لخدمتهم في ذلك العمل يسمون (سيوبا) جمع (سيب) ومنهم من تكون وظيفته كوظيفة (السيب) إلا أن عمله أقل كلفة وأسهل ويسمى الواحد رضيفاً والجمع (رضفاء) ومنهم من يبحث عن اللؤلؤ في البحار الذي يلقى على ظهر السفينة بعد أخذ ما فيه رجاء أن يجد فيه شيئاً غفلوا عنه ويسمى الواحد (تبابا) والجمع (تبابه) وما يجده يكون جزاء لبعض الخدمة التي يقوم بهـــا في السفينة. أما الناظر على الجميع والمدبر لأمر السفينة في حلها وترحالها والمباشر لهدايتها في ظلمات البحر فيسمى (النوخذا) وهو الرئيس .

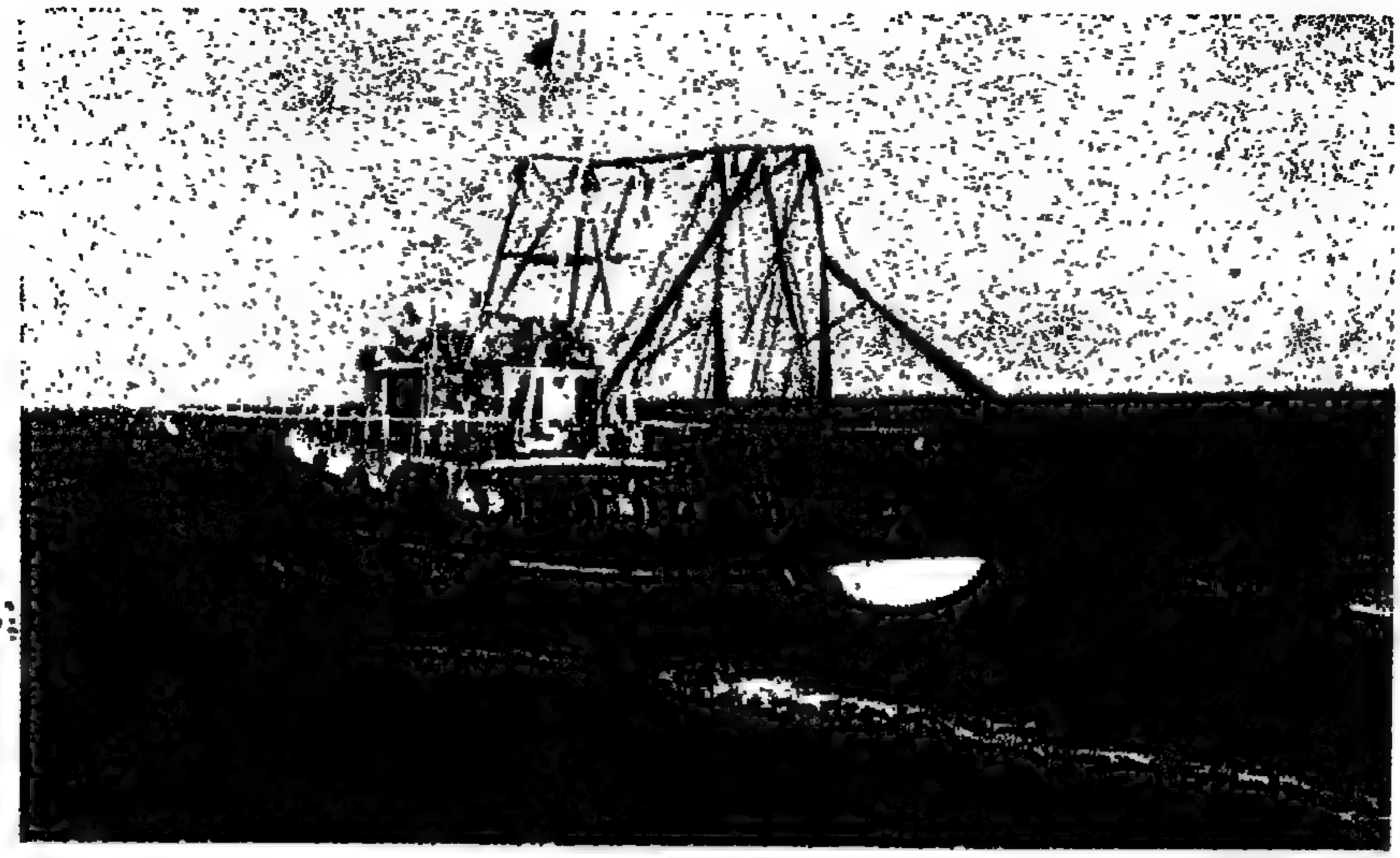

سفينة (شوعي) يزاول أهلها الغوص في البحر

الخدمة في السفينة : يقوم بخدمـــة السفينة (السيوب) و (الرضفاء) و (التبابه) أما الغاصة فلا يباشرون من الخدمة شيئاً بل زيادة عليه فالسيوب والرضفاء هم الذين يقومون بخدمتهم ايضاً ومن هنا كانت وظيفة الغيص اشرف من وظيفة السيب واخوانه، لا عند الكويتيين وحسب بل عند جميع أهل الخليج العربي، ويبلغنا أن بعض نساء تلك البلاد لا يحتجبن إلا عن الغاصة دون السيوب لانهن يعتبرن الأولين كالسادة والآخرين كالخدم ، على أن الخدمة التي يقوم بها السيوب شاقة جداً سيما اذا ارادوا الانتقال من مكان الى آخر وكان الهواء ساكناً فإنهم يضطرون حينئذ الى اجراء السفينة بقوة سواعدهم بالمجاديف التي أعدوها لهذا الوقت ، فاذا ما كان المنتجع بعيداً فلا تسل عن المشقة التي تصيبهم والتعب الذي ينتابهم .

ما يستعد به الغواص لنزول البحر : هناك أشياء كثيرة يستعدون بهـا لتسهيل الوصول الى قعر البحر فمنهـــا حجر ثقيل من الرصاص أو غيره له

عروة من حبل،ومنها عظم نحت طرفه وبقيت له قاعدة تمسكه عن الانفصال يسمى (فطاما) وحبلان طويلان احدهما يسمى (ايدى) والثاني (زيبلا) وشيء يشبه الزمبيل له عروة واسعة يسمى (ديينا) ولباس أسود. وفيما يأتينا ذكر وظائفها جميعها .

الأعمال التي يتوصلون بها الى قعر البحر : لهم ثلاث طرق يستعملونها لتوصلهم الى قعر البحر تسمى (الحجاري) و (الايدي) و (الرواسي) .

الحجاري : اما الحجاري فيضع الغيص رجله في عروة الحجارة ويقبض على أنفه بالفطام لئلا يدخل فيه الماء ويعلق عزوة الديين في رقبته ويقبض الحبل الذي ربط بعروة الحجارة بيده والطرف الآخر بيد السيب ، فاذا ما أراد النزول أفلت يديه مما كان متعلقاً به فتجره الحجارة بقوتها، فاذا اصابت رجله الأرض اخرجها من عروة الحجارة وافلت الحبل من يده وطفق يسبح في الارض باحثاً عن ضالته فتارة يعتمد على الارض اذا خشي ان ترفعه قوة الماء وتارة يمشي وهو في اثناء ذلك كل ماوجدشيئاًمن(المحار) وضعه فيالمستودع (الديين)، ولا يزال هذا دأبه الى ان يحس بانقطاعنفسه، فهناك يضرب الارض برجله ويصعد ، ومنهم من يصل الى سطح الماء وفيه بقية نفس ، ومنهم وهو القليل النادر ، من يوشك على الانقطاع قبل ذلك فتخور قواه وتضعف عزيمته ويعرض لخطر عظيم سيما اذا لم يشعر به احد من اخوانه .

عمل السيب : اما السيب فانه اذا أحس بوصول صاحبه الىالأرض وافلاته الحجر والحبل سحب اليه الحجارة ثم علقها في الجذاف ليتعلق بها صاحبه بعد خروجه للاستراحة ، فاذا صعد واعطى السيب ما وجد من (المحـــار) بقي قليلا ثم رجع الى عمله مرة اخرى وهكذا ، والظاهر انهم لم يسموا هذا العمل بالحجاري الا للحجارة التي يعتمد عليها (الغيص) في نزوله .

الايدي : واما الايدي فالعمل فيـــه كسابقه الا انه أشق منه وأصعب

ويزيد عليه وجود حبل ثان ، فاذا ما اراد النزول قبض على الحبلين معاً وبوصوله قعر البحر يفلت حبل الحجارة ويمسك الحبل الثاني ويعمل كعمله الذي وصفنا ، إلا انه اذا أحس بانقطاع نفسه حرّك الحبل الذي بيده تنبيهاً للسيب فإن أحس السيب بحركته وبادر بجره اليه جاز العتبة، وان تغافل او لم يحس به فالخطر الذي يحيط به عظيم جداً ، فبذلك الحبل حينئذ حياته ومماته . أما اشتقاقه فالظاهر انه من اليد لقبض (الغيص) على الحبل بيده الى ان ينتهي عمله .

الرواسي : وأما الرواسي فصاحبه لا يعتمد فيه على شيء غير نفسه ولا يكون الا في بحر غير عميق، فاذا اراد العمل جعل رأسه أسفل ورجليه أعلى ثم اعتمد بقوة يديه ورجليه الى ان يصل الارض ويعمل هناك كما يعمل فيما مضى . والظاهر ان اشتقاقه ايضاً من الرأس .

الاجرة التي يأخذها صاحب السفينة : إن اعطى الشخص سفينته لقوم واعطاهم مع ذلك ما يطلبون من النقود فيكون له هنا خمس حاصلهم . وإن لم يعطهم الا ما سمحت به نفسه فهذا يكون له ايضاً خمس حاصلهم إلا انه يؤخذ منه لكل (غيص) ما يقابل خمس سهمه او ربعه على مقتضى الشرط ويعطى له وحده . أما السيب فلا يناله منه شيئاً ، وان اعطاهم لقوم مشتركين في العمل ولم يعطهم شيئاً اصلاً فهنا يكون له نصف الحاصل لا غير .

توزيع الحاصل على العمال : يؤخذ من الحاصل قبل كل شيء اجرة صاحب السفينة ثم قيمة ما استهلكوه من طعام وشراب وغيره ثم يوزع الباقي على العمال (فالنواخذا) له سهم كامل (والغيص) كذلك أما السيب فيعطى ثلثي (الغيص) (والرضيف) نصفه والتباب له ما وجده في المحار من اللؤلؤ، وهناك شخصان آخران لكل منها كسهم (السيب) احدهما المباشر للمطبخ والثاني (النهام) وهو المطرب لأهل السفينة بما ينشده لهم من الاشعار النبطية عندما

يباشرون خدمة السفينة ، وللحاكم البلد سهم كامل كما للغيص .

أهوال البحر : يحكي الغواصون اموراً غريبة مهيلة عما يشاهدونه في قاع البحر فمن كهوف عظيمة الى أودية غزيرة ومن غابات مظلمة الى قيعان موحشة ومن جبال عالية الى كثبان مرتفعة ، حتى لقد ترسو السفينة وقعر البحر قريب منها فاذا ما مالت يمنة او يسرة بعد عنها قاع البحر ، وهناك من الاهوال اشياء يتناقلونها هي حديث خرافة وبعضهم يعتقد حقيقتها ، ذلك زعمهم مشاهدة رجال ونساء من الجان بين صخور البحر و كهوفه . وقد روى لنا احد الغواصين حكاية وقعت له بنفسه في ذلك الوقت فقال : كنت مع اصحابي يوما في مغاص اللؤلؤ فنزل احدهم الى البحر ، ولم تكد رجله تطأ الارض حتى صعد الينا مرعوباً وأخبرنا بأنه شاهد امرأة من الجان جالسة وعليها عباءة سوداء وأتى لزيادة التأكيد بشيء من أوصاف العباءة لصاحبه فرى أحد أخوانه ان ينزل ليتحقق الخبر فجرى له مثل ما جرى لصاحبه ثم نزل الثالث والرابع ، وهكذا حتى تكامل جميع من كان في السفينة وكلهم اتفقوا على صدق ما قاله الأول . قال محدثنا فلما رأيت الكل اضربوا عن العمل لتلك الحادثة رأيت أن اكشف الحقيقة بنفسي ولكنني عندما نزلت وجدت الأمر كما قالوا فدهشت واصابني من الرعب ما كاد يضطرني الى الخروج غير ان نفسي أبت علي أن يتحدث الناس عني بأني جبنت فصممت على حل المبهم ولو كان فيه القضاء علي فأقدمت عليها ولويت بيدي على عنقها وأنا مغمض العينين فما شعرت إلا والدم يجري من يدي فعلمت حينئذ اني اصبت صخرة سوداء تلبست بعباءة . ولا تسل عن فرحي عندما عرفت الحقيقة قال: ولكني اردت مداعبة أصحابي فلبست العباءة وخرجت عليهم فرموا أنفسهم في البحر وتركوا السفينة وما فيها إذ اعتقدوا أن المرأة قضت علي وجاءت لتقضي عليهم ايضاً ولم يتراجعوا إلا بعد سماعهم صوتي .

فبهذه الحكاية تنجلي الغمة وينحل الاشكال، فالمخبرون بما قصصنا عليك

أتوا من عدم تثبتهم، لأن ما شاهدوه هناك انما هو ملابس رجال ونساء سقطت من السفن التي تمخر في البحر فلبست تلك الصخور .

هوام البحر ومؤذياته : في البحر هوام كثيرة وأسماك مؤذيـــة فمنها (الجرجور) و (اللخمة) و (الدجاجة) و (الرماي) و (الدول) أما الرمـــاي فله شوك غليظ ومن الغريب أنه إذا أصاب أحداً بشوكه فحك المضروب الموضع بشعر رأسه سكن الألم وأما الدجاجة فما هي إلا سمكة لها شوك مسموم سميت بذلك لأن صوتها يشبه صوت الدجاجة . وإذا شوهدت سابحة في البحر ناشرة جناحيها يخالها الرائي كالدجاجة البرية وليست هي دجاجة حقيقية كما يتبادر الى ذهن البعض. وأما الدول فهو ابيض لا يعرف رأسه من ذنبه كأنه قطعة شحم غير انـــه اصفى منه وهو لين جداً إلا انه يحرق بلسعه فكأنه المعني بقول الشاعر :

لا يغرنك لين من فتى ان للحية لينا يعتزل

ما يستعمله الغواصون من حيل للتخلص من تلك الهوام : يستعمـــل الغواصون لذلك حيلاً عديدة فمنهم من اذا أبصر (الجرجور) التصق بالأرض فان لم يره وذهب خرج مسرعاً وإلا بقي في مكانه الى أن يبتعد عنه ، فان خشي انقطاع نفسه قبل ابتعاده خرج مضطراً وأخذ معه عدة أحجار فاذا ما تبعه رمى له حجراً ليشغله به حيث يظنه فريسة وهكذا الى أن ينجو منه ان قدر له ذلك، ومنهم من يثير تراب الأرض ليختفي فيه ومنهم من اذا نجا صاح صياحاً عاليـــاً ليعلم من في البحر من اصحابه بوجود ما يخشى منه وهم قد علموا أن ذلك لا يكون إلا لوجود خطر .

اسماء الجهات التي يغوصون فيها : لتلك الجهات التي يغوصون فيها من البحر أسماء مختلفة ولها حدود تتميز بها عما سواها تعرف بعلامات برية من

جبل أو غيره أو بمقياس يقيسون به عمق البحر وهو حبل من قطن في اسفله قطعة من رصاص يسمى (بلدا) وتسمى تلك الجهات (اهيرات) جمع هير واظنها محرفة من الهجرة لأنهم اذا قطعوا حاصل الأرض هجروها الى غيرها أو هاجروا منها الى سواها .

كيف يوجد المحار في قعر الأرض : من المحار ما يكون مرتكزاً في الارض بحيث يصعب قطعه وهو ما كان بين الصخور والاحجار، ومنه ما يكون ملقى على وجه الارض لا شيء يمسكه وهو ما كان بين الرمال .

أسماء المحار : للمحار اسماء مختلفة وهي (محارة) (صديفي) (فصمه) (زوان) (عيسرين) وهناك شيء يسمى (خواليف جمع خالوف) وهو كالمحار إلا أنه مستطيل ويوجد مرتكزاً في الارض ولم يعلم أن فيه لؤلؤاً إلا من نحو ثلاث سنين أو أربع .

كيفية استخراج اللؤلؤ من المحار : يجمع الغواصون محار كل يوم وبعد طلوع شمس اليوم الثاني يهبون الى منبع رزقهم بلهفة شديدة ، وكيفية الاستخراج ان يأخذ الشخص بيده اليمنى حديدة ذات نصاب تشبه السكين تسمى (مفلقة) لانها آلة الفلق ويأخذ المحارة باليسرى فيدخل طرف المفلقة بين طبقتي المحارة فبقوة اعتماده تنفصل احداهما عن الاخرى ثم يبحث عما يريد بين طيات لحم المحارة .

الفص : من اللؤلؤ ما يكون ناتئاً في باطن المحارة كالدمل مغطى بمادة صدفية يسمى (فصاً) قد يكون لؤلؤة ثمينة وقد لا يكون . ومن هنا كانت المحارة التي يوجد فيها لا ترمى كما يرمى غيرها بل تحفظ لتباع وكم من محارة بيعت بقيمة تافهة فلما جلي عن فصها غشاؤه برزت لؤلؤة نفيسة كان من ورائها ثروة طائلة لصاحبها ومما جرى من هذا القبيل ان رجلاً عارفاً ابصر محارة

ذات فص وضعها صاحبها غطاءً لبعض اوانيه زهداً فيها فعلم الرجل ان فيها لؤلؤة من اغلى اللآلىء فاشتراها من صاحبها بالفروبية وبعدعمله للفص برزت لؤلؤة بيعت بقيمة غالية تضاربت فيها الاقوال ادناها ثلاثون الفــاً من الروبيات . ولكن قد يحصل ايضاً ضد ذلك فسرعان ما يجلي الثوب عن الفص فيتبين انه لا شيء ويذهب الثمن هباء منثوراً .

اسماء اللؤلؤ : تسمى اللؤلؤة الواحدة (حصبات) والجمـع (حصابي) وللحصبات اسماء مختلفة تعرف بواسطة الغرابيل التي اعدت لذلك فما لا يسقط من الغربال الاول يسمى (رأساً) وما يمسكه الثاني يسمى (بطناً) وما يبقى في الثالث يسمى (ذيلاً) والباقي يسمى (سحتيتا) وأكبر لؤلؤة جميـلة وزنها تسع عشرة (حبة) والحبة مقدار ست قمحات .

درجاته في الحسن وصفاته والوانه : أجمـله يسمى (جيونا) ثم (خشناً) ثم (قولوة) ثم (بدلة) ثم (ناعماً) ثم (بوكة) ومـا كان كامل التدوير يسمى (قولا) والذي كنصف الكرة (بطن الهند) ومـا يشبه البيضة (بيضياً) ومخروط الشكل (تنبولاً) والذي كنصف الكرة إلا ان قبتـه فيها بعض الاستطالة (كاووكياً) واغلى الوانه الابيض المشرب بحمرة إذا كان كامل التكوير . ثم يليـه ما كان مشرباً بحمرة أشد من الاولى ويسمى (نباتياً) وأما ما كان ممزوجاً بخضرة فانه رديء لا قيمة له ويسمى (قلابيا) وما كان لونه كالزجاج (زجاجياً) وما كان لونه كالسماء (سماوياً) ومـا اشتدت زرقته يسمى (سنقباسياً) .

الاماكن التي يستخرج منها اللؤلؤ : يستخرج مـن سيلان وهولانده الجـديدة وخليج المكسيك والكويت والبحرين وقطر وعمـان والقطيف ومصوع ودهلك واصاب ، وأجوده الذي يخرج من الخليج العربي، واللؤلؤ من حيث هو مقسم الى قسمين شرقي وغربي .

تغيرات اللؤلؤ : قد يشتري المرء لؤلؤة ظاهرها الحسن والجمال بقيمة مثمنة، ولكن لا تلبث ان يتغير حسنها فتصبح لا قيمة لها ، وهذا من اعظم اخطار المتاجرة به . وقد قيل ان الدواء الناجع لذلك ان تمطي اللؤلؤة لدجاجة تزدردها ثم تخرج من معدتها بعد دقيقة وهناك يرجع اليها ما فقدته من البهاء ، وقد تشتري لؤلؤة ظاهرها القبح بقيمة بخسة واذا ما ازيل عنها ثوبها الذميم برزت لؤلؤة من اجمل اللآلىء وانفسها . وقد اشترى احد التجار لؤلؤة قبيحة بعشرة آلاف روبية ولكنه ندم بمدشرائها اذ ظن انه لو ازال ثوبها لكانت من المزهود فيها، فحاول بيعها بقيمتها او اقل تفادياً من الخسارة فلم ير شارياً ، فسافر بها الى البحرين وأعطاها لأحد الصاغة الماهرين فلما ازال ما عليها برزت لؤلؤة جميلة باعها بخمسة وثمانين ألف روبية .

ما قاله القرماني عن الغوص

قال في آخر تاريخه : و (بحرين) ناحية من البصره بها مغاص اللؤلؤ ووقت استخراجه من اول نيسان الى آخر ايلول وباقي شهور السنة لا غوص فيها ، واللؤلؤ يتربى في صدفه والصدف حيوان بحري له روح في جسده ، وداخل الصدفة لحم ابيض واللؤلؤ خرز فيه ، واصله من مطر نيسان اذا امطر البحر في نيسان تخرج تلك الصدفة الى وجه الماء فتفتح فاها . فكل قطرة تنزل فيها تتربى في ذلك درة نفيسة ، والغواصون يشقون اصول اذانهم للتنفس ولهم وجوه مصنوعة من الذبل والمشاقيص ولهم دهن يصفونه به ويجعلون في انوفهم قطناً ويحملون منه ، فاذا وصلوا قعر البحر عصروا من ذلك الدهن فيضيء منه قعر البحر فترى الأصداف فإن الصدفة تدفن نفسها في ارض البحر رملا كان او طيناً خوفاً من الغواصين ، ويدهن الغواصون ابدانهم بالسواد عند الغوص خوفاً من بلع دواب البحر اياهم ، وعند الغوص يصيحون مثل الكلاب صياحاً قوياً من داخل الوجوه التي يلبسونها لنفور حيوانات البحر من حولهم .

ملاحظاتنا على كلام الفرماني : بما ان اعمال الغوص تعد من الامور الغريبة سيما عند من لم يشاهدها ولم يعرف عنها شيئاً وان استغرابه قد يحدو به الى التصديق بجميع ما يقال عنه ، ولكن غير صحيح رأيت ان اوضح خطأ الفرماني في مقالته وأنبه الى ما ليس كذلك خدمة للحقيقة .

أصل اللؤلؤ : مما يؤخذ عليه القول ان اللؤلؤ من مطر نيسان ، واكبر برهان على خطئه ان الغواصين يصادفون غالب المحار مرتكزاً في الارض او متعلقاً بالاشجار ، وايضاً فالمسافرون في البحر وقت نزول الامطار في نيسان لا يشاهدون شيئاً من المحار على وجه الماء فاتحاً فاه ، والمرجح ان اللؤلؤ حبات من الرمل او حشرات تدخل جوف المحارة مع الغذاء فينشأ من ذلك تألمها الذي يضطرها الى ان تفرز على تلك الحبات من لعابها لتتقي به أذاها وبذلك الافراز يتكون اللؤلؤ في باطن المحارة .

شق الغواصين آذانهم : وما قاله عن شق الغواصين آذانهم للتنفس فالظاهر أنه غير صحيح لأنه لا يفيد للتنفس، واذا فرضنا انه يفيد فانه يكون مدخلاً للماء ايضاً ، وعمل كهذا لا يصدقه العقلاء .

تصفية البحر بالدهن : اما إفراغهم الدهن في البحر لتصفيته فهذا غير بعيد اذ توجد الآن طائفة من الغواصين يسمون (المتنورين) يلاحظون قعر البحر وسفنهم تجري بهم فكلما ابصروا شيئاً من المحار نزل إليه احدهم فالتقطه هذا اذا كان البحر صافياً وإلا فانهم يفرغون في البحر شيئاً مائعاً يسمى (صلا) لتصفيته وهو مما تدهن به السفن هناك .

دهن الغواصين ابدانهم بالسواد : واما دهن ابدانهم بالسواد خوفاً من دواب البحر فلا يبعد ان يكون صحيحاً لأن الغواصين الآن يلبسون ثياباً سوداً خوفاً من (الدول) الذي قدمنا عنه .

واما استعمالهم القطن في انوفهم وصياحهم لتنفير دواب البحر فقد قدمنا من اعمال الغواصين ما يدل على استعمالهم ما هو قريب منه كالفطام ، وكذا صياحهم عندما يبصرون (الجرجور) .

واردات الكويت

واردات الكويت هي الرز والقمح والشعـــير والتمر والسكر والشاي والخامات بأجناسها والملبوسات بسائر انواعها ، والأواني الصغيرة والكبيرة بأشكالها، والأخشاب التي تصنع منها السفن والأبواب والشبابيك وخشب السقوف وحطب الوقود ، والهيل والفلفل وغيرها، وكلها ترد من الهند واليمن والعراق والاحساء وفارس .

منافذ البضائع الكويتية : لا يستقر في المدينـــة من تلك الواردات إلا القليل واعظم الواردات هو ما يأتي من الهند وجله يذهب الى العراق وفارس والاحساء والجبيل والحجاز والشام ونجد إلا ان الحركة الآن ضعيفـــة جداً للأزمة التجارية بين نجد والكويت كما علمت .

الكويتيون خارج وطنهم : من الكويتيين من حملته عزيمته إلى اقصى بلاد الروس واوروبة لعرض جلد الفوزي (البهم) وجلد الحصني (الثعلب) ، واول من فتح هذا الطريق اثنان من أعمامي ، ويسمون البلد التي يذهبون اليها (مكاره) وأظنها على وصفهم لها هي (نجني) التي ذكرها صاحب النخبة الازهرية في كتابه .

ومنهم من تمطى غارب العزم الى ايطاليا فأقام فيها مدة متغرباً عن اهله ووطنه في سبيل التجارة وهذا كله يدلنا على همة الكويتيين وانهم لا يقلون في الحركة والنشاط عن غيرهم سيما اذا علمت بالمشقات التي يعانيها المسافرون

الى مكاره فقد كانوا يمضون جل الطريق من بغداد إلى بحيرة قزوين على ظهور البغال في البرد القارص والتعب الشديد (١) .

الناحية الاقتصادية

الثروة المعدنية (البترول)

البترول أهم عناصر هذه الثروة التي قلبت وجه الحياة في الكويت وجعلته يخطو خطوات واسعة إلى الامام في مجال التقدم المادي والاجتماعي .

وتعتبر الكويت الأولى في العالم من حيث كميـــة الاحتياطي للبترول اذ يساوي ٢٠ ٪ من الاحتياطي العالمي كما انها تحتل المركز الأول، في انتـــاج البترول في الوطن العربي والشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٦ كما انها الرابعة في العالم من حيث الانتاج بعد الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي وفنزويلا.

وقد بدأت اعمال الكشف عن البترول في الكويت عام ١٩٣٤ ولكن الشركة (شركة البترول الانجليزية وشركة الخليج الامريكيـــة) لم توفق في العثور على البترول حتى عـــام ١٩٣٨ حينما عثرت على حقل البرقان ولكن توقف العمل في عام ١٩٤٢ لظروف الحرب واستؤنف بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وخرجت أول شحنة بترولية من الكويت في يونيو عام ١٩٤٦ ويتميز، انتاج البترول في الكويت بميزات تجعل استغلاله سهلا بدرجة لا يوجد لهـــا نظير في العالم للأسباب الآتية :

أ — يوجد على عمق بسيط لا يزيد عن ٥٠٠٠ قدم .

ب — متوسط انتاج البئر الواحد ٩٠٠ طن يومياً .

---

(١) أما تجارة الكويت اليوم فقد تخطت الحدود وانتشرت في العالم كله، تربط صلاتهـــا في التصدير والاستيراد مع كل جهة، وأقيمت فيها مصانع متعددة وارتفع ميزانها التجاري الى ملايين الملايين من الدنانير . وثقف أبناؤها من العلوم واللغات ما جعل صلاتهم مع العالم صلة قوية متينة.

جـ – الحقول قريبة من موانىء التصدير بل يسيل من مستودعات التخزين الرئيسية المقامة على هضبة الأحمدي (٤٠٠ قدم فوق سطح البحر) الى أرصفة الميناء بقوة الجاذبية .

د – يتم الاستخراج عن طريق ضغط الغاز بدون الاستعانة بالمضخات .

وأهم حقول النفط في الكويت :–

أ – البرقان مساحته ٣٥٠٠ كم ٢ وهو أعظم حقل في العالم وبه ٣٢٠ بئراً.

ب – المقوع اكتشف عام ١٩٥١ وآباره ٦٠ بئراً .

جـ – الأحمدي اكتشف عام ١٩٥٣ وآباره ٤٥ بئراً .

د – الروضتين اكتشفت عام ١٩٥٤ وآباره ٣٤ بئراً .

هـ – الصبيه اكتشفت عام ١٩٦٤ وآباره ١٤ بئراً .

هذا عدا حقل المناقيش وأم قدير ومطرية . كما ان في المنطقة المحايدة حقل الوفرة وبه ٢٧٤ بئرا وحقل الخفجي في المياه المشتركة بين الكويت والسعودية وبه ٣٦ بئراً .

ويصدر البترول من ميناء الأحمدي (الرصيف الجنوبي عام ١٩٤٩ – والرصيف الشمالي ١٩٥٨) وكذلك من ميناء عبدالله جنوب ميناء الشعيبة . هذا عدا ميناء المياه العميقة الذي يستطيع استقبال السفن التي حمولتها ٣١٢ر٠٠٠ طن .

وتمتلك الحكومة ثلاثة معامل للتكرير طاقتها ٤٤٠ر٠٠٠ برميل من الزيت الخام يومياً وهي أعلى نسبة بين دول الوطن العربي – المعمل الأول في الأحمدي والثاني بميناء عبدالله والثالث بالشعيبة ويقدر مقدار ما صدرته الكويت من النفط والمنتجات المكررة خلال عام ١٩٦٦ : ٩١٣ر٣٧٨ الف برميل كما يقدر المستهلك محلياً في نفس السنة ٦٨ر٠٠٠ الف جالون امبراطوري.

وقد قدر بجموع ايرادات النفط حسب ميزانية عام ٦٦ – ١٩٦٧ بحوالي ٢٣٢ مليون دينار كويتي ما يعادل ٩٣ ٪ من مجموع الايرادات الحكومية .

وتهتم الحكومة بالصناعات البتروكيماوية فتكونت عام ١٩٦٣ هيئة الشعيبة الصناعية لإنشاء منطقة صناعية كاملة للاستفادة من البترول والغاز وبذلك بدأ العمل في انشاء مصانع الأسمدة الكيماوية وظهر الانتاج في مارس سنة ١٩٦٦ من أربعة مصانع هي :

١ – مصنع النشادر .

٢ – مصنع حامض الكبريتيك .

٣ – مصنع السماد البوريا ويحتوي على ٤٦ ٪ من الازوت .

٤ – مصنع سلفات النشادر . ومصانع الشعيبة تعتبر من أكبر مصانع العالم اليوم قوة وانتاجاً في صناعة البتروكيمياء .

الثروة الزراعية والحيوانية :

الزراعة في الكويت ليست واسعة وتقتصر على الحدائق العامة والخاصة والتي زرعت بقصد الزينة او لتلطيف الجو . والزراعة ممكنة عندما يتوفر الماء سواء بمشروع إسالة مياه شط العرب او بالتوسع فيحفر الآبارالأرتوازية. والحكومة تخطو خطوات واسعة في هذا السبيل فأنشأت محطة التجارب الزراعية التي بدأت بزراعة مساحة قدرها ٤٨٫٠٠٠ م٢ ونجحت في زراعة عدة أصناف من الخضراوات والزهور والشجيرات والأشجار واصبحت توزع الأشتال باعداد هائلة على الراغبين فيها كما أجريت بعضالتجارب علىالحمضيات.

وبالكويتمناطق صالحةللزراعة أهمها منطقة الجهراء والفنطاسوالفحيحيل وأبو حليفة كذلك منطقة الصليبية.وتبذل الحكومة جهوداً صادقة في مقاومة

الآفات والحشرات الضارة بالزراعة ولذلك أنشأت فرعاً تابعاً لمحطة التجارب الزراعية يسمى فرع وقاية النباتات ومكافحة الجراد. امـــا فيما يتعلق بالثروة الحيوانية من ماشية وطيور داجنة فقد كانت الأبقار والأغنام والماعز تربى بأعداد محدودة لاستعمال منتجاتها في الاستهلاك المنزلي للحصول على الحليب لاستخراج الزبد أما بالنسبة للدواجن فقد كان أكثر الاهتمام بتربية الدجـاج والبط والرومي والإوز والحمام للاستفادة من البيض واللحم. أما الآن فتقدم الحكومة خدمات أو حماية بيطرية (قسم البيطرة ببلدية الكويت انشىء عام ١٩٥١) وكان نتيجة لذلك التوسع في الانتاج الحيواني المعتمد على سلالات جيدة مستوردة من الخارج ونشأت مزارع نموذجية متعددة بالكويت غطت الكثير من احتياجاتها المحلية .

الثروة السمكيـــة

بالنظر الى دفء مياه الخليج العربي وبالتالي هدوء مياهـــه اصبح الخليج مأوى للسفن منذ القـــدم ، وقـــد قامت الحكومة باجراء دراسات مستفيضة لميـــاه البحر حديثاً وقامت بمسح بحري واسع وأنشأت المزارع البحرية للأسماك ونظمت اوقات صيدها وانشات مصانع تعليب وحفظ الأسماك وخاصة تلك الأنواع الفاخرة التي تصدر الى الدول الاوروبية والاميركية كأصناف (الروبيان) .

وبلغت صادرات الكويت عام ١٩٦٣ من الاسماك المثلجة والطازجة من نوع الروبيا حوالي ٥٨ر٢٦٠ كجم . وقد تأسست شركتان لصيد الاسماك وهما (شركة صيد الخليج والشركة الكويتية الوطنية لصيد الاسماك) .

الصناعـــة

تطورت الصناعة في الكويت حديثاً بعد ان كانت قديماً تقتصر على صناعات بدوية بسيطة كصناعة السفن والاكلة الصوفية وبيوت الشعر وغيرها ، وهي

صناعات بسيطة يقوم بها فرد او اثنان . اما في الوقت الحاضر فقد اصبح للحكومة الدور الأهم والفعّال في تمويل المصانع والمشاريع المتعددة ، وبلغت ميزانية النفقات فيها ٢٥ر٢٢٣ مليون دينار كويتي .

وظهرت بعد البترول شركات كبرى منها : شركة الكيماويات البترولية – شركة الصناعات الوطنية – شركة مطاحن الدقيق – شركة الاسمنت والاسمدة والبيوت الجاهزة – شركة الصناعات الوطنية – وشركة ناقلات النفط الكويتية .

وأهم الصناعات التي تقدمت في الكويت هي صناعة الطابوق الرملي الجيري وصناعة الملح والصودا الكاوية ، كما قامت عدة صناعات اخرى منها صناعة تقطير المياه التي تسد حاجة البلاد من المياه الصالحة للشرب ، وكذا صناعة الاثاث وصناعة إعداد الطعام والمرطبات وتعبئتها وغيرها من الصناعات .

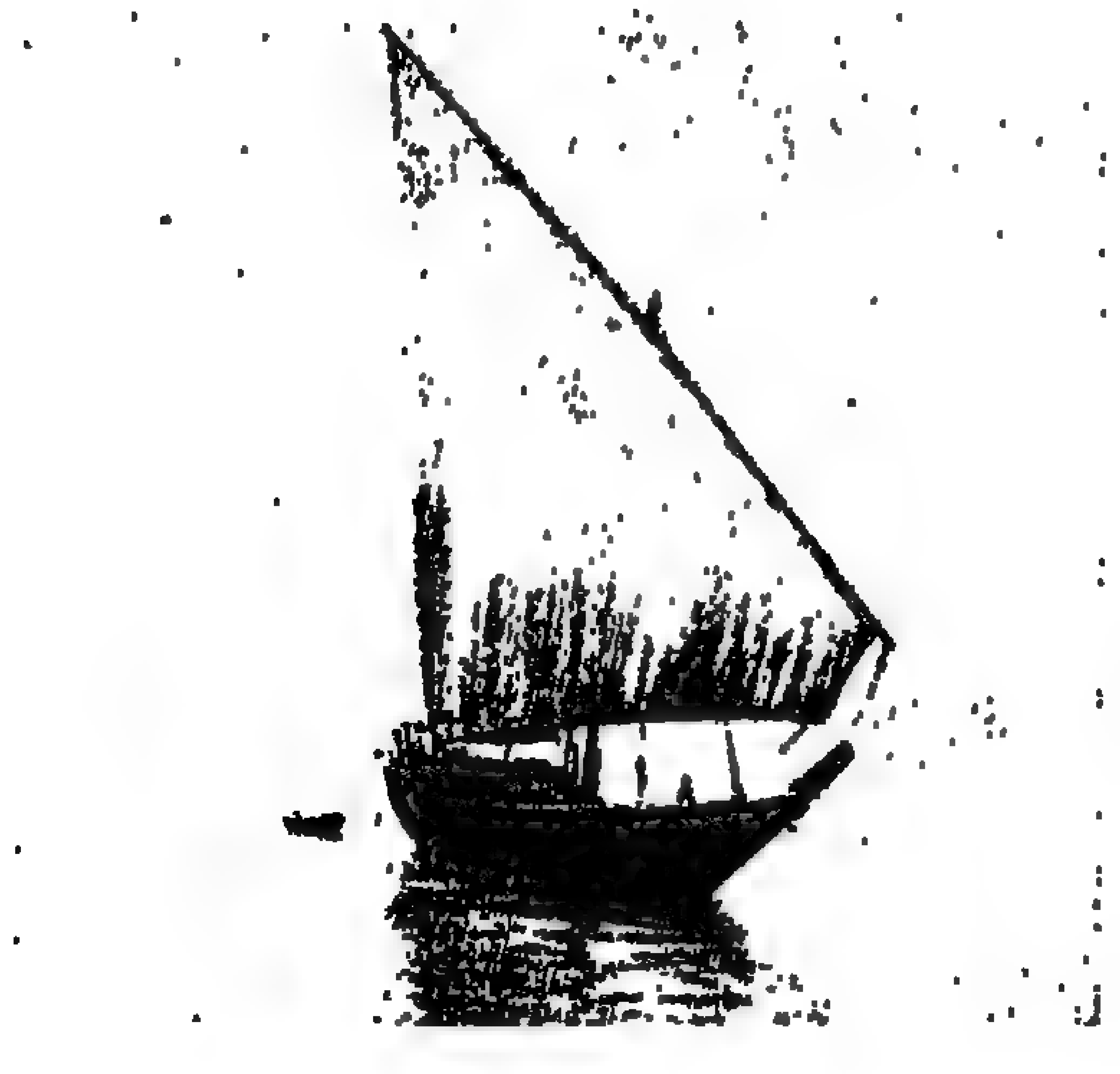

الحكم في الكويت

لم يكن للحكم في الكويت أهمية أول تأسيسها ، فان آل الصباح واخوانهم نظراً لقلتهم اول ما نزلوها ونظراً لكونهم كالأسرة الواحدة التي تتألم لما يصيب أحد افرادها وتشاركه في سرائه وضرائه ، لم يروا حاجة ضرورية لتنظيم حكومة يصدر عنها ما يجرون عليه من الاحكام ، وقد بقيت الحال كذلك الى ان امتزج بهم الأجنبي وخالطهم البعيد الغريب وكثر المهاجرون الذين ضربوا معهم بسهم في تلك الرحاب، هناك شعروا بالحاجة الى من يولونه الامر ليكون شبحاً يخيف المعتدي ويرهب الظالم وهم محيطون به شادون لعضده فأجمعوا أمرهم على صباح الأول وقد قبل كما سيأتي ، وظل الحكم في أيامه الى ايام مبارك الصباح شورى ، يستشير الحاكم وجهاء القوم فيما ينتابه من المهمات وفيما يحفظ البلد من طوارىء الحدثان ويحميها من هجمات الاعداء وليس له الرفض ولا الخيار بعد ان يقر رأيهم على أمر لأن السلطة الحقيقية لهم وانما يعطي اسم الرئاسة عليهم تفضلا ، بل لقد يذهب الامر الى أبعد من هذا مدى وهو عجزه عن اخذ الحق من بعضهم . والحكاية التي سأقصها توضح قيمة الحكم اذ ذاك .

استدان رجل من آل زايد من احدهم سلمة الى أمد ، وعندما قرب حلول الأجل نبهه صاحبه الى الوفاء ، ولكن الزائدي اظهر من الامتناع ما دفع

الرجل الى رفع الأمر لعبد الله الصباح الاول وهو الحاكم اذ ذاك وصارحه عبد الله بأن ليس في استطاعته اكراهه ولكن قال له الرأي ان تذهب الى زوجة صاحبك فتخبرها بان زوجها علق طلاقها على عدم وفائه الدين فانه سيتم لك بهذه الحيلة ما تريد اذ هو لا يرد لها طلباً لما لها من السلطة التامة عليه ، قبل الرجل الرأي وذهب اليها كما امر وشرح لها الامر فوعدته بان تكون له عوناً وماذا عملت بعد هذا احتجبت عن زوجها عندما دخل عليها واخبرته بالذي حملها على ما عملت فانكر ولكنها لم تصغ : —

قد قيل ماقيل ان صدقاً وان كذبا فما احتيالك من قول اذا قيلا

فاضطر إلى ان ينزل على حكمها ويقضي الرجل حقه .

نعم استمر الحكم على ما شرحنا تلك المدة الطويلة وفيما سيأتي من اخبار الحكام ما يصور الحالة بأوضح مما سمعت على ان الحكم انتقل الى استبداد صارم وجور عظيم عندما قبض مبارك زمام الحكم وتربع على كرسيه باستبداد ترك الألسنة تلوك مباركاً وتلفظه . ولكن مباركاً من جهة اخرى خفف ويلات استبداده بما كان يقوم به ازاء مصالح رعيته وبما نالته رعيته اذ ذاك من الامن والدعة وبالعز والجاه في سائر الامصار .

سكان الكويت
وبيوتها وسفنها

في الكويت وقراها ما ينيف على ثمانين الف نسمة يدينون بالدين الاسلامي ما عدا نفر قليل من اليهود [١] يبلغون نحو مائة وخمسين وأقل منهم بكثير

---

(١) لا يوجد يهود الان في الكويت . لقد جاء بعض اليهود الذين كانوا يعيشون في الكويت آنذاك من العراق وعاشوا فترة من الزمن . غير ان الكويتيين لم يتعمقوا في المعاملة معهم مما اضطرهم الى النزوح عنها واحداً بعد الآخر . حتى صفيت الكويت من هذه الجرائم التي كانت تنفث سمومها في ربوع الكويت .

من المسيحيين . والمسلمون فرقتان السنة والشيعة والاغلبيـة الساحقة للاولى ومنهم الحنابلة وجلهم من المهاجرين من نجد والشافعية واكثرهم من الأعاجم السنيين (العوضية) والمالكية ومنهم حـكام البلد وبعض البيوتات المعروفة والبادية المتحضرة ، واما الاحناف فيعدون على الاصابع .

وتنقسم الشيعة الى ثلاث فرق أصولية ، واخبارية ، وشيخية .

وتبلغ بيوت الكويت نحو ثمـانية آلاف وسفنها التي تسافر الى الغوص والهند وغيرها من البلاد ما بين كبيرة وصغيرة (١) نحو الفي سفينة .

القضاء في الكويت
وأول من تولاه

نكاد نجزم ان آل الصباح لم يولوا القضاء احداً ، أول ما نزلوا في أرض الكويت وان الذي كان يتولاه اذ ذاك هو من يقع اختيار المتنازعين عليـه وان كان هناك من انتخب لذلك المنصب فهو لا يعد وما نعرفه الآن عن حالة البـادية من اسنادهم فصل خصوماتهم الى ما يسمونه (العرف) او (السالفة) ولو كان لا يعرف من الشرع شيئاً ويرجح ما قلناه المدة التي مضت لآل الصباح وهم لا رئيس لهم يرجعون اليه .

أما أول من تولاه فغير معروف بالتحقيق وأقدم من عرف هـو الشيخ محمد بن فيروز جد فيروز المشهور كما اخبرني استاذنا الفاضل الشيخ عبد الله الخلف نقلا عن الشيخ ابراهيم بن عيسى المؤرخ النجدي ولا يبعد ان يكون

---

(١) وقد جرى احصاء عام لسكان الكويت في ٢٧ — ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٧ فكانت النتيجة ٢٠٦١٧٧ منهم ٩٩٤٣٨ في مدينة الكويت ذاتها و٢٠٠٣٤ فيضواحي المدينة والباقي في المدن والقرى التابعة لها. كما شمل الاحصاء البدو المقيمين في البر أو بالقرب من القرى والمدن .

ذلك الاستاذ هو أول قضاتها لأنه توفي في الكويت سنة ١١٣٥ وقد علمت قرب السنة التي تأسست فيها من سنة وفاته .

ويقال ان أحد آل عبد الجليل قام بالقضاء بعده الى ان قدم زعيم بيت العدساني من الاحساء فتنازل له عنه إعجاباً بعلمه وبصلاحه وزوجه ابنته ، وما زال القضاء في هذا البيت لم ينقطع عنهم إلا برهة من الزمان قام في مهمة القضاء فيها الشيخ علي بن شارخ الحنبلي ثم رجع اليهم بعد وفاته .

ابن شارخ يتولى القضاء في الكويت : حصل خلاف بين الشيخ محمد صالح العدساني أحد القضاة السابقين وبين الشيخ علي الشارخ في صيام يوم الثلاثين من شعبان حيث غم الهلال ، فأفتى الحنبلي بوجوب الصوم وخالفه القاضي الشافعي بذلك حتى احتدم النزاع بين الاثنين . رفع القاضي الاول الامر الى عبدالله الصباح الاول حاكم الكويت إذ ذاك وقال له أنه لا يطيق الصبر على

الامير وآل صباح بعد تهنئة الكويتيين لهم بالعيد ، والخدام امامهم

مثل هذا الخلاف ، ولما لم يصغ عبدالله لشكواه اعتزل القضاء من يومه .

اما عبدالله فأرسل الى الشيخ علي وفوض اليه القضاء ولكنـه امتنع اولاً وقال انه منصب خطير من أهم شروطه إقامة الحدود وأخشى ان تغل يدي على تنفيذها سيا على الوجهاء ، فهون عبدالله عليه الامر وقال اني سأطلق يدك في القيام بالواجب ولو على نفسي فقبل ، ولكن شرط ان يسمح له بالاتجـار شهرين في السنة ، فأعطي ، وكان اول اعماله ان احرق اكواخاً كان يأوي اليها كثير من اهل الفساد ، ثم أسس في موضعها المسجد المعروف بمسجـد آل مديرس .

وقد بقي الشيخ علي في القضاء سنتين او ثلاث سنين الى ان توفي ثم رجع القضاء الى اهله .

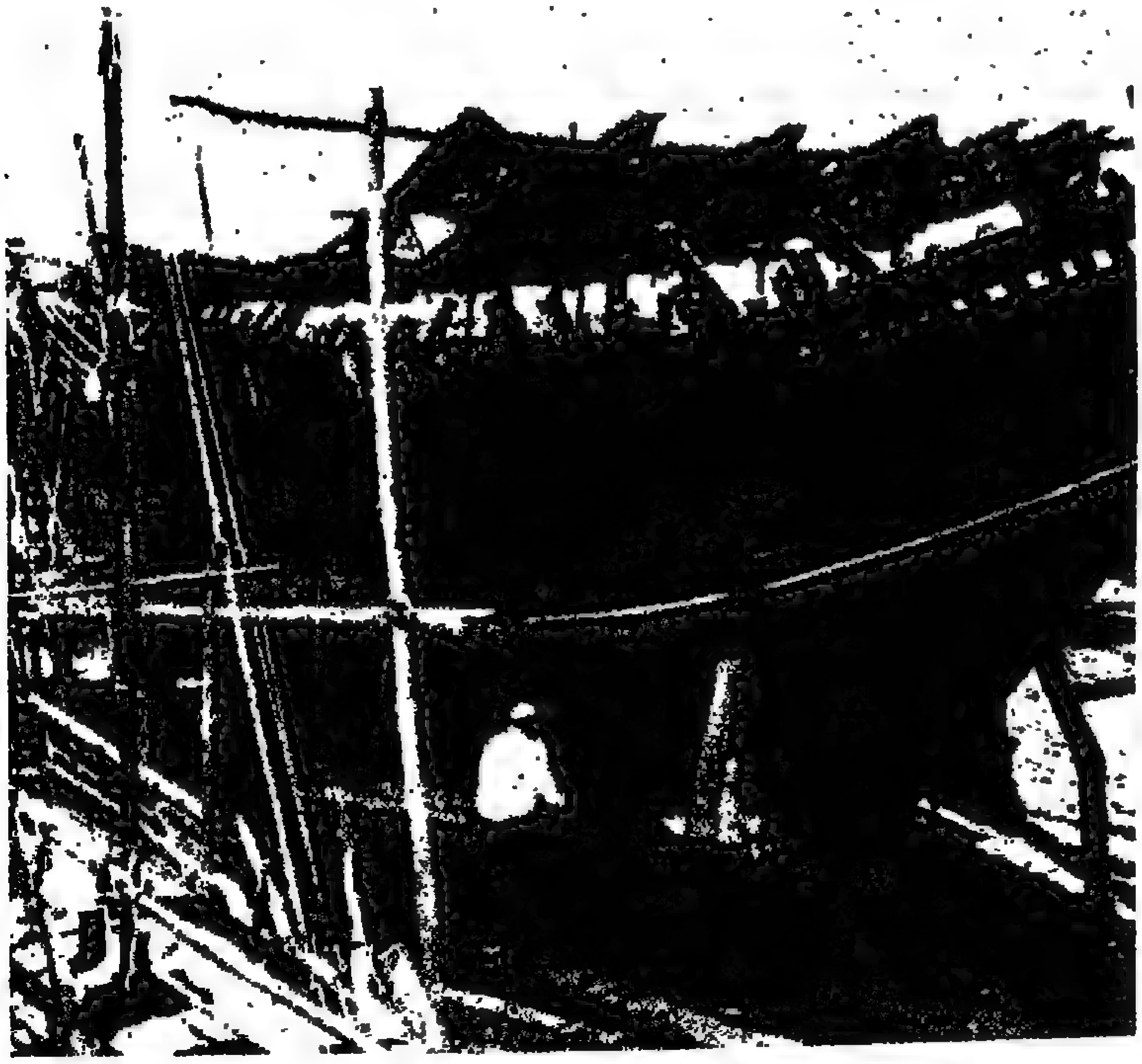

الحوادث المشهورة في تاريخ الكويت

الرجبية : هي مطر غزير في شهر رجب سنة ١٢٨٩ ويسمى (هدامه) ايضاً لهدمه كثيراً من البيوت .

الهيلق : جوع اصاب الكويتيين فاضطرهم الى أكل دماء البهائم التي تذبح ابتداء من سنة ١٢٨٥ ولم ينته إلا في سنة ١٢٨٨ ، وكان لرجلين من أفاضل الكويتيين ومثريهم يد بيضاء في تلك الأزمة الشديدة هما[1] يوسف البدر ويوسف الصبيح . أما الاول فكان يفرج كربات المعوزين والمحتاجين بما يبذله لهم من المال ، وأما الثاني فاتخذ له بيتين احدهما في الكويت والثاني في الزبير يأوي اليهما الفقراء ، وقد كان يقوم في كليهما بما يحتاجه الأحياء منهم من طعام وكسوة وبتجهيز من يتوفى الى رحمة الله تعالى . في هذين الفاضلين المحسنين يقول الاخرس من قصيدة بعث بها الى احد أدباء الكويت إذ ذاك من آل الخيزيم :

ان الكويت حماها الله قد بلغت ... باليوسفين مكان السبعة الشهب
تالله ما سمعت أذني ولا بصرت ... عيني بعزهما في سائر العرب
فيوسف بن صبيح طيب عنصره ... أذكى من المسك ان يعبق وان يطب
ويوسف البدر في سعد وفي شرف ... بدر الأماجد لم يغرب ولم يغب

---

(١) وقد أرخ وفاته عبدالله الفرج بقوله : آلت اليه الحور في الجنات .

فخر الأكارم والامجـاد قاطبة وآفـــة الفضة البيضاء والذهب
من كل ما بسطت فيالجود راحته صوب المكارم من ايديه في وصب

الطبعة : هي في لغة الكويتيين (الغرق) في البحر والمراد بها غرق سفن عديدة لهم هناك بسبب عواصف البحر وزوابعه يقال كانت في سنة ١٢٨٨.

الطاعون : في سنة ١٢٤٧ اصيبت الكويت بطاعون عظيم قضى على كثير من اهلها حتى كادت تصبح منه قفراً يبابا لولا المسافرون من اهلهـــا الذين لم يتراجعوا اليها بعد صفاء جوها من تلك الظلمة ، رجعوا اليها ولكن وجدوا الطاعون قد فتك بكثير من نسائهم فاضطروا إلى استقدام عوضهن من البلاد المجاورة كالزبير ونجد وغيرها،وبذلك حفظوا البلد من العدم والفناء،وفي اثناء تلك المعمعة أغلق اهل بيت في (الشرق) دارهم وادخروا فيها ما يكفيهم من طعام وشراب ولم يسمحوا لأحد بالدخول عليهم خوفاً من تسرب العدوى .

فكان هذا البيت من جراء هذا التحفظ هو الوحيد في الكويت الذي لم يصب من يد الطاعون بضرر غير أن امرأة منهم حاولت الخروج لتنظر ما أصاب اهلها فانزلوها بحبل من السطح ثم رجعت اليهم اخـيراً فلم يفتحوا لها فرجعت أدراجها وقضي عليها كما قضي على غيرها .

الدبا [١] : في سنة ١٣٠٧ ارسل الله على اهل الكويت دبا عظيماً أكل الزرع واهلك الحرث والنسل وآذى الاطفال وامتلأت منه الآبار حتى انتنت واصيب الناس منه بما اقلق راحتهم وأطار النوم من اعينهم واستمرت شدته من اثني عشر رمضان الى اربع وعشرين منه وقد قال المرحوم الشيخ خالد العدساني في تلك المصيبة :

الله اكبر كيف القمل الضعفا آذى الأنام ومنه الزرع قد تلفا

---

(١) الدبا ـــ الجراد .

وصير الأرض بيضا لا نبات بها | كأنه لم يكن فيها وما عرفا
قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعه | شيء فما مل من شيء ولا وقفا
حتى أتانا فعمتنا بليتـــه | وقد كسى الأرض ثوباً منه مختلفا
فلم نر طرقاً إلا وقـــد ملئت | ولا جداراً ولا سقفاً ولا غرفا
وأصبحت جمـلة الآبار منتنة | كأن في جوفها من ريحه جيفا
وكل طفل له من اهله حرس | يحمونه يقظة منه وحين غفا
واشتد أمر الورى من عظم كثرته | ومن اذاه وما ظنوه منصرفا
فقال كلّ أما والله ذا سخطٌ | قد اوجبته معاصينا فوا أسفا
أتى لعشر من الشهر الشريف خلت | مع ليلتين وبعد الضعف قد ضعفا
وكان في سنة السبع التي وقعت | بعد الثلاث التي قد جاوزت الفا
فالحمـد لله والشكر الجميل له | في كل حال فمولانا بنـا لطفا

طمع الدول بالكويت

عرف الكثير من الدول الكويت وعرفوا ما لها من مركز عظيم في التجارة والسياسة على ضفاف الخليج العربي ، فودوا امتلاكها ليستدروا ضرعها وينفردوا بخيرها ، او بالأقل تكون لهم فيها أيد عاملة وتدخل في شؤونها الداخلية .

الدولة العثمانية : من تلك الدول الدولة العثمانية ، وقد حاولت ذلك على يد مدحت باشا والي بغداد وعلى أيدي من كان قبله من ولاتها . أما هو فأقنع حكامها بقبول الحماية مع إعفائها من الرسوم الجمركية والتكاليف الاميرية ، فقبلوا ورفعوا الراية العثمانية زمناً ليس بالقصير الى ان حدث ما أوجب عليهم الدخول في المعاهدة مع انكلترا كما يأتي :

المانيا : اما المانيا فقد سعت وبذلت الجهد العظيم في ان تتحصل منها موضع قدم ، وتوسلت لذلك بالمال وبغيره ولكنها لم تفلح .

ففي رمضان سنة ١٣٢٧ هـ . قدم (ستمربخ) قنصلها في الآستانة الكويت عن طريق البر ومعه كتاب توصية من مشير بغداد الى مبارك ، وقد بعث بكتاب اليه يشعره فيه بقدومه قبل ان يصل الكويت بثلاث ساعات . وكان غرضه من سياحته تلك ، البحث عن موضع صالح لسكة حديد بغداد في ارض الكويت . نزل الرجل في ضيافة مبارك وأبلغه الرغبة في إيصال السكة الى

(كاظمه) وقال له انها اذا وصلت هناك فسترتفع قيمة اراضيها ارتفاعاً عظيماً فالتي تكون قيمتها ليرة واحدة تصبح قيمتها ٢٠ ليرة ، ولكن مباركاً امتنع عن إجابته معتذراً بأن رعيته لا توافق على ما طلب ولا ترضى به . فلم يقنع القنصل وقال لمبارك في استطاعتك اقناعهم فيما تريد وفي وسعك مخالفتهم اذا لم يقبلوا لأنهم تحت أمرك وأنت مليكهم ، فلم يؤثر هذا القول فيه وأصر على ما قال اولاً وأمر القنصل بمغادرة المدينة والرجوع من حيث أتى .

وهناك بعد ان ترك القنصل الكويت أخبر مبارك رئيس الخليج في (ابو شهر) بما جرى ، وأبان له ان السبب الحقيقي الذي منعه من اجابته ارتباطه مع انكلترا بالمعاهدة السرية التي تقضي بأن لا يبيع شيئاً من اراضي الكويت او يؤجرها إلى أي دولة من الدول إلا بمراجعتها ورضاها .

الالمان يحرضون الاتراك على الكويت واطرافها : يقول بعض الخبيرين ان الحملات التي وجهتها الحكومة العثمانية على الكويت كلها بإيعاز من ألمانيا لأن الالمان لما لم يفوزوا بشراء ما يريدون من اراضي الكويت أوعزوا لهم بالهجوم عليها، وعندما فشلوا بالخطط التي رسموها لهم رأوا أن آخر علاج هو الحصول على جزيرة بوبيان لأنهم اذا ملكوها وجعلوا خور عبدالله منتهى السكة الحديدية امنوا عليها كل اعتداء فحرضوا الاتراك على امتلاكها ، ولكن مباركاً ادعى دخولها في حدود بلده شمالاً ، فلم يسمعوا دعواه وأنشأوا فيها وفي صفوان وأم قصر نقطاً عسكرية الى ان جرى ما جرى من حوادث الحرب العامة .

هذا ما يقوله البعض عن حملات الاتراك على الكويت وأطرافها وستأتينا فيما بعد اسباب اخرى غير ما سمعت ، فان كان ما قيل صحيحاً فلا تناقض . لأن الحادثة الواحدة تكون لها أسباب عديدة ، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي .

الانكليز والكويت والمعاهدة : لم يكن لانكلترا علاقة مع أي حاكم

من حكام الكويت قبل مبارك ، وقد ارادت وحاولت ان يكون لها ذلك قبله كما سيأتي فلم يتم لها ما تريد نظراً لتلبد الجو السياسي اذ ذاك . أما في وقت مبارك فقد تحصلت على ما كانت تتمناه . وكان السبب الوحيد الذي أنالها ذلك هو طمع الحكومة العثمانية في مبارك ومحاولتها القضاء عليه وامتلاك بلده وانتهازها الفرص لتجريده من كل سلطة وانتصاب جل ولاة البصرة ضده من حمدي باشا الى من بعده ، وشدها بعضدهم كما سيأتي تفصيله في ترجمة مبارك .

فاتقاء لتلك الاخطار التي كان مبارك يتخوف من جانبها ، عقد اتفاقيات مع انكلترا ، احداها في العاشر من رمضان سنة ١٣١٦ هـ . والثانية في محرم سنة ١٣١٨ في الرابع والعشرين منه . والثالثة في الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣٢١ ونحن لم نقف رسمياً الى هذا اليوم على شيء من تفاصيل تلك الاتفاقيات ولا على شيء من شروطها وبنودها .

نعم كان الناس يتحدثون عن اشياء من موادها في المجالس والأندية في الكويت واليك ما هو شائع منها : (١) ان الحكم في عائلة مبارك لا غير من آل الصباح (٢) ليس لمبارك بيع أو تأجير شيء من اراضي الكويت لأي دولة اجنبية أو لرعاياها الا بمراجعة بريطانيا ورضاها بذلك.(٣) ولمبارك على الحكومة في مقابلة ما سمعت منع اعتداء الدول الأجنبية عنه.(٤) ان يكون صديقاً لصديقها وعدواً لعدوها . (٥) وليس للحكومة التدخل في شؤون البلد الداخلية ، لا في الحكم ولا في غيره مع الاعتراف باستقلالها . (٦) المنع من ان تكون الكويت مصدراً لإخراج السلاح الى الخارج .

ولكن مباركاً مع هذا كله لم يشأ الاعتراف بشيء مما سمعت وكان يميل للتكتم أمام الناس في ذلك ، سيما في عدم رغبته بالاتفاق مع انكلترا والحادثة التي جرت بينه وبين الأستاذ الكبير السيد رشيد رضا منشىء المنار الغراء تبين لنا الأمر واضحاً وتوقعنا على سياسته في ذلك .

قال الأستاذ في مجلته مجلد ١٦ ص ٣٩٨: « ومما أحب ان اذكره هنا – وهو من مباحث الرحلة – مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العلية والانكليز .

كنا نسمع المنافقين من رجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة ويعيبونه بطلب حماية الانكليز فسألته عن ذلك فقص علي قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجب نقيب البصرة مندوب الحكومة اليه، فكان جوابه موافقاً لجواب الشيخ مبارك ثم ذكرت ما قاله للشيخ فهد بك الهذال شيخ قبائل عنزة في العراق إذ كنت في ضيافته على نهر الفرات فصدق ما قاله الشيخ مبارك وزادني فوائد هو أعرف الناس بها وملخص ما قاله الشيخ مبارك انه في اواخر مدة عبد الحميد ساقت الدولة بعض العسكر من عربان ابن الرشيد الى قرب الكويت وأرسل المشير فيضي باشا السيد رجب النقيب ومعه نجيب بك ابن الوالي (لعله اخوه) الى الكويت فبلغاه انه قد صدرت ارادة سنية بوجوب خروجه من الكويت الى الاستانة أو الى حيث شاء من ولايات الدولة العثمانية والحكومة تعين له راتباً شهرياً يعيش به فإن لم يخرج طائعاً دخل الجند مع عرب ابن الرشيد وأخرجوه بالقوة. فسألهم ما هو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته . وذكر نقيب البصرة بما يعرف من اخلاصه للدولة واعانته لها بالمال عند كل حادث وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل المنتفك ، المالكين البصرة واخراجهم منها وجعلها في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوتهم الاحساء وغيرها. وطلب منه أن يعود الى البصرة فيقنع المشير بمراجعة الآستانة فقال له انما علينا البلاغ وليس في يدنا غيره ، قال : فخرجت من عندهما بقصد مشاورة أهلي وكانت حكومة الهند الانكليزية قد علمت بكل ما دبرته الدولة في ذلك وبمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر الى جهة الكويت فأرسلت مدرعتين فوقفتا تجاه البلد، فلما عدت رأيت امير الانكليز قد نزل من احدى المدرعتين ومعه بعض الجند فسألني عما جرى فأخبرته الخبر فقال ان حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على ان تبقى الكويت على حالها لا يتعرضون ولا نتعرض لها واذا غدروا وخالفوا فقد صار لنا حق الدخول في امرها ولا

يمكن أن نسمح لجندي عثماني ان يدخلهـــا واذا دخلوها برضاكم دمرناها على رؤوسكم ورؤوسهم ثم بلغ الاميرال ذلك لنقيب البصرة رسول الحكومة فقفل راجعاً وابلغ المشير ذلك فأمر المشير بصرف الجنود والعربان . قال : فما كان من تدخل الانجليز في أمر الكويت لم يكن يطلب مني ، بل كان هذا سببه وقد عرضوا علي أن اختار لنفسي راية أرفعها علماً لبلدي واعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة على رأسي وقد تعجبوا من قولي لهم انني اختار أن اكون دائماً عثمانياً قيل : تقول هذا بعد ان رأيت منهم ما رأيت قلت أن الولد اذا قسا في تربية ولده احياناً لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه الطاعة له .»

طمع الحكام في الكويت : وكذلك كانت انظـار الحكام أيضاً شاخصة اليها وآمالهم معلقة بالاستيلاء عليها . وقد حاولوا ذلك بطرق شتى ولكنهم لم ينالوا منها شيئاً ولم يفوزوا بما يبتغون واول من فتح عينيه نحوها شيوخ كعب والنصار وقد جرى بين الفريقين ما هو معروف من الوقائع التي سيأتينـــا الكلام عليها ، ثم شيوخ المنتفك كندر السعدون ثم السعوديون إبان سطواتهم الاولى ، ثم آل الرشيد بعد ان قوضوا خيام السعوديين من نجد وبعد ان دالت للسعوديين في نجد كروا راجعين اليها مرة اخرى وحاولوا ما حاولوه في المرة الاولى ثم الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر وابناء المرحومين الشهيدين محمد وجراح آل الصباح والشيخ يوسف آل ابراهيم ساعدهم الاكبر في حمـــلاتهم التي سنلم بها فيما بعد تفصيلاً . نعم قام هؤلاء الفضلاء بحملات عظيمة لأخـذ الثأر من مبارك ، حملات اقلقوا بها راحته وكادوا يقضون عليه ويذيقونه الحمام. قاموا بتلك الحملات مشتركين وغرضهم الوحيد هو مبارك وحده ولم يقصدوا احداً من اهل الكويت بسوء . كان هذا فيما مضى .

أما اليوم فالولاء التام ضارب اطنابه بين الفريقين وقد اعرضوا عن الماضي بما فيه وهذه سنة الله في خلقه فيوم حرب وآخر سلم، ونظراً إلى ان الحوادث

التي وقعت بينهم أصبحت من المعلومات البديهية التي لاكتهـا الالسن صغاراً وكباراً في الكويت ، وكانت حديث الناس في مجالسهم وشاعت بشروحها الطويلة عند غير الكويتيين ايضاً فاني اتخيل ان يكون العـــذر لي واسعاً في التبسط بها والحديث عنها ، اذ من العار أن يكون مؤرخ كويتي يتطلع الناس الى ما سيكتبه من حوادث بلده لا يفيد القراء بمثل ما يفيده الاجنبي البعيد.

من التجأ الى الكويت من الحكام : اعتصم بحمى الكويت كثير من الحكام والامراء وقد كان منهم من حاول هتك حرمتها وايصال الأذى إلى أهلهـــا ، ولكنها تناست جميع ذلك وقابلتهم بالاكرام مقابلة المخلصين البارين ، منهم راشد السعدون ، وقد فر من وجه الحكومة العثمانية في العراق وكان الحاكم اذ ذاك جابر الاول فأولاه عطفاً واحساناً مدة إقامته الى ان هدأت الأحوال ورجع الى مقره ، ثم ناصر باشا السعدون ايضاً ، ثم الشيخ محمد آل خليفة أحد حكام البحرين وكان ذلك في ايام عبدالله الصباح الثاني ، وتلا الجميع عظمة سلطان نجـــد عبد العزيز السعود وأبوه عبد الرحمن الفيصل وبعض العائلة السعودية وهناك نزلوا في أعز مكان بين الحفاوة والاكرام ، وقد اشترك في اكرامهم حكام الكويت ووجهاؤها الى ان نالوا ما لم يخطر لهم على بال وآخر من التجأ الى الكويت عبدالله البراهيم شيخ الزبير واولاده وآل جـــبر من ابناء الرشيد (١).

تاريخ الكويت القديم

تقع الكويت في الجزء الشمالي الغربي للخليج العربي الذي تطل عليه بلاد

---

(١) وإليك شاهداً لما قلنا كتبه الامام عبدالرحمن الفيصل للحكومة العثمانية بواسطة السيد رجب النقيب في ذي القعدة سنة ١٣١٩ عندما أخذ يستعطفها بزيادة مرتبه قال : (ولولا ما يحصل لنا من حضرة الشيخ مبارك الصباح من المساعدة وما أخذناه من التجار الكويتيين وغيره من الدين ما يزيد على ثلاثين الف ريال ما قدرنا على الاستقامة ولا شهراً واحد) .

مـــا بين النهرين القديمة والذي كان (وما زال يشكل طريقاً ملاحياً عالمياً هاماً) يصل الحضارات في الشرق الأدنى القديم التي قامت في بلاد مــا بين النهرين وسوريا والأناضول ومصر بحضارات جنوبي شرقي آسيا في الهند والصين وهذا يؤكد امكانية الوجود الحضاري القديم لمنطقة الكويت . ولقد أثبت هذا التنقيب الأثري الذي بدأ في الكويت على يد البعثة الدانمركية للتنقيب عن الآثار والتي بدأت أعمالها منذ عـام ١٩٥٨ في جزيرة فيلكا ولقد صدر تقرير عن قسم المتاحف لوزارة التربية بالكويت سنة ١٩٦٤ احتوى عرضاً موجزاً لأعمال الحفر وبه ثلاث وتسعون شكلاً تصور بعض ما عثر عليه من آثار في جزيرة فيلكا وكلها تثبت قيام حضارة تاريخية قديمة في الكويت ذلك لأن تلك البلاد تتصل من جهة الغرب بالجزيرة العربية التي هي جزء لا يتجزأ منها وكما انها تتصل بحراً بالخليج العربي فكان لا بد من أن يكون تاريخها في قديمه ووسيطه وحديثه مرتبطاً ارتباطاً وثيقـــاً بالجزيرة العربية وسكانها وبمنطقة الخليج .

ويذكر بعض المؤرخين ان الخليج كان الطريق الذي جاء منه السومريون الى الحوض الادنى لوادي الرافدين حيث أقاموا حضارتهم حوالي ٤٥٠٠ق.م. إلا أن الهجرات البشرية من وسط الجزيرة العربية التي كانت تتخذ طريقها الى الشمال كانت تعرج باستمرار على شاطىء الخليج ولذا قيـــل ان الفنيقيين الأوائل استقروا على سواحله قبل أن ينتقلوا الى ساحل البحر الأبيض المتوسط ولقد أقاموا على جزره حضارة قديمة ازدهرت مدة طويلة كانت تعرف بحضارة ديلمون وكان مركزها جزر البحرين وفيلكا وتؤكد ذلك الآثار العديدة التي وجدت في مناطق الحفريات بهـا إذ أن نقوشها تخالف تلك الخاصة بحضارة السومريين ولم يمنع ذلك اتصالها ببعضها .

ولقد ذكر البعض ان الاسكندر الاكبر حينما غزا بلدان الشرق أرسل أسطوله لاكتشاف الطريق الملاحي فيما بين مصب نهر السند وشط العرب عبر

الخليج في ٣٢٦ ق. م. وأقام الاغريق في فيلكا وقد عثر على حجر تذكاري عليه نصوص تعبر عن شكر الاغريق لالههم زيوس الى جانب آثار أخرى عديدة من الأعمدة والأواني والتماثيل كل هذه الأدلة التاريخية تؤكد قيام حضارة قديمة في الكويت عاصرت حضارات الشرق القديم .

ويذكر أحد المؤرخين أن أرض الكويت شهدت يوماً من أيام العرب بين الحارث بن عمرو بن حجر الكندي وبين المنذر بن ماء السماء حيث تنازعا ملك الحيرة وطارد المنذر الحارث حيث هزمه عند واره .

الكويت في العصر الوسيط

لما ظهرت دعوة الرسول محمد ﷺ انتشر الاسلام بين العرب وعم شبه الجزيرة ، خرج المسلمون لتبليغ رسالة نبيهم للناس كافة وقد شهدت شواطىء الخليج أول صدام بين الفرس والمسلمين في كاظمة (ذات السلاسل) المعروفة بالكويت وفيها تقهقر الفرس أمام المسلمين وذلك في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١٢ هجرية – ٦٣٣ م – ولقد كان الخليج طريقاً سلكه العرب لفتح فارس في خلافة عمر بن الخطاب وفي عهد الدولة الأموية أصبح الخليج أهم طرق التجارة في العالم وازدهرت التجارة في منطقة الخليج في عهد العباسيين وخاصة بعد بناء بغداد – ويذكر أن القبائل العربية كانت تتردد على الركن الشمالي الغربي من الخليج طوال العصور الاسلامية ويبدو أن منطقة كاظمة كان لها ذكر تكرر في أخبار الشعراء وكذلك أكثر ياقوت من ذكرها في معجم البلدان – وكانت هذه القبائل العربية تقيم بهذه المنطقة في فصل الشتاء والربيع لما بها من بعض الآبار الصالحة للشرب ولكونها على الطريق الى جنوبي العراق .

تاريخ الكويت في العصر الحديث

إن ما ذكره المؤرخون في التاريخ القديم والوسيط كان يقصد به منطقة

الكويت عامة لأن المدينة الحالية حديثة العهد لم تنشأ ولم تبرز الى الوجود إلا منذ ثلاثة قرون على الاكثر، ولقد عرف شاطىء الكويت أيام البرتغاليين باسم القرين وربما يكون البرتغاليون هم الذين سموه بهذا الاسم حيث يذكر أنهم وصلوا الى جزيرة فيلكا وأقاموا لهم حصناً في الجزيرة الواقعة في الجون أمام ميناء الشويخ الحالية .

وكلمة الكويت تصغير لكوت وهي كلمة مشهورة متعارفة في العراق ونجد وبعض البلاد العربية وهي تطلق علىالبيت المرتفع المبني كالحصن والقلعة وسميت بذلك الاسم نسبة إلى حصن صغير كان موجوداً فيها،قبل بناه محمد بن عريعر زعيم بني خالد وجعله مستودعاً للزاد والذخيرة ومايحتاج اليه، ولا نستطيع أن نؤكد تاريخ نشأتهـا بالدقة لعدم وجود أسانيد تاريخية ولكن يذكر بعض المؤرخين ان الكويت الحديثة نشأت في منتصف القرن السابع عشر الميلادي حول الكوت المذكور وكانت في أول أمرها قريـة صغيرة سكنها جماعة من البدو وصيادي السمك وبعض العشائر التابعة لابن عريعر، ولم يظهر شأنها إلا حينما سكنها بعض الأسر ذات الشأن كآل الصباح وآل خليفة والجلاهمة والمعاودة مهاجرين اليها من نجد وأول من شاد فيها البيوت الحجرية هم آل الصباح الذين اتخذوها مقراً لهم فالكويت حينئذ لم يملكهـا اجنبي عن القوم الذين أسسوها والأرجح أن الكويت لم تعرف باسمها الحالي إلا في منتصف القرن السابع عشر أي منذ حكمها آل الصباح .

آل صبـــاح

ينتمي آل صبـــاح الى قبيلة عنيزه التي كانت من اكبر قبائل نجد وقد ذكرها الجغرافي العربي الحمداني في كتابه بانها كانت توجد في نجد في القرن العاشر الميلادي . وكانت القبائل تقسم الى أفخاذ وبطون وعشائر فيها فخـذ

جميلة التي بسطت نفوذها على الافلاج في نجد ومن جميلة خرجت قبائل العثوب التي تفرع منها آل صباح وآل خليفة .

ويذكر بعض المؤرخين ان آل الصباح وآل خليفة وغيرهم قد نزحوا من نجد حوالي سنة ١٧١٠ م بسبب الحروب بين القبائل ولاشتداد قحط دام مدة طويلة . وبعد أن استقر آل الصباح بالكويت بدأت تنمو وتتقدم في السكان وفي الثروة وتمكن آل الصباح وحلفاؤهم ومؤازروهم من القبائل المجاورة من تثبيت مركزهم وتقويته ضد بني خالد الذين كانت لهم السيادة على جميع الشاطىء الشرقي للجزيرة . وكان أقدم من زار المنطقة من الاوروبيين سائح دانمركي اسمه كارستن نيبور Carsten Niebuhor الذي مر بمنطقة الخليج العربي سنة ١٧٦٤ وزار الكويت سنة ١٧٦٥، ولقد ذكر أن الكويت كانت مدينة تجارية عامرة وفي سنة ١٧٧٦ هاجر اليها كثير من أهل البصرة واتخذوها موطناً لهم فراراً من الفرس الذين استولوا على البصرة في ذلك العام ورحب بهم أهل الكويت—وفي اثناء الاحتلال الفارسي للبصرة (١٧٧٦ — ١٧٧٩) تحولت تجارة البصرة مع بغداد وحلب وأزمير والاستانة إلى الكويت ثم أخذت توطد صلتها التجارية بالموانىء العربية وهذا أدى إلى زيادة ثروتها ولقد زارها الكثير من الرحالة الاوروبيين والاجانب مثل الرحالة الانكليزي ستوكلر وليم بالجريف الذي وصفها بأنها أكثر موانىء الخليج العربي نشاطاً وحركة وأشاد بأخلاق سكانها وقال إنهم في المقام الاول بين سكان الموانىء الاخرى من حيث الشجاعة والمهارة والمسالمة ومتانة الخلق وان الرسوم الجمركية كانت زهيدة . ولقد أخذت ميناء الكويت تزدهر بسبب صلاحية الميناء وتحولت اليها تجارة البصرة وكان السكان يعملون إلى جانب التجارة والرعي في الغوص وصيد اللؤلؤ ، والمعروف ان اللؤلؤ المستخرج من الخليج العربي من أجود أنواع اللؤلؤ في العالم وصيده من أشق الحرف وأتعبها حيث تقضي جماعة الغوص نحو مائة يوم في عرض البحر في جو حار وشمس محرقة، ولا يتناول الغواص خلالها من الزاد

إلا ما يكفي لاقامة أوده وهو عرضة لأن تفترسه الاسماك المتوحشة في كل لحظة من لحظات وجوده تحت الماء . وكان موسم الغوص في فترة الدفء من اوائل يونيه حتى أواخر سبتمبر من كل عام ، وكان للؤلؤ أهمية كبرى في حياة الكويت حيث كان الحرفة الرئيسية للمجتمع قبل اكتشاف البترول ولقد قامت في الكويت عدة صناعات كالتجارة والحدادة والصياغة والبناء .. وأهم هذه الصناعات صناعة بناء السفن ، وكانت الاخشاب تستورد من الهند فتصنع منها السفن الشراعية المختلفة الانواع والاحجام ،وأهمها سفن الغوص وسفن السفر وسفن النقل . وباكتشاف البترول دخلت الكويت في عصر نهضتها الحديثة .

حكام الكويت

عشرة من الحكام قبضوا على زمام الحكم في الكويت كلهم من آل الصباح منذ تأسيسها الى يومنا هذا. وسأذكر هنا ما وصل الي من اخبارهم وحوادثهم آخذاً له من اوثق المصادر التي سمعتها أو وقفت عليها بنفسي .

الحاكم الاول

صباح الاول

لا نعرف عن صباح شيئاً ، الا انه أول حكام ذلك البيت ، وانه الذي تأسست الكويت في عهده ، وانه زعيم تلك العائلة التي حكمت الكويت وأنها التي تنسب اليه .

لم يتول صباح الحكم في أول تأسيس الكويت،فان آل الصباح ومن هاجر معهم مضت لهم بعد نزولها مدة لا رئيس لهم فاجمعوا أمرهم أخيراً على انتخابه ولكنه لم يقبل الا بعد أن أخذ عليهم نفوذ حكمه على الشريف والوضيع يقال توفي حوالي سنة ١١٩٠ .

اولاد صباح: ولصباح من الاولاد الذكور خمسة : عبدالله وهو الذي حكم بعده . سلمان ، مالج ، محمد ، مبارك .

الحاكم الثاني عبدالله
الاول بن صباح الاول

تولى الحكم بعد وفاة ابيه صباح ، كان عبدالله شجاعاً عادلا عاقلا كريماً حليماً له في سرعة الخاطر نوادر تدل على جودة ذهنه وقوة ادراكه .

بعد أن علم ابن عريعر بوفاة صباح زم مطاياه الى الكويت ليعزي آله فيها فقابله عبدالله خارج البلد وليس معه الا قليل من الرجال فأراد ابن عريعر تنبيهه الى خطئه في اهماله وان مقابلته لزائري بلده من غير استعداد يعد من خرق السياسة ، سيما ومن المحتمل أن يكون فيهم من يتحين الفرص للقضاء عليه. أراد ذلك وماذا عمل . قبض على شحمة أذنه وهزها هزة قوية دمعت منها عيناه وقد فهم عبدالله ما أراد فقال له : (أما أنت فوالدي) وعبدالله يريد بقوله هذا اني اذا قابلتك ولم استعد فلأني مطمئن القلب منك وواثق بحسن نيتك ، اذ أنت بمنزلة والدي واما غيرك فآخذ حذري منه وأعد لمقابلته العدة.

واقعة الرقة بين أهل الكويت وكعب

استمر آل الصباح في ابان ضعفهم في الكويت مدة ولم يبد من اعدائهم اذ ذاك طمع فيهم ولا في بلدهم ، ولكن بعد ان ترعرعت الكويت وبدت النضارة في وجهها طمحت انظار كعب اليها وودوا امتلاكها قبل ان تبلغ اشدها، غير انهم تظاهروا بغير ما أرادوا – تعمية وتضليلا تظاهروا بخطبة (مريم) ابنة عبدالله لأحد ابنائهم ، تظاهروا بذلك وهم عالمون أن طلبهم لا يجاب ، وقد استشار عبدالله زعماء قومه في طلبهم فأظهروا أشد الاباء والامتناع وحذروه من الانصياع لهم والخنوع لما يريدون . وأخيراً علموا بما يرمون اليه فأخذوا للحرب اهبته وأودعوا نساءهم وأموالهم في سفن وساروا بسفن أخرى لمقابلة عدوهم ولكن عبدالله بعد أن ساروا خاف عليهم من تغلب أعدائهم ،فندم على ما فرط ندماً عظيماً اضطره الى ان يبعث من يرجعهم قبل أن يشتبكوا وإياهم

في قتال، ولكن الرسول عندما أقبل عليهم رفع راية سوداء وقال ان عبدالله يقول : (سود الله وجوهكم الى الآن انتم لم تتاجزوا العدو أتظنون أن المرء يموت قبـــل يومه) فحرك كلامه هذا ساكناً فيهم وغادرهم يتقدمون بكل شجاعة وجرأة، فجرت وقعة هائلة بين الفريقين في الرقة[1] كان النصر حليف الكويتيين واختلفت الروايات في سبب انتصارهم على قلتهم .

قيل : رأوا أن يكون هجومهم على سفن الزعماء أولاً ثم على بقية السفن ثانياً ، وانهم فعلوا ذلك ونجحوا حيث خارت قوى بقية الجند عندما ثخن القتل في زعمائهم فأركنوا الى الفرار، وقيل إن الماء جزر عن السفن فاستوت سفن العدو على الأرض ولم تطق حراكاً لضخامتها . أمـــا السفن الكويتية فأحاطت بها وأجهزت على من فيها نظراً لصغرها . وقيل قد سكن الهواء فلم تطق سفن كعب السير . وأمـــا السفن الأخرى فتمكن أهلها من اجرائها بالمجاديف وهجموا على كل سفينة وحدها واستولوا على ما فيها من ذخيرة ومدافع بعد أن قتلوا من قتلوا . ثم كروا راجعين الى وطنهم وهم يعتزون بالنصر فنصبوا المدافع[2] على ساحل البحر ونصبوا شيئاً منهـــا داخل البلد تذكاراً لانتصارهم في تلك الخطبة إذ كانت وبالاً على كعب وخطوباً مظلمة عليهم .

حاولوا أخذهـــا اغتصاباً لهذا   خطبة القوم اسفرت عن خطوب

هذا ما يلهج به الكثيرون في تلك الحادثة. ومنهم من يقول ان آ ل الصباح بعد أن أحسوا من أنفسهم القوة رفضوا في أحـــد الأيام اجابة كعب الى التكاليف التي ضربوها عليهم فجرى من جراء ذلك ما جرى .

---

(١) الرقة هي قطعة من البحر قرب فيلكا يقل فيها الماء وقت الجزر بحيث لا تطيق السفن المتوسطة المرور منها .

(٢) وهناك مدافع اخرى جاءوا بها من أبي شهر .

هجرة آل خليفة حكام البحرين من الكويت

علمت فيما مضى أن آل خليفة هم ممن هاجر مع آل الصباح الى الكويت ، ولهم فيها الى الآن آثار معروفة ، وقد ارتحلوا منها في أول حركة كعب ، لأنهم رأوا الاقامة فيها والحالة هذه ذلة لا تطاق، ولهذا قال شاعرهم النبطي:

هب الهبوب وطير الشر والجال[1] والي[2] بقى حاشا[3] الردى والمذلة

فأجابه شاعر المقيمين بقوله :

هب الدبور وطير التبن والجال لا بقى إلا مصحصح[4] الحب كله

ثم انظر ماذا جرى للفريقين بعد هذا ، ارتحل الأولون فكانوا في النهاية حكام البحرين ، وبقي الآخرون متذرعين بالصبر حتى احرزوا النصر المبين الذي بيض صحيفة تاريخهم .

---

(١) الجال : مقلوب الجلي اي انكشف. (٢) والي : بمعنى الذي. (٣) حاشا الردى : نال الردى (٤) مصحصح : أي خالص .

غزوات تعرضت لها الكويت

غزو سعود بن عبد العزيز السعود الكويت

خيم سعود على الجهراء في احدى غزواته العراقية فبادره عبدالله بارسال الضيافة اليه هناك ، ولكنه مع هذا الاحسان هم بالكويت متناسيا الجميل فنهاه احد رجاله المقدمين مظهراً له صعوبة الاستيلاء عليها لسورها المنيع ، ولأن اهلها لا يرضخون لسواهم واذا ما حاول الغير منهم مـا يكرهون ولم يجدوا لهم ملجأ عنه ضربوا بسفنهم عرض البحر وتركوها لا انيس بها فرمى ابن سعود برأيه عرض الحائط وصمم على قضاء مأربه منها مها كانت الحال فارتحل عن الجهراء ونزل على (الشامية) وهي موردهم ومحتطبهم الوحيد اذ ذاك ليضطرهم الى التسليم بدون حرب ظنا منه ان لا غناء لهم عنها ، ولكن خاب ظنه فانهم شرعوا يستقون الماء من (فيلكا) ويأتون بالحطب من البصرة ، وقد طال مكثه وهو يجهل الحقيقة فبعثوا اليه ليكشفوا له جلية الأمر بدواب تحمل حطبا وماء فعلم سعود بعد وصول تلك الهدية الثمينة بما يقصدون منها ، وان حصاره ذهب سدى فارتحل .

وقيل ان سعودا بعث إلى عبدالرحمن بن زين كتابا ليرسل اليه شيئاً من الذخيرة وبعض الالات الحربية ، ولكن عبد الرحمن سلم الكتاب الى عبدالله آل الصباح قبل ان يعلم بما فيه وطلب اليه ان يفضه بنفسه . فعل عبدالرحمن ذلك لئلا يتهم بالميل الى سعود وبالتواطؤ معه فيما طلب ، وقد علم عبدالله

عندما قرأه ان سعوداً نصب لصاحبه شركا ليوقعه فيه . ذلك ان عبدالرحمن كان له نخل في القطيف فاراد سعود ان يتخذ من امتناعه عن ارسال ما اراد حجة للاستيلاء عليه ، علم عبدالله بذلك دون غيره بفطنته الوقادة فوقع بين أمرين عظيمين : الامتناع وفيه ما فيه والتسليم وهو يحدث ضجة في الكويت ولكنه مع هذا فضل الاخير ولم يصغ لاقوال الناس ممن لم يعرفوا حقيقة الأمر.

وبذلك اخفقت مساعي سعود وعلم ان حيلته لم تنطل وان الذي افسدها هو عبد الله وحده فارتحل من الجهراء ونزل بالفنطاس وكان احد رجاله اذ ذاك في الكويت فشهد الاضطراب الذي حصل من اهلها وسمع اللوم القارص الذي كانوا يوجهونه الى عبدالله في غضه النظر عن عمل عبد الرحمن ، وقد سمع الرجل غير هذا تهكما بسعود واستهزاء بقوته والرغبة في منازلته من جابر بن عبدالله آل الصباح . اما سعود فرأى نفسه مضطراً عندما افضى اليه الرجل بما شاهد وسمع في الكويت الى مهاجمتها وقد كاد ان يفعل لولا نصيحة (حجيلان) له بان لا يفعل وهو احد رجاله الذين يعتمد عليهم .

غزو ابراهيم بن عفيصان للكويت

قال ابن غنام [1] المؤرخ النجدي عن تلك الغزوة في تاريخه :

« (وفيها) أي سنة ١٢٠٨ غزا ابراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير فشمر ساعده للجد في السير حتى وصل الى بلد الكويت بعد الهجوم فاناخ يهيء ما معه من الجموع حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكمين ثم بعد الاسفار غارت خيول المسلمين فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعقدوا للحرب المجال . ثم بعد ذلك ظهر

(١) نقلنا عبارة ابن غنام بلفظها هنا وفيما سيأتي ليعلم القارىء بطريقة الانشاء في ذلك الوقت وبين اولئك القوم وبما كانوا ينظرون به الى مجاوريهم .

عليهم السكين فولوا مدبرين وعمدوا الى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو ثلاثين وأخذوا عليهم غنماً كثيرة واسلحة ثمينــــة شهيرة ورجعوا الى بلادهم فائزين وللمال والاجر حائزين اهـ . ص ١٩١ » .

غزو ابو رجلين

وقال ابن غنام ايضاً في تاريخه عن هذه الغزوة :

« (وفيها) أي سنة ١٢١١ غزا ابو رجلين من أهل الاحساء بغزو اميرهم ابو رجلين مناع . فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ، ولا حيلولة ولا دفاع، فصبحوا تلك البلد بعد حث واسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد. بعدما جعلوا لهم كميناً للجلاد . فأخذوا غنماً كثيراً وفزع اهل البلاد بجموع غزيرة. وعدة عظيمة شهيرة . فوقع بينهم قتال من بعيد والرمي يصيب فيهم ويحيد. وكل من الفئتين ليس له سوى الثبات من محيد. حتى طلع ذلك الكمين المعدود . فانهزم اهل البلد عائدين وكان لهم اليها ورود وما كان لهم دون ذلك من صدود ، فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شرابهـــم ، وعجل الله تعالى عذابهم فقتل منهم نيف وعشرون . وأخـــذ ما معهم من سلاح وولـّى الباقي منهم منهزمين اهـ » .

ونظراً الى ان اهل الكويت إذ ذاك كان في استطاعتهم مع دفع المهاجين لبلدهم أخذ الثار منهم فقد هبوا من مراقدهم بعد هاتين الغارتين فرموا بعض القبائل التي كانت تحت ظل آل السعود بسرية ترأسها مشاري بن عبــدالله الحسين . ونحن لا نعلم بحقيقة ما وقع لها غير ان ابن غنـــام المؤرخ النجدي ايضاً يحدثنا عنها في تاريخه بما سأتلوه بلفظه قال : « (وفيها) (أي سنة ١٢١١) أغار مشاري بن عبدالله الحسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازياً من الكويت مع اهل عشر بن مطية وبعض من الخيل فلم يدرك إلا الرزية ومفاجآت الحمام والمنية معاقبة لافعاله الردية وشؤم صنعه

في البرية . ونفرته من التوحيد . وموالاته لكل شيطان مريد وبذل جده في مصادمة الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيـامه مع من تعدى وجار وساير طوائف الفساق والفجار . وما ربك بغـــافل عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار » .

وقد تكون الحقيقة في شأن تلك السرية كما ذكر المؤرخ وقد تكون ضدها ولكن مهما يكن فاننا نستدل منها على تطور الكويت أيام عبدالله في الامور الحربية . توفي عبدالله سنة ١٢٢٩ . (اولاد عبدالله) ليس لعبدالله من الذكور الا ابنه جابر الذي تولى بعده .

الحاكم الثالث جابر الاول ابن عبدالله الصباح
وما جرى في زمنه

هجر جابر الكويت وذهب الى البحرين لمغاضبته أباه . وقد أقـام هناك الى أن توفي والده، فأقام الكويتيون (محمد السلمان) على منصة الحكم نائباً عنه لا غير لأن ميلهم الى جابر شديد جداً لأخلاقه العالية وكرمه الذي ستعرفه بعد . ثم أرسلوا بعد هذا اليه يستقدمونه الى الكويت وما هو الا ان وطأت قدمه أرضها حتى مدت له أيدي الطاعة وبويـع له بالامارة سنة ١٢٢٩ .

صفات جابر

كان جابر عاقلاً حليماً حازماً كريماً يضرب بكرمه المثل وقد سمي (جابر العيش) لكثرة ما يتصدق به على الفقراء والمساكين، والعيش في لسان الكويتين يطلق على (الرز) ، ومن الغريب أنه مع هذا البذل العظـــيم لم تكن له من المصادر التي يستقي منها إلا نزراً يسيراً لا ينقع غله ولا يطفيء ظمأه . ولقد عرف كرمه وارتفاع قدره في السخاء بعض معاصريه من الحكام والامراء فرفعوه الى اعلى مقام تحسده عليه الكواكب النيرة .

ما قاله بندر السعدون عن كرم جابر

ضعف جانب الود بين الاثنين يوماً ما فأراد بندر ازالة ما حصل وإحكام رابطة الاخاء، وفيما هو يفكر بوصله الى ما يريد جاءه رجلان من جابر لبعض الامور فانتهز بندر فرصة وجودهما في ضيافته ، فقال بعد أن غص المجلس بالناس والرجلان شاهدان (من الذي يستحق وصف الكريم في هذه الجزيرة) ؟ فقال الحاضرون جميعاً انت ايها الامير ، فقال : ما الكريم في الحقيقة الا جابر الصبـــاح (أخو مريم) الذي كان يبسط (الحصر) في الاسواق ويملأها من (التمّن) للمحتاجين وليس له واردات تغنيه ، أما أنا فلا فخر لي وكثير من أملاك البصرة بيدي .

غزوات حدثت في زمنه
بندر يهم بغزو الكويت

لسبب لا نعلمه وفي سنة لا نعرف تاريخها همّ بندر بغزو الكويت متخذاً تهدم سورها فرصة لهجومه ولكن الكويتيين وقد علموا بعزمه اهتموا باصلاح السور ليقيهم شر اعتدائه فتركوه في وقت قريب سوراً منيعاً وكانوا في اثناء اشتغالهم باصلاحه يرتجزون بقول شاعرهم النبطي :

قل لبندر قـل له   لا يغره مـــاله
الاطواب جرت له   والسور يبنى له

وما كان من بندر بعد ما علم بما جرى وعلم بحماس الكويتيين إلا أن ينزل عن صهوة عزمه ويترك الكويت وشأنها .

بندر يغزو الكويت

لكن بندر لم يقتنع نهائياً بالعدول عن الغزو ، حيث رأيناه أخيراً زحف

على الكويت بجيش جرار خيم به في (ملح) ، وماذا صنع الكويتيون بعد أن نزل هناك ، ارادوا قبل كل شيء أن يعلموه بصعوبة ما يحـــاول وانه لا يفوز منهم بطائل مهما كان له مــــن الانتصار ، أرادوا ذلك فبعثوا اليه (عبدالرحمن الدويرج) أحدُ زعمائهم وأحد أصدقاء بندر المخلصين ليعتب عليه فيما عمل ويخوفه من سوء العاقبة فقال عبدالرحمن لبندر بعد أن اجتمع به وبندر لا يشك في صدقه واخلاصه :

(ما لك ولحرب أهل الكويت فانهم تعاهدوا على مناجزتك وعلى أن يقاتلوك قتال المستميت وقد أودعوا أموالهم ونساءهم والعزيز لديهم في سفن شراعية فاذا ما خذلوا في الميدان امتطوا غواربها الى حيث لا تنالهم قوتك ولا ترهبهم سطوتك. ثم ما الذي يدفعك الى هذا المضيق وجابر لا يرى بينك وبينه ما يقتضي غمار الحرب وسفك الدماء البريئة . وهو مع هذا كله مستعد لان يقدم لك ما أنت في حاجة اليه من ذخيرة وطعام .

ففت عبدالرحمن بكلامه هذا في عضد بندر وخامره منه اليأس وعلم أن عاقبة البقاء او الهجوم وخيمة عليه فأظهر انصياعه للأمر وكسى الرسول كسوة فاخرة وأرجعه معززاً مكرماً ومزوداً بالتحية لجابر وقومه ثم قفل راجعاً من حيث أتى .

غزو جابر على النصار [١] في البريم [٢]

غزا جابر النصار باسطول كان هو قائده بنفسه وقد قيل في سبب هذه الغزوة أن النصار قتلوا رجلاً من بيت آل الدبوس من أهل الكويت . ومهما يكن فان جابراً عندما أقبل عليهم في البريم وعلموا بما يحاول ويريد تجمهروا

---

(١) النصار قبيلة من القبائل العربية القاطنة في الجهة الشرقية من شط العرب وغيرها .
(٢) البريم موضع معروف على ساحل شط العرب الشرقي .

حول الشاطىء وهم ينشدون الأناشيد الحربية الحماسية وقد تعاهدوا على صد المهاجمين .

أما أهل الكويت فهمّوا اذ ذاك بالنزول لمناجزتهم وقد بلغ بهم الحماس أشده ولكن جابراً وقد كان يتحين فرصة سانحة لم يرها حانت بعد منعهم مما ارادوا ، وفي تلك الآونة وقد أخلدوا الى الراحة والسكون نزل منهم رجل اسمه « سالم » عاضاً سيفه بأسنانه وهو متجه لهم ولم يبصره أهل سفينته الا بعد ان نزل فقالوا بصوت واحد (سالم سالم) وهناك وقد سمع بقية السفن أقلعوا جميعاً خلفه ولم يتراجعوا الا في ساحة الوغى فوقعت بين الفريقين معركة هائلة فرّ فيها النصار تاركين كثيراً من أموالهم وكثيراً من رجالهم جرحى وقتلى وقد حاول الكويتيون مطاردة المنهزمين فصدهم جابر وقال :(اتركوا للذليل مهزما) ثم كروا راجعين الى وطنهم غانمين منتصرين وفي هذه الحادثة يقول بعض شعراء النبط :

خاسر ياللي[1] قعد[2] في الديرة[3] ما حضر يوماً على النصار

راشد السعدون يلجأ الى الكويت

ثارت بين راشد السعدون والحكومة العثمانية في العراق فتنة ففر راشد من أمامها ولم يجد له ملجأ إلا الكويت وقد اعتصم فيها بحمى جابر وظل يتقلب هناك على فرش الاكرام والاحترام حتى انساه جابر باحسانه مصيبته التي نزلت به ، ويقال ايضاً أن جابراً أظهر له الاستعداد بمعاضدته في رد جماح الحكومة العثمانية وفي السير اليها معه بنفسه .

---

(١) « يا للي » بمعنى الذي. (٢) « قعد » أي تأخر.
(٣) « الديرة » أي البلدة .

راشد يكافىء جابراً

لم ينس راشد اكرام جابر الذي غمره بـــه ولا احسانه الذي أخرس به لسانه فعرض عليه بعد ان رجع الى مقره (المعامر) بأسرها أو (ثلاثـــة حواز من الفاو) مكافأة له على افضاله فاختار الثلاثة الاحواز وضرب باختيار ابنائه (المعامر) الحائط وانما اختار ما اختار على قلته وترك ما هو اكثر منه واعمر لان للفاو مستقبلا لا يتسنى للمعامر نظراً لكون الفاو على شاطىء البحر والجهات التي تكون كذلك يطرد اتساع ارضها وزيادتها لتقدم الشاطىء في البحر بسبب ما يرميه النهر هناك من الطين وغيره .

ويقال في سبب تلك المكافأة ان راشداً نزل خارج الكويت في احد اسفاره ولم يكن جابر فيها فقامت اخته (مريم) مقامه في اكرام الزائر وتقديم الضيافة اللازمة له ، فأكبر راشد نباهة تلك المرأة وكرمها الحاتمي الذي أخجلته به فرأى من الواجب عليه أمام ذلك الاكرام ان يقوم بأمر يقابل ذاك الفضل والعطف ففعل ما فعل .

جابر يساعد الحكومة العثمانية في استخلاص البصرة

في أيام علي باشا والي بغداد خرجت بعض القبائل العراقية على الحكومة العثمانية حتى احتلت البصرة فاخرجت المتسلم والجند منها فرمى المتسلم نفسه بأحضان جابر والتجأ اليه فأنجده جابر بعدة سفن ملأى بالرجـــال والمدافع والذخيرة وسار فيها الى البصرة بنفسه ، فكان من أعظم المساعـــدين على استخلاصها وارجاعها الى أهلها ، وهناك شكرت الحكومة همّة جابر وكافأته على صنعه بمائة وخمسين (كارة من التمر) سنوياً وتكرمت عليه بفرمان وعلم أخضر وما زال الراتب يجري لآل الصبـــاح في زمن العثمانيين الى أول أيام مبارك الصباح .

مساعدة جابر للحكومة في انقاذ المحمرة من كعب

تغلبت قبيلة كعب على الحكومة العثمانية يوماً ما فطردت جندها من المحمرة وقبضت على زمامها فهبّ جابر في هذه المرة كما هب في الاولى وسار الى المحمرة بأسطول بحري لاستردادها من أيدي الغاصبين حتى نزع منها تلك الاقدام وسلمها الى اهلها وكر راجعاً الى وطنه وقـــد أبقى له في النفوس أثراً محموداً .

. المتسلم الفار من وجه الحكومة

هرب أحد متسلمي البصرة بأموال الحكومةالعثمانية الى الكويت فارسلت خلفه رجالاً يستردونه منها ولكن بعـــد ان التجأ الى جابر الذي وقف في وجوههم أظهر اشمئزازه العظيم من طلبهم لتسليم من أحاطه بحمايته وطـــال الجدال بينهم في ذلك حتى قال شاعرهم النبطي مخاطباً جابر :

يا ابن صباح أد الدخيل   وإلا فما لك مسكنه

فأجيب من أحد الكويتيين بقوله :

السموءل كافر مـــا أدى الدخيل
هل كيف سادات العرب تعجز عنه

وهناك أوعز جابر للمتسلم من طرف خفي بالسفر الى نجد مع قافلة كانت مزمعة الرحيل إذ ذاك تفادياً من تسليم من التجأ اليه،ولكنه مع هذا استحصل على شيء من المال الذي فر به فسلمه الى أولئك الرسل.

أحد ابناء الزهير يلتجيء الى جابر

حدثت فتنة فيما مضى بين آل الزهير وآل الثاقب قتل فيها كثير من آل

الزهير وكان من الباقين منهم رجل أودع أمواله يهودياً في البصرة فذهب اليه واختفى في داره ولكن اليهودي اضمر الغدر لصاحبه ليستخلص ما عنده من المال . وهناك أبلغ الخبر زعيم آل ثاقب الذي ورث كرسي الحكم في الزبير فبعث الزعيم في الحـــال من يأتي به اليه، ولما مثل أمامه وعلم انه يريد قتله افتدى نفسه منه بما أرضاه من المال ولكن ادعى ان ليس باستطاعته تسليمه إلا في الكويت حيث فيهـــا كثير من أقاربه ، فقبل أن يسير معه رجالاً لقبض المال هناك .

ساروا اليها جميعاً ولمـــا وصلوا أنزل الأسير على أحد أقاربه فأشار عليه قريبه بالالتجاء الى جابر .

ولكن وقد علم ان المحافظين عليه لا يفلتونه اذا أبصروه ألبسه ثوب امرأة وأخرج معه امرأة لتدله الطريق الى بيت جابر فخرج ولم يحس به أحد من رفاقه وساروا الى حامي الذمار فلم يجد في بيته إلا أخته « مريم » فأجارته على لسان أخيها الذي شكرها فيما بعد على ما عملت .

أما المحافظون فبعد أن علموا بافلات صاحبهم ذهبوا الى جابر وما أشد اندهاشهم عندما وجدوا صاحبهم بجانبه وهو يلاطفه بالحديث وقد اندهشوا أعظم من عدم اكتراث جابر بكلامهم وما يثوه اليه من الشكوى فقد قال لهم : « نحن لم نرسل على صاحبكم ولكنه استجار بنا فأجرناه فاللوم عليكم لتفريطكم واهمالكم » وبذلك لم ينالوا من صاحبهم شيئاً ورجعوا يتعثرون بأذيال الخيبة والحرمان وقد حفظ ابن زهير تلك اليد البيضاء لجابر فكافأه عليها بالصوفية وهي (وهي قطعة كبيرة من نخيل البصرة) .

جابر وأبو أهناد في البحرين والكويت

في الايام التي أقامها جابر في البحرين أراد شراء شاة من جاره «ابو اهناد» لضيف كريم نزل بـه ليلاً فقدمها ابو اهناد اليه مجاناً وأبى أن يقبل لها ثمناً

فأكبر جابر كرم الرجل وتمنى ان لو تتاح له فرصة ليكافئه على ما عمل ..

دارت الأيام دورتهـــا وحكم جابر الكويت ثم رمت الاقدار صاحبه في رحابها فجاء اليه ليشتري منه تمراً للتجارة ، فعلم جابر إذ ذاك أن هذا هو صاحبه في البحرين وان هذا هو اليوم الذي كان ينتظره . وهناك تجلى كرم جابر الذي يندر مثله بين امراء العرب بل وبين كثير غيرهم. بعد أن تم الاتفاق بين الاثنين وشرع ابو اهناد يعد القيمة لجابر قال له متظاهراً بالجهل بالحساب: « يا ابو اهناد اننا لا نريد إلا حقنا الواجب وأنت عددت اكثر منه فكأنك اردت ان تختبرنا في أخذ ما زاد على الحق فالذي لنا هو نصف ما عددت لا غير » فحاول ابو اهناد اقناعه فلم يقنع وخرج وحقيبته ملأى بنصف القيمة ولم يهتد الى السر في الأمر إلا بعد أن أعلمه أحد أصحابه بحقيقة ما جرى .

هكذا ينبغي ألا ينسى المعروف وأن يكافأ صاحبه بأضعاف ما أسداه سيما وان للسر في المكافأة والاحسان أثراً جميلاً لا يمحى من النفوس وهو يدل على الاخلاص الصحيح الذي لا تشوبه شائبة .

واردات جابر

لم يكن لجابر من الواردات إلا رسوماً طفيفة كان يتقاضاها على بعض الاموال التي ترد الكويت وما رتبته له الحكومة العثمانية من التمر وما كان يجنيه من نخل آل الزهير « الصوفية » ومن الثلاثة الاحواز التي منحه اياهـا راشد السعدون وكذا ما يجود به الكويتيون للقيام بما يحتاجه لاصلاح البلد وحمايتها من الاعداء ولبعض حاجاته الضرورية .

مبارك بن جابر وراشد السعدون

يقال ان مباركاً ذهب إلى راشد السعدون لتهنئته بأحـد الاعياد فأكرم راشد زائره بمنحه قسماً كبيراً من النخيل يقال في « المعامر » تذكاراً لتلك

الزيارة ولكن جابراً غضب على ابنه مبارك في قبوله والح عليه بارجاع ما أخذ الى صاحبه المتفضل فتغافل مبارك الى أن مضت السنة وبعد انقضائها ارجعه الى صاحبه المحسن .

جابر لا ينكر معروف أهل بلده

كان جابر لا يأخذ على أموال علي بن ابراهيم التي ترد الكويت شيئاً من الرسوم ، فغاظ عبد اللطيف بن خميس تخصيص جابر هذا الرجل دون سواه من تجار الكويت اذ ذاك فعاتبه يوماً على ذلك فلم يجبه جابر الا بقوله سأنظر في الأمر وبعد مضي عشرة أيام بعث جابر خادمه اليه ينبئه بحاجته إلى قهوة لمجلسه فملأ له وعاء من الاوعية الصغيرة وأعطاه اياه . ثم ارسل جابر الخادم نفسه إلى علي آل ابراهيم ليطلب منه ما طلب من صاحبه ، وما كادت الكلمة تلفظ من فم الخادم حتى دعا باحضار عدة دواب حملها نحو ثمانية أكياس مملوءة قهوة فجاءت هدية صاحبنا الاول بجنب تلك الهدية الغالية ، كالحبة قرب القبة ، وكان غرض جابر بهذا العمل ان يقنع صاحبنا المعترض بخطئه في الاعتراض ، وقد حصل ما حاول فانه وضع الهدية الاولى فوق الثانية في بهو مجلسه العام ، ولما دخل المعترض وأبصر الهديتين علم بالحيلة التي دبرها جابر لاقناعه ، فنكس رأسه حياء وتصبب عرقا وندم على ما فرط منه .

نوع من عقوبات جابر لرعيته

احتاج جابر إلى جملة من العبي لخدامه ولمن يفد اليه من الأعراب ، فارسل الى (فهد الفهيد) أحد تجار الكويت ، وكانت عنده بغيته ولكن خوفه من عدم الوفاء أو طول المدة دفعه إلى أن ينكر وجود شيء تحت يده .

أما جابر فلم يفته ما كان يجول بخاطر تاجرنا الفاضل وما كان يقصده من ذلك الانكار فأسر الأمر في نفسه ولم يبد عليه شيء من التأثر إلى أن مضت

أيام وجاءت اخرى أخذ فيها بعض الأعراب اموالاً للتاجر ، وبعد برهة من الدهر ابصر التاجر الاعراب الذين سلبوا أمواله في سوق الكويت فأبلغ الخبر لجابر وطلب منه القبض عليهم فقال له : من أنت ومن تكون ؟ قــال أنا (فلان بن فلان) قال انا لا أعرف احداً من أهل الكويت هذا اسمه . نعم اعرف بهذا الاسم رجلا من أهل الزبير أو الاحساء فأكثر صاحبنا الكلام معه ليقنعه فلم يقنع ، وقال نحن لا نطالب الا بأموال رعيتنا لا غير ، فانصرف يتعثر بأذيال الفشل وقد علم أن هذا عقاب له على فعلته الاولى .

حمية جابر على أهل بلده

ضمن احد آل الصباح نخلا لبعض المنتفك في البصرة ولكنه لم يسلم لهم شيئاً فرفعوا الأمر إلى جابر وطالبوه بأخذ حقهم منه فقال انه مفلس وليس في يده شيء فدفعهم عن حقهم بهذا العذر الذي لا نعرف أهو حقيقة أم لا . ومهما يكن فإن أحد ابناء آل بدر بعد هذه الحادثة سافر الى (سوق الشيوخ) في تجارة فقبض عليه هناك زعيم المنتفك وأخذ ما في يده من المال ثم زجه في السجن . وما كاد يبلغ الخبر جابرا حتى جهز اسطوله البحري الذي لم يرمِ قلوعه الا في احدى مقاطعات المنتفك في البصرة فوقف أمامها ومنع أهلها من الخروج الا بعد أن يسلم اليه ما أخذ من التاجر الكويتي وأن يطلق سراحه من السجن فنزلوا على حكمه مضطرين .

جابر والانكليز

يقال أن ثلة من الانكليز هبطوا الكويت أيام جابر فحاولوا اقناعه بحمل الراية الانكليزية فلم يقنع ، وقال : « إن الحكومة العثمانيــة جارتنا وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الأمر والنهي » . فقالوا : ان الكويتيين محتاجون الى الهند وسفنهم تصل اليها وهي من مستعمرات انكلترا ،

فأعطاهم جابر أذناً صماء ، وأخيراً استأذنوه في البناء في الكويت فلم يأذن لهم ايضاً ، ثم قالوا : اتسمح للحكومة العثمانية فيزول بلدك والبناء فيها ام تمنعها كما منعتنا ؟ فقال : نمنعهـــا من ذلك اذا كان فيه ضرر علينا وعلى بلدنا . فحاولوا ان يعطيهم صكاً بهذا التقرير فما أجاب ، فرجعوا أدراجهـــم من حيث أتوا .

اما متسلم الحكومة بالبصرة فعندما بلغه مجيئهم الى جابر والحديث الذي دار بينهم ، زار جابراً في بلده وأخذ يشكره على الدور الذي مثله أمامهم ، ويقال ان الحكومة التركية لم ترتب لجابر التمر الذي تقـدم الكلام عليه الا لهذا السبب .

جابر في البصرة

حاصرت كعب البصرة وكان فيها إذ ذاك أحد أبناء آل الزهير ، فسار جابر بأسطوله البحري اليهـــا فظن كل من الفريقين انه جاء نصرة لخصمه ، فأراد ابن زهير إيقاعه عند الحكومة بحيلة دبّرها غير انها لم تنطل على جابر ذاك الرجل الفطن الذكي .

أرسل ابن زهير اليه حوالة بأضعاف راتبه من التمر الذي رتبته له الحكومة فلم يقبل إلا ما رتب له فقط ، فاضطرب كاتبه (ابن هاشم) من رفضه الباقي وأخذ يحسن له قبول الحوالة بأسرها فما وجد منه الا اعراضاً وصدوداً .

كان غرض ابن زهير أن يهول الأمر عند الباب العـالي فيما اذا قبل جابر جميع ما قدم اليه فيقول إنه لم يرجع عن مهاجمة البصرة إلا بهـــذه الرشوة العظيمة ، ولكن الفخ التي نصبها رماها جابر بحصاة دهائه فأبطل عملها .

شفقة جابر على رعيته

وضع صباح بن جابر ضريبة على الحوانيت بإغراء من بعض اخوانه وبدون

علم من أبيه ، وكان من أهل الحوانيت رجل فقير اعتذر عن التسليم بخلوّ يده فلم يقبل صباح اعتذاره فاضطر الرجل الى انهاء الأمر الى أبيه والاستجارة به ، وفي مجلسه العام وبين وجهاء البلد بسط له عذره وما هو فيه من ضائقة الحال ورجاه غض النظر عنه . فاندهش جابر مما سمع والتفت الى جلسائه يستفهم منهم عن الحادث وما كانوا ليخبروه لولا إلحاحه الشديد عليهم .

حينذاك أرسل الى ابنه صباح وأغلظ عليه القول على تجاسره وقال : إن لأهل الكويت علينا حقوقاً عظيمة ولو كان تحت يدي ثروة طائلة لقمت بحاجات الفقراء والمحتاجين منهم الى ان يموتوا . توفي في سنة ١٢٧٦ .

أولاد جابر

له اثنا عشر من الذكور : صباح ، وهو الذي تولى بعده . عبدالله . خليفة . سلمان . محمد . بجرن . علي ، وتوفي سنة ١٢٨٠ . حمود . جراح . مبارك . شملان . دعيج ، وتوفي سنة ١٣١٥ .

الحاكم الرابع صباح الثاني بن جابر الاول

تولى بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٦ ولم يحدث في أيامه حوادث تستلفت النظر ولا حصل للكويت من التقدم ما يستحق الذكر .

وقعة ملح

في السنة التي تولى فيها صباح هجم عبدالله آل السعود على العجمان في (ملح) فقتل منهم من قتل والتجأ الباقون الى الكويت تحت ظل صباح ، فأرسل عبدالله اليه رسولاً لطرد العجمان من البلد واخراجهم من حمايتهم ولكن الرسول أساء التعبير فقال له وعنده أخوه (دعيج) « ان معزبك[1]

(١) معزبك ، أي سيدك .

الامام يأمرك باخراج العجمان اليه » وقد عد دعيج ما سمع اهـــانة وتحقيراً فسرت النخوة في رأسه واظلمت الدنيـــا في عينيه وهناك أراد أن يعلم آل السعود بأنهم لا يعترفون لهم بفضل ولا يقرون بسلطة وأن في استطاعتهم منازلتهم في الميدان وفي استطاعتهم صدهم عن الاعتـــداء . اراد ذلك فأمر (عنبراً) أحد عبيد آل الصباح بأن يصيح بأهـــل الحوطة المنتمين إلى آل السعود بالإذن لمن يريد الخروج منهم ليقاتل مع عبدالله .

أما التخلي عن العجمان وتسليمهم اليه فأمر لا يمكن أن يقع وقد التجأوا تحت حماية آل الصباح في بلدهم .

بلغ عبدالله ما جرى فأسف كل الأسف لأنه لم يقصد آل الصباح وأهـل الكويت بسوء ولم يرد تحقيرهم واهانتهم ولكنه أتى من رسوله الذي لم يحسن اختياره وقـــد يجلب سوء اختيار الرسول ويلات عظيمة ومصائب جمة على من اختاره .

الكويتيون وصلاة العيد

كان الكويتيون فيما مضى يصلون العيد خارج البلد وبعد تلك الحـــادثة

قافلة سافر إلى نجد

أخذوا يصلونها في الداخل خوفاً من الحدثان وما زالوا إلى هـــذا اليوم وهم يصلونها هناك .

وقعة الطبعة

في أثر حادثة ملح سنة ١٢٧٧ التف حول العجمان بعض من قبيلة المنتفك والظفير واجتمعوا في كاظمة فماجلهم عبدالله بعــد اجتماعهم بجيش كثيف جرع كثيراً منهم الحمام وقضى البحر على جل الباقي منهم عندما اعتصموا به فقد غرقوا في طينه ومائه معاً .

صباح والقمرق (١)

كثرت الاموال ايام صباح واتسعت التجارة نوعاً ما فحـاول وضع رسوم على البضائع الخارجية ولكن الوجهاء أبوا عليه وصارحوه بقولهم « لا نقبل أن تجعل على أموالنا ما لم يجعله أبوك ولا جدك من قبل » فتلطف في اقناعهم ولكنهم لم يقتنعوا وقالوا : كلنا تحت أمرك وطوع اشارتك وأموالنا وقف على ما ينتابك من التكاليف .

آل الزهير والصوفية

ادعى بعد وفاة جـــابر ثلة من آل الزهير أن لهم في الصوفية حقاً وان الذي وهبها لجابر لم يستأذنهم فيما فعل وليس هو بوكيـــل عنهم ولما لم يقبل آل الصباح الدعوى رفعها آل الزهير الى المحكمة العثمانية في البصرة وهنــاك

---

(١) القمرق : هي ما اصطلح عليه الآن بلفظ « الجرك » واللفظ تركي منقول عن الفارسية هو ترجمة اللفظة الفرنسية Douane أو الانكليزية Customs. وكان العرب يسمونه« المكس» وجمعه مكوس ذكره ابن بطوطة في رحلته وحمل على دائرة المكوس المصرية في زمنه للظلم الذي حاق به منها .

ارسل صباح ابنه عبدالله ليقوم بحق الدفاع فسار كما أمر وبقي أياماً يحامي ويدافع . ولكنه وقد أحس بأن الحكم سيكون عليه استأنف الدعوى في بغداد . وفي بغداد تغير الحكم فقضي لعبدالله على خصومه وانما حصل هذا الانقلاب في قضية واحدة لأن للحكومة غرضاً بعبدالله فأرادت اسداء معروف اليه تمهيداً لما تريده ولينقاد لها من أول كلمة تبدو منها . يقال أن غرضها كان هو اسناد وظيفة قائممقامية الكويت اليه تحت سيادتها ولكن عبدالله أحجم عن القبول معتذراً اذ ذاك بوجود أبيه على قيد الحياة فاكتفت منه بوعده اياها اذا ما أفضى الأمر اليه .

رجع عبدالله إلى الكويت وبعد مدة وجيزة توفي والده فأقامه الكويتيون مكانه وبعد مخابرات بينه وبين الحكومة تعين في قائممقامية الكويت تحت حمايتها .

بيلي رئيس الخليج يسافر الى الرياض

قدم بيلي الكويت في أحد المراكب البخارية ليقوم منها بسياحة إلى الرياض – فنزل ضيفاً عند يوسف آل بدر المشهور وأظهر له عزمه على السفر فقال الأمر راجع إلى صباح حاكم المدينة فلو عرضت الأمر عليه لكان أولى ، فذهب بيلي اليه وكشف له الأمر طالباً منه أن يرسل معه رجالاً يهدونه الطريق ويوصلونه إلى الرياض فقال ليس في استطاعتي أن اجيبك إلى ما تريد خوفاً عليك من قطاع الطريق والذي ارى أن تخابر ابن سعود في (عاصمته) وتستأذنه في السفر اليه ... جرت المخابرة بين الاثنين وجاءه الاذن فقام بمهمته بسرعة ولكنه عندما قرب من سور الرياض هب رجال الدين هناك في وجه ابن سعود وطلبوا منه بالحاح أن يمنعه من الدخول ونظراً إلى أن لهم الكلمة النافذة فقد نزل على حكمهم وأبلغ حقيقة الأمر الى السائح الانكليزي فرجع السائح من حيث أتى وهو في غاية من التأثر وقد تمثل بقول الشاعر :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

فاجيب على لسان ابن سعود :

الا لا يجهلن احــد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

محمد بن صباح يقتل عنبراً

عنبر هذا هو أحد عبيد صباح المقدمين وقد جعله مأموراً للرسومات . ففي أحد الايام كانت هناك قافلة تريد السفر إلى نجد ومعها كثير من أموال الكويتيين ولكن طال مكثها ولم يفصل العبد عليها ولا أعطاها اهتمامــه فضاقت الحال بأهل الأموال وألح عليه بعضهم بالاسراع فما وجـد منه إلا نفوراً واستكباراً . خاطبه عبدالله آل عنقري [1] من أكبر وجهاء البلد فاشمأز من خطابه حتى أفضى الأمر إلى التسابب الخشن بين الاثنين وولى العبد ومرجل الغضب يغلي بصدره وقد صمم على الايقاع به .

بعد هذا ببرهة وجيزة أبصر العبد صاحبنا منفرداً وحــده فنزل عليه بالعصا واوسعه ضرباً وشتماً إلى ان تركه من شدة الألم لا يطيق القيام .

بلغ وجهاء البلد الأمر فاجتمعوا للبحث في ذلك الاعتداء الفظيع وأخيراً قرّ رأيهم على ابلاغ صباح تألمهم من الحادث وطلب نفي العبد من البلد ولكن المؤسف ان صباحاً بعد أن ابلغوه ما جرى لم يعر طلبهم التفاته . وقال: لكم علي عزله من وظيفته ولكم أن اضربه وازجه في السجن فقالوا لا يرضينا إلا نفيه لا غير واذا لم تجبنا إلى طلبنا فسنغادر بلدك غــير آسفين فقال كيف يسعكم ذلك وهي أمكم فقالوا يسعنا لأنها أساءت الينا ولم تعطف علينا ومع هذا كله فما وجدوا منه إلا فتوراً فقاموا اذ ذاك غاضبين وقد قرأ محمــد بن صباح في وجوه القوم التصميم على الهجرة فشق عليه الأمر ونهض من وقته الى

---

(١) بيت آل العنقري من البيوتات المشهورة في حي (الوسط).

العبد فقتله فداء ثلاثين من وجهاء وطنه ، وبذلك سكنت الزوبعة الثائرة وكفّ القوم عن عزمهم .

أولاد صباح

لصباح ثمانية من الذكور : عبدالله وهو الذي تولى بعده . جابر . جراح. محمد . احمد . مبارك . عذبي . حمود .

الحاكم الخامس عبدالله الثاني
ابن صباح الثاني

ولد في العام الذي توفي فيه جده عبدالله سنة ١٢٢٩ وتولى بعد وفاة ابيه في رجب سنة ١٢٨٣ .

لا يدل ظاهر عبدالله على حذق ولا على فطنة أو كياسة ، ولكنه اذا وقع في مأزق ضيق لا يلبث ان يتخلص منه .

جابر بن مرداو يستنجد بعبدالله

حدث بين جابر بن مرداو شيخ كعب وأمير المحمرة سابقاً نزاع مع النصار احدى القبائل الواقعة تحت إمرته أفضى الى قتال بينهما ، وقد اشتد الأمر على جابر حتى استنجد بعبدالله ، فجهز له سفناً لا تقل عن عشرين سفينة ملأى بالذخيرة والرجال .

وقد رأى عبدالله ان لا تذهب السفن جميعها في آن واحد ، لهذا سيّر سفينتين من طريق بهمشير وأمر بقية السفن ان تذهب الى أخيه (جراح) في الفاو لتأخذ منه التعاليم ، ولكن قبل ان يصل الى جابر شيء من تلك النجدة أقبلت عليه نجدات عظيمة من المنتفك خاض بها غمار الحرب فكان له النصر المبين عليهم ، ومع هذا فانه حفظ لعبدالله حميته وشكره على همته ، فكافأه على ذلك بسبعين (كارة) من التمر راتباً سنوياً .

نجدة اخرى من عبدالله الجابر

في يوم ما خشي جابر ان لا يسلم له النصار ما عليهم من الرسومات فثار ثائر النزاع بينهما حتى أوشك ان يفضي الى ما أفضى اليه الأول لولا ان عبدالله قدم نفسه ضامناً عليهم في تسليمهم ما يراد منهم في وقته وقد رضي الكل بذلك ولكن النصار في الوقت المعـــين أظهروا الامتناع عن التسليم ، فاضطر عبدالله اذ ذاك محافظة على ما أخذ على نفسه أن يجهز جيشاً ليضطرهم على الخضوع والإذعان بقوته .

سار الجيش وكانت النتيجة اشتباك القتال بينهما واحتلال عبدالله لكوتهم وتخريبه لبيوتهم واستيلائه على كثير من اموالهم وارغامهم على تقديم ما قطعوه على أنفسهم .

غزو القطيف والأحساء

كانت القطيف والاحساء بيد عبدالله آل سعود اولاً ولكن أخاه سعوداً احتلها عنوة بعد نزاع طويل ، فاستغاث عبدالله بالحكومة العثمانيـــة ومثل أمامها شبحاً مخيفاً من أخيه بميله الى الحكومة الانكليزية ذات الطمع في الخليج العربي ..أما هي فبادرت الى إنجاده قطعاً لمـــا تخافه وتخشاه . واستنجدت بعبدالله آل الصباح فلبى طلبها وسيّر اسطولاً بحرياً مؤلفاً من سفن عديدة لكبار الكويتيين كان هو قائده بنفسه وجيشاً برياً بقيادة أخيه مبارك ضم كثيراً من العربان .

أما الجيش العثماني فسار برئاسة الفريق نافذ في مركبين حربيين حتى أرسى في رأس تنورة حيث التقى بـــه الأسطول الكويتي ثم نزل الفريقان من (الخنيزيه) وساروا الى القطيف فلم يجـدوا أمامهم عقبات تصدهم وسلمت القطيف ودخلوها بدون حرب تذكر ولم يبق فيها إلا قلعتها التي تحصن فيها (السديري) عامل ابن سعود ولكن لم تمضِ مدة وجيزة حتى رفع رايـة التسليم وطلب الأمان على نفسه ورجاله وما في القلعة من سلاح فأعطاه عبدالله ذلك ودخل القلعة وليس في يده إلا مسباحة وبفتح القلعة انتهت مشكلة المدينـــة .

أما بقية قراها كالدمام ودارين وتاروت وغيرها فقد فتحت إلا ان تاروت ذهب اليها قسم من الجند فأباحها بعد فتحها نهباً وتقسيماً .

وقد أساء عملهم عبدالله فبعث اليهم من يغل يدهم ويمنعهم من الاعتـداء . جرى كل هذا ومبارك لم يشهد القتال لأنه لم يصل إلا بعد قضاء الجيش مهمته وبعد فتح المدينة وقراها .

وسار الجيش بعـد فتح القطيف الى الاحساء وفي معيته الفريق نافـذ وعبدالله ومبارك والجند الكويتي البري ، أما البحري فبقي مرابطاً في سفنه منتظراً ما يقع هناك . وكان في الاحساء أحد عبيد آل السعود عاملاً فجرت المخابرة بينه ورؤساء الجند في تسليم الاحساء بدون حرب وأنه ان فعـل فسوف لا يقابل إلا بالاكرام والمـكافأة الحسنة وإلا استعملت القوة العنيفة ضده . ونظراً إلى أن العبد كان ذا رأي وحزم فقد رأى ان التسليم اولى لضعفه امام تلك القوة وكان ذلك في سنة ١٢٨٨ .

عن اليمين الشيخ سلمان بن حمود آل الصباح وعن اليسار الشيخ علي بن خليفة آل الصباح

نزول محمد آل خليفة على عبدالله في الكويت

في سنة ١٢٨٠ سرى سم الفرقة بين الشيخ محمد آل الخليفة حاكم البحرين اذ ذاك وبين أخيه الشيخ علي وقد انتهى الأمر إلى اخراج الثاني للاول من البحرين واحتلاله محله .

اما محمد فأم الكويت ونزل ضيفاً كريمـــاً على عبدالله آل الصباح الذي ساءه ما جرى بين الأخوين ولذا رأى من الواجب عليه إصلاح ذات البـــين وارجاع المياه إلى مجاريها واخيراً انتدب أخاه محمد آل الصباح لتلك المهمة وأصحبه بكتاب الى الشيخ علي يلومه فيه على ما عمل وبين له سوء عاقبـــة النزاع والاختلاف ويطلب منه بالحاح ان يتنازل لأخيه .

الشيخ عبدالله بن خليفة آل الصباح

سار محمد الى البحرين كما أمر وقابل فيها علياً وسلم اليه الكتاب فأظهر علي الاقتناع وقبول التوسط .

فكرّ محمد راجعاً إلى الكويت ليخبر أخاه عبد الله بحقيقة الأمر وقـــد رأى عبدالله بعد ذلك ان يسير هو واخوه الى البحرين ليشهدا فيها تنازل الأخ لأخيه فسارا وفي صحبتهما محمد آل خليفة ولكن المؤسف انهما وجـدا علياً قد تغير ونقض ما أبرم على نفسه فأصبح لا ينفع معه اللوم ولا يفيد . هناك شكر محمد آل خليفه الاثنين وأقسم عليهما بالرجوع الى وطنهما فرجعا وسار محمد آل خليفة الى دارين حيث جرى بعد ذلك ما جرى من الحوادث المعروفة في تاريخ البحرين ٠

غزو سعود آل سعود الكويت

في سنة ١٢٩٠ غزا سعود الكويت غـير انه عندما وصل الوفرى وعلم باستعداد الكويتيين لقتاله وأخذهم الأهبة لملاقاته رجـــع من حيث اتى ولم يشأ ان ينزل ساحة الوغى ومبـــارك آل الصباح أخو عبدالله هو قائد للجيش بنفسه .

غزو محمد آل الرشيد الكويت

في سنة ١٢٩٥ غزا محمد آل الرشيد الكويت أيضاً وهجم على عربانهـــا المقيمين في اطرافها فنالت غارته طائفة من العوازم على الصبيحية ومـــا كاد الخبر يبلغ عبدالله آل الصباح حتى هب واهـــل الكويت لأخذ الثـــأر من المعتدي فساروا اليه بحماس شديد ولكنهم عندما وصلوا ملحـــاً اخبروا بمغادرته (الصبيحية) ميمماً وطنه فرجعوا . توفي عبدالله سنة ١٣٠٩ .

اولاد عبد الله

لعبد الله من الذكور خليفة وجابر ولخليفة من الذكور اثنان علي وعبدالله. أما الشيخ علي فاشتهر من بين آل الصباح بالشجاعة النـادرة وبالجرأة الغريبة

التي لا يعرف معها الموت ولا يرى النزول مع الأعداء الا كما يرى المولـــع بالالعاب النزول في ساحة لعبته كانت له مشاهد في الحروب معروفة ، وقد تولى قيادة الجيش مراراً وكانت البادية ترتعش من ذكره وتهاب من منازلته .

وعندي ان لو قلد الى حضرته أمر القيادة العامة في الحروب التي وقعت بين أهل الكويت وغيرهم وفي تطويع أبناء البادية وتأديبهم لكان له في ذلك من الآثار الحسنة ما جعل جانب الكويت اليوم مرهوباً ولما وصلت الى ما وصلت اليه في بعض الأحيان .

نعم لأن هذا المقدام مع شجاعته المدهشة له آراء حصيفة وبين جنبيه من الآمال ما لا يقل عن آمال الشيخ مبارك آل الصباح وهــذا البطل هو الذي قال فيه الأديب الفاضل زين العابدين شاعر الشيخ مبارك الخـــاص اذ ذاك يمدحه ويذكر جواداً له :

قرض الصوت بالقريض متى ما	شمت طوداً على أغر جواد
خلف القرم والكمـي الذي لم	يشهد الناس مثـله في البـلاد
ذاك حلو المقال زين السجايا	طيب الخيم سامي الأجـداد
من بيوم الوغى أباد قـــروماً	حين هز القنا بوجه الأعادي
زوج البيض من نفوس بغـاة	ودعاهم أشلاء فوق الوهاد

وله عدا هذا من التواضع ودماثة الاخلاق ولين الجانب وحلو المحـــادثة ما جعل له في القلوب منزلاً عامراً .

الحاكم السادس محمد بن صباح الثاني

تولى بعد وفاة أخيه عبدالله في ذي القعدة سنة ١٣٠٩ وكان أخوه جراح مشاركاً له في الحكم مشاركة غير رسمية .

كان محمد سليم الصدر رقيق القلب بعيداً عن الشر محباً لقومه ولكنه كان

ضعيف الارادة واهن العزم غير ميال للشهرة ولا بعـد الصيت . لم يحدث في أيامه إلا وقائع طفيفة ، وما جرى بينه وبين أخيه مبارك من المشاكل التي سنوردها فيما بعد .

محمد وجراح ومبارك

كان هؤلاء الثلاثة اخواناً وكان اختلافهم في المشرب وتغايرهم في المبدأ هو الذي جعل شقـة الخلاف بينهم واسعة الاطراف ، مترامية الارجاء . حتى كان ما كان ، مما بودنا انه لم يكن ، ولكن لا مرد لسهم القضاء اذا نفـــذ ، ولا حيلة في القدر اذا حم .

وسأقص عليك هنا جميع ما وقـع مقدماً عليه الأسباب التي غارت على عرى الأخوة ففصمتها ، والتي حدت بمبارك الى قتل أخويه . إذ لكل من الحوادث أسباب تثور بها براكينها ويتطاير شررها ، منها ما يكون جنـــة لصاحبها من اللوم والتنفيذ ، ومنها ما ينزل على رأسه من تلك الصواعق ما يغادره أثراً بعد عين . اني سأذكر ذلك بكل صراحة وبكل حرية كما يتطلب الحق وكما يتطلب التاريخ لا متحيزاً الى مبارك ولا مائلاً مع أخويه ، فالحق أكبر من كل كبير وإليك ملخص الأسباب :

أحدها — أن مباركاً كان ذا نفس عالية طموحة الى العلى وذا مطامع بعيدة يكل الطرف دون غايتها ، ميالاً الى المعامع والحروب ، فكان لا يمل من الغزو والقتال ولا يرغب إلا في الطعن والضرب ، ويصرف في هذا السبيل ما يملكه من قوة ومال .

أما أخواه المرحومان فكانا بضدّ ذلك، ومن هنا كانا يعاكسانه ويعرقلان مسعاه كلما وجدا فرصة .

ثانيها — إبعادهما لمبارك وتقريبهما للشيخ يوسف آل ابراهيم وإلقاء مقاليد

الامور اليه حتى ليخيل للباحث عن الحكم في الكويت إذ ذاك ان الحكم ليوسف لا لهما ، وان مباركاً أجنبي عنهما ليس له من الأمر شيء.

ثالثهما – تضييقهما المالي عليه ورفض حوالاته فيما يسد به عوزه ويقضي حاجتـه حتى في مصاريفه البيتية . وحتى في غزواته التي يكون هو قائدها بنفسه .

اشترى أباعر من سوق الكويت بنحو خمسمائة ريال قبل خروجه لغزو بني هاجر ، وحول البائع على أخيه محمد ، ولكن محمد رفض تسديد الحوالة ، وكان هذا بعد مغادرة مبارك الكويت، فتبعه البائع وأدركه في ملح وأخبره بحقيقة الأمر والجيش سائر ، فأصابه من الانفعال والتغير ما ضيق عليه الفضاء الواسع واضطره الى النزول ، وهناك أخذ يفكر في العمل ازاء هذه القضية فبدا له شعاع أمل في المكرم ناصر البدر الذي قدمنا الكلام عليه في فصل سابق فحوّل صاحب الحق عليه وأمره ان يسد حوالته. ونظراً لما بين مبارك وناصر من الصحبة الاكيدة ، ونظراً لما يخافه الاخير ايضاً من الشقاق بين الأخوين قبل الحوالة بلا تريث، غير انه قبل ان يسلم لصاحب الحق حقه، ذهب الى محمد وأخبره بشأن الحوالة ، وطلب منه ان يكون تسديدها على يده ، فغضب عليه وأبدى التأثر منه ، ولكن ناصراً قابل ذلك بقوله : اني سأسد الحوالة مهما كانت ولكنني جئت اليك وطلبت ان يكون تسديدها باسمك أمـام الناس لئلا يكثر منهم القيل والقال فيك وفي أخيك فاقتنع محمد اخيراً وسدد الحوالة .

السيد خلف باشا النقيب يتكلم عن اسباب الخلف بين مبارك واخويه

سعى هذا السيد الجليل في الاصلاح بين هؤلاء الاخوان الكرام سعياً محموداً فلله الشكر على سعيه . وان لم يساعده الدهر .

على المرء ان يسعى لما فيه رشده   وليس عليه ان يساعده الدهر

واليك ما قاله سعادته مما وقف عليه بنفسه واطلع عليه دون كثير من اقرانه قال : (طلب مبارك من اخويه الاعتراف له بقسطه من الامـــلاك فامتنعا عن إجابته ولم يصغيا لطلبه حتى كاد الأمر يفضي إلى أمر غير محمود لولا ان سالماً آل بدر وثلة من اشراف البلد توصلوا الى اقناع الأخوين بالنزول على حكم مبارك وان يكتبا ثلاث أوراق احداها تحصى فيها آلات الحرب من اسلحة وذخـــيرة ويبقى ذخراً للجميع واثنتان فيهما الاعتراف له بما اراد تبقى إحداهما عنده والثانية بأيديهما ،توصلوا الى ذلك وكتب الاوراق كلها يوسف آل ابراهيم بخطه طائعاً مختاراً وبهذه رجعت المياه إلى مجاريهـــا وصفا وجه الاخاء ولكن مباركاً احتاج الى شيء من المال بعد هذا (والحاجة أم البلاء) فما وجد من اخويه الا اعراضاً وصدوداً وهناك تساقطت شرفات السلم وهد جانب الولاء وثارت الزوبعة بعد سكونها . أمـــا أشراف [1] البلد فطاروا هلعاً مما جرى وأجمعوا أمرهم ان يتشفعوا الى محمد في إرضاء اخيه واعطائه ما يريد قطعاً للنزاع فعرضوا بين يديه تشفعهم فما خيب لهم محمد في هذا الفصل طلباً وأمر في الحال فهد الخالد الخضير بقضاء ديونه التي بلغت (٦٠٦٠ ريالاً) واوشك أن يختم هذا الفصل بخاتمة الخـير لولا الدور الذي مثله الشيخ يوسف آل ابراهيم عفا الله عنه مما أحـــكم عقدة البغضاء وشيد اركان العـــداء فانه منع فهداً من اعطاء مبارك شيئاً واردفه بارساله عبد العزيز السميط إلى مبارك يطلب منه تسليم الورقة التي بقيت بيده فامتنع مبارك من تسليمها لأنه أحس بالمكيدة من يوسف وكان كما أحس فقـد صاح السيد خلف باشا النقيب بقوله « غرضنا من الارسال عليها انما هو تمزيقهـــا لئلا تكون له حجة علينا » .

(١) وقد اجتمع في بيت الشيخ يوسف آل ابراهيم منهم السيد خلف باشا النقيب وفهد الخالد وسليمان العبد الجليل وفهد الدويرج وعبد العزيز آل السميط .

بلغ مبارك كل ما بدر من مراوغة يوسف فتميز غيظاً وطفق يسبه سباً شنيعاً ويتوعده بما يقض عليه مضجعه ويقلق راحتــــه فاستولى الذعر على يوسف وساورته الهواجس والمخاوف ووجد نفسه أمام غضب مبارك الجبار ضعيفاً فهم بالصيد تسلية لنفسه مما ألم بها من الهموم والاحزان وابتعـاداً عن مبارك الذي سمع لمرجل غضبه دوي عظيم وصوت مزعج فسار ولكن بعد ان ترك المسألة ذات عقد يصعب حلها أما مبارك فلم يجد لها من مناهج الحل الا رجاءه من أشراف [1] البلد النصيحة لأخيه محمـد بان يخفف من غلوائه وينظر الى مواطىء قدميه قبل ان ينفد ماء الجلد ويطفح كأس الصبر فأجابوا رجاءه وكتبوا أولاً الى يوسف يستقدمونه من الصيد لعله يشاركهم في حـل الاشكال وانتدبوا لتبليغه الأمر وايصال الكتاب اليه السيد خلف وجملة [2] من وجهاء البلد وكان يوسف اذ ذاك قد نزل الرقعي [3] فذهبوا اليــه هناك وعرضوا عليه مهمتهم وما يراد منه فامتنع من اجابتهم ولكن النقيب قال له اذا لم تجب فان احد الأخوين لا بد وان يقتل اخاه قال لماذا ؟قال لأن محمداً بعد ان دعا مباركاً المذني من البر خشي أخوه مبارك ان يكون وراء ذلك الاستدعاء شر فاستمدهو وخدامه بالسلاح اتقاء للحوادث الطارئة. ما كان يوسف لينزل عن غارب اباءه لولا هذه التصريحات ولكن قـــال سأذهب اولاً الى (الصبية) ثم اذهب الى الكويت بعد ثلاثة أيام ، وهناك فارقوه وفارقهم وسار كل الى وجهته ، ولكن يوسف لم يجيء الى الكويت الا بعد ثمانية ايام وما خفف مع هذا ويلاً ولا حل إشكالاً بل زاد الطين بلة . وعنــدما علم مبارك بجلية الأمر وعلم ان ليس في استطاعة يوسف ان يكون واسطة في

(١) وقد اجتمع في بيت الشيخ يوسف آل ابراهيم منهم السيد خلف باشا النقيب وفهد الخالد وسليمان العبد الجليل وفهد الدويرج وعبد العزيز السميط .

(٢) منهم السيد خلف وفهد الخالد وسليمان العبد الجليل وفهد الدويرج .

(٣) وهو ماء بين الكويت والحفر في الجنوب الغربي للكويت .

حل النزاع انتدب جملة [1] من الوجهاء مرة أخرى الى أخيه يرجونه تصفية الحساب الذي بينهما والذي هو عقدة العقد ، فلبوا طلبه وساروا الى اخيه في داره ، فأمرهم قبل كل شيء بالذهاب الى يوسف في بيته وهناك يكون الملتقى.

ذهبوا الى يوسف كما أمر محمد ، ولكن الاول رفض مقابلتهم رفضاً باتاً وأمر بأن يرجعوا من حيث أتوا. جرى هذا وهو لا يعلم ما جاءوا اليه ولا بما يريدون منه ، فبدا لأحد اولئك الأشراف إذ ذاك أن يذهب اليه وحده ويوقفه على الباعث لمجيئهم ، فلما قابله وعلم يوسف منه ان الآمر لهم بذلك هو محمد أسف على ما بدر ودعاهم الى الحضور فجاءوا ، وما كادوا يستقرون في مقاعدهم حتى أقبل محمد فسألهم عن غرض مبارك من ارسالهم ، فقالوا انه يريد ان تقدم له حساباً صحيحاً عن ريع الفاو والصوفية والزين ثلاث سنين، فأظهر الاستحسان وقبول الطلب، ثم قدم الحساب بعد برهة وجيزة الى السيد خلف ليقدمه الى اخيه ، وعندما قرأه على مبارك قال : « ان بلع الأمواس أهون من بلع هذا الحساب » . فقال له السيد : « ان كنت تريد قطع الشقاق فابلعه » ، فقال : حسناً ما قلت وها أنا بلعته (والذي يظهر لنا ان هذا قول ذلك المجلس لا غير) لأن مباركاً أخيراً طلب حساباً آخر من أخيه مصحوباً بيمين بالله انه من الصادقين فيما قدم . طلب من أخيه ذلك وهل أجابه الى ما طلب ؟ نعم أجابه ، وقدم اليه حساباً غريباً في بابه وهذه صورته العجيبة المدهشة :

اولاً – عشرين ليرة عثمانية ارضاء لزوجة جابر الفاضل

ثانياً – ليرة ٩ لاصلاح السيف

ثالثاً – شيء مجهول (لم يسمه محمد) .

---

(١) منهم فهد الخالد وعبدالعزيز الفارس وعبد العزيز السميط .

إنه حساب غريب ولا عجب اذا ما استغربه مبارك ، فاذا تساهل في الاول والثاني فما هو الحل المرضي للثالث المجهول وعلى أي قاعدة من قواعد الحساب يمكن استخراجه ، وقد يكون هذا سهلاً يجانب تصريح محمد لسماحة النقيب بأنه لا يمكنه بيانه الا بحضوره ولا يصرح به إلا له . صارحه بهذا فبدا لسماحته شعاع أمل في الاصلاح الذي لا يزال يرقب الوقت له ، فاتخذ هذا التصريح سبيلاً لقضاء مهمته فعرض الاجتماع على الاثنين في بيته لعلهما يصلان الى حل مرضٍ لإشكالها ويزيلان ما أمامهما من العقبات ، عرض عليهما ذلك وأخذ منهما العهود والمواثيق بأن لا يجابه احدهما أخاه بما يكره فأجاباه الى ما طلب . وأما هو فسار الى بيته فرحاً مسروراً لأمله في النجاح وفي الوقت المعين حضرا هناك .

ففاتح مبارك أخاه بقوله : اني ألومك يا أخي على أمور كثيرة صدرت منك وان كان منها ما هو صغير فقد يكون فعل الصغير اعظم من الكبير ، صارحتني في أحد الايام بأمر أمام من لا أحب علمه به فقلت وأنت تضرب فخذك كالمنتصر الفائز او المتهكم المستهزىء لم يبق لك علينا شيء وحسابك في هذا الدفتر الى امور مضت لا أحب ذكرها الآن ، فلنطوِ الماضي بما فيه ونحن من أبناء اليوم .

لا أريد ان اكلفك شططاً فطلبي منك الساعة بسيط جداً : أريد اشرافي على حقيقة الحساب لأعرف ما لي وما عليّ ولك عليّ قبوله والحاضرون شهود اذا كان مقروناً بيمين بالله انك لم تزد فيه ولم تنقص .

رضي محمد بهذا الاقتراح وأظهر الارتياح له ولكن مضت عدة أيام وهو يعد ويخلف وسماحة النقيب يتردد بين الاثنين حتى مل وسئم واخيراً قال له محمد انا لا أجيب مباركاً الى طلبه الا بعد أن آخذ منه صكا في قبول ما اقدمه له مهما كان فحاول الباشا اقناعه في أنه باقتراحه هذا قد تعدى حدود المعقول ولما لم يقنع بايضاحاته رفض التوسط بين الاثنين . وابلغ مباركا بكل

ما جرى ، وهناك اضطرمت النار في قلبه وتلاطمت أمواج الأسى في فؤاده وكاد يقضي على اخويه في تلك الساعة . ولكنه تجلد إلى اليوم الموعود .

وتلا هذا أن مباركا صادف أخاه محمدا في الطريق فدنا منــه وسلم عليه وأخذ يلاطفه في الحديث ويستعطفه في انجازه ما وعد فلم يجـد منه إلا اباء وامتناعاً في نزوله على حكمه . وما زال واياه في هذا الجدال الطريق كله ولم يفصل بينهما الا البيت . ثم أعقب هذا أن أخاه جراحا دخل سوق (اللحم) فصاح بين اهله بقوله : « اياكم ان تعطوا مباركا شيئاً فقد تبين انه من المفلسين وأن عليه ديونا عظيمة » وكان مبارك اذا احتاج إلى لحم اخــذ منهم على ذمة أخويه .

بعد هذا كله لم يبق في قوس مبارك منزع فصمم على التضحية بأخويه على مذبح الغضب والانتقام . صمم على هتك حرمتهما وقطع رحمهما وإسالة دمائهما الطاهرة . تقدم لقتل أخويه مدفوعاً بيد الحنق الذي غيب عقله وقـد سهل عليه ذلك شغفه بالحكم واستماتته في سبيله . اذا فمبارك (ان لم يعف الله عنه) سيحمل يوم القيامة وزرا عظيما وسيعض سبابة الندم يوم لا ينفع مال ولابنون وسيلاقي أخويه يوم الفصل والقضاء تشهد لهما دمــاؤهما الزكية على اعتدائه عليهما وعلى إخوانه الذين شاركوه في إثمه وفعلته الشنعاء .

كيف وقع القتل

في ليلة من ليالي ذي القعدة المظلمة سنة ١٣١٣ بعد أن مضى هزيــع من الليل وبعد أن هجع القوم نهض مبارك مسرعاً لقتل أخويه محمـــد وجراح يسانده ابناه جابر وسالم ولفيف من الخدام ، ثم تقدم إلى بيت أخويه بعـد أن علم بخروج صباح بن محمد منه لصلاة الصبح وكان لا يتركها صيفاً ولا شتاء. تقدم مبارك الى الأمام وجعل من كان معه أقساماً ثلاثة هو لأخيه محمد وجابر وبعض الخدام لجراح وسالم والباقون حراساً في صحن الدار .

صعد مبارك توا الى محمد فأيقظه من نومه وبعد ان انتبه أطلق عليه البندقية ولكنها لم تجهز عليه ، فاستغاث هناك الأخ بأخيه وذكره بما له من الحق والحرمة فما وجد ذلك الصوت الحزن ولا ذلك الاستعطاف الحار سبيلا الى قلب مبارك الذي امتلأ حقداً وغضبا ، فصوب اليه البندقية ثانية متصامما عن سماع النداء حتى تركه لا حراك به يتخبط بدمه ويجود بنفسه العزيزة .

أما جابر فذهب الى عمه في حينه فألفاه يقظان وزوجته إلى جانبه فسدد البندقية اليه ، ولكنها لم تنطلق فعاجله عمه بالقبض عليه ، وكان له من زوجته ساعد ومعين . وكادا يتغلبان عليه لولا مبادرة بعض الخدام جراحا بارسال البندقية الى نحره فارداه صريعا لليدين وللفم ، هناك وقعت عليه زوجته تبكي وتنوح وتندب ذلك الشهيد المضرج بدمائه تندبه بالزفير المحرق. والانات المتصاعدة . وتغسله بالدموع الغزيرة تبكيه وتنوح عليه . ولكن بعد ان قضي الأمر ولم يعد البكاء يفيد ولا العويل فزحزحت عنه وعن جثته الهامدة .

أما الكويت فما كاد ينتشر الخبر في أرجائها حتى ضجت من أقصاها إلى أقصاها وارتفع العويل من صغيرها وكبيرها لهذا الحادث الجلل والمصيبة التي لم يحدث لها نظير في تاريخ الكويت والتي هي الفذة في بابها . لا نرى عذراً لمبارك يبرر عمله ومهما يكن من الاعذار التي يدلي بها لاتقاء الانتقاد فانه ملوم وملوم جداً اذ القتل ليس بالأمر السهل الذي يعذر المرء بالاقدام عليه لأسباب تافهة. القتل كبيرة من كبائر الذنوب فحرمة المؤمن عندالله كحرمة الكعبة أو أشد ولكن مهما بالغنا في لوم مبارك وتأنيبه فان هناك حقيقة لا يليق بنا ان نتجاوز هذا الفصل قبل ان ننبه عليها . وهي في الواقع من الامور التي اضطرت مباركا الى ما عمل .

وذلك هو ظلم الأخوين له وانكارهما لحقه .. ولا ريب ان معاملة كهذه تترك مراجل الغضب تغلي وتحدث الانفجار .

أبناء القتيلين يغادرون[١] الكويت

في ابان تلك الحادثة كان أبناء القتيلين في الكويت فخشي مبارك ان يثير ما جرى في نفوسهم ثائرة الغضب والانتقام فيهبوا لأخذ الثأر ، هناك طفق يقابلهم بالاكرام ويشملهم بالعطف تسلية لهم وتخفيفاً لما ساورهم من الآلام ، وتسكيناً لما عساه يجيش في صدورهم عليه . ولكنهم مع هـــذا كله لم تطق نفوسهم البقاء في هاتيك الرحاب فغادروا الكويت الى البصرة لإثارة العواصف على مبارك او للخوف من أن يلحقهم بآبائهم .

من حُلقت لحية جار له   فليسكب الماء على لحيته

اما الشيخ يوسف آل ابراهيم بطل هذه الرواية فله حوادث مدهشة سيأتينا الكلام عليها في ترجمة مبارك .

الحاكم السابع مبارك آل الصباح

مبارك الصباح هو اخو محمد وجراح . مبارك هو الكويت بأسرها وهو الذي رفعها على ما سواها من أترابها وأطار صيتها في سائر الاقطار . مبارك هو الذي ترك اسمــه يجوب العواصم والمدن ويتخلل الأندية والمؤتمرات . فيه اشتهرت، وبه زهت . وكان عصرها في أيامه عصر الأمن والدعة . عصر القوة والهيبة . فقدت بفقده شجاعاً لا يهاب الموت والردى . رزئت بأمير من امراء العرب الأفذاذ في الهمة والإباء وفي العقل والرأي ، لولاه لما عُرفت ولولاه

---

(١) وكان في معيتهم بعد مغادرة الكويت رجلان فاضلان : الاديب المفضال السيد عبدالوهاب الطباطبائي مدير ناحية الزبير اليوم وهو من اهل الفضل والغيرة ومن اهل الذكاء والنشاط والهمة والإباء . اما الثاني فالعلامة الفاضل الاستاذ الشيخ محمد بن رابح المغربي المقيم الآن في الزبير ، وقد كتب هذا الفاضل عن الوقائع التي حدثت بين مبارك وأبناء القتيلين والشيخ يوسف آل ابراهيم كتابة مستفيضة ولكنه أخيراً أتلفها ولم يرد نشرها .

لما كانت الدرة في تاج الخليج العربي، ولولاه لما امتدت أسطورتها الى أمد بعيد من الفيافي والقفار . وهنا يعجبني ما قاله العلامة المحدث الشيخ المكي بن عزوز رحمه الله تعالى عن الكويت في أيامه قال : « الكويت[1] في هذا الزمان

الشيخ مبارك الصباح

تساوي البصرة في الشهرة ، فكل من خاض في السياسة يعرف الامير مباركاً آل الصباح . ويعرف بلده الكويت لأن الكويت اشتهرت به وهنا ذكرت

(١) من كتاب بعث به الي من الاستانة جواباً لكتاب ارسلته اليه من المدينة المنورة أيام اقامتي فيها سنة ١٣٣١ وكنت أهديته رسالتي تحذير المسلمين المطبوعة في بغداد سنة ١٣٢٩ وكان ذلك بأمر من استاذنا الكبير العلامة المرحوم السيد شكري الألوسي . أما جواب الاستاذ فهو نفيس جداً ضمنه مواد مهمة ومقالات عديدة وقصيدة غراء قرض بها تلك الرسالة ، هو بخط صاحبنا الاديب اللوذعي محمد الطيب العقبي .

قول بعض النسابين : لولا سفيان الثوري والربيع بن خثيم ما عرفت ثور ، يعني قبيلتها .

مبايعة الكويتيين مباركاً

قبض مبارك على زمام الحكم في ذي القعدة بعد قتل اخويه سنة ١٣١٣ وهو لا يعلم ما يخبئه له القدر . ولا ما يكنه له الغيب. ولكنه برز في المسرح امام قومه كالواثق من نجاحه والآمن على ما آل اليه . برز وهو يمسح الدموع من عينيه ولا تدرى أي دموع هي أدموع الفرح والسرور أم دموع الأسى والحزن وقد يكون للسرور دموع كما للاسى .

يا عين قد كان البكا لك عادة تبكين من فرح ومن احزان

في صبيحة تلك الليلة المشؤومة بعد ان الحد الشهيدان في قبريهما دعا مبارك وجهاء البلد واشرافها فقال لهم : قد قضي الأمر وما قضي لأمره فماذا ترون وعلى ماذا انتم عازمون؟ فعلموا اذ ذاك أن مباركاً اخا القتيلين ان لم يحكم اليوم فسيحكم غداً . فصافحوه مبايعين وقد اظهروا له الخضوع والاذعان . أما هو فعاهدهم على اقامة العدل والسعي في الاصلاح وأن لا يقطع أمراً دونهم . وان يستشيرهم في شئونه كلها وبذلك زالت عنه بعض المخاوف التي احاطت به والتي كان يحس بها من آن لآخر ولكنه من جهة أخرى كان يحسب لابناء اخويه وليوسف آل ابراهيم ساعدهم الأكبر ألف حساب سيما وللاخير من الشجاعة والإقدام والثروة الطائلة ما يتمكن بها من اقلاق راحته وتكدير صفوه وقد كاد يقضي عليه لولا معاكسة الاقدار إياه في حملاته كلها كما ستعلمه تفصيلا .

الاعمال التي قام بها يوسف

إن يوسف قام باعمال عظيمة وحوادث مدهشة في مناوأته مباركاً ومثّل روايات لا تقل في غرابتها عن كثير من الروايات تذكرنا بأولئــــك الابطال

الذين يقومون بجلائل الأعمال والناس في غفلة عما يعملون . بل تذكرنا بذلك الداهية الدهياء حافظ نجيب المصري الذي اشتهر في فنه في اقامة الحجب والاستار دون اغراضه ومراميه بل وتذكرنا بابي زيد السروجي بطل المقامات الحريرية . يذكرنا يوسف باعماله التي سنقصها عليك باولئك الرجـــال الذين طار صيتهم في عالم الدهاء ، ولو كان يوسف في الغرب لكان له من الشهرة الواسعة مايزاحم بها الكثيرين ولكن يوسف من الشرق وفي الشرق نشأ وليس للنبوغ ولا لأهله قيمة .

يوسف بعد قتل مبارك أخويه

لم يكن ذنب يوسف عند مبارك ليقل عن ذنب أخويه ونرجح ان لو سنحت له الفرصة فيه لما ضيعها . ويوسف لا يجهل ذلك . ولكن من حسن حظه أن كان في اثناء الحادثة في (الصبيه) حيث قصره الذي شيده هناك. وقد حمد يوسف الاقدار التي أبعدته اذ ذاك عن جو الكويت المظلم وأنزلته في معقل يعتصم به عن مبارك وعن اعتدائه .

أما مبارك فعلم اذ ذاك أن يده لا تناله . وان ليس في استطاعته انزاله في معتصمه بالقوة والارهاب فمال إلى مراوغته وخداعه وأرسل له رسولاً يستقدمه آمنا على نفسه وماله . ولكن يوسفنا كان من الرجال الذين لا تنطلي عليهم الحيل فتظاهر بعدم الخوف وأنه سيلبي الطلب سريعاً . تظاهر بما سمعت وهو غير صادق وانما أراد أن يكيل لصاحبه بالصاع الذي كال له به .

وكلت للخـــل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه

تظاهر بذلك لئلا يسيء به مبارك الظن فيعاجله قبل فراره. وهناك وهو يستعد للفرار جاء اليه ابن (ادويهيس) من الكويت يخبره بسير مبارك إليه بجموع لا قبل له بمقاومتها . وأكد ذلك الخبر أيضاً بكتاب من أحد الكويتيين بهذا المعنى فتشاءم يوسف بما سمع وأسرع الى السفن التي أعدها لهربه في الصبيه .

فحلقت به في فضاء البحر ولم تضم أجنحتها الا في (الدورة) ثم منها ذهب الى البصرة حيث الحكومة العثمانية هناك ، ليقلق راحة مبارك باقامة الدعوى عليه بقتل أخويه وبتمثيل شبحه المخيف أمامها ..

يوسف وحمدي باشا في البصرة

وكان والي البصرة اذ ذاك حمدي باشا أحد أعداء مبارك الألداء فاستنجد به يوسف فأصغى الى شكواه وسمع استنجاده ، وصمم على ان يرمي مباركاً بجيش عرمرم في الكويت ، ليذيقه الحمام وينزله من عرشه . وقد كاد يتم له الأمر لولا أن أمام يوسف من هو أدهى منه ، أمامه مبـــارك الساهر على مصلحته ، والذي يبذل في سبيلها ما يفوق كل بذل ويهتدي الى ما لا يهتدي اليه مناوئوه من التحفظ والاحتياط .

مبارك ورجب باشا مشير بغداد

بعد أن علم مبارك بما يحاوله يوسف في البصرة جعل هو تدبير حركته في بغداد حيث مشيرها رجب باشا صديقه الحميم .

اما رجب فمال الى مبارك بكليته طائعاً مختاراً ، ووقف أمام الحكومة كالمدافع عنه والمحامي عن حقوقه . فقال : «ان تلك الكارثة هي من الحوادث العادية التي لا يزال يقع مثلها كثيراً بين أعراب البادية ، وخير للحكومة ان لا تتدخل في القضية فان تدخلها قد يهدم آمالها العظيمة التي كانت تبني عليها علالي وقصوراً في الخليج العربي » . فأصغت الى نصائحه وأحلت رأيـه محل القبول فصدر الأمر الشاهاني الى حمدي باشا بالكف عما عزم عليه وبذلك انجلت عن الكويتيين غمة حالكة وزال عنهـم خوف مريـع . وبذلك ايضاً سبق مبارك صاحبه في ميدان الدهاء ، وحاز قصب السبق دونه . وقد قيل في سبب ميل رجب الى مبارك أن الأخير قدم له هدايا ثمينة وتحفـاً غالية .

ومنهم من يرى السبب الأصلي هو التجاء أبناء القتيلين ويوسف الى حمدي باشا في البصرة ، وعدم مراجعتهم الى رجب في بغداد وهو يرى من حقه في مثل تلك القضية أن يكون هو المرجع الوحيد قبل كل أحد لا حمدي ولا سواه .

مبارك يرمي يوسف بقتل أخويه

لم يكتف مبـارك بإبطال ما دبره يوسف وحسب . بل سعى الى أمر لم يكن له حساب سعى في القاء تبعة القتل عليه وتبرئـة نفسه منه ، فقدم الى الحكومة العثمانية مضبطة بذلك،فيها شهادة كثير من أكابر الكويتيين أكرههم مبارك عليها . ولم يمتنع منهم إلا المرحوم الشيخ محمد الفارس والسيد سليمان ابن السيد علي . ويقال ايضاً : وعبدالله الرشيـــد وجبر آل غانم . ولكن يوسف تمكن من الحصول على صورتها بمـــا له من يقظة ونباهة ، وبما له من بذل وسخاء .

مبارك يرجو يوسف الرجوع الى الكويت

أوعز مبارك الى بعض أكابر اهل الكويت بأن يرجوا من يوسف الكف عن الحركات ضد الكويت وان يخلد الى الراحة والسكون . وما كان من يوسف عندما رفعوا اليه الامر إلا أن قال أنه لا يريد سوءاً بها ولا بأهلها ، وأنه ليسيئه جداً كل ما يقلق راحتهم . صرح بهذا في رسائل بعث بها اليهم. فتوسم مبارك من لينه في جوابه ندمه على ما فرط منه فأمر جملة من الأكابر بالسفر اليه فيمقره (الدورة). ساروا اليه وعلى رأسهم الشيخ حمود آل الصباح. وهناك بعـد ان اجتمعوا به فتحوا البحث وحسـوا له الرجوع الى وطنه ولكنه قابلهم بكل برودة وفتور .

وعندما ألح عليه حمود بالرجوع أمر بإحضار المضبطة التي اقتنصها بدهائه فجرى بينه وبين حمود ما يأتي :

يوسف : كيف استنصحكم فيما تقولون واطمئن من الرجوع معكم وها أنتم بهذه المضبطة تشهدون عليّ بأني أنا القاتل زوراً وبهتاناً ؟

حمود : نحن لا علم لنا بهذه المضبطة ولا بما فيها ، وقد يكون مبارك هو المزور لها على ألسنتنا .

يوسف : ومهما يكن فليس من الحزم ولا من العقل مع هذا كله أن أثق بصاحبكم واقبل رجاءكم في الذهاب اليه .

وسائط اخرى

بعد ان أخفق سعي هذا الوفد أرسل مبارك عبد العزيز آل السميط الى عبد العزيز آل ابراهيم في بمبي يتشفع اليه بمنع يوسف من الحركات والتعديات على أهل الكويت. ولكن الأخير أجاب بأن ليس في استطاعتنا منع يوسف عما يريد وهو حر في تصرفاته كلها .. أما مبارك فلم ييأس بعدالاخفاق الاول والثاني فترجى أخيراً من الشيخ خزعل امير المحمرة بأن يتوسط الأمر وقد بذل خزعل همة عظيمة كادت تتحقق بها الامنية لولا معاجلة المنية له .

يوسف ومتصرف الاحساء

لقد ساء يوسف آل ابراهيم ميل سعيد باشا متصرف الاحساء الى مبارك وأخذه بعضده . حتى طفق يعمل الحيلة لايقاعه والتنكيل به. وكان من الاعمال التي قام بها في هذا السبيل أن قدم لرجل من أهل الجنوب يقال له عبدالرحمن ابن سلامة أربعين بندقية وخمسين كيساً من (الرز) ودراهم عديدة ليستثير العجمان وبني هاجر والمره ضد المتصرف . فحمل الرجل المهمة على عاتقه وقام فيها بهمة ونشاط وكتب أيضاً مضبطتين بأسماء رؤساء تلك القبائل المحيطة بالاحساء يشكون فيها من جور المتصرف وظلمه ارسل احداهما الى والي البصرة والثانية للسنير في بغداد . وكادت المضبطتان تصلان الى مقرهما لولا

أن في الطريق مبـــاركاً الذي لا يغفل عن حركات يوسف فقد تمكن أسد الكويت من القبض عليها ومن كشف السر المخفي وفي الحال طير المضبطتين الى (المتصرف) في الاحساء واخبره بجلية الأمر فجاءه منه كتاب يشكره فيه على ما عمل ويثني على همته ويقظته وكان ذلك سنة ١٣١٤ .

هجوم رجال من الظفير على تجار من اهل الاحساء

في ربيع اول سنة ١٣١٤ هجم سعيد السهدي وجمـــلة من الظفير على عبد الرحمن بن دهيش ورفاقه في موضع يبعد عن الكويت ثلاثة أيام ، وهم آتون من الاحساء فأخذوا منهم تسعاً من الابل وجملة من العبي (القيلان) لأهل البصرة وبغـــداد وكمية من النقود تقدر بنحو ألف ومـــائتين ريال (١٢٠٠ ريال) .

أما مبارك فأظهر اهتماماً بتلك الحادثة لاعتقاده ان المحرك لها يوسف آل ابراهيم وأعوانه فوجه كتاباً إلى والي البصرة وتلغرافاً إلى مشير بغداد يخبرهما بالواقعة ويعزوها إلى يوسف – وإلى اناس من اهـــل الزبير ويطلب منهما الضرب على يده ومنعه عن امثال هاتيك الاعتداءات وبعث بصورة الكتاب والتلغراف إلى السيد رجب[1] نقيب اشراف البصرة ليشرف عليها .

---

(١) ان لسماحة السيد رجب نقيب أشراف البصرة أيادي بيضاء على آل الصباح وأهـــل الكويت عموماً . له رحمه الله من الاعمال الجليلة ، في الدفاع عنهم والذود عن حمام والوقوف في وجه من يحاول هتك حرمتهم وضربهم بسهام البلاء والدمار، ما لايزالون يذكرونه الى هذا اليوم بالاكبار . انظر الى سعيه الحميد في تسكين ثائرة الشيخ قاسم بن ثاني . وفي نصحه للشيخ يوسف آل ابراهيم في حركاته وفي تغلبه على الزوابع التي تثور عند رجال الحكومة ضد مبارك وآله . وفي اخماده لنيران غضبهم عليهم كل ذلك مع ما في الرسائل المحفوظة الآن في خزانة ابنائه الفضلاء يشهد لما قلناه . وسيمر بك شيء منها فيما بعد .

حقاً ان للسيد الجليل فضلا واضحاً على اهل الكويت لا ينكر وكنت ارى من الواجب علي ان افيض في ترجمة هذا الهمام هنا لأنه ركن من تاريخ حياة مبارك ومن اكبر معينيه والآخذين بناصره ولأنه ان لم يكن من اهل الكويت لما له فيها من البيوت والاقارب فلانه ممن زارها من الاكابر والوجهاء ولكني ارجأت ذلك الى القسم التالي من التاريخ .

نحن في مثل تلك الحوادث التي ينسبها مبارك الى يوسف وهي غير مشهورة ننقلها بتحفظ فلا نجزم باثباتها ولا بنفيها لما نعرفه من دهاء الاثنين ومكرهما .

يوسف يغزو الكويت بسفن بحرية

لم تضعف عزيمة يوسف باحباط مساعيه التي عملها بل طرق باباً غير الأول وكله أمل في وصوله الى ما يريد لأن يوسف من الرجال المحنكين الذين لا يبالون بفشلهم بادىء ذي بدء ولا ييأسون إذا ما أصيبوا بنكبات في طريقهم ...

سافر يوسف من البصرة الى هنديان ومعشور ولبث في تلك الارجاء مدة يجند الرجال بالمال . ثم أقلع من شط هنديان مع جملة من أبناء القتيلين باربعة عشر سفينة ملأى بالرجال المدججين بالسلاح ووجهتهم الكويت ولكن قبل خروجهم من (الشط) أبصروا سفينة كويتية سائرة الى البلد فقبضوا عليها وعلى من فيها. وبعد أن أخذوا ما فيها من ماء وطعام . وأخذوا على صاحبها العهد والميثاق بأن لا يذهب الى الكويت اقلتوها .

أما صاحبها[1] فما كاد يفلت من يدهم حتى حول وجهه الى البلد غير مبال بما أخذ عليه . فجاءها ووجد أهلها لا يعلمون من أمر الأسطول شيئاً حتى

---

(١) هو علي «ابو اكحيل » وهو موجود الى هذا اليوم في قيد الحياة ولكنه قد انحنى ظهره وابيض شعره وضعفت قوته .. وصفعه الفقر المدقع صفعات مهلكات . ومع هذا فآل الصباح عنه غافلون . وهذا لا يليق بهم وقد قدم لهم الرجل تلك الخدمة العظيمة التي لولاها لكانت النتيجة مجهولة .

كنا نرى ويرى غيرنا الله من الواجب على كل من يتولى أريكة الحكم في الكويت من آل الصباح ان يقوم بما يحتاجه الرجل وعائلته الى أن يفارق الدنيا . نعم كنا نرى ذلك لمخاطرته بحياته في مصلحتهم .

مبـــارك نفسه . وهناك بعد أن همس بأذنه استيقظ من نومه العميق وأخذ يضحك على غفلته التي أوشكت أن تدفنه في قبر الفنـــاء والاضمحلال فجهز سفناً عديدة اتقاء لذلك الخطر الداهم . أراد أن يكون قائدها بنفسه لولا أن الأهلين أقسموا عليه أن لا يفعل .

وفي صبيحة اليوم الثاني أقبل يوسف باسطوله الضخم غير أنه عندما أبصر الكويتيين متجمهرين في ساحل (بنيد القار) رجع القهقرى في الحال إذ علم أن أمره قد انفضح وأن هجومه والحالة هذه لا يعود عليه بالا بالنقص والفشل وقد كان في معيته طراد بقي في جزيرة عوهة يقال أنه كان ينتظر ما يتم بين الفريقين فإما ليوسف وهذا ما يريد.وإما عليه فيرى رأيه من نصره وخذلانه وبوجود هذا الطراد يترجح قول من قال بارتباط يوسف مع الانكليز في هذه الحملة . وانه لم يجهز الاسطول إلا بعلم منهم ورضا . وإلا فمن الأمر المستبعد أن تسمح الحكومة لأسطول حربي يمخر في الخليج العربي الذي ترى لهـا فيه حق حفظه من النهب والسلب . وحق نشر الامن في ساحله غير أن يكون بينها وبين صاحبه تواطؤ.ومن غير أن يكون لها فيه يد عاملة واصبع محركة.

ولو لم يكن الطراد في معية الأسطول لأمكننا نفي ما يقال وقلنا إن الاسطول جهز بلا علم من انجلترا وأن يوسف قد خاطر معها في تجهيزه وقد ابصره مهاجماً وتركه وأبصره فاراً فتغافل عنه .

مهارة يوسف في تلك الحملة

تقدمت هذه الحملة احتياطات عظيمة. تدل على مهارة يوسف وعلى حزمه. أراد أن لا يعلم أحد بسفره الى البصرة في وقته فكان كما أراد فإنه سافر والكثيرون يجهلون سفره بل لا يشكون بوجوده بين ظهرانيهم يأمر وينهى . وأغرب من هذا كله انه بعد مغادرته البصرة الى هنديان بمدة شاع سفره منها الى بمبي . وانه سيسافر منها الى بور سعيد ومنها الى مرسيليا.ثم جاءت الأنباء

من تلك الجهات مصدقة لمـا أشيع . فاعتقد الناس تنقله من بلد الى أخرى . ومن قطر شاسع الى آخر بعيد وهو مع هذا قريب منهم يكاد يسمع ما يقولون ويبصر أشباحهم الماثلة . يدبر حركة هائلة ، أقدم عليها بشجاعة وسخاء حركة كادت تقضي على خصمه الذي عرفت. وهنا لا يسعنا إلا أن نسأل مباركاً عن الجمود الذي أصابه . فلم يكن له علم بتلك الحركة إلا من ذاك النذير . انه لما يدهش وقد عرفنـــا مباركاً بنباهته التي لا يكاد يفوته معها شيء وعرفناه بيقظته التي تغلب بها على كثير من خصومه .نضطر في هذا الفصل الى الاعتراف ليوسف بالتفوق عليه شيئاً مع الحقائق . ولكنا من جهة أخرى نلاحظ على يوسف خطأ لا يقل عما أصيب به صاحبه . ذلك هو افلاته لصاحب السفينة واحسانه الظن به (والحزم انما هو سوء الظن بالناس) .

ولكن قد قيل لكل سيف نبوة ولكل جواد كبوة وكانت تلك الحملة في ١٥ محرم سنة ١٣١٥ .

مركبان في ميناء الكويت انكليزي وعثماني

في ذلك اليوم الذي رجع فيه يوسف بسفنه ادراجه ، أقبل مركب عثماني إلى الكويت من قطر أو من القطيف . فظنه الطراد الانكليزي الذي بقي في جزيرة (عوهه) آتيا إلى مبارك في أمور سياسية . فتبعه وارسى في ميناء الكويت ليكشف الحقيقة بنفسه . ولكنه جـــاء متظاهراً بالاحتجاج على مبارك في اخراجه السفن في البحر . وهناك حاول من فيه النزول ، فاوعز مبارك الى ابراهيم افندي مأمور الحجر الصحي من قبـــل الحكومة العثمانية بمنعهم الا بعد تطهيرهم (بالكرنتينة) نحو خمسة عشر يوماً ، فانقادوا للأمر وخضعوا للقانون ، ولكنهم اخيراً رضوا بمخاطبة مبارك من بعيد فوقف على شاطيء البحر ، وقيل بل ذهب اليهم في سفينة صغيرة ووقف بحيث يسمع كل كلام صاحبه فقال عندما احتجوا عليه ، اني لم أخرج شيئاً من السفن الى

البحر ومارأيتموه هي السفن الكويتية تروح وتجيء في حاجاتها على اني لو فعلت لكان لي عذر واسع ، لأن اسطولا عدائياً يريد مهاجمتي في بلدي الآمنة والقانون يخولني أن اقابله بما في الوسع والطاقة ، فرجعوا ولم يجدوا ما يحتجون به . وقد قيل ان مباركاً ارسل من ينوب عنه في مخاطبة الانكليز ، ولم يخاطبهم بنفسه .

يوسف بعد اخفاقه يذهب الى قطر

ما ضعف يوسف ولا استكان بعد فشله في حملته ورجوعه منها بخفي حنين. بل طار إلى قطر حيث الشيخ قاسم بن ثاني أحد اعداء مبارك الالداء . يستنجده ويستغيث به في نصرته وشد ازره ...

أما الشيخ قاسم فقد اسرع في تلبيته فرحاً مسرورا لأنه لم ينس لمبارك اخذه بساعد الحكومة العثمانية في مناوأته . ولم ينس فرحه [1] الشديد بضرب الانكليز للزبارة واحراقهم وإغراقهم سفن أهلها سنة ١٣١٠ .

أما مبارك فعندما علم بما كان يدبره يوسف في قطر . شرع في تسكين الزوبعة التي أثارها هناك باستمالته بعض رجال الحكومة اليه . فأهدى الى سعيد باشا متصرف الاحساء ، صاحبه الحميم ،هدايا نفيسة تقوية للرابطة الودية القديمة بينهما ، وتسهيلاً لاسراعه فيما يقصد منه . وقد كان المتصرف عند ظن مبارك به . فما تأخر ولا توانى بل بعث في الحال إلى ولاية البصرة يكشف لها جلية الأمر وما عزم عليه ابن ثاني ، وان هذا مع كونه يثير فتنة عمياء . ويقلق الراحة . ويعبث بالأمن . هو اعتداء محض من ابن ثاني على مبارك الخاضع المطيع للدولة العلية . فأصغت الولاية الى ما قال .

---

(١) فقد ارسل الى محمد آل الرشيد من يبشره بما وقع على ابن ثاني وقال عندما لامه أخوه محمد آل الصباح على ما عمل (عقلي عندي) ومهري (أي خاتمي)بيدي(وانابكيفي)(أي باختياري).

وكان للسيد رجب النقيب الذي بعثته الحكومة العثمانية مع محمد علي مدير أوقاف السنية في مركب زحاف ، يد ظاهرة في تسكين تلك الحركة والضرب على يد ابن ثاني بيد من حديد وكفه عما عزم عليه قسراً .

مراوغة يوسف وسفره الى بمبي

لا يشك أحد بأن المثير لحركة قطر هو يوسف لا سواه . ولكن لم يشأ ان يعترف بشيء من ذلك أمام الذين قد يجهلون الحقيقة .

بعث بكتاب إلى حضرة السيد رجب النقيب في البصرة قبل ان يسافر السيد الى قطر ينكر فيـــه تدخله بأمر تلك الحركة انكاراً باتا ، ويقول انه لتلك التهم التي حامت حوله سيسافر الى بمبي ابعاداً للشبهة وتكذيباً للمتقولين.

وقد سافر فعلاً مع بعض أقاربه الى (الجسم أولا) ثم سار هو الى بندر عباس بعد ان ترك أقاربه في الجسم وركب في احد المراكب البخارية الى بمبي وهناك طلب منه الشيخ عبد العزيز آل ابراهيم ان يبقى في بمبي لمباشرته تجارتهم فاعتذر ، وقال الاحسن ان يقبض زمـــام الأمر (الشيخ) قاسم آل ابراهيم .

أما أنا فقد يكون في قبضي للأمر إتلاف للمال .

يوسف يذهب إلى حائل متنكراً

في الأيام التي أقامهـــا يوسف في بمبي ورد من تحسين باشا باشكاتب المابين الهمايوني كتاب الى ابن الرشيد باللغتين العربية والتركية ، يتضمن طلب الباب العالي من ابن الرشيد ان يقوم بمهمة الصلح بين مبارك ويوسف . غير ان بعض المغرضين وأهل الأهواء في البصرة أبلغ يوسف الخبر على غير حقيقته فقال له ان الحكومة أمرت ابن الرشيد بمساعدتك على مبارك خصمك اللدود . فطار

يوسف بهذا الخبر فرحاً وسافر من بمبي في أحد المراكب البخـــارية متنكراً ونزل البصرة ، ثم خرج الى الزبير ولم يشعر به احد ، ومنها سار الى حائل متنكراً أيضاً وفي معيته أربعة من الخدم ، وقد تزيا بزي (الصلبة) وكان يرعى الإبل بنفسه لئلا يعرفه احد . وما هو إلا ان وصل هناك حتى جرى بين الاميرين من الحوادث ما ستعلمه .

يوسف ومحمد آل الرشيد

يقال ان يوسف في أثناء ما كان يستنجد بابن ثاني في قطر على غزو مبارك كان ايضاً يستنجد بمحمد آل الرشيد في حائل ، وان محمـــداً تظاهر بالميل له بإجابة طلبه ولا يبعد أن يحصل هذا من محمد ، فانه كان يضمر لمبارك كرهاً شديداً لا لشيء إلا لأن مطامعه كانت تزاحم مطامعـــه ونفسه لا تصغر عن نفسه وآماله العظيمة تضيع في فضائها آمال محمد . فكان مبارك يطمح الى فوق ما يطمح اليه من نفوذ الكلمة في البادية في نجد . وقد أحس بذلك منه أيام أخويه : عبدالله ومحمد . بل زاد الطين بلة ان مباركاً قتل جملة من تجار أهل حائل خفية بعد ان خرجوا من الكويت ببضائعهم ، وبعـد ان بعدوا عنها . ولم تخفَ الجافية على محمد وإن أخفاها مبارك . ويدلنا على ما كان يضمره له من الكراهية استنكاره عليه قتل أخويه بكتاب شديد اللهجـة حاد التأنيب . ومهما يكن فقد قيل ان محمداً اوشك ان يهم بتجهيز الجيش لغزو الكويت من الشمال في الوقت الذي همّ ابن ثاني بذلك من الجنوب . ولكن بمعاجلة المنية للأول ، وبكف الحكومة للثاني وقع عن ظهر الكويت ومبارك حمل ثقيل ..

مبارك وعبد العزيز آل الرشيد

عندما حضرت محمد آل الرشيد الوفاة سنة ١٣١٥ في رجب أوصى خلفه عبد العزيز بالتيقظ لمبـــارك وحضه على التنبه له وعلى مقاومته بكل ما في

وسعه . وقال له إنه هو الذي قتل تجار أهل حائل الذين خرجوا من الكويت وهو العدو اللدود لآل الرشيد عموماً. أوصاه بذلك ونحن نعلم ان عبد العزيز ليس في حاجة الى من يوصيه ، وقد علم ما تنطوي عليه نفس مبارك الكبيرة من المطامع والآمال . يعلم عبدالعزيز ان مباركاً هو الشيخ المخيف في جزيرة العرب وهو الرجل الوحيد الذي ان ترك وشأنه قوض منها خيام كل أمير ورماه بما ينزله من حالة عزه الى الحضيض الأسفل بما له من همة وإباء وما له من عزم وحزم لاخماده . يعلم ذلك منه علم اليقين . فكان من جرائه لا يزال يترصد الوقت المناسب لإخماد أنفاسه ومحو اسمه من ظهر الارض ..

أما مبارك فمع آماله البعيدة لم يفته ما كان يجول في خاطر عبد العزيز آل الرشيد نحوه فكان لا يفتأ ينظر اليه بعين الحذر ، ويراقب حركاته عن كثب ، ويود معاجلته بما يخضد شوكته ويقطع شأفته ، غير أنه ظل تلك المدة الطويلة بعد وفاة محمد آل الرشيد وهو ملازم للهدوء والسكون ولم تبد منه حركة ضده . وما ذاك إلا لأن أمامه من هو أولى بالاهتمام . أمامه عدو ماهر ، عدو قوي قريب ، نوّع عليه المشاكل وأكثر عليه التهم والاختلافات. أمامه يوسف آل ابراهيم البلاء المنزل والصاعقة المحرقة الذي لم يدع له وقتاً يتفرغ فيه لسواه. إذاً فلا غرابة اذا ما رأينا مباركاً أعطى ابن الرشيد اذناً صماء واشتغل بيوسف دونه الى ان ابطل كل حيلة قام بها الأخير ونقض كل غزل قد فتله .

هناك رأى الوقت قد حان لتنفيذ خطته . سيما وقد علم ان يوسف حلق بجناحيه الى حائل . لاغراء ابن الرشيد على حربه . كما علمت نعم رأى مبارك الوقت قد حان . فأخذ يعد العدة . ويتأهب لغزو عدوه في عقر داره . وليقطع ريشه الذي يطير به .

حمود آل الصباح يهجم على شمر

وأول شيء قام به مبارك . ان جهز حمود آل الصباح بجيش من الكويت للهجوم على عربان ابن الرشيد من شمر القاطنين على (الوخيمه) فأغار عليهم في صفر سنة ١٣١٨ . وأخذ منهم ما أخذ .

أما ابن الرشيد فقد جاء بنفسه في تلك الآونة للاغارة على عربان ابن صباح أيضاً . ولكن مباركاً سبقه في هذا الميدان وعاجله قبل معاجلته اياه . ولقد أبصر الجيش الكويتي في غارته على شمر ليلا نيران ابن الرشيد المتأججة في الفضاء فصدف عنه الى تلك الغنيمة الباردة .

وعندما وصلت فلول الجيش الى ابن الرشيد وعلم بما نزل به من عدوه . وان عدوه كان في يقظة وانتباه مال الى سعدون الذي أغار على شمر في (تل اللحم) في أيام مضت لئلا يذهب سيره سدى . واستعداده هباء . فهجم عليه وعلى من معه من المنتفك والظفير فنال ما نال من الاموال وقتل من قتل من الرجال .

حادثة الصريف أو الطرفيه (١)

بعد تلك الحادثة رأى مبارك ان يعاجل ابن الرشيد في عقر داره لئلا تكون له فرصة يستعد بها . فسافر اليه بجيش عرمرم ضم كثيراً من العربان كمطير والعوازم . والعجمان . وعريب دار . والمنتفك . والمره . وبني هاجر . وثلة من الظفير ونحو ثمانمائة مقاتل من أهل الكويت . وكان مبارك هو القائد له بنفسه . وفي معيته حمود وخليفة . وصباح بن حمود من آل الصباح .

---

(١) الصريف والطرفية موضعان متقاربان قرب القصيم اقام كل من ابن صباح وابن الرشيد على واحد منها ومنها ابتدأ مسير كل الى صاحبه في يوم الحادثة وبينهما كانت تلك المعركة الهائلة التي أطلق عليها هذان الاسمان معاً . وكانت في ذي القعدة سنة ١٣١٨ .

والامام عبدالرحمن الفيصل آل سعود [1] وابنه عبدالعزيز سلطان نجد . وآل سليم امراء بريدة [2] وبعد خروج الجيش تبعه سعدون السعدون ايضاً . سار الجيش وقد أثقلت وطأته الأرض وملأ الفضاء كثرة وعـــدداً . سار تردد الجبال صداه وترتعد من زئيره الاسود .

اما ابن الرشيد فذعر من مسيره ذعراً أطار لبه واعدمه رشده . وود أن لا يلتقي به ولا يشتبك واياه في قتال . ولكن مباركاً كان يطارده في رؤوس الجبال . وبطون الاودية ويسأل عنه السهل والوعر . وقد صمم على ان لا يتركه ولو اعتصم بأعظم معتصم. اذ ذاك علم ابن الرشيد ان لا مندوحة له من النزال ، ولا مفر له من القتال فاستسلم للقضاء . ونزل الميدان مكرهاً وهناك بين الصريف والطرفية وقعت تلك الحادثة المشهورة في تاريخ الكويت

---

(١) وقد كتب عبد الرحمن اذ ذاك كتاباً الى السيد رجب النقيب في البصرة بتاريخ ربيع ٢ سنة ١٣١٨ يخبره فيه بخروجه وطلب منه ان يستعطف والي البصرة في أمور ذكرها في كتابه وهذا نصه « ما يخفى شريف عليكم قدم خدماتنا للدولة العلية ادامها رب البرية . من وقت الاباء والاجداد . وتعديات ابن الرشيد على بلداننا وعشائرنا وظلمهم ايام وهو ليس له حق في ذلك . وبمقتضى تعدياته وظلمه . اكثر علينا أهل نجد الالحاح ان نتوجه لاجل استنقاذهم من يده وتوجهنا لذلك . فنرجو من تفضلاتكم ان تسترحموا لنا من حضرة والي ولاية البصرة ان يكتب لابن الرشيد ان لا يتعرض لنا ولا يحرك أحداً من عشائره علينا حذراً ان تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دماء المسلمين وهو السبب في ذلك ونحن خدام الدولة قديمين وعلى هذا عهد الله وميثاقه اننا لا نزال نؤدي الخدمات اللازمة لحضرة امير المؤمنين ادام الله مجده وعزه . ونحامي أتم المحاماة على جميع أطراف الدولة العلية . الاحساء والقطيف وعشائرهما الخ ...

(٢) وكان الغرض من مسير عبدالعزيز السعود وآل سليم وآل مهنا هو احتلال الرياض والعنيزة وبريدة لاشتغال ابن الرشيد بخصمه وقد نجحوا في خطتهم بادىء الامر فان آل سليم دخلوا عنيزة . واحتل آل مهنا بريدة . وذهب عبدالعزيز الى الرياض وقبض عليها بمخلبه غير ان اميرها عبدالرحمن بن ضبعان تحصن في قصرها واعتصم بحماه فشرع اذ ذاك ابن السعود في حفر خندق يتصل الى القصر لينسفه به نسفاً بعد ان يملأه باروداً . ولما لم يكن بينه والقصر الا اذرع قليلة بلغه آنذاك مبارك ومن معه في حادثة الصريف . فاستعجل بخروجه من الرياض قبل ان يشعر بالحقيقة احد وهكذا كان خروج من دخلوا عنيزة وبريدة فاتحين .

هناك التحم الجيشان وتقابل الفريقان واستمر القتال من قبل الظهر الى قبيل العصر وقد تقهقر ابن الرشيد مرتين من مركزه . ولكنه في كل منهما كان يتمكن من التقدم الى الامام وقد قدم أمام جيشه صفوفاً من الابـل جنة لتقيه (النبال) فكانت كهشيم المحتضر وأخيراً بعد قتال عنيف وعراك شديد ذهبت فيه أرواح لا تحصى . وزهقت نفوس غير قليلة . تم الانتصار لابن الرشيد على خصمه . وشرب كأس العز قبله ولكن مما يسطر له بمداد الخزي والعار ، على صفحات الانتقاد المر تعقبه المنهزمين من الكويتيين بعد المعركة . واجهازه على الجرحى منهم بعد ان وضعت الحرب أوزارها واعماله السيوف في رقابهم . بدون رحمة ولا شفقة ووصيته لقومه أن لا يعتقوا أحداً من الكويتيين لا أبيض اللون ولا أسود[1] فكان من جراء ذلك لم يفلت منهم إلا النفر القليل ولقد كانوا يخرجونهم من المساجد والكهوف والمدن والقرى ويذبحونهم أمام إخوانهم ذبح الشياه الواحد تلو الآخر .

نحن نعذر ابن الرشيد في بعض ما أتى لاعتداء مبارك عليه . ولكن لا نعذره ولا يعذره الله والتاريخ في تلك الأعمال الوحشية التي مثل بها أدوار الحيوانات المفترسة . وهو يعلم أن أهل الكويت مكرهون. على أن ما سود به صحيفة تاريخه مخالف لجميع الشرائع والقوانين فلا المسلمون يبيحونه حتى مع مخالفيهم في الدين . ولا المخالفون يستعملونه حتى مع المسلمين ولكن الجهل له سلطة على من حرموا من العلم وحجبوا نوره ويكفي العاقل اللبيب اعتباراً بفظاعة ما عمله ابن الرشيد ما حل به وبانصاره من البلاء وما أصيبوا به من زوال الملك والسطوة ووقوع السيف فيهم واستيلاء عدوهم على كل ما كانوا يملكون .

---

(١) كان الكويتيون لحرارة طقسهم ولكثرة اشتغالهم في البحر تميل ألوان كثير منهم الى السمرة والسواد بحيث يصعب التمييز بينهم والارقاء المستعملين للخدمة عند من لا يعرفهم لهذا أوصى ابن الرشيد قومه بما سمعت .

أسباب انخذال مبارك في حادثة الصريف

لأسباب عديدة طوق مبارك الفشل والهزيمة في تلك الحادثة المؤلمة (احدها) اعجابه بكثرته اعجاباً لم يدعه يستعد لخصمه الاستعداد الكافي وليس في الكثرة وحدها من دون تدبير وحزم ما يضمن نيل الفوز سيما إذا كان الاعجاب قد تخلل الصفوف وشمل الجموع. فالله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو المؤيد المنصور (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً) . (ثانياً) ان جل المقاتلين مع مبارك من البادية وهم لا يقاتلون عن مبدأ شريف ولا عقيدة راسخة يضطرهم الى الاستماتة في سبيلها وإنما يندفعون بدافع الطمع بالمال لا غير فاذا ما علموا والحالة هذه ان من وراء الحصول عليه ازهاق أرواحهم ضنوا بها وأحجموا عن التقدم وولوا الادبار .

(ثالثاً) ان قتال جند ابن الرشيد قتال المدافع عن وطنه وعن روحه وهذا من الدواعي الكبرى الى الشجاعة والاستبسال، واذا أضفنا إلى هذا كله تدرب صغيرهم وكبيرهم على الطعن والضرب منذ نشأتهم وتنظيمهم ايضاً تلك الحملة كان هذا من أقوى الأسباب في الفوز والانتصار .

رابعاً — انخداع مبارك بعد وصوله الى القصيم بقول من رمى ابن الرشيد بالضعف وتفكك الجند من حوله وتفلتهم من بين يديه وقد كان هذا داعياً لعدم ممانعته بالرخصة لمن استأذنه من العربان حتى انفصل عنه كثير منهم وذهبوا الى أهليهم .

ندب الكويتيين قتلاء الصريف

كان الكويتيون في مدينتهم ينتظرون حقيقة تلك الحادثة بفارغ الصبر . ينتظرونها وهم على أحر من الجمر . وقد ساورتهم الهواجس والمخاوف وبينما هم كذلك واذا بـ (قرينسر) أحد خدام مبارك قد ولج المدينة متنكراً يتعثر

باذيال الذلة والانخذال . فأطار النبأ المفجع بينهم ورمى جموعهم بتلك القنابل المزعجة . فترك الكويت إذ ذاك كالسفينة التي تتقاذفها الأمواج . تركها وقد ارتفع عويلها الى عنان السماء . وغادر دموعها الحمر تجري كالسحاب المنهمر . تركها تندب قتلاهـا ندب الثاكلات . وقد عم الغم البيوت . وشمل الأسى الأفراد والجموع . فلا بيت الا وفيه عويل . ولا قلب الا وقد اضطرمت فيه النيران . فهذا يبكي على الفه الصدوق ، وتلك تنوح على ابنها البـار وذاك يتفجع على قريبه الحميم. والكل في المصاب مشتركون ونظموا القصائد النبطية في تلك الحادثة . مما سنذكر نماذج منها في باب الأدب .

مبارك بعد الصريف

وصل مبارك الى الكويت بعد حادثة الصريف وليس معـه إلا اثنان من خدامه . وصلها وقد خسر جيشه العظيم وجنده القوي لابسا ثوب الخذلان بعد العزة . فننظر اليه وقـد اصيب بتلك الكارثة السوداء التي تهد الجبال وتذوب من هولها القلوب . اهل خامره اليأس مما اصابه فنزيل اسمه من سجل الرجال أم لا فننظمه في سلك الابطال لنتعرف الى نفسه على ذاك المحـك الصادق ؟ أهي نفس من لا يكون رجلا الا في الهون والرخاء ؟ وفي الشدة ينزل به ما يبعد عنه رشده ؟ نعم نظرنا اليه من تلك النـافذة فوجدناه من الحديد خلق ومن الصبر عجنت طينته وجدناه لا يبالي بالكوارث المدلهمة ان اغلق أمامه باب فتح لنفسه من الامل ابوابا وإن سد عليه طريق بحث له عن طرق اخرى سمعناه بعدها يقول وهو متربع على كرسي حكمه لا بد لي من اخذ الثأر ممن الحق بي العار . لا بد وان انزل به من البلاء ما ينزله من عرشه. لا بد لي من منازلته في الميدان . وانا على عرشي من الجالسين وملأ اسماعنا بذلك الصوت فظنناه من باب تسلية الابطال انفسهم امام الحوادث الممضة . واظهاراً لتجلدهم بين اعدائهم .

وتجـلدي للشامتين أريهم   أني لريب الدهر لا اتضعضع

ظنناه كذلك ولكننا من المخطئين فان ما قاله حقيقة ناصعة قالها بعد ان رسم في ذهنه خطة صادقة في القضاء على خصمه (وقد قضت عليه) كما قال، خطة مدهشة لو رسمها امام الناس اذ ذاك لظنوه قد اصيب بعقله من هول المصاب ، ولكنه قال فاجمـــل وترك التفصيل للاعمال التي تشهد له فلنتركه الآن وخطته . وما فيه من الآمال العذبة والاحلام اللذيذة ولنذهب واياك الى ابن الرشيد ويوسف والى ابناء القتيلين والى الحكومة العثمانية ايضاً فقد تركنا الكل ثملين من خمرة النصر مبتهجين بما حصل من الفوز المبـــين الذي كادت تتحقق به آمالهم .

اعداء مبارك يرسلون جاسوساً الى الكويت

ترجح لدى اعدائه انه قتل في ساحة الصريف ، بآثار عثروا عليها هناك فشجعهم ذلك على مهاجمة الكويت التي ستخور قواها بعد غياب اسدهـــا . ولكنهم بعثوا من يكشف لهم الحقيقة ليكونوا من هجومهم على بصيرة . فذهب من انتدبوه مختفيا وبقي في الكويت الى ان قدم مبارك . فاندس بين المقابلين وهو لابس ثوب امرأة فأبصر مباركا بعيني رأسه على ناقته والنـــاس يسلمون عليه . وفي الحال رجع الى مرسليه وأبلغهم ما رأى فقوضوا خيام ما عزموا عليه .

الحكومة العثمانية تهم بمهاجمة الكويت بعد الصريف

بعد تلك الحادثة التي انخذل فيها مبارك همت الحكومة بمهاجمة الكويت لاسباب سيأتينا ذكرها ، وقد ارادت ان تمهد السبيل الى ذلك بمقدمات تظهر عذرها فيما صممت عليه .

ففي ربيع ٢ سنة ١٣١٩ ورد تلغراف من باشكاتب المـــابين الهمايوني لمشير بغداد يتضمن تكليفه اقناع مبارك آل الصباح بالرضوخ لأمر البـــاب

العالي هذا نصه (بلغوا الشيخ مبارك انه بموجب المعاهدة الدولية ، اذا وجد في احدى المواضع سنجق عثماني أو مركز عسكري . أو مأمور للحكومة فلا لجميع الدول تدخل فيلزم باي صورة مسيسة تبليغ مبارك باشا الامر) ولكن المشير كان يعلم صلابة مبارك ويعلم انه لا ينزله عن إبائه مجرد اقوال تصدر من الباب العالي ، او تهديدات توجه اليه . وان احسن وسيلة لإنزال النعرة من رأسه هو تخويفه بالقوة المرهبة . لهذا جهز جيشاً من العراق لا يقل عن عشرة طوابير غادره على أتم أهبة واستعداد بقيادة محمد باشا الداغستاني ، ثم ذهب المشير الى البصرة ليأخذ رأي واليها محسن باشا في ما عزم عليه . غير ان محسناً أظهر له عدم الارتياح وهون الأمر عليه . ونظراً لما بين محسن ومبارك من الصداقة والصحبة القديمة فقد تأثر محسن من الحادثة وود باطناً لو تتاح له فرصة للسفر الى الكويت ليقابل فيها مباركاً ويدلي له بنصائحه الثمينة التي تكون عاقبتها خيراً له . وقد كان كما أحب ، فان المشير بعد ان علم برأيه أمره بالمسير الى الكويت ليبلغ مباركاً أمر الحكومة ، ويقنعه بالنزول على حكمها . فسار كما أمر بمائة وخمسين (سوارياً) ، وهناك اجتمع بمبارك وأخبره بكل ما جرى وحضه على ان يذهب وإياه الى الفاو لمخابرة الباب العالي رأساً ، بعرض الطاعة عليه والخضوع لأمره وبيان ان ما أشيع عن الكويت واهلها هو من تقولات المرجفين .

طالب محسن مباركاً بذلك ولا ريب في انه رأي صائب وفي مصلحته ، ولكن رغماً من هذا كله ، ورغماً من قوة الصلة بين الاثنين فقد خامر مباركاً الشك في صدق محسن وتردد في اخلاصه له في تلك القضية وقد أراد ان لا يجيبه الى ما طلب لولا إلحاحه الشديد . فسار معه ولكنه استعد برجال من اهل الكويت يثق اليهم اتقاء لما قد يحدثه القضاء . فساروا جميعاً الى الفاو ، وقاما بدورهما المهم ، الذي كان من نتيجته كف المشير عما عزم عليه وإرجاع الجيش الى مقره. ويقال ايضاً ان من الأسباب الرئيسية في إرجاع ذلك الجيش

المرمرم هو تدخل بريطانيا التي عاهدت مباركاً على صد اعتداء المهاجمين عليه وعلى بلده . واذا كانت انكلترا لا تود في ذلك الوقت اظهار اتفاقهــا معه ومعاهدتها اياه فانها لدهائها الغريب وحنكتها السياسية لا تعوزهـا الحجج القوية التي تضطر الحكومة العثمانية على كفها عما قامت به . نعم لا يعوزهـا بسحرها ان تخوف الحكومة من فتحها باباً من الشر لا يستطاع إقفاله بعد ، وانها ان أقدمت على مهاجمة الكويت فستهد ما لها فيها من الحقوق بيدها .

أسباب تلك الحملة

وقفنا على محاورة طويلة في البصرة تقدمت هذه الحملة بين القائد ووكيل مبارك في البصرة كلها تدور على تخوف الحكومة من تدخل مبارك مع انكلترا. وفيها أمر القائد الوكيل بالنصح لمبارك وبالعدول عن تلك الخطة ، وانقياده للحكومة العثمانية وانه ليس في استطاعته مقاومتها اذا ما همّت به وفي بلده وها هي أعدت له جيشاً عظيماً سترميه به إن لم يظهر الطاعة والخضوع . وقد وصلت تلك المحاورة الى مبارك في الكويت فقدمها الى رئيس الخليج العربي في ابن شهر .

نعم ان تخوف الحكومة التركية وتطيرها من ذلك يدعها ترغب في معالجة مبارك بالقضاء عليه قبل ان يقضي على نفوذها في الخليج . فانهـا تعلم بطمع انـكلترا في الخليج عامة وفي الكويت خاصة وانها كانت تحاول بسط نفوذها في تلك الانحاء بوسائل شتى وطرق مختلفة من أمد بعيد .

إذاً فلا عجب ان اتخذت من انخذال مبارك في الصريف فرصة سانحـة لتحقيق أمنيتها. ولا عجب اذا ما همت بما قصصنا عليك آنفاً. وقيل ايضاً ان من أسباب تلك الحملة ان اعداء مبارك في اثر حادثة الصريف قدموا للحكومة العثمانية مضبطة بأسمـاء أكابر الكويتيين يشرحون فيها الخوف الذي أحاط بالكويت واهلها من البادية والاشقياء وتعرضهم للسلب والنهب من العربان المحدقين بهم ويستعطفونها بإلفـات نظرها اليهم وارسال من يقوم بالأمن من

جندها الشاهاني الى رحاب الكويت . فعلوا ذلك نكاية بمبارك وإيقاعاً به . ومهما يكن فسواء كان السبب هو الاول او الثاني او إغراء الحكومة الالمانية للاتراك بامتلاك الكويت فإن نصيب تلك الحملة الفشل .

ابن الرشيد في أطراف الكويت في جماد ٢ سنة ١٣١٩

شق على ابن الرشيد ما نزل بالجيش العثماني مما اضطره للرجوع عن مهاجمة الكويت وقد كان يبني عليه آمالاً بعيدة ويقدر أن سيجني من انتصاره ثمراً شهياً . شق عليه ذلك كثيراً فانبعثت همته وقويت عزيمته على مهاجمتها . سيما وقد وجد من الحكومة العثمانية تشجيعاً له وتنشيطاً .

أما مبارك فعندما علم بما عزم عليه استقدم سعدون باشا الكويت ليسند بـــه ساعده وخابر رئيس الخليج العربي في أبي شهر في الأمر . فلبى الأول الدعوة عاجلاً . وأرسل الثاني طراداً حربياً الى مياه الكويت. ليقوم بالدفاع وقت الحاجة . ثم شرع مبـارك باحاطة المدينة بخندق ، يقيها الهجمات وقد ساعد الكويتيين على حفره ثلة من الجند الانكليزي .

وفي تلك الآونة أقبـــل ابن الرشيد بجيشه العظيم . فأغار على الصبيحة ولكن لم يجد فيهـــا إلا الدمن والاثافي السود . ثم أغار منها على (واره) فصادف قافلة من مطير خارجة من الكويت . استولى على أموالها بعد قتال عنيف قتل فيه كاتبه الخاص (جار الله يوسف العتيق) ونهب ايضاً نحو ثمانية آلاف من الغنم وألفين وسبعمائة من الابل للكويتيين وأتلف كثيراً من مزارعهم وبساتينهم .

أما الكويت فقد رأى مهاجمتها بعد الاحتياطات التي استعد لها مبارك عبثاً بل علم أن ليس وراءه إلا الويل والخسارة . فاكتفى بما نالته يده مـن الأموال وذهب الى الحفر . ورابط فيه مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر . وكان

له من وراء اقامته هناك ثلاثة مطالب : (احدها) حماية عربانه القاطنين في تلك الجهـات . (ثانيها) رغبته في خوض غمار الحرب مع مبارك مرة أخرى سيما بعد تلك الواقعة التي شرب فيها كأس العز والنصر . (ثالثها) تطلبه الغرة في عربان ابن صباح ولكنه مع هذا كله ومع هذه اليقظة وتلك المدة الطويلة . لم يفز بشيء يستحق الذكر . وما ذاك إلا لأن مباركاً أقام في الجهراء قوة كافية تشرف على أعمال ابن الرشيد وتراقب حركاته من كثب وتقف في وجهه اذا ما أراد الهجوم أو الاعتداء .

احتجاج مبارك على ابن الرشيد

بعد مـــا نهب ابن الرشيد ما نهب من أطراف الكويت قدم مبارك احتجاجاً عند والي البصرة إذ ذاك مصطفى نوري باشا على نهبـــه الاموال واعتدائه في غارته . وقد سمع الوالي الاحتجاج وأصغى الى شكواه . وبعث اليه بكتاب مع أحد رجاله في رجب سنة ١٣٢٩ ، يتضمن ذلك وفيه أن الحكومة غضبى على ابن الرشيد فبادرت بطرد رجاله من البصرة . هذا ما قاله الوالي لمبـارك وقد تكون الحقيقة ضد ما أخبر وإنما قال ما قال ارضاء لمبارك ظاهراً ، ظناً منه أن مباركاً تخفى عليه الحقائق وينخدع بالتمويه.

السيد رجب النقيب في الكويت في شعبان سنة ١٣١٩

أسلفنا لك ما جرى على الحملة التي وجهت من الكويت . وانها سكنت بعد حركتها وخمدت بعـــد اشتعالها والآن نرى الحكومة قد سلكت غير مسلكها وقامت بأمر هو أشد منه وأفظع .

ارسلت الى مبـارك السيد رجب نقيب اشراف البصرة وميرالاي يجيب أخا الوالي في مركب زحاف . وهما يحملان اليه تهديداً . يقض عليه مضجعه ويضيق على أنفاسه ، تهديداً خيرته فيه بين ثلاثة أمور امـــا ان يسافر الى

الآستانة فيعين فيها عضواً في مجلس شورى الدولة ، واما أن يسافر الى أي بلد يريدها والحكومة تقوم بما يحتاجه والا تستخدم القوة الفعالة ضده فيما اذا رفض أحد الامرين وكان في الوقت نفسه.قد حضر الى الكويت من (ابو شهر) طراد انكليزي علم بالمكيدة . وعلم بما تحاوله الحكومة من مبارك . فشجع وجود هذا الطراد مباركاً في جدله مع رجال الوفد التركي فقد حاول أولاً التخلص من مطالبه بكل وسيلة وبكل استعطاف واسترحام . لئلا يضطره الى ما لا يحب ويرضى ولما لم يجد منه إلا التشدد والتصلب اضطر إذ ذاك الى اعلان معاهدته مع انكلترا واظهاره ما كان سراً بينهما . فكانت الخاتمة انذار قومندان الطراد للوفد العثماني بالرحيل من الكويت وتركها وشأنها وإلا فانه يعرض نفسه لخطر مريع قد تكون عاقبته قعر البحار وبطون الاسماك . فاختار الاول حبا بالسلامة ، أو بتعاليم من الحكومة العثمانية التي تتحاشى اغضاب انكلترا ، وتتحاشى الامور التي تثير الحرب بينهما .

النقط العسكرية في حدود الكويت

رأت الحكومة العثمانية بعد فشلها في حملاتها المتنوعة على الكويت ان تقتطع شيئاً من حدودها تضييقاً على عدوها مبارك وعلى بلدته فأقامت نقطاً عسكرية في بوبيان ، وأم قصر وسفوان في آخر سنة ١٣١٩ محتجة في دخولها في حدود العراق . ولكن مباركا هب للدفاع عن حقه وقدم الى الحكومة العثمانية في البصرة احتجاجاً على هذا العمل في محرم سنة ١٣٢٠ ، وادعى ان تلك الاماكن داخلة في حدود الكويت . وان له على ذلك حججاً وبراهين .

فالقصر الذي في (أم القصر) لم يبنه الا ابن رزق في أيام جابر آل الصباح. وابن رزق هو من رجال الكويت المشهورين الذين لهم فيها إلى هذا اليوم آثار وأقارب . واما بوبيان فقد نصب الكويتيون فيها (الحضور) لصيد الاسماك من أمد بعيد . ثم أشفع هذا بالشكوى من بقاء الجند في تلك الاماكن ، وان

ذلك قد يحدث فتنة وشراً ، سيما ولا يزال الجند يتحرش بالكويتيين الذين يرتادون الذهاب اليها بكرة وعشية وبالأخص بوبيان . ولكن الحكومة لم تصغ لاحتجاجه ، ولا سمعت شكواه ، فرفع الامر الى انكلترا بواسطة ريس الخليج العربي ، وشرح لها الحال . واستعطفها بشد عضده امام هذا الاعتداء المخالف للقانون ، ولكن انكلترا تغافلت عن طلب مبارك تغافلا لم يكن ليتصوره . ونهاية ما قامت به ، ان ارسلت الى الكويت المركب المسمى (سفنك) ليأخذ منها ربانا يهديه لبوبيان وأم قصر للكشف عليها ، وقد نددت جريدة التيمس على انكلترا في تصامها عن نداء مبارك في ذلك . فقالت (وكانت السفارة الانكليزية في الاستانة لا تبدي ولا تعيد في ذلك الزمان . وكذلك الحكومة الانكليزية فإنها كانت قد انتقلت من نوبة حامية الى نوبة باردة . والمفهوم ان هذا التغير نشأ بعضه ، عن حادثة حدثت في اجتماع بين الملك ادوارد وامبراطور المانيا . فان الامبراطور كان مشوقا الى حديث الكويت ، يبدي مزيد الاهتمام بها ، وكان الملك مسلحاً بقطعة من الورق ، اودعها بعض المذكرات في المسألة فطلب الامبراطور الاطلاع عليها. فأجيب الى طلبه . ولكنه اساء الى صاحبها اذ عدها بلاغاً رسميا . ولم تكن كذلك . وكانت تحتوي على اعتراف متنازع فيه . واستصوب حينئذ اغتفار ما فعل الأمبراطور . ولكن نال السياسة الانكليزية في الكويت ضرر من ذلك اذ ترك النقط التي انشأها الاتراك في جزيرة بوبيان وشأنها بعد احتجاج رسمي وفي ذلك ما فيه من الفت في عضد مبارك الذي بالغ في التشبث بانكلترا ولكنها قصرت في اسعاده وبقيت النقط هناك الى ما قبل الحرب بقليل ا هـ.) من تاريخ الحرب العظمى ص ٤٨٩ .

استيلاء ابن سعود على الرياض

قلنا آنفا ان مباركا قد رسم خطة للقضاء على خصمه ابن الرشيد بعد حادثة الصريف . وها أنا سأحدثك عنها في هذا الفصل .

بنزوح ابن الرشيد عن نجد وإقامته على مـاء الحفر في اطراف الكويت رأى مبارك الوقت لتنفيذ تلك الخطة قد حان ، سيما وقد أقام في الجهرى من القوة ما جعل ابن الرشيد . يحاذر منها مقيما وظاعنا وتضطره على البقاء هناك خوفا على عربانه المشتتين في تلك الفيافي والقفار . نعم بذلك رأى مبارك الوقت قد حان . فحض ابن السعود على امتلاك الرياض والاستيلاء عليها وقد كان ابن سعود أشد منه رغبة في ذلك واعظم ميلاً لتحقيق تلك الامنية . فخرج ابن سعود من الكويت على رأس سرية متظاهراً بغزو بعض باديـــة الجنوب وأقام هناك مدة الى ان صفا له الجو ، فهبط الرياض مع جملة من رجاله ليلا ودخل بيت امرأة من اقاربه ، وبقي فيه ينتظر خروج (عجلان) امير الرياض من قبل ابن الرشيد . وكانت عادته ان يبيت في القصر الحصين خوفا من حوادث الدهر . ولكن القدر لا يغالب .

بعد طلوع الشمس خرج الامير من القصر يريد بيته ، فخف ابن سعود لملاقاته . ولكن (عجلان) ولى هارباً عندما أبصره ورجاله شاهرين السلاح . ولى هارباً ليعتصم بالقصر ، غير ان ابن سعود أدركه في خوخة الباب ورماه فلم يجهز عليه في المرة الاولى ثم رماه الثانية فزهقت منه روحه . فدخل ومن معه القصر ولم يحدث فيه قتال يذكر . وبذلك تم لابن سعود الاستيلاء على الرياض . ولم يجد أمامه عقبات تعترض طريقه . وما ذاك الا لميل أهـــل الرياض اليه ومحبتهم له ولبيته المحبة الصادقة وتفضيلهم اياه على من سواه ، ونفرتهم الشديدة من ابن الرشيد ومن ظلمه وجوره (١) وكان أول شيء أعاره

---

(١) غضب ابن الرشيد على أهل الرياض لعـــدم مقاومتهم لابن سعود في دخوله الرياض المرة الاولى قبل حادثة الصريف ، وكذلك على أهل عنيزة وبريدة أيضاً لفتحهم الابواب امام ابن سليم . وآل مهنا . فجعل على أهل تلك البلاد الضرائب الفادحة جزاء لهذا العمل الذي اعتبره منهم ميلا الى عدوه اللدود الذي كانوا في معيته ولكن ابن الرشيد بعمله هذا نفر القوم منه وفتح الابواب لخصومه .

ابن سعود اهتمامه احاطـــة المدينة بسور يمنع عنهم الهجمات من ابن الرشيد واعوانه . وكان هذا بوصية من مبارك . وقد بعث اليه بكتاب قبل احتلال الرياض يأمره فيه بأشياء تتعلق بالسور واصلاحه. ولكنها كالألغاز والاحاجي ولم يفهمها حتى كاتبه الخاص الا بعد ما جرى تأويلها فعلا .

احتل سعود الرياض في أول شوال سنة ١٣١٩ . وفي ١٩ شوال وصل البشير منه الى مبارك في الكويت وفي ١٣ ذي القعدة ابلغ مبارك الحكومة العثمانية في البصرة خبر احتلاله .

ابن الرشيد بعد احتلال الرياض

اما ابن الرشيد فبلغه احتلال الرياض وهو على ام الرضمة بعد مغادرته الحفر . فأظهر لمخبره عدم الاكتراث بخبره والاهتمام به ، حتى بعد ان اخبر بنشاط ابن سعود في بناء السور . وقال ان في استطاعته قطع دابره وقطع اقدامه من الرياض ، مهما عمل ومهما قام به من الاستعداد والاحتياط . وهذا كله يدلنا على ضعف في العقل ، وقصور في الادراك وتجرد من الحزم . العقل يقضي بعدم احتقار الضعيف ، اذ يجر احتقاره الى ويلات لا تطاق .

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الافاعي من سموم العقارب

نعم ان العقل الحصيف يقضي بمبادرة الخرق قبل اتساعه ، والصغير قبل نموه . ويقضي بأخذ الحيطة والتحفظ من كل شيء . فالحروب الطاحنة مبدؤها كلام والانخذال فيها سببه الاهمال .

اری خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب مبدؤها كلام
لئن لم يطفهـــا عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

نعم كان عاقبة جمود ابن الرشيد امام تلك الكارثة الصغيرة توطد اقدام

ابن سعود في الرياض بل وفي كثير من مدن نجد وقراها . وكان عاقبة جموده واهماله ما سمعت . ولكنه أخيراً انتصب امامه شبح مخيف ينذره بسوء العاقبة ويؤنبه على تفريطه فندم اذ ذاك حيث لا ينفعه الندم ورأى تخفيفاً لويلاته ان يعجل بالمسير الى خصمه عله يستطيع صد تياره الجارف ويمنع تقدمه المريع . وفي اوائل سنة ١٣٢٠ سار الى ابن سعود في الرياض وما زالت المعارك هناك تدور رحاها بين الاثنين ووجهها يبشر بمستقبل سعيد لابن سعود . وينذر بذهاب الرشيد . وقد كانت الخاتمة تقويض خيام ابن الرشيد كلها من نجد واستلام ابن سعود زمام الامر فيها وحده .

اما مبارك آل الصباح فكان في تلك الوقائع بين الاميرين هو ركن ابن سعود الاعظم الذي عليه يعتمد ، فتراه يبعث اليه الامدادات بسخاء وكرم ويخرج اليه الحملات الواحدة تلو الثانية والقافلة في اثر اختها تحمل الاطعمة تارة والذخيرة اخرى وفوق ذلك فان مباركاً كان يرسم الخطط الحربية له وهو في مدينته ، فانتصار ابن سعود اذاً على ابن الرشيد ، هو انتصار لمبارك على خصمه وتنفيذ لخططه التي رسمها والتي قلنا عنها كلمات آنفاً .

لهذا رأيت ان افيض في شأن تلك المعارك هنا تتميماً لتاريخ مبارك وأعماله ولكني ضربت عنها صفحاً الى فرصة اخرى .

صقر آل غانم يهجم على الظفير في اواخر سنة ١٣١٩

شعر مبارك بمكاتبة تدور بين ابن الرشيد والظفير لاستمالتهم اليه ووقوفهم الى جانبه في الحروب المقبلة التي ستثور بينه مع خصميه مبارك وابن سعود . فاغلاقاً لذلك الباب الذي كان يخشى مبارك منه بادر بتجهيز جيش عرمرم بقيادة صقر آل غانم القائد المشهور لغزو تلك القبيلة وكانت قد نزلت على (الوقبا) ، فسار صقر بجيشه من أطراف الكويت الى (اللصافة) ثم منها أراد الغارة عليهم ، متخذاً ماء الحفر مورده في غارته ، ولو فعل لهلك

ومن معـه جميعاً . ولكن نظراً لعادة الأعراب في دفن الآبار التي في طريق من يخافون من غارته ، ونظراً لحزم صقر ومعرفته بتلك العادة فانه أرسل قبل غارته رجلين يكشفان له حقيقة الماء ، فسار الرجلان الى الحفر كما أمرهما صقر ، وهناك لم يجدا في الآبار قطرة من المـاء ، فأسرعا بالعودة الى الجيش وأخذا يجاريان الريح في هبوبها خوفاً من العطش ، ولكنهما مع هـذا أصيب أحدهما بألم شديد كاد يقضي عليه ، وأوشك ان لا يصل حياً.

أما صقر فلم يمنعه الخبر من تنفيذ خطته ، وقـد كان شجاعاً جسوراً ، فهم بالغارة من (اللصافة) متخذاً ماء (الوقبا) الذي نزلوا عليـه هو المورد ، متخطياً الحفر وماءه . واستعد بماء لثلاثة ايام ، ثم سار ينهب الارض نهبـاً حتى نزل عليهم نزول الصاعقـة ، وهم لا يشعرون ، فاستولى على كثير من أموالهم ، وأذاق جماً غفيراً من رجالهم الحمـام . وكان في معيته آل سليم ، وآل مهنا ، والشاعر العامي (ملا علي) شاعره الخاص . ثم كر راجعـاً الى الوطن بعد ان ملأ حقائب جنده من الأموال والغنائم وبعد ان شرب واياهم كأس العز والنصر ، وكان مبارك بانتظاره في (الجهرى) .

تآمر يوسف وأبناء حميدي على اغتيال مبارك

حوالي سنة ١٣٢٠ تآمر يوسف آل ابراهيم ورجال من أهل العراق يقال لهم أبناء حميدي على مبارك ، وقد أطمعهم بالمـال واشترى انفسهم بأحمره وأصفره . تآمر وإياهم على ذلك ، ورسم لهم في الوصول الى غرضه خطـة غريبة ولكنها لا تستغرب على يوسف ودهائه .

كان لأحد أقارب عبداللطيف آل ابراهيم سفينة معروفة عند اهل الكويت أوعز يوسف الى أجرائه ان يذهبوا بها الى مبارك في الكويت بعد ان شحنها سلعاً وبضائع وأمرهم ان يدّعوا أمام مبارك بأنهم قتلوا من فيها من رجال يوسف ، وانهم استاقوها وما فيها اليه .

ساروا الى مبارك كما أمرهم يوسف ، وعندما قصوا عليه القصة لم يشك في صدقهم فيما قالوا ، لأنهم كانوا معروفين بالقرصنة في البحر ، وكانت لهم مواقف مشهورة ، فطار بهم ، وقرّبهم اليه ، واستصفاهم لخدمته انخداعاً منه بتلك الظاهرة الخلابة التي يستغرب انخداعه بها ، وهو ممن عرفت في يقظته ودهائه . فلبثوا في بلاطه مدة وهم يفتحون ابواباً ويغلقون اخرى لوصولهم الى ما يريدون . ومبارك في غفلة عما يعملون . وفي الوقت الذى اوشكوا على ان ينفذوا فيه السهم القتّال ، رده الله عنه من انفسهم وبعلمهم ، ذلك انهم شرحوا الامر لاثنين من اصحابهم المخلصين من خدام مبارك المقربين اليه ، واطلعوهما على ما عزموا عليه ، عليها ينضمان معهم فيسهلان لهم طريق الفتك والاغتيال ، فأظهرا الميل والاستحسان لما سيقومون به ، ولكن سلطنة والدهما دفعتها الى كشف المؤامرة له واستطلاع رأيه فيها . أما هو فاضطرب من تلك المفاجأة وأصابه انفعال شديد لاخلاصه الصحيح الى مبارك . ولكنه تمكن من كتم عواطفه أمام بنيه وأظهر التحيز للعمل ، والميل الى مشاركتهم فيه . وفي الحال سار الى مبارك وكشف له الغطاء ، وأكد له الحقيقة ببعض علاماتها الشاهدة . فبعث من يقبض على المتآمرين وارداهم في غياهب السجن ولم يقتلهم لأن لهم في شواطىء البصرة عشائر وجماعات يخشى بأسهم وشرهم ويخشى ان لا يسلموا احداً من اهل الكويت الذين يكثرون التردد الى البصرة. وقد بقوا في السجن مدة ولكنهم استطاعوا في اثنائها من نقب الجدار ومن الخروج منه . غير أن مباركاً تمكن من القبض عليهم قبل ان يفلتوا فأرسلهم الى صاحبه الحميم الشيخ خزعل في (المحمرة) .

أبناء القتيلين يحاولون الهجوم على الكويت

في جمادى الثاني سنة ١٣٢٠ استعد هؤلاء الكرام بأسطولهم لمهاجمة مبارك في الكويت وقد اصطحبوا معهم السلالم وآلة الهدم والتخريب . ولكنهم ما كادوا يتحركون من (الدورة) حتى وصل الخبر الى جابر آل الصباح وكان

إذ ذاك في الفاو ، فخابر رئيس الخليج العربي بالتلغراف في (أبو شهر) وبادر بإرسال من ينذر الكويتيين . فهبوا لحماية بلادهم وبثوا الجواسيس والعيون في أطرافها وأرسل الرئيس في الحال طراداً انكليزياً الى ميناء الكويت .

أما الاسطول فبعد ان وصل قريباً من شاطىء المدينة علم بانفضاح أمره فرجع ادراجه ، وقد قيل ان الذي اعلمه بانكشاف سره هو وجود الطراد الانكليزي هناك . وقيل بل أرسل رسولين الى الكويت يكشفان له الحقيقة ليكون الهجوم على علم . وقد ضرب لمجيئهما موعداً وان الرسولين تأخرا عن الموعد المضروب ، فترجح لديه انكشاف الغطاء ، فكر راجعاً من ليلته .. غير أن الشمس أشرقت عليه وهو في أطراف البلد ، فأقلع الطراد خلفه ؛ وأخذ يطارده في عرض البحر ، وكاد يقبض عليه لولا انه تمكن من التجائه الى شاطىء القصبة ، وقد نزل ثلة من رجال الطراد الانكليزي في زورق صغير لمعاجلوا القبض على من في الاسطول قبل فرارهم . وهناك ثار الرمي بين الفريقين وتمكن أهل الاسطول من الفرار بعد قتلهم ضابطاً انكليزياً ، وتركوا الاسطول لا أنيس به . حينئذ قبض الطراد عليه وسار به الى البصرة ليجري التحقيق عنه وعمن جهزه .

وقد أنكر يوسف وأبناء القتيلين هناك علمهم انكاراً باتاً ، وكذا الوالي أنكر علمه بتجهيزه . أما مبارك فأبدى اهتماماً عظيماً في اثبات تجهيز يوسف وأعوانه لذلك الاسطول فخابر رئيس الخليج العربي بذلك وقال بأن لديه من يشهد بأن هؤلاء هم المجهزون . وأرسل الشهود الى البصرة في رجب بعد أمر الرئيس له . ولكنه مع هذا كله لم يفلح في مهمته . وقد اكتفت انكلترا أخيراً باحراق الاسطول .

خروج عبد الرحمن الفيصل الى الرياض

في الوقت الذي احتل عبد العزيز بن سعود الرياض ، كان ابوه عبد الرحمن

في الكويت وقد خرج منها الى الرياض في صفر سنة ١٣٢٠ مزوداً من مبارك بأطعمة كثيرة ومهمات حربية لابنه عبدالعزيز ، ولكن مباركاً مع هذا كان ينكر امام الحكومة العثمانية وغيرها تدخـــله في شؤون عبد العزيز السعود ومساعدته له في احتلال الرياض ومده له بشيء من القوة . ولا ريب في أن هذا من دهاء مبارك وسياسته لأن الوقت إذ ذاك لا يسمح له بالتظاهر في مثل تلك الاعمال .

أما عبدالرحمن الفيصل فقد كتب عند خروجه كتاباً الى السيد رجب نقيب أشراف البصرة في ٥ صفر سنة ١٣٢٠ يخبره بخروجه وبالسبب الداعي له ليكون كاللسان عند الحكومة العثمانية وهذا نصه : « وقبل هذا أرسلنا لكم كتاباً شرحنا فيه أحوالنا وقت الآباء والأجداد . واننا خدام محسوبون على الدولة العليا . وانه لما صار علينا ما صار من غدر ابن الرشيـــد وخيانته لم نلجأ الى أحد إلا الى الله تعالى ثم الى عدالة أمـــير المؤمنين أدام الله مجده . وقد طالت المدة علينا وأخذنا ننتظر تعطفاته الملوكية بأن نعطى من المعاش ما يقوم بأحوالنا ونرجع الى محلنا . وننصف ممن ظلمنا . فلم يحصل لنا من آمالنا الى هذا المعاش القليل الذي ما يقوم ببعض أحوالنا . ومع ذلك لم يحصل لنا منه شيء او ما يشبه التسلية من كل خمسة أشهر او ستة أشهر أو شهرين . فلما ضاقت بنا الحال وتراكمت علينا الديون، ولم يبق من الكويت لنعيش انفسنا وأطفالنا واتباعنا ونتوجه الى بلدتنا وعشائرنا لدفع تعديات ابن الرشيـــد . ونحن في كل مكان وحال من الاحوال لا نزال بحول الله نؤدي الخدمات لحضرة امير المؤمنين باذلين الجد والاجتهـــاد فيما يحصل به رضاه منقادين الى اوامر الدولة العلية فنرجو من مراحم وتفضلات واحسان حضرة أمير المؤمنين بحلول انظاره علينا ورفع تعديات ابن الرشيد واجراء مـــا تفضل به من المعاش » وقد قيل ايضاً أن الإمام عبد الرحمن عندما هم بالخروج كتب إلى رئيس الخليج العربي في (أبو شهر) ايضاً ينبئه فيه بخروجه ويرجو منه ان تضع

الحكومة البريطانية انظارها عليه وأن تشمله بعطفها . ويخـــبره ايضاً بأن معتمد الروس قد عرض عليه على لسان حكومته بذل المساعدات التي تحتاج اليها وانها ستلبي جميع طلباته فرفض ذلك رغبـــة في الحكومة البريطانية وزهداً في غيرها من الدول .

رجال يوسف وكردي بن اطواله
يهجمون على عربان الكويت

في صفر سنة ١٣٢٠ جهز يوسف رجالاً من الزبير ليغيروا على عربان ابن صباح المقيمين على (صفوان) فهجموا عليهم وهم لا يشعرون ونهبوا نحو ثمانماية من ماشيتهم . وتلا هذا ايضاً في ربيع ٢ أن أغار كردي بن اطواله أحـــد زعماء شمر على عربان ابن صباح في (الصبيحة) فقتل كردي نفسه وكثير من الرؤساء ورجع بقية اتباعه بالخيبة والفشل .

هذان الهجومان دفعا مباركاً إلى أن يرمي شمر في (أجبة) بشره أخذاً بالثأر ، وانتقاماً من المعتدين ، فكان نصيبه منهم الاموال الكثيرة بعد قتل جملة من رجالهم المشهورين

حبس الحكومة لعبد العزيز افندي السالم (١)
في صفر سنة ١٣٢٠

كان من الاسباب في حبس هـــذا الفاضل أن مباركاً آل الصباح أمره بتقديم بدل اشتراك جريدة الخلافة التي كانت تصدر في كلكته ولندن

---

(١) كان هذا الفاضل الاديب وكيلا لمبارك آل الصباح في البصرة وكان ذا كفاءة واقتدار في كل ما اسند اليه مبارك من المهات . وكان ذكياً حراً حلو الحادثة أبي النفس . وهو إلى الآن وكيل لآل الصباح في البصرة .

والتي حظرت الحكومة العثمانية دخولها بلادها لمخالفتها لسياستها ونظراً إلى أن اعداء مبارك كثيرون فان عبد العزيز افندي ما كاد يقدم بدل الاشتراك حتى وصل الخبر إلى والي البصرة . فبعث في الحال من يقتحم بيتـــه ليفتش دفاتره وأوراقه التي كان من بينها كتاب من مبارك فيـــه الحط الشديد على السلطان عبد الحميد ، والكلام الخشن على سياسته الخرقاء . ولكن عبدالعزيز افندي تمكن بيقظته من اتلافه اثناء البحث والتفتيش ولم يشعر به أحد .

هجم عليه المهاجمون كما أمروا . وفتشوا كما طلب منهم ومـــع كونهم لم يجدوا على الرجل حجة فقـــد قبضوا عليه وزجوه في السجن الضيق . وعاملوه بالقسوة المتناهية تلك المدة الطويلة التي قضاها بـين جدران السجن الموحشة . ولم يخرج من ظلماته إلا في أيام مخلص باشا .

ومما يذكر لهذا الشهم المفضال بالاعجـــاب والاكبار أن الشيخ يوسف آل ابراهيم طلب منه في الوقت الذي يتقلب فيه على جمر الغضا في السجن وفي الوقت الذي اشتد عليه البلاء والضيق هناك ان يتخلى عن مبـــارك وخدمته . وهو يتكفل باخراجه ممـــا هو فيه ويسعى في إطلاق وثاقه . فأبدى هذا الفاضل اباء وشمماً . ورفض النظر في ذلك الاقتراح رفضاً باتـــاً . وبقي في سبيل الشرف والفخر وفي سبيل المحافظة على المبـــادىء يقاسي الآلام المظيمة ويتجرع الكؤوس المريرة ان ذلك الدور الذي مثله هـــذا الغيور لما يدل على رجولته التي يغبط عليها وعلى جـــلده الذي يندر مثله بين أقرانه هذا هو الرجل الجدير بالثقة والحري بالاعتماد عليـه في المعضلات والمشاكل . ولقد عرف مبارك منزلته فأولاه ثقته التـــامة ، واعتماده الكبير في جل أيام حياته .

وقعة جولبن

في سنة ١٣٢١ أحس مبارك بميل سلطان الدويش إلى ابن الرشيد بمكاتبة

تدور بينهما في ذلك فرأى أن الحزم يقضي عليه بمبادرته بغارة شعواء تكون نكالاً له وردعاً لأمثاله فجهز جيشاً بقيادة نجله الأكبر الشيخ جـــابر . وفي معيته عبدالعزيز بن سعود . وكان قد قدم من الرياض لبعض شؤونه .

سار الجيش وخيله تزيد على ألفين ، فصبح الدويش في (جولبن) وانزل به وبمن معه من العذاب الواناً . ولم يجد أمامه مقاومة تذكر. غير ان سلطان نفسه جمع مائة من خيله وهجم بها على أحد جوانب خيل المهاجمين المتطرفة فتغلب عليها بادىء بدء وزحزحها من مقرها وكاد يتم له ذلك إلى النهاية . لولا ان ثلة من الفرسان علموا بما قام به فهموا بتطويقه وبالقبض عليه فركن عندما شعر بهم الى الفرار وبذلك كانت الهزيمة التامة . وقد غنم الكويتيون أموالاً عظيمة تقدر الابل وحدها بنحو خمسة آلاف كان حظ ابن سعود منها نحو خمسمائة .

رسول الى ابن سعود

بعد انتهاء المعركة اقبل رسول الى ابن سعود يخـــبره بغزو ابن الرشيد الرياض ومحاصرته لأهلها . فرجا من جابر أن يسير معه الجيش لصد عاديته عنها وغلّ يده عن إيصال الأذى الى أهلها . وقد كان جابر يرغب في إجابته إلى طلبه ، ولكن حق الأبوة لمبارك منعه من التقدم والبت في مثل هـــذا الامر بدون مراجعته فاعتذر من ابن سعود بهذا وقد عذره عندما افضى إليه بالأمر وعلم إذ ذاك بوجوب مسيره إلى الكويت لمقابلة مبارك فيهـــا . فزم مطاياه وجملة من خدمه اليها وهناك بعـــد أن أبصر قصورها شرع بصوت جهوري عال يستغيث بمبارك ويستعطفه بالنصرة والأنجاد وقد ظن السامعون له أن قد قضي على جابر ومن معه وانه هو البقية الباقية منهم .

أما مبارك فبعد أن علم بحقيقة الأمر وبما يريده ابن سعود أسرع في إجابته وأمر بشحن جملة من السفن الكويتية أطعمة وذخيرة لتسير الى (الظلوف)

جنوباً . وأصدر أمره إلى الجيش بالمسير اليها لينتقل منها ما يحتاجه . ولكن قبل أن تسير السفن جاء رسول آخر من الرياض يخبر بانقلاب ابن الرشيد عنها وبرجوعه من حيث أتى . فسكنت الزوبعة الثائرة .

زيارة اللورد كرزن الكويت

في سنة ١٣٢١ زار اللورد كرزن الكويت بأسطول حربي ضخم وقدأقام مبارك للزائر احتفالاً ضخماً سارت بذكره الركبان وأظهر به أبهته وعظمته أمام ذلك السياسي الكبير .

وصف الاحتفال

أرسل مبارك على جميع القبائل الخاضعة له . واستنفر الكويتيين عموماً . واعد خمسمائة من الخيل وما يزيد عليها من الإبل ، واتخذ خمسين من رجاله المقدمين حرساً وقسمهم الى خمس فرق ، لكل فرقة علم خاص بها ، ولباس تتميز به عن سواها . وأحضر عربة من أحدث طراز شاع في الخليج اذ ذاك. هيّأها لنزول الضيف يوم وصوله وجللها بقطعة من الشال مموهة بالفضة . وكون صفين من الرجال من رأس المدينة الى (الشويخ) وهو الذي يبتدىء نزول الضيف منه ويبعد عن البلد بنحو ساعة ونصف . وزين الطرق التي يمر عليها داخل المدينة بأقواس النصر مكتوب عليها (أهلاً وسهلاً بكم). فسارت العربة بالزائر في شارع كبير من الرجال الذين تقلدوا سيوفهم واعتقلوا رماحهم ورفعوا بنادقهم على الاكتاف . سارت به في ذاك الشارع والخيول المطهمة والابل من خلفه وأمامه . وما كاد يلج المدينة حتى ثار من البنادق دوي عظيم وارتفعت أصوات المحتفلين بالاراجيز الحماسية فدهش الزائر من هذا الاحتفال البديع واعجب بسلامة ذوق صاحبه وبنباهته . وعلم ان ليس كل لابس عباءة وعقال أهلا للاحتقار .

الاتراك يقتصون من مبارك

لقد أساء مبارك إلى الحكومة العثمانية بالاعمال التي قام بهـا ضدها سيما بتدخله مع انـكلترا حتى اضطرها إلى ترقب الفرص لأخذ الثأر منه وإنزال العذاب به .

ففي جمادى ٢ سنة ١٣٢٥ اشترى مبارك من سعدون باشا ملكه الذي في ام الغرب بثمانية آلاف (٨٠٠٠) ليرة فلم تسمح له الحكومـة بتسجيله في الطابو محتجة بأنه لا عثمانية بيده ولكن الحقيقة انها اتخذت هـذه فرصة ، لنفث سمها فيه. وقد جرت المخابرة بينه وبين والي البصرة اذ ذاك عبدالرحمن حسن بك . فحاول الأخير اقناعه بحمل العثمانية فلم يقنع . وما زال الجدال محتدماً بينه وبين كل من يأتي البصرة من الولاة ، سيما محرم باشا فانه قد أغصه بالريق وأظهر له الغلظة والجفـاء وما فتىء مبارك يتجرع تلك الغصص والآلام منه ومن غيره الى أيام علي رضا باشا وكيل والي البصرة . فإن هذا أبلغ مباركاً في ٢٤ ربيع اول سنة ١٣٣١ أمر الباب العالي بفتح هذه الاقفال التي ضيقت عليه خناقه واطارت النوم من عينيه . وقـد كان من أعظم الاسباب لاجابته الى ما طلب ، هو اعانته لحرب البلقان التي بلغت نحو احد عشر الف ليرة (١١٠٠٠) .

الاتراك يحطمون اسداد الفاو

ومن جملة الاعمال التي ارادت الحكومة الاقتصاص بها من مبارك ، ان أمرت الجند المقيم في استحكام الفاو في شعبان سنة ١٣٢٠ بتحطيم أسداد املاكه هناك . ففعل وفتح اربعين منفذاً فيها . وقد احتج مبارك على هذا الاعتداء عند عبدالرحمن حسن بك . وقـال : لولا وكلاؤنا الذين لا زلت أوصيهم بالهدوء والسكون امام أمثال هاتيك الحوادث ، لوقعت فتنة عمياء

بين الفلاحين والجند ونظراً لان الجند قد اعتدوا على أملاكي وانه تعدى في عمله ذلك الحدود فأنا اطالب الان بمجازاته على اعتدائه وعلى ان لا يعتدي مرة أخرى . والا فلست بمسئول عما يقع من الاضطراب والشقاق فيما بعد . وابلغ ايضاً تفصيل الحادثة لانكلترا على لسان الكولونيل ماكس قنصلها في الكويت واستحثها على القيام بوجه المعتدين ومطالبتها بالقصاص منه . وقال أنا وإن كنت في معاهدة مع انكلترا تقضي بمنعها المعتدين على المدينة وأهلها، فهناك شيء هو في نظري أعظم من ذلك ، وهو حفظ شرفي في الخارج وغل يد من حاول هدمه وهده ، فالحكومة اذا لم تحافظ عليه ولم تحطم آلات من انتصب لتقويضه ، وأعطت أذناً صماء فهذا قد يضطرني الى اخذ احتياطات وتدبير ربما لا يحمد الكل منا عقباها .

وقعة هدية [1] سنة ١٣٣٨ ربيع الاول

نهب مطني بن حلاف زعيم السعيد من الظفير اغناماً لعثمان بن راشد احد تجار الكويت . وكان مطني اذ ذاك منضماً الى سعدون باشا السعدون لمغاضبته ابن اسويط زعيم الظفير، فطلب مبارك الاداء ورد ما أخذ فلم أجيب وتلاها ايضاً ان سعدوناً نفسه أغار على طائفة من مطير . وكان بالقرب منها ثلة من عريب دار فأصابها في غارته وأخذ منها ما أخذ من الاموال ، أما مبارك فعد فعلة مطني الاولى وهو منضم الى سعدون ، والثانية من سعدون نفسه تحرشاً من الأخير ، وهتكاً لسياج حرمته ، وتطلعا لحربه ، عده كذلك وان رد ما أخذ من عريب دار بعد ان طلب منه جابر ابنه ذلك فان هذا وحده لا يزيل التأثر والانفعال الذي أصابه مما جرى من سعدون وقد كان يعتبره اذ ذاك من ابنائه . لهذا سير اليه جيشاً بقيادة ابنه جابر الذي لامه اللوم الشديد

---

(١) سميت هذه الوقعة بهدية . لان أهل الكويت سلموا أموالهم لسعدون وقومه مثل تسليم الهدية بدون حرب يستحق الذكر .

على طلبه استرجاع المنهوبات . فسار الجيش ، وكان في معيته عظمة سلطان نجد ، وكثير من أهل نجد . وكذا الشيخ الغضنفر سمو الشيخ علي آل خليفة فذعر سعدون منه ذعراً أطار لبه . وود ارضاء مبارك بكل ما في وسعه . ولكن مباركاً ذلك الشجاع المتسرع ، الذي يتأثر حتى من الوهم لم ينزل عن صهوة عزمه . حينذاك علم سعدون أن لا ملجأ من منازلة الجيش ولا بد من ملاقاته ، فتأهب للقاء ، وتقدم الى الساحة تقدم المستميت فهجم عليه الجيش الكويتي وهو في أتم أهبة واستعداد . ولكن المعركة انجلت بانتصاره عليهم وباحاطة جنده بهم احاطة الهالة بالقمر .

نعم انتصر سعدون على جيش مبارك هذا الانتصار الذي لم ترهق فيه الا ارواح قليلة من الفريقين . ولكن لا يسعنا هنا الا أن نشكر سعدوناً وقومه ، ونعترف لهم بالفضل والكرم . فانهم وقـد كان في استطاعتهم ابادة الجيش المهاجم بعد أن وضعت الحرب اوزارها قبضوا أيديهم عن القتـل وساعدوا المنقطعين منه في إرجاعهم إلى وطنهم ولم يخيفوا أحداً ، أو يلحقوا به ضرراً .

وبالأسباب التي انخذل بها مبارك في الصريف انخذل بها جيشه في (هدية) بل كان الاعجاب هنا أظهر . فقـد توهم الكثيرون من الجند انهم سائرون للنزهة أو مسافرون للتجارة ، فأثقلوا حقائبهم بالدرهم والدينار لابتياع ما سينالون من الغنائم والاموال . ومنهم من استعد ايضاً بالاصباغ لتمييز مـا يشتريه عما يشتريه سواه .

جابر وصقر يهجمان على الظفير

لم تلن عريكة مبارك بعد تلك الهزيمة وفقده ذلك الجيش العظيم بل شرع يستعد لسعدون بغارة لا تبقي ولا تذر وأخذ يجلب الآلات الحربية التي هو في حاجة اليها من الخارج وضاعف التكاليف على أهل الكويت . ثم جهز ابنـه جابراً وصقراً آل غانم بجيش كان في معيته سمو الامير الحالي (الشيخ أحمـد

آل جابر الصباح) في ذلك الوقت . والشيخ ابراهيم بن جـــابر آل فاضل وعبدالعزيز بن حسن لمباغتة الظفير شمالاً وأخذهم على غرة . غير أن الجيش بعد أن سار خطوات قليـــلة من (الجهرا) استولى الذعر من اللقـــاء على عبد العزيز بن الحسن . فاشار على القائدين بالرجوع وقال إن الجند الذي أمامنا قوي كثير وجيشنا قليل ضعيف فضربا برأيه الارض وصمما على الوصول إلى العدو مهما كانت الحال . وقد سار الجيش بهمـــة ونشاط ولم يثنه أي لوم وتأنيب ، وعندما ترك (جابدة)[1] خلف ظهره، أمره القائدان بإفراغ ما معه من ماء على وجه الارض وقالا له ان الماء في أحضان العدو الذي سترونه قريباً . وسنشتبك وإياه في القتال ثم شرع جابر ينصح للجيش بقوله (سنلاقي العدو غداً وسننزل وإياه ساحة الوغى فعليكم بالصبر والثبات . ليكون لـكم الفوز والنصر عليه . ومن لا ينصح منكم فليس له عندنا إلا القتل) أما صقر فقال وأحسن في المقال قال مخاطباً لجابر بعد أن انتهى من كلامه . (انكم في الحقيقة لم تجمعوا الجند إلا لمثل هذه الايام العصيبة ولاشك انه سيبذل قصارى جهده في ذلك وسيضحي بالنفس والنفيس . ولكن الواجب يقضي عليكم ان لا تنظروا غداً إلى ما يناله من الغنائم والاموال من عدوه) فقال جابر نعم لقد قلت الحق ونطقت بالحكمة ثم ساروا ينهبون الأرض نهباً ووجهتهم العدو وعندما أبصروا إبله التي ملأت الفضاء وضاقت منها البيداء وليس معهـــا الا قليل من الرجال وجدوا أهلها في غفلة عما فوجئوا به فاغاروا عليها صباحاً وفي مقدمتهم صقر ولكن صقرا وحده صرف همته قبل كل شيء إلى قتال الحامية والإجهاز عليها فكان كلما اجتمعت عليه شتت شملهـــا بسيفه وسنانه وهكذا الى أن قتل وجرح كثيراً منها وانهزم الباقون تاركين ما وراءهم غنيمة باردة ، أما بقية الجند فاشتغل بنهب الاموال وسرق الابل عن القتال فأساء

---

(١) جابدة ماء من المياه الشمالية .

صقرا عملهم ذلك اساءة كبرى حتى أوشك أن يقتل حامل الراية الذي كان في مقدمتهم .

سعدون يوسط ثلاثة من الوجهاء في الصلح

اضطرب سعدون بعد هذه الحادثة اضطراباً جعله يتخوف سوء العاقبة فانتدب إلى مبارك ثلاثة من الوجهاء الأفاضل : حمد العسفاني وابراهيم بن دامغ . وعثمان بن شارخ . ليستعطفوه في حقن الدماء وفي الكف عن القتال ولكن مباركا كان في عنفوان غضبه سيا بعد ذاك الانتصار فما راق له سعي هؤلاء ولم يدر في خلده إجابتهم وقد أراد أن يظهر لهم استعداده الكافي لمقاومة سعدون . فأمر في ذلك اليوم باخراج المدافع الحربية أمام الناس ليوصد في وجوههم الباب الذي جاءوا لفتحه . وقد كان الامر كذلك فان أولئك الفضلاء بعد أن بحثوا معه وجدوا منه تصلباً عظيما ، اضطرهم إلى الرجوع أدراجهم ، يظهر لنا أن سعدونا بعد أن علم بفشل هؤلاء ترجى من علي اسعاد بك ، وكيل سليمان نظيف والي البصرة أن يخابر مباركا بشأن الصلح، فإن الاخير قد كتب اليه في جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ كتاباً يرغبه فيه بذلك ، فأجابه مبارك بقوله : « اني اجبت سعدوناً عن كتابه الذي هو في صحبة الحاج حمد العسافي ، وأرسلت صورة الجواب الى احمدجلبي الصانع . وخلاصة ما أريده من سعدون والذي سيكون عليه الصلح ان يرجع كل ما أخذه من جيش ابني جابر وإلا فلا صلح »..

توسط حسين جلال بك في الصلح بين مبارك وسعدون

لقد استحكمت حلقات العداء بعد فشل الوفد الاول وبقيت الحال كذلك مدة تزيد علي ثمانية أشهر فكان كل من الاثنين قد قام بنهاية ما عنده من قوة واستعداد . فمبارك بقواته في الجهرى ، وسعدون قد التف حوله كثير

من المنتفك والظفير وغيرهما وخيم في ام المدافع . وأخـذ كل واحد ينظر صاحبه بالنظر الشزر، ويترقب فيه الغفلة والفرصة. هناك هب بعض الغيورين[1] لتلافي الخطر والسعي في حقن الدماء . وكان في مقدمتهم المكرم المفضال أحمد باشا الصانع متصرف البصرة اليوم ، فشرع يجس نبض حسين جـلال بك ويستطلع رأيه ورغبته في الصلح بين الاثنين ؛ فوجده متأثراً مما بدا ومتأسفاً على ما وقع وراغباً الرغبة الاكيدة في عقد الاصلاح بينهما . وأخـيراً انتدبه لسعدون ، وأصحبه بكتاب اليه يحضه فيه على قبول الصلح وعلى الكف عن الاعتداء . فسار احمد باشا الصانع الى سعدون في ام المدافع . وقد طفق بعد تسليم الكتاب له يرغبه في الصلح تارة ، ويخوفه من مبارك وقوته اخرى ، حتى أقنعه . ثم أقامه سعدون نائباً عنه في تلك القضية . فقفل راجعـاً الى البصرة . وبعد ان ابلغ الوالي بكل ما جرى كتب الوالي في ٢٤ محرم سنة ١٣٢٩ الى مبارك كتاباً بشأن الصلح طالباً منه التنازل عما يدعيه من الحقوق على سعدون ، وصحبه المكرم أحمـد باشا الصانع وفي معيته صاحبنا المحترم الفاضل الحاج أحمد المنيس ، وقد سار الاثنان الى مبارك في الكويت وحلا ضيفين كريمين على بساطه . وقابلهما بالحفاوة والاكرام . وأظهر الرضى بالمهمة التي انتدبا أنفسهما لها والتنازل عما كان يطالبه به سعدون . ثم رجـع هذان الفاضلان الى البصرة بعد ان حلا عقدة الشقاق . وقد اصحبهما مبارك بكتاب الى الوالي بتاريخ ٢٧ محرم جواباً بالكتابة . كما اصحبهما بكتاب الى سعدون ايضاً وفيه بعد قبول الصلح يطلب منه ان يأذن بسفر حمود بن سويط ونافع ابن ضويحي اليه في الكويت . وبذلك رجعت المياه الى مجاريهـا ؛ وانقشعت

---

(١) اخبرني صديقنا المفضال الحاج احمد المنيس ، انه هو الذي نبه المكرم احمد باشا الصانع الى سعيه عند الوالي ، وانه امتنع اولاً لمغاضبة مبارك اياه غير انه تمكن من اقناعه بمـا ادلى من الحجج ، وقال ايضاً ان مباركا اراد اشتراط انسلاخ الظفير من سعدون في اثناء البحث بأمر الصلح قال : فأشرت عليه بترك ذلك ، وقلت له ان زعماءهم سيبادرون بالمثول بين يديك في الوقت الذي يبلغهم فيه خبر الصلح .

السحب المتلبدة في سماء الفريقين. ولكن يظهر لنا ان مباركا لم يقبل الصلح إلا ظافراً ، وان مرجل غضبه على سعدون لا يزال يغلي مما تركه يفتش خفية عن الطرق التي تعدمه الحياة وتزهق منها روحه ، وتقلع أقدامه من ارض العراق . وكان اول شيء قام به ان جهز خالداً (ابو شويربات) من زعماء مطير في صفر سنة ١٣٢٩ ليغير على المنتفك والظفير وهم آمنون ، وكانت نتيجة غارته ان استولى على كثير من اموالهم .

اما سعدون باشا فانه رفع الأمر الى ناظم باشا والي بغداد وشكا اليه هذا الاعتداء الذي لم يفته انه من تدبير مبارك وإن حاول مبارك اخفاءه ، فأبلغ ناظم باشا تلك الشكاية الى مبارك فأنكر ان يكون له بها علم أو ان له يداً في تحريكها ، وقال ان تلك الفكرة هي من مطير وعشائر نجد ، والعداء بينهم والظفير لا تزال ناره مستعرة . وكتب مبارك ايضاً الى جلال بك في البصرة ينفض عنه غبار التهمة التي ألصقها سعدون به وقال ان (ابو شويربات) الذي اعتدى عليه قد اعتدى على اطراف الكويت ايضاً ، فأنا وسعدون في الشكوى من اعتدائه مشتركون .

هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت (١)

لسبب سيأتينا ذكره هجر جملة من تجار اللؤلؤ الكويت الى البحرين وجنة أيام مبارك وكان شملان بن علي وهلال المطيري وابراهيم بن مضيف . هم الزعماء لتلك الحركة والقادة .

---

(١) نقلت هذه القصة بتفاصيلها عن المكرم المفضال شملان بن علي بن سيف احد اقطابها والقائمين بها . وقد حرصت على اخذها عنه لاني لا زلت اجد تفاوتاً عظيماً في نقل الحوادث بين من وقعت عليهم ومن ينقلها عن سواهم سماعاً .

المرحوم السيد هلال المطيري

أسباب الهجرة

ضاعف مبارك بعد « هدية » التكاليف الحربية على أهل الكويت كما علمت سابقاً . فبادروا بما امروا به . ولكن أحدهم ، وقد كان مرجل حقده يغلي على اولئك الفضلاء أثار حفيظة مبارك عليهم بما افتراه من الكذب والزور[1].

---

(١) نقلت هذه القصة بتفاصيلها عن المكرم المفضال شملان بن علي بن سيف احد اقطابها والقائمين بها . وقد حرصت على أخذها عنه لاني لا زلت اجد تفاوتاً عظيماً في نقل الحوادث بين من وقعت عليهم ومن ينقلها عن سواهم سماعاً .

شملان بن علي

وبما لفقه من الافتراء والاختلاق . فقال له انهم لم يخرجوا رجالاً صالحين للقتال ولا بادروا بامتثال أمرك المطاع استهانة بك واستصغاراً لقدرك . فساء مباركاً هذا التصريح وأجج نار الغضب في قلبه حتى أضمر لهم الاهانة والاحتقار ، ومعاكستهم في امورهم ومصالحهم . فأعلن منع الغواصين في ذلك العام . وفي الغوص حياة الكويتيين وثروتهم . ثم ما زال بطل الرواية بعد أن ربحت صفقته في هذا المنع ينوع الكذب عليهم ولا يألو جهداً في أذيتهم .

أما مثير فتنتها . وبطل رواياتها فرجل شرير . عرف الكل خبثه . واشتهر كذبه ونفاقه بين الجمهور . رجل اتصل بمبارك لتقطيع الاواصر بين الرئيس والمرؤوس. ولاشعال نيران الوشاية والحقد. هو يوسف الدويرج الذي قال فيه بعضهم وقد ذكر دوره الذي مثله أمام مبارك في هذه القضية :

أيا يوسف لا أسعد الله يوسفاً ... وغادره في مهمه الشر يمرح
وسعت عباد الله خبثاً وفتنة ... واصبحت في كل الخلائق تقدح
وتؤذيهم من غير امر مسوغ ... وترمي بريئا ما به الدهر مقدح
وآذيت اصحاب النبي وحزبه ... فظلت حسان الحق للدمع تسفح
تخذت مقال الزور خير بضاعة ... فكنت بها دون البرية تربح
ففي زمن الشيخ الكبير مبارك ... أتيت بفعل مثل وجهك يقبح
وزورت اقوالاً تسر لخبثهـا ... شياطين دنياك الغرور وتفرح
فأوغرت منه الصدر حقاً لقومه ... وحرضته في سلبهم وهو أقبح
وفي زمـن الشيخ المعظم سالم ... غدوت بهاتيك المصائب تسلح
فوترت منه الود بين رجاله ... وغادرته في مربع الحقد يمرح

* * *

أيا احمد[1] الافعال اياك من غدا ... وليس له الا الشقاوة مربح
وإياك إياه فما فيـه خصلة ... يسر لها الحق الصريح ويفرح
فما هو الا الخبيث والخبث طبعه ... وما هو الا للسفاهة يجنح
فدع قوله في قومك الغر انهم ... لهم نحوكم حق أكيد مصحح
ولا تسمعن قول الخؤون لربه ... فمن خان مولاه فمن اين يصلح

صرح اذ ذاك في مجلس ضم الامير الشيخ احمد آل جابر (الحاكم الحالي)

---

(١) يحذر الشاعر سمو الامير الجليل الشيخ احمد آل جابر الحاكم الحالي ، من دسائس هذا الشرير . ومن الانخداع بتمويهاته . وقد عرف الامير حفظه الله ما تنطوي عليه نفس الرجل من الخبث والشر فابعده عن مجالسته . وحرمه من مؤانسته . وكذا عموم اخوانه آل الصباح. حتى حاول أحد الغيورين الفضلاء منهم اعدامه الحياة واراحة الكويت من فتنته . فرماه في بئر ليكون البئر قبره الذي يلحد به . ولكن الله اراد ان يذيقه العذاب قبل مفارقته الحياة فاصابه برجله التي برز بها (يمشي كمشية المرتجل) والتي زادت في قبح خلقته تشويهاً .

وهلال المطيري وناصر آل بدر وابراهيم بن مضيف بقوله: الواجب المؤكد أن تخص تلك التكاليف بتجار اللؤلؤ دون سواهم . فاه بهذا القول الجائر الذي اربدت منه وجوه القوم ، سيا هلال فاسمع الرجل من الكلام الحاد الخشن ما زاد التهابه وحقده عليه وعلى اخوانه حتى صمم على تضحية الصدق والشرف في مذبح الانتقام. علم بعزم هلال واصحابه على الشخوص إلى مبارك في (السرة) لمفاوضته بأمر الغواصين ، فطير اليه رسالة طرزها بالكذب، وحشاها بالزور وقد وصلت الرسالة إلى مبارك قبل وصولهم اليه فتركت قلبه يغلي من الحنق ويضرب اسداساً بأخماس من التأثر . وبينما هو كذلك واذا بهم قد أقبلوا وفي مقدمتهم هلال ، فقال مبارك لأحد خدامه بعد أن جلسوا : «هات ماء بارداً لهم ليطفئوا به حرارة عطشهم » قال هذا متهكماً بهم وبحركتهم التي قاموا بها ، وقد فهم القوم تغيره لا من كلامه وحسب، بل من وجهه المربد ومن حركاته المضطربة وارتعاشه المتوالي . لهذا لم يروا مفاتحته فيما جاءوا لأجله خوفاً من تعقد الأمر وزيادة إشكاله ، بل رأوا ازالة ما علق بذهنه ان يعرضوا عليه استعدادهم لاستبدال الرجال بسواهم إن كانوا غير صالحين للقتال . ولكن مباركاً عندما حاولوا فتح هذا الباب أوصده أمامهم وابتدأهم بالبحث فيما حدا بهم للمثول بين يديه . فقال بعد كلام طويل : « إنكم ارغيتم وأزبدتم من منعي للغواصين هذا العام وانا في الحقيقة ما تظاهرت في المنع إلا لمصلحتي ومصلحتكم معاً . انتم تعلمون ان العدو امامكم وعلى ابواب مدينتكم. ونحن في حاجة إلى أن نظهر أمامه بمظهر القوي النشيط ، ولا ريب أن شهرة المنع تزيدكم قوة في عينيه ويترك فرائصه ترتعد من الخوف والفرق.» وبذلك قنعوا ثم رجعوا من حيث أتوا. وقد تظاهروا بالرضا والاستحسان لما فاه به، رجعوا ولم يصبهم من قنابل غضبه إلا شظايا لا قيمة لها وقد ساءت سلامتهم ذلك الواشي وكدرته نجاتهم من قنابله المهلكة التي رماها في طريقهم فطفق يبحث عن طرق أخرى ليلقي بها عليهم ويخمد انفاسهم ويولجهم في ظلمات الرموس. فقال يوماً أمام مبارك وقد أحاط به ثلة من اولئك التجار الكويتيين :

أطال الله عمرك قد نصحوا فيا أمرت الا ثلاثة : هلال المطيري ، وشملان بن علي ، وابراهيم بن مضيف ، وهلال أعظم الثلاثة عناداً وأكثرهم جرماً فحرك بهذا الافتراء ساكن غضب مبارك عليهم حتى اعتزم على رميهم بما يزعجهم في مجلسه العام ففي يوم وقد اجتمع الثلاثة ينتظرونه في ذلك المجلس، على عادتهم أرسل اليهم من يأمرهم بانتظاره هناك وعدم مغادرتهم المجلس قبل مجيئه. فأحس شملان اذ ذاك بالشر وشم من هذا الأمر رائحة الانتقام ، فاشار على صاحبيه بالانصراف قبل وقوع ما يحذرون ولكنهما لم يسمعا لنصحه ولا قبلا مشورته فانصرف هو وحده فتركهما في انتظار مبارك الذي امطرهما بعد أن جاء ، بوابل من غضبه مما هرى اللحم وأوهى العظم وكان من جملة ما قاله لهلال : « لا ينبغي لمثلك أن يرفع أنفه أو يتظاهر بالعظمة والكبرياء وأنت من أحد أجلاف مطير ، وأحد أسافلهم ، من سقطهم ، وجئت إلى الكويت فقيراً لا تملك فطيراً فأقمت فيها تحت ظلنا وأنخت في حمانا وحمايتنا حتى كنت الآن اكبر المثرين فيجدر بك وهذه ترجمتك أن تزور بجانبك عن الطاعة والخضوع .» ثم التفت إلى ابراهيم صاحبه . وأسمعه قريباً من ذلك . وكان من بعض ما وجهه اليه أن قال : « لا تظن انك من رؤوس بني هاجر وأعاليهم بل أنت من اراذلهم وأذنابهم الساقطين ، ألا تعلم بأن أباك سابقاً كان خادماً عند علي بن سيف» ثم اتبع هذا بالتهديد الشديدوالوعيدالاكيد.

وأما شملان فقد رجع إلى المجلس ولكن بعد أن نفث مبارك سمه وبعد أن سكنت عاصفة غضبه ، فلم يسمعه اذ ذاك ما يكره ، ثم تركوا المجلس جميعاً وفرائصهم ترتعد من الخوف ، تفرقوا وقد قبضوا أرواحهم بأيديهم .غادروا المجلس ، وهم يلتفتون خلفهم يتسمعون النداء . غادروه ثم تمالأوا على الهجرة إلى حيث يأمنون على انفسهم واموالهم من مبارك الظالم المستبد ، والغشوم الجائر . تمالأوا على ذلك ولم يطلعوا أحداً من إخوانهم . غير أن شملان قال لصاحبيه بعدما عقدوا العزم: «اننا سنهاجر من بلدنا،ونهجراخواننا وأصحابنا.

فاذا ما ندم مبـــارك فيما بعد على هفوته واعترف بذنبه وجاء الينا معتذراً فلا يسعنا هنا إلا إجابته لأن لنا في الكويت أقارب وأموالا وأصدقاء » . فاستحسنوا ما قال . فسافروا الى الغوص في ذلك العام وقد تعاهدوا على ما سمعت . غير ان شملان رجع الى الكويت لأخذ بعض المهمات وعاد في الحال. وفي نهاية الغوص أظهروا عزمهم لإخوانهم الغواصين وأفسحوا المجـــال لمن يستأخر منهم فبقي بعض ورجع آخرون. ذهب هلال وابن مضيف الى البحرين وبقي شملان ومن تبعه في (جنة) .

فجاءت الاخبار الى مبارك بما قام به هؤلاء فعـلم بغلطه الذي وقع منه وعلم بخبث المتسبب فيما جرى وغشه ، فندم على ما فرط منــه وأسف أسفاً كبيراً . ولماذا لا يأسف ويندم وهؤلاء المهاجرون يكونون نصف الكويت هم وأتباعهم ؟

ندم مبارك على هجرة القوم والطرق التي سلكها لارضائهم

استعمل مبارك طرقاً شتى لإرضائهم فألّف اولاً وفداً من ناصر البـدر وحسين بن علي وفارس الوقيان ، وأصحبهم برسالة تتضمن الاعتـــذار لهم ويحثهم فيها على الرجوع الى وطنهم وتناسي الخطإ الذي وقع منه . فلم يلبوا دعاءه ولم يرجعوا كما أراد لأنهم لم يروا الوفد والكتاب كافيين لتنازلهم فبقوا هناك ينتظرون ما يأتي به الغد .

اما مبارك فجهز وفداً ثانياً مؤلفاً من سالم ابنه ومن حسين بن علي فساروا بمركب بخاري الى (جنة) حيث شملان وراشد ابو رسلي واحمـــد المناعي واخوانه وسعد اخو ناهض وصالح المسباح ، وقد أظهر سالم بعد ان اجتمع بهم شديد تأثره بما حصل وترجى من الكل غض النظر عما مضى ، فأظهروا الاقتناع بما قال إلا شملان فانه لم يرَ البت إلا بعد استطلاع رأي صاحبيه ، وقد حبذ سالم رأيه وسار هو واياه وحسيناً لمقابلتها في البحرين ، وهنـــاك

عرض سالم على هلال المهمة التي جاء لأجلها فقال لا بأس ولكن أحب ان يكون ذلك بحضور (الشيخ عيسى آل خليفة) ، ولما اجتمعوا بالشيخ المذكور قال هلال لا أرجع إلا بعد ان يتعهد لي الشيخ عيسى بأن لا يجري عليّ اعتداء في الكويت من احد . اما الشيخ عيسى فاعطاه ما طلب بعد ان علم برضاء سالم بذلك . ولكن هلالاً وقد ربح تلك الصفقة زاد طمعه فقال لسالم « وعلى شرط ان من يرشني بماء ترشونه بدم » . فارتبك سالم في الجواب لأن الطلب جائر وتفرقوا على لا شيء . إلا ان سالماً اوقف الأمر على رضاء أبيه وقال لهلال اني ذاهب الى الكويت وسأعرض اقتراحك على والدي فاذا ما قبله بادرت بالكتابة اليك ، فاعتزم سالم على العودة ببقية المهاجرين . اما شملان فلم يصمم على مرافقتهم إلا بعد ان عرف رضاء صاحبه بسفره دونه .

وصلوا الى الكويت وشرح سالم لأبيه ما جرى ، فلامه اللوم الشديد على توقفه وعلى عدم البت فيما طلب ، وفي الحال أمره ان يكتب اليه بقبول ما شرط ، غير انه في تلك الآونة جاء كتاب من هلال الى (جابر) يعتب فيه على أبيه مبارك لانخداعه بمدح او ذم خدامه وإصغائه لما يقولون فيه . ايضاً هبته جميع ما يملك في الكويت من إبل وغنم ونخل لجابر . فأساء مباركاً ذلك الكتاب واضطره الى ان يتحول عن عزمه ، فمنع سالماً مما أمره به وقد خيل لهلال ان لا مقر له في الكويت بعد هذا وانه لا يحسن به سكناها وقد صدر منه ما صدر فاستقدم أهله منها الى البحرين ، ولم يبد مبارك أقل تمنع في سفرهم ، ولكن شملان تلطف بتخطئة مبارك في عمله بالمرة الثانية وقال له ان وجود هلال في البحرين فيه ضرر عليك وعلى بلدك فان البلد تنتفع من ثروته بما لا يقل عن خمسين الفاً من الروبيات يبذلها للفقراء والمحتاجين ، زيادة على ذلك فبقاؤه هناك يكون مركزاً لمن يريد الهجرة اليه من اهل الكويت فالرأي ان لا تفرط فيه مهما كانت الحال .

مبارك يسافر الى البحرين لارضاء هلال

علم مبارك أن نظر شملان صائب فعزم على التساهل مع المهاجر وعلى ان يرجعه الى بلده مهما حمله من تنازل فقال لشملان : ما مضى فات وسأبحث فيما بعد في حل مرض . وأخيراً رأى انه لا يتم له ما يحاول إلا بسفره الى البحرين بنفسه فسافر في مركبة مشرف اليها بعد ان سافر الغواصون ، وقد اصطحب معه شملان وابراهيم بن مضيف غير أنه تظاهر بعزمه على زيارة الشيخ عيسى آل خليفة . سار الى البحرين كما أراد وعندما أرسى في مينائها خفّ للسلام عليه حكام البحرين والوجهاء . ثم أوعز بعد هذا الى شملان وابرهيم بن مضيف أن يجسا نبض هلال ليقفا على رغبته في الرجوع. أما هما فلم يجدا بعد البحث عقبات إلا طلبه أن يرضيه مبارك نفسه أمام حاكم البحرين . وقد استسهل مبارك هـذا الطلب ، فأرضاه بعد أن اجتمع به عند الشيخ عيسى وأبنائه حمد ومحمد وعبدالله وبعض أكابر الكويت . أرضاه بعد أن تشفع بالحاضرين في رجوعه الى وطنه وانه هناك لا يقابل إلا بالتجلة والاحترام وبذلك أضاع مبارك على هلال ما عزم عليه من شروط وتحفظات .

مبارك يتخوف على كاظمة من الأتراك

حوالي سنة ١٣٢٩

تناقل الناس أخباراً في الكويت ان الاتراك اتفقوا مع الالمان على ايصال سكة الحديد البغدادية إلى كاظمة فاضطرب مبارك من تلك الاشاعة وخشي أن تتغافل انكلترا عنها كما تغافلت عن بوبيان واخواتها فشرح لهـا الأمر وأظهر ما يكنه ضميره من التطير والاضطراب وطلب منها اتقاء لما كان يخافه أحد ثلاثة أمور : اما ان تستأجر كاظمة منه لتحميها وتحمي ما حواليها من الأراضي ، واما أن تأذن له بتأجيرها على من يشاء من الحكومات ، واما ان

تعطيه صكاً بحمايتها من جميع الدول بما فيهم الاتراك . وقدم بذلك كتاباً إلى شكسبير قنصلها في الكويت بتاريخ ربيع ٢ سنة ١٣٢٩ .

أما هي فقد أجابته على لسان رئيس الخليج العربي بتأمينه على الكويت وعلى حدودها التي تدخل في ضمنها كاظمة وانها ستقوم بحماية ذلك كله ما دام مبارك محافظاً على شروط المعاهدة وقد عجبت من اضطرابه ومن تصديقه بتلك الاشاعة فأجابها بأنه لم يرتب في نصح الحكومة ولا في قيامها بالواجب معه ولكن الذي دفعه الى هـذا التخوف الأسئلة التي توجه اليه من أهل الكويت بعد أن قرأوا في الجرائد ما قرأوا من أمر الاتفاق .

ابن سعود يهم بغزو سعدون وعربانه

في جمادى ٢ سنة ١٣٢٩ بلغ الحكومة العثمانية عزم ابن مسعود على غزو عربان الشمال فاستفهم يوسف باشا وكيل والي بغداد من مبارك عما أشيع فكتب مبارك اليه ينبئه ان ابن سعود كان عازماً على غزو (ولدي سعدون) فمنعته عنه وعن جميع عربان الحكومة الملية وقد أطاع لما أردت وذهب الى أطراف الزبير، وهناك اجتمع برجال الحكومة العثمانية، ودارت بينهما أبحاث استنار بها الفريقان .

اعانة مبارك لحريق الأستانة

حصل حريق هائل في الآستانة ، احدث أضراراً عظيمة . وترك الالوف بلا مأوى ولا سكن فكتب والي البصرة حسين جلال بك في شعبان سنة ١٣٢٩ ، الى مبارك يستعطفه بالمساعدة لاخوانه المنكوبين وقد اجاب مبارك الاستعطاف وقدم خمسة آلاف (٥٠٠٠) ليرة بواسطة المرحوم سعود الخالد الخضير في البصرة .

وسام من الحكومة العثمانية لمبارك

الذي يظهر لنا أن هذه الإعانة من مبارك تركت الحكومة تعطف عليه ، فقد ورد اليه كتاب من والي البصرة حسن رضا باشا في ذي القعدة سنة ١٣٢٩ يخبره فيه بانعام الحكومة السنية عليه بالوسام المجيدي ، من الدرجة الأولى ، وفي ١٥ صفر سنة ١٣٣٠ وصل الوفد الذي يحمل الوسام الكويت يرأسه العلامة الاستاذ عبد الملك الشوان مفتي البصرة . وفي يوم وصوله اقيم له احتفال بهيج بين القصرين على ساحل البحر .

اعانة مبارك لطرابلس الغرب

وقد قدم مبارك ايضاً ثلاثة آلاف ليرة (٣٠٠٠) عثمانية اعانة للحكومة في حرب طرابلس الغرب ، وأصحبها بكتاب إلى حسن رضا باشا والي البصرة الذي استعطف مباركاً في تلك الاعانة بتاريخ ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٥ . وهو يتضمن تعلقه بأذيال الدولة وتمنيه من صميم قلبه ان يكون لها الفوز على اعدائها وقال بأنه لا يدخر وسعاً في معاضدتها وأن لديه ما لا يقل عن ستين الف مقاتل ما بين فارس وهجان بما فيهم ابن سعود وأهل نجد وقبيلة عنزة وقد ورد اليه كتاب من الوالي المذكور بوصول ما تفضل به بتاريخ ٢٦ صفر سنة ١٣٣٠ وقال بأن نصفها صرف للمجاهدين والآخر للأسطول العثماني .

أهل الجبيل ومبارك

الجبيل بلدة حديثة العهد على ساحل الخليج العربي جنوب الكويت وكان أهلها من الساكنين قطر ولكنهم نزحوا عنها لاضطهاد حكامها إياهم . وقد جاءوا أولاً إلى مبارك في الكويت وطلبوا أن يكونوا تحت حمايته خارج البلدة . أما هو فأجابهم وعين لهم سكن إحدى قرى الكويت ونظراً لأنهم

يريدون الاستقلال بالحكم والابتعاد عن الاستعباد ، فقـــد رفضوا اقتراحه وتركوه وبلده إلى أن القوا عصا التسيار في الأرض التي أسسوا فيهـا الجبيل البلد المعروفة اليوم تحت حماية الحكومة العثمانية اذ ذاك .

أما مبارك فقد علم بخطئه في إفلاتهم من يده.وعلم بأهمية البلد التيأسسوها وعلم انها اذا ما اتسعت ستزاحم الكويت في تجارتها . وربمـا قضت عليها ، فود اذ ذاك لو يجعلها قاعاً صفصفا ، ويعدمها الحياة ، وهناك شرع في بعض الوسائل التي ستضيق عليهم الفضاء وتضطرهم إلى تركها ، فأوعز إلى بني خالد يهددونهم ويخيفونهم في بلدهم . ولكن من طرف خفي وقد أبلغ أهل الجبيل الأمر إلى حسن رضا باشا في البصرة فاحتج في شعبان سنة ١٣٣٠ على ما قام به مبـارك ، وعلى اعتدائه فأنكر مبارك أن يكون له في تلك الحركة يد . وقال عن اسباب تلك الاشاعة : انه ارسل علي آل خليفة آل الصباح مـع قوة لتأديب العجمان واسترداد ما أخذوه من أهل الكويت . فانضمت اليـه طائفة من بني خالد فتوهم أهل الجبيل انهم المقصودون بتلك الغـارة فطاروا بالخبر قبل ان يتثبتوا ، ثم كيف يعقل أن أعتدي عليهم وهم كانوا من المتعلقين بي وكانوا يراجعونني في بعض شئونهم وهم في قطر . هذا ما كان يقوله مبارك، والقارىء النبيه الفطن لا تخفى عليه الحقيقة في ذلك .

قتل سيف آل الرومي

في سنة ١٣٣٠ سافر سيف الى مغاصات اللؤلؤ للاتجار ، وكان جل بحارته من الصومال الانكليزي وقد حدا بهم طمعهم إلى قتل الرجل والفرار بسفينته الى (الجنة) من حد ايران وأخذ ما فيها من دراهم ولؤلؤ .

أما مبارك فقد خابر شكسبير قنصل انكلترا في الكويت بتلك الفاجعة التي اعتبرها من أعظم المصائب عليه . فكانت النتيجة اشتراك الاثنين بارسال رجال يتعقبون الاشقياء على رأسهم صاحبنا الحر الفـــاضل عيسى القطامي ،

وأصحبهم القنصل بكتاب الى معتمد الحكومة في الجنة . وقد سار بعضهم في مركب بخاري وبقيتهم في سفينة شراعيةفادركوهم في كلات وقبضوا عليهم وعلى الأموال التي اغتصبوها ثم ساقوهم إلى الكويت . وفي صفر سنة ١٣٣١ أمر مبارك بقتلهم رمياً بالرصاص في (صفاة) الكويت على رؤوس الاشهاد .

زيارة هاردنك حاكم الهند للكويت

اشتعلت الحرب العامة ودخل الاتراك معمعتها وجرى ما جرى من احتلال الانكليز البصرة واخراجهم الحكومة العثمانية منها . فأرادت انكلترا اذ ذاك أن تجس نبض أمراء العرب وتعرف أهواءهم في تلك الحرب العالمية الكبرى وما يضمرونه لها من جرائها . حتى إذا ما وجدت منهم ميلاً إليها جمعت كلمتهم تحت من تراه من المجاهدين لها والناصحين في خدمتها ومن كان له الاثر الظاهر في معاضدتها أرادت ذلك فضربت موعداً لاجتماع ابن سعود وخزعل خان وحاكم البحرين .. وسلطان مسقط في ضيافة مبارك بمدينة الكويت لتوسطها وأهميتها .

ضرب الموعد هناك وقرر ان الذي سيتولى الرئاسة فيه هاردنك حاكم الهند وفي يوم الأحد ١٥ ربيع أول سنة١٣٣٣ وصل هاردنك الكويت فقابله الشيخ جابر والسير برسي كوكس الذي جاء من البصرة لملاقاته ، والكولونيل (اقرى) القنصل الانكليزي في الكويت على ظهر الباخرة .

أما الشيخ مبارك فلم يذهب اليه هناك إلا يوم الاثنين ثم نزل الحاكم المدينة بعد الظهر من ذلك اليوم لإعادة الزيارة على مبارك ولم يحضر من الامراء في الكويت اذ ذاك الا سمو الشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة حاكم البحرين . أما ابن سعود فمنعته عن الحضور واقعة أجراب التي وقعت بينه وبين ابن الرشيد ، وصدت خزعلا وتيموراً ثورات رعاياهما التي كانت قائمة إذ ذاك فأجل الحاكم البحث إلى وقت آخر مناسب . غير أنه لم يشأ ان

ينفض هذا الاجتماع من غير استفادة منـــه فأراد ان يذكر مباركاً بفضل الحكومة عليه وعلى رعيته وبما نالته من الامن والراحة اثناء الحرب وتمتعهـا بالارباح الطائلة دون سواها . اراد ذلك لعل مباركاً ينقاد ويطيع الحكومة اذا ما حاولت منه مأرباً ، ومآربها فيه وفي بلده كثيرة وقد أحس مبارك بما يجول في خاطره وتفرس بما سيقوله له ، فود ان يكون هو البادىء بالحديث ليسد أمامه الباب الذي يريد فتحه وبعد جدال بين الاثنين سمح الحاكم ان يقول مبارك كلمته الوجيزة وهي بيت من الشعر :

المستجير بعمرو عند كربته　　　كالمستجير من الرمضاء بالنار

أراد مبارك بهذا البيت أننا لم نجف الاتراك وقد جمعتنا واياهم جامعـة الدين القوية الا لطمعهم فينا وقد اخترنا المعاهدة مع انكلترا لتصد بعدلهـا وانصافها الاعتداء عنا ، غير ان ما يبديه بعض معتمديها من الطمع فينا وفي بلدنا يكاد يحقق فينا معنى هذا البيت الجاهلي .. واننا لم نفر من الرمضاء (اي الاتراك) الا الى النار (اي الانكليز) وقد فهم الحاكم ما يرمي اليه مبارك فقال : « لا يا حضرة الامير ليس للحكومة طمع فيك ولا في بلدك ولم تأت الا لصد المعتدي عليكم واذا بدا من احد معتمديها شيء تكرهه فما عليك الا أن ترفع الامر اليها وهي ستنصفك » .

عصيان الكويتيين مباركاً

في ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ بعد احتلال الانكليز البصرة ثار الثائرون على خزعل خان وأعلنوا عليه الجهاد لشده أزر المقاتلين للحكومة العثمانية وكان مع الثائرين شلة من الاتراك فاشتعلت نار الثورة ودامت مدة خشي خزعل من شرها ، ولم يفت مباركاً ما كان يخافه ويخشاه ، فأراد ان يمده بجند من الكويتيين يشد ساعده بهم . ولكن الكويتيين وقد علموا انهم سيقاتلون

الشيخ خزعل

إخوانهم اظهروا العصيان وجاهروا بالامتناع سيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ (١) وهبه المصري اذ ذاك كانا يطوفان المجالس ويغشيان الأندية لتحذير النــاس من الطاعة وان من انقاد فقد يحكم عليه بالارتداد عن الدين . فأثار ما قالاه الحماس في النفوس حتى صمم القوم على الاباء مهما كان في الأمر من شدة ومهما نزل بهم من بلاء . وذهبوا إلى جــابر

(١) الشيخ حافظ هذا هو الذي نذكره في سلك المصلحين من الغرباء الذين احيوا الكويت بتعليمهم وافكارهم وهو والحق يقال من الرجال الفضلاء الذين جمعوا مع العلم الواسع ، الاخلاق النقية ، وقد استدعاه أخيراً عظمة سلطان نجد اليه فلبى واجاب وبقي عنده الى هذا اليوم وقد استفاد من مواهبه العالية فوائد شعر بها حتى البعيد .

وقـــد تأبطوا مسدساتهم فقالوا له عندما أمرهم بالمسير لا نسمع ولا نطيع . فقال جابر لماذا ؟ فقالوا لأن الطاعة في هذا الأمر معصية والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » فبهت جابر مـــن مفاجأتهم بذلك وحق له ان يبهت فانها هي الفذة في الكويت ولم يجر فيهـا اختها منذ تأسست . وقد اخلد جابر الى السكوت غير أنه بادر بإخبار أبيه في الفيليه بما جرى وهناك ساور مباركاً غضب شديد كاد يتميز منه سيا على مـــا ظنهم مدبري العصيان من الرؤساء . فشرع يتوعدهم بما يقض عليهم المضاجع ويعكر عليهم الصفو . وقد حاول الرؤساء بعد أن بلغهم غضبه اقناع الناس بما يراد منهم فما قنعوا ولا رضوا فاضطروا إذ ذاك الى أن يذهبوا بأنفسهم لعرض الطاعة عليه وازالة ما علق في ذهنه ، ولكنهم وقد اجتمعوا بـــه في الفيليه اسمعهم من التأنيب القارص واللوم الشديد ما أطار النوم من أعينهم وزهدهم في أنفسهم . ولكنه من جهة اخرى خامره شيء من الخوف للحماس الذي انتشرت جذوته بين أحياء الكويت . والذي لم يعهد له نظير في أيامه كلها فغير لهجته أمامهم وقال : « أنا لم أرد رجالاً لقتال وإنما طلبت سفناً لنقل أثاث أخي خزعل وأمواله وعائلته الى الكويت اذا احتاجوا الى ذلك فارجعوا الى الكويت وبادروا بارسال ما أريد فرجعوا وقد وقعوا بين أمرين عظيمين : ارضاء العامة بسخط مبارك أو ارضائه بسخطهم وهما خطتا خسف يصعب عليهم التخلص منها وأخيراً اهتدوا إلى أمر خدروا بـــه الأعصاب وأطفأوا النـــار المتأججة قالوا ان مباركاً بل الثرى بدموعه رحمة بالكويتيين وقال إن أهل الكويت أولادي أود لهم من الخير ما أود لنفسي واني آسف على مـــا أصابهم من الانزعاج وما حصل لهم من الاضطراب فخدعوا بقولهم هذا الكثيرين حتى تمكنوا من تجهيز ١٨٠ رجلاً في ست سفن شراعية ...

مبارك والعالمان الفاضلان الشنقيطي وحافظ

رجع مبارك الى الكويت بعد أن وصلت اليه النجدة وقد أحاط خبراً بكل مـا جرى فاستدعى العلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه المصري الى قصره وقـد كان هنالك القنصل الانكليزي في الكويت . استدعاهما ليقرعهما على ما قاما به أثناء تلك الحركة فقال بعد أن حضرا بين يديه : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ثم أردف ذلك بقوله أنا مسلم عثماني أغار على ديني وعلى دولتي ولا أحب من يتعرض لهما بسوء غير أني اتفقت مع الانكليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي ، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم وان كنت لا أحبهم وديني غير دينهم . ثم قال بعد هذا مخاطباً الاثنين أنه قد ورد لي كتاب بأنكما وثالثاً معكما اسمه عثمان العازم من أثاروا الناس في الكويت وحرضوهم على العصيان ضدي والكويت بلدي وأنا الحاكم فيها ، والذي ينازعني فيها فليس له عندي إلا القتل؛ فقال الشنقيطي: ان من أخبرك فقد اخطأ ولم يتحر الحقيقة .

مبارك : لا بل هو صادق فيما قال .

ـ من هو الرجل الثالث الذي ذكر لك في الكتاب ؟

ـ لا أعرفه ولكني سأبحث عنه حتى أعرفه .

ـ هذا أدل شيء على كذب الخبر فانه لا يعقل أن يوجد في الكويت من يؤخذ برأيه ويسمع لقوله وانت لا تعرفه وأمر البلد وأهلها راجع اليك وقد علمت بكل ما يجري فيها من صغير وكبير . وأما أنا فلم أسمع بشيء ممـا نسب الي ، أنا أحد طلبة العلم وظيفتي الوعظ والارشاد والتربية والتعليم .

هذه الوظيفة عالية لا لوم عليك فيها وهنا التفت الى الشيخ حافظ فقال له « ان ابنـاء المدارس في الكويت يجهرون في الشوارع والأسواق بسب

الانكليزي ومدح الألمـــان ، ولا ريب انهم لصغرهم لا يعرفون إلا ما يلقنهم معلمهم فصاحب المثل يقول خذ رأي القوم من اسفهها » .

حافظ — أنا لم أعلمهم شيئاً من هذا القبيل ولم القنهم من أمور السياسة ولا كلمة واحدة ومع هذا فسأزجرهم عما يقولون؛ وفي النهاية أمرهما مبارك بمغادرة المجلس وانتظاره في إحدى حجر القصر ثم جرى بين مبارك والقنصل ما يأتي :

مبارك — أسمعت ما قاله الرجلان من الاعذار ؟

القنصل — نعم سمعته . الذي يظهر لي أن المصري مُقتنع وأنه صادق فيما قال وأما صاحبه فأنا من صدقه في ارتياب .

— ماذا ترى اذاً ؟

— بعد ثلاثة أيام سأعلمك برأيي ثم بعد هذا أرسل مبارك كاتبه الخاص الفاضل ملا صالح ليأذن للاثنين بالانصراف ويضرب للشنقيطي وحده موعداً بعد ثلاثة ايام فبلغ الكاتب الفاضل الاثنين ما أمر به ولكن الاستاذ الشنقيطي ارتاب من هذا البلاغ وخشي ان يكون وراءه مكيدة فرأى الحزم يقضي عليه بأخذ الحيطة لئلا يقع في الشبكة فاختفى عن العيون وهو يتسمع ما يجري من الأخبار الى أن اقبل في اليوم الثالث مركب من البصرة فيه رجال من العشارة فقبضت عليهم الحكومة فبعث مبارك بأحد خدامه يبحث عن الاستاذ ولكن الخادم لم يستقض في التفتيش ولعله كان بأمر من سيده الذي لم يشأ ان يشارك المعتمد في الأمر ومهما يكن فان الأستاذ علم مما جرى صدق ما أشيع عن دائرة القنصل من عزمها على القبض عليه فنأى بجـــانبه عن محيط الكويت وزم مطاياه الى الزبير وحضر هناك واقعة الشعيبة المشهورة .

مبارك ومدبري حركة العصيان

ان مباركاً أثار تلك الزوبعة حول هذين الفاضلين تمهيداً لما سيفاجيء به

مدبري العصيان من الكويتيين ، فبعد أن انتهى مما قصصناه عليك استدعى من كان له يد في تلك الحركة فأسمعهم من التهكم ما ضيق عليهم الفضاء الواسع ومن السخرية ما عرفوا ان ليس في استطاعتهم الوقوف امام تياره الجارف . واتبع هذا كله بضريبة فادحة لولا تشفعهم ببعض المقربين اليه لقاموا بحملها صاغرين وصمم مع هذا على معاكستهم والتنكيل بهم فاطلق من السجن كل من لهم عليه حق وضيق مجال الشكوى على من لهم عليه شيء من الحقوق بمقدار ما أفسحه لسوام .

مبارك وخزعل خان

كان الكويتيون الذين يسافرون إلى العراق ، أو إلى هنديان ومعشور في السفن الشراعية عرضة لاعتداء اللصوص ، ولإنزال البلاء بهم تقتيلاً ونهبا . ومضى وقت ليس بالقصير وهم يئنون من تلك الفظائع ، ويتوجعون وكان مبارك يتقلب لما يصابون به على شوك القتاد . وعلى أحر من الجمر ولكن ماذا يصنع بمن ينهب الأموال والارواح ، ثم يهرب الى حيث لا يبصره المبصرون؟ أعيت مباركاً الحيل في دفع هذا الشر المريع. فرأى اخيراً أن أحسن وسيلة تدفع شبحه المخيف في هوة العدم والنسيان ، إحكام الولاء مع الشيخ خزعل خان لما له من السلطة التامة عليهم وعلى من يلوذ بهم ، ولما له من القوة على صد اعتدائهم ، فاسرع الى مصافحته ، وعقد الصحبة معه سنة ١٣٢٠ في أثر حادثة الحاج أحمد المنيس التي سيأتينا الكلام عليها .

وبذلك زال عن الكويتيين ما كانوا يحذرونه وشرعوا يجنون ثمرة الاتحاد اليانعة وبذلك كان الاثنان كالاخوين الشقيقين لا يألو أحدهما جهداً في حماية صاحبه والذود عن حوضه والسعي وراء مصلحته . بنى خزعل قصراً لأخيه في الفيليه يقيم فيه اذا ما أمها لبعض مهامه فبنى له أخوه مبارك قصراً بجانب

قصره في الكويت بل وافسح له المجال في بناء قصر آخر فخم خارجها، الى غير ذلك مما يدل على قوة الاتحاد بين الاثنين وتفاني بعضهما في منفعة صاحبه.

مبارك وابن سعود

كان مبارك من الدهاء بحيث يرسل نظرة الى البعيد كما يرسلها الى القريب. ويحسب لصديقه اعظم ما يحسب لعدوه ، ويحذر من الأول أشد من الثاني على حد قول الشاعر :

احـذر عـدوك مرة واحذر صديقك الف مره
فلربمـا انقلب الصديق فـكان أعـلم بالمضره

كان يعلم ان ابن سعود اذا ما تم له ما يريد في نجد انه سيشرع بتوسيع نفوذه وسلطانه واستئصال شأفة من يقف في وجهه ولو كان مباركاً صديقه وحميه . كان يعلم هذا منه لان طبيعة الملك تقتضيه واطماع الملوك الكبار لا تخرج عن دائرته ومبارك يعلم ان صاحبه واحد من اولئك لا فراسة وحدسا ، بل عشرة واختباراً غير أنه لم يبح بشيء مما كان يخالج ضميره اذ ذاك لانه كان في حاجة كبرى اليه والى تأليفه . إلا انه قد جعله نصب عينيه وأخذ يراقب حركاته عن كثب . وقد مضى ردح من الزمن وظاهر الاخاء ضارب اطنابه بينهما فابن سعود لا يلقبه إلا بأبيه الكبير . ومبارك لا ينعته إلا بابنه البار . ولكن في أخريات الأيام تجهم وجه الاخاء وتكدر صفو السلم وأخذت الألسنة تقذف حممها وتخرج الضمائر ما تكنه وتخفيه حتى كاد الأمر يفضي الى حرب بين الاثنين لولا معاجلة المنية مباركاً .

اسباب التغير بين مبارك وابن سعود

لأسباب عديدة حصل هذا الانقلاب العظيم بين الأميرين وقد يجهل تلك

الاسباب كثير من أهل الكويت ، ويودون الاطلاع عليها والوقوف على حقيقتها فإلجازاً لرغبتهم سأجلوها عليهم هنا ، وان كنت أرى السبب الحقيقي هو خوف كل منهما من استفحال امر صاحبه او طمعه فيه واتخذ هاتيك الاسباب ذريعة لتبرير عدائه . أما البادىء بالعداء منهما والذي يستحق اللوم في ذلك قبل صاحبه فهو مبارك عند انصار ابن سعود . وابن سعود عند اتباع مبارك وبيد كل من الفريقين براهين يحتج بها على خصومه . اما أنا فسأورد ما قاله الفريقان هنا كله خدمة للحقيقة التي انشدها . تاركاً الميل والتشيع الى أحد الحزبين جانباً وتاركاً المجال الواسع للقارىء في النقد والتقريظ .

ما يقوله أنصار ابن سعود

يقول هؤلاء ان مباركاً هو المبتدىء بالعداء وذلك لأنه عقد اتفاقاً مع خصم ابن سعود اللدود عبدالعزيز الرشيد في شوال سنة ١٣٢٣ على يد خالد باشا العون في زيارته للكويت تلك السنة . وكان من جملة مواد الاتفاق ان مباركاً يلازم الحياد فيما يدور بينه وبين ابن سعود من الحروب . ويتبنى في ذلك الاتفاق فوز ابن الرشيد وانتصاره على عدوه وتلا هذا ان مباركاً كتب الى ابن الرشيد يحرضه على غزو ابن سعود وأفهم اهل نجد بتخليه عن نصرته وقد تبع هذا ايضاً الدور الذي مثله مبارك في الوقت الذي تقرر فيه اجتماع الوفد التركي برئاسة السيد طالب باشا النقيب بابن سعود في الكويت للبحث معه بشأن القطيف والأحساء بعد احتلال ابن سعود لهما فان مباركاً عارض اولا في عقد المؤتمر في الكويت ثم اجتمع ثانياً بالوفد التركي وأخذ يشرح له نبذاً من اعمال ابن سعود المختلفة لمصالح الدولة وأبان له غلط الحكومة العثمانية في تقديرها قوة ابن سعود بأكثر مما تستحق، وتأسف لكون الحكومة لم تفوض اليه عقد الصلح معه وقال لو انها فوضت الي ذلك لاجبرته على الخروج

من الاحساء والقطيف ثم أخذ بعد هذا الخداع يحذر ابن سعود ايضاً من الاصغاء الى مطالب الوفد وقبول شروطه ويضعف قوة الحكومة العثمانية امامه [1] وكان آخر الادوار التي مثلها مبارك على مسرح المكر الدور الذي قام به في تجهيز ابنه سالم ومن معه من آل الصباح الى الاحساء نصرة لابن سعود على العجمان . فقد سيره بجيش عرمرم في رمضان سنة ١٣٣٣ وقال له اني لم ارسلك لقتال العجمان ولا نصرة حقيقية لابن سعود وأنا جهزتك صورة أمام الناس ثم حذره أشد التحذير من الاشتباك مع العجمان في قتال. وقد علم ابن سعود بذلك بل علم بلوم مبارك الشديد لسالم بعدما سار الى ساحة الوغى وبعدما اشتبك مع العجمان في بعض الوقائع فقد قال له في عتابه : قد نهيتك فلم تنته وحذرتك فلم تسمع . أنت لست تابعاً لابن سعود ولا هو بأفضل منك وأكبر فإياك ان تعود لمثل ما عملت فمثل هذا التلاعب يضطر ابن سعود إلى التغير على مبارك .

هذا ما يقوله أنصار ابن سعود في الاعتذار عن إمامهم . وهذا ما يدلون به من الحجة على خصومهم؛ أما المتحيزون إلى مبارك، فمع كونهم يرون لديهم أجوبة مقنعة لمحاججيهم فانهم يعتقدون أيضاً أن بيدهم من البراهين ما تقوى بها عارضتهم في ميدان الجدال .

ما يقوله أنصار مبارك

يقول هؤلاء ان المبتدىء بالاعتداء في الحقيقة هو ابن سعود وذلك : أن ابن سعود ارسل مع احدى القوافل النجدية معتمدين لقبض الرسومات على الاموال التي تخرج معها من سوق الكويت . ولا ريب في ان هذا مجحف في

---

(١) يقال ان مباركاً لم يمثل هذا الدور الا بدافع من انكلترا التي ترى اتفاق ابن سعود مع الاتراك ضررا على سياستها في الجزيرة وازهاقا لأملها بالاتفاق معه سيما وقد أخذ نفوذه يمتد الى قلب الجزيرة.

حتى الكويت واعتداء على سلطة مبارك فيها وكان هذا قبل اتفاق مبارك مع ابن الرشيد . ولعل هذه الحادثة هي التي حدت بمبارك الى ذلك الاتفـــاق حيث علم منها بمـــا كان يضمره ابن سعود له ولبـــلاده من هضم الحقوق والاستهانة بالواجبات ، أن الحكومة الانكليزية رغبت بالاجتماع بابن سعود في الكويت ، فكلفت مباركا بتبليغه الأمر. وبعد أن بلغه أجاب: أخبر الحكومة بذلك فتعيّن الاجتماع في ٥ ربيع أول سنة ١٣٣٣ برئاسة هاردنك حـــاكم الهند كما تقدم . وهناك أخذ مبارك يستحثه بالكتب والرسائل على الحضور ويحذره من أن يصده أي مانع سيما ابن الرشيد فان الاشتغال بمحاربته يرفعه في أعين الانكليز والاتراك . ولكن مع هذا فقد وصل هـــاردنك في اليوم الموعود ولم يصل ابن سعود لاشتغاله بخصمه ابن الرشيد في واقعة (اجراب) التي انخذل فيها امامه وقتل فيها (شكسبير) في ربيـــع اول سنة ١٣٣٣ فأحدث هذا تغيراً في نفس مبارك على ابن سعود وذلك :

(١) لخلفه الوعد .

(٢) لمخالفته نصيحته .

(٣) لانخذاله في تلك الواقعة . اضف إلى هذا الخجل الذي اعتراه امام انكلترا من خلف ابن سعود الوعد .

(٤) ان مباركا كتب اليه كتباً عديدة فيها الحض على ابن الرشيد[1] وعلى الحكومة العثمانية التي تمسك بأذيالها ، ويقول فيها ان الحكومة ذاهبة لا محالة، وان الغلب سيكون لخصومها الانكليز في ميدان الحرب ويخبره ايضاً بعزمه على الغارة على شمر بعد ان يأتي (سيف العتيقي) أحد رجاله الذين ارسلهم

---

(١) المراد به احد امراء آل الرشيد الذين تولوا بعد قتل عبدالعزيز آل الرشيد صاحب الاتفاق الذي تم بينه ومباركاً كما تقدم . وقد كان مبارك لدهائه يلبس لكل زمان لبوساً بل تراه وهو يحرض ابن الرشيد على ابن سعود ويحرض ابن سعود ايضاً في نفس ذلك الوقت على ابن الرشيد يمثـــل تلك الادوار تحت طي الخفاء . وهكذا كان يتلاعب مبارك بالرجال والابطال .

الى ابن الرشيد الى اسرار أخرى غير ذلك أمره ان لا يفاتح بها احداً حتى أقرب قريب اليه ، وان يرميها في قعر الظلمة ، ولكن ابن سعود مع هـذه الوصية الأكيدة ، تركها في حقيبته مع أوراقه العادية ، فغنمها منه ابن الرشيد في حادثة (اجراب) وقد قرأها ابن الرشيد على سيف العتيقي في حائل بعد ذهابه اليه في المرة الثانية ، فاستشاط مبارك غيظاً لهذا الأمر الذي لم يدر أهو تفريط من ابن سعود او له من ورائه مآرب أخرى. ولم لا يستشيط وقد سبب هذا انكشاف أسراره ، وحدا بابن الرشيد الى ان يأمر عربانه بالغارة على أطراف الكويت ، وقطع سبلها ، حتى قامت بعدة غارات واخذت قافلة خارجة من الكويت لأهل الزلفى .

(٥) ان مباركاً يدعي انه سمع من صاحب الدولة السيد طالب باشا النقيب نقلا عن ابن سعود انه قال: لا يمكنني الاتفاق مع انكلترا الابعد ان تسمح لي بقطر ومسقط وعُمان ، وبعد ان تراجع مباركاً الى حدوده الأصلية .

(٦) ان ابن سعود شرح لابن مبارك واقعة (اجراب) على غير حقيقتها فقال بانتصاره على خصمه ابن الرشيد وبانخذاله امامه في الميدان . ثم اردف هذا طلبه من مبارك سلاحاً وخيلاً وإبلا وقال ليس هذا من حاجة الى ما طلبت، ولكن الغرض الذي أرمي اليه ان تكون لك الشهرة الطيبة والمعروف والجميل امام أهل نجد والا فالسلاح في (الرياض) صنـــاديق في وسعنا عد الجراد دون عدد الجنود ، وقد فهم مبارك من هـــذا ان ابن سعود يتغفله ويستبهله وانه أهل لان تنطلي عليه الحيل وتخفى عليه الحقائق ، بل شم منه رائحة انكاره فضله السابق الذي عرفه أهل نجد وسواهم . وقد حدا هذا كله بمبارك الى ان يوقفه على خطئه فيما قال برسائل بعث بها اليه شديدة اللهجة .

(٧) ان العجمان بعد حادثـة اجراب أظهروا العصيان على ابن سعود ، وكان هو إذ ذاك في نجد فود لو ينضم اليه الجيش الكويتي ليشتد به ساعده في الهجوم عليهم ، فترجى من مبـارك ان يساعده بالجيش الذي كان يقوده

الشيخ احمد آل جابر .. والشيخ علي آل خليفة وان يكون في انتظاره في موضع عينه هو . وقد أجابه مبارك ، وأمر الجيش بأخذ الأهبة ، وانتظار ابن سعود بذلك الموضع ولكن ابن سعود مع هذا كله أخلف وعده وصار الى الاحساء تاركاً الجيش الكويتي وحده في تلك السباسب والقفار ولم يفت مبارك الخطأ الذي ارتكبه ابن سعود في خلفه الوعد بل ولم يفته ايضاً ان الغرض الذي حدا به الى الخلف، هو رغبته أخيراً في ان لا يكون لمبارك يد في تأديب العجمان وانزال النعرة من رؤوسهم ، لئلا يتبين من ذلك ضعفه أمامهم، وقوة مبارك الذي علم بما كان يضمره له .

(٨) ان الشيخ عبد اللطيف آل عبدالرزاق[1] كان له اربعة وعشرون الفاً من الروبيات طلباً على ابن جمعه في القطيف . وكتب مبارك كتابين إلى ابن سعود الذي استولى أخيراً على أموال ابن جمعه يستحثه على اعطاء الكويتي حقه فلم يجبه إلا بعــــد ان اتبعهما بثالث ، وقد قال ابن سعود في الجواب إنا سنعطي صاحبكم حقه من ثمرة نخل ابن جمعه لا غير . ولكن مباركاً قال ان صاحب الدين لا يقبل إلا نقوداً. ولا ريب في ان مثل هذا الجواب ومثل هذا التباطؤ يحدث ضعفاً بين أخوين لا فضل لأحدهما على الآخر فكيف به وهو من ابن سعود مع مبارك ، بهذا يحتج انصار مبارك على مناظريهم ، بل ويجيبونهم على بعض ما احتجوا به آنفاً بما احتج به مبارك نفسه على ابن سعود. وقال له بعد ان بلغه العتب الذي كان يوجهه اليه في عدم رضاه عقد المؤتمر

---

(١) هذا الفاضل الكريم هو أحد رؤساء بيت آل عبدالرزاق في الكويت . وقد نزح اخيراً الى بمبي وقام فيها وعائلته وكان يتعاطى هناك الاشتغـــال باللؤلؤ وغيره . وهو اليوم من اعظم الملاجىء لتجار اللؤلؤ في بمبي وقد حصل على ثروة طائلة وشهرة حسنة وهو من الرجال الفضلاء الكبار الذين يعتمد عليهم في المهمات . تولى رئاسة النادي الذي اسس في بمبي بسعي الاستاذ الكبير الزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعلبي وقد سمعت من هذا الاستاذ الفذ المدح العاطر ، والثناء الجميل على هذا الكريم المفضال وسمعته يقول ان له يداً ومعرفة في تاريخ الهند تؤهله لان يكون مرجعاً للباحث عنه وعن أحواله .

في الكويت وفي عدم استحسانه دخولها في المساعي التي كان يبذلها لتعرقل اتفاقه مع الوفد التركي. (انا ما امنعك من دخول بلدي وقت الشدة والخوف. فكيف ولا خوف ولا شدة على ان عدم الرغبة في دخول الكويت هو في الحقيقة منك لا مني فانك كتبت إليّ كتاباً وهو محفوظ الى الآن عندي تعتذر فيه عن دخول البلد لخوفك من تكليف اهل نجد الموجودين فيها . وأما عن الاتفاق فانا لما عرضت عليّ بنوده[1] ورأيتها ثقيلة قلت للسيد طالب النقيب: ابن سعود لا يمكنه قبولها . هذا ما يقوله مبارك ويحتج به انصاره ولكن لا أظن أن أنصار ابن سعود يعجزهم هدم هذه الاحتجاجات التي عرفوا منها مقدار مراوغة مبارك وخداعه ومهما يكن ، ومهما جلبنا من الحجج والبراهين للفريقين ، فان حبل المودة قد رث اخيراً أو تحطمت حصون الولاء والسلم ، واخذ كل من الاميرين ينظر صاحبه بعين العدو اللدود وشرع يستعد له بما في وسعه وطاقته فاستدنى مبارك العجمان الذين وقعت بينهم وبين ابن سعود تلك الحرب ، الذي كان سبب افلاته من مخالبهم جيش سالم الذي أسلفنا الكلام عليه. فاضطرب ابن سعود مما جرى أو أوجس خيفة وشراً ، إذ علم ان مبارك لم يمد إليهم يد الصلح والمسالمة ، ولم يجرهم الى جانبه إلا له لا لسواه ، بل علم انه سيعالجه بهم بما يكرهه وبما يقض عليه مضجعه ، أوجس تلك الخيفة المدلهمة والشر المستطير فحب أن يستميلهم اليه ويفصلهم عن دائرة خصمه ، أحب ذلك وهو المقسم على نفسه ألا يصافحه مهما كانت الحال وأنهم لو كانوا في بطنه لأخرجهم من بين ثناياه . مال الى ذلك بكليته ولكن بعد ان فاتت الفرصة وبعد ان قبض عليهم أسد الجزيرة بمخالبه

→ أما ابنه الاديب الفاضل محمد فقد برهن على غيرته في تأييد المشاريع الخيرية والمؤسسات النافعة بتبرعه للمكتبة الاهلية في الكويت بمائتي روبية . وهو شاب حر هادىء الطبع دمث الاخلاق.

(١) وكان من اهم البنود ان يكون علم البلاد الرسمي العلم العثماني وان يكون ابن سعود والياً من قبلها يعين بفرمان شاهاني ، على ان تتعهد الدولة باستقلاله في الاحساء والقطيف وان تكون الولاية له ولاعقابه ولاعقاب أعقابه من بعده .

وأنشب فيهم أظفاره . وبينما هو يحرق أسنانه تارة ويعض سبابة المتنـــدم اخرى ويحسب لعداوة مبارك وللتدابير التي قام بها الف حساب ، ويتخيل من جراء ذلك كله مستقبله مظلماً ، وانه على شفا حفرة من السقوط ، بينما هو كذلك وقد ضاق الفضاء واستعرت انفـاسه من الجوى ، واذا بنبإ طار فملأ الآذان والأسماع، نبأ أقامه وقد كان مقعداً وجلا عنه سحابة الاضطراب التي أحاطت همس الناعي بأذنه بأن صاحبك بالأمس وعدوك اليوم قد مات، وورارته الأجـــداث ، فكن آمناً على نفسك ومستقبلك ونم نوماً هادئـــاً مستريحاً . فـكاد صاحبنا يطير فرحاً وسروراً ويعلن البشائر والأفـراح من ذلك النبإ الذي لم يكن ينتظره ، ولكنه ملك عاطفته ، وتغلب على شعوره، فتظاهر أمام الناس بالحزن والتأسف والتوجع والأسى . وقـــد تراءى للناس إذ ذاك ان سيقوم لابن سعود حظ في الجزيرة عظيم وان سيكون له فيهـــا كلمة ليست لسواه ، تراءى لهم ذلك لأنهم يرون من المستبعد ان يتم له ما يريد ومبارك في قيد الحياة ويحاول إنزاله الى الحضيض الأسفل ، ومبارك هو الذي أوصله الى ما وصل اليه في ذلك الوقت ، وهو الذي أخرجه الى عالم الوجود بعد ان كان نسياً منسياً ، سيا وقد بزه في ميدان الدهاء وفاق عليه في ضروب الخداع . وزيادة عليه وقد أخذ باحتياطات عديدة ما سمت ولو أمهل في عمره لرأينا له دوراً مهماً يمثله على مسرح الانتقام من صاحبه الاول وعدوه الثاني، ولرأينا له مهارة باهرة في تفكيك عرى البادية وأهل نجد من حوله بفتح خزائنه المـــلأى بالأصفر الرنان إذ له من الثروة ما ليس لصاحبه عشر عشرها ، والكل يعلم ان الأخير لم يفز بما فاز به إلا بنثره الدراهم بلا عد ولا حساب والدراهم التي تستعبد القلوب وتملك الرقاب .

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان إحسان

ولكن مات مبارك فكان بموته حياة ابن سعود ، واختفى الاول فكان في اختفائه ظهور الثاني ، وتلك الأيام نداولها بين الناس فعسى ان تكون العاقبة

خيراً للاسلام وأهله ، وفيما جرى عز للعرب الأباة ، وعسى أن تزول الضغائن والاحقاد من القلوب وتتحقق الآمال والأحلام .

مبارك والأخلاق

لكل شخص أخلاق محمودة واخرى حظه منها الذم والانتقاد ، ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن الناس من تكون أخلاقه المذمومة تتلاشى في بحر المحمود منها ، ومنهم من يضيع المحمود منها في فضاء المذموم الواسع ، ومنهم من تكون له في الاثنتين كفتان متعادلتان. إذن فمبارك من أي الاقسام هو ، من الاول فنرفعه على الأكف والرؤوس ، أم من الثاني فنرميه في زاوية الاهمال واضعين عليه صخور النقد والتقريع ، أم من الثالث فنرفعه تارة ونحطه أخرى .

أنا أعلم أن مباركاً كغيره من الملوك له في الامرين حصة ونصيب والإنصاف يناديني هنا بأن اكون حراً بمعنى الكلمة خالعاً ثوب التدليس والتلبيس ، ويناشدني ان احدث القراء بالحقيقة الراهنة التي أعرفها عن غضنفر الكويت ، خدمة للتاريخ وقياماً بواجب العدل والصراحة ، وها أنا لبيت النداء لئلا اكون من الغاشين ، فليعذرني آله وأنصاره فما قلت إلا الحق وما نطقت إلا بالصواب .

أخلاق مبارك المحمودة

كان مبارك شجاعاً جريئاً حازماً ذا همة تناطح السحاب وعزم يفل الحديد وكان ذكياً قوي الذاكرة رقيق الاحساس والشعور صاحب نفس عالية وارادة قوية ودهاء مدهش وسياسة بز بها الأقران وصبر وجلد . له مطامع الملوك الكبار وآمال الأمراء العظام ما حدثته نفسه بشيء إلا وأسرع اليه قبل فوات الفرصة ، يحب العمل ويكره الراحة ، شغوف بالشهرة ولوع

بالصيت ذا عظمة وكبرياء وهيبة تدع الكثيرين في ارتعاد وتلجلج ، له هيبة في مجلسه ، وفي منطقه ، وهيبة في منظره وحركته . كان الى السخاء منه أقرب إلى البخل وإلى والحلم أقرب منـــه إلى الغضب ، وإلى الديانة في أول أمره أقرب منه إلى ضدها، حريصاً على أن لا يضيع حق لرعيته ، وحريصاً على أن يكون لهم ذكر في المدن والأمصار يساعدهم بالمال ويدافع عن حقوقهم دفاعه عن حقه .

اهتمام مبارك بمصالح رعاياه

كان يفتح خزائنه لتجار بلده ويمدهم منها بمئات الألوف وعشراتها ليتاجروا بها ويبيعهم قسماً من تمر أملاكه في البصرة ويمهلهم بالقيمة إمهالاً طويلاً كل ذلك رغبة في نمو تجارتهم وزيادة ثروتهم ولقد كانت تصيبه الانفعالات العظيمة اذا ما أصيب أحدهم بخسارة في الأموال والأولاد .

أفلس الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم في بمبي ، وكان للكويتيين عنده كثير من اللؤلؤ الثمين فأبرز مبارك من الاهتمام بما لهم من اللؤلؤ ما لم يكن يخالج أذهانهم وقد كانت نتيجة اهتمامه ان استردوا ما لهم من الأموال الطائلة في حين ضياع اموال غيرهم العديدين .

اخذ بعض قطاع الطريق بين الكويت والزبير شيئاً من الخام لبعض اليهود في الكويت فما هدأ له بال حتى عرف الآخذ وارجع ما اخذ الى صاحبه .

وحصل في احد الايام خوف بين الكويت ونجد وفي الكويت قافلة على أهبة السفر الى نجد فيها كثير من اموال الكويتيين فذهب اليه ثلة من اهلها يراجعونه في امرها ويستطلعون رأيه فيها فقال : اني مستعد لاخراج جيش يرافقها ويحميها الى مقرها، ولولا ان جاء الخبر اليقين بسلامة الطريق لفعل ما عزم عليه .

وذهب في احد الاعوام جملة من تجار اللؤلؤ الى بمبي لبيع لؤلؤهم هناك ولكن صادفوا نزول الأسعار وكساد الأسواق ، فأصدر امره اليهم بابقاء لؤلؤهم عند الشيخ قاسم آل ابراهيم ... ومبادرتهم بالرجوع الى وطنهم امرهم بذلك لئلا يتحملوا الخسائر الباهظة بطول اقامتهم هناك وقد اعطاهم عندما جاءوا الكويت من ماله الخاص ما يقابل قيمة اللؤلؤ ليتاجروا به ..

وفي صفر سنة ١٣٢٠ هجمت سفينة مسلحة على سفينة كويتية خارجة من البصرة الى فارس فيها أموال للحاج حمد المنيس : نقود وغيرها تقدر بنحو ستين ألفاً من القرانات بقرب بوبيان فأخذوا الأموال وقتلوا رجلاً من أهل السفينة ، وعندما بلغ مباركاً الخبر اسرع بالسفر الى القصبة لتحقيق امر الجناة وارسل تلغرافاً الى وكيله في البصرة (عبد العزيز افندي السالم) ليخبر الحكومة بما وقع من الاعتداء واتبعه ايضاً بتلغراف الى خزعل خان في ناصرية الأهواز يرجو منه العون في البحث والتحقيق عن المعتدين وقد بذل مبارك في تلك القضية اهتماماً كانت نتيجته احضار الجناة بين يديه وانزاله بهم العذاب الذي يستحقونه .

في شعبان سنة ١٣٢٥ سافرت احدى البواخر البخارية من الكويت ببعض الأموال لأهل الكويت ولما ارست في المحمرة اراد مأمور الحكومة البلجيكية إنزال تلك الأموال لتفتيشها فامتنع قبطان الباخرة وقال : لا بد من إرجاعها الى المحل الذي حملت منه او الى اهلها في الكويت ، وفي رجوعه من البصرة انزلها عند الكميني في مسقط ، فتأثر مبارك من طلب مأمور البلجيك تأثراً عظيماً وخابر الميجر ناكس في الكويت بذلك وقال له : ليس للبلجيك ولا لغيرهم حق الكشف على اموال الكويت او تنزيلها . إنما الحق لي وللحكومة الانكليزية في ذلك فاذا جاءت الأموال ووجدنا فيها شيئاً مما هو ممنوع رأينا فيه رأينا .

هكذا ينبغي أن يكون اعتناء الحاكم بمصالح رعاياه وسعيه فيما يدفع عنهم

الخسائر والأضرار ، وهكذا ينبغي أن يكون سهره على مصلحتهم وعلى تجارتهم لأن حياة البلاد بتجارتها ورقيها بثروة أهلهـا ، والتجار على البلاد كالغيث على الفيافي والآكام يمطرون من خيراتهـم ما يحيي النفوس والآمال ، وبأموالهم تشاد المعاهد العلمية والنوادي الادبية ، وبأموالهم تتكون الجيوش التي تحمي البلاد من الأطماع وتصون الحقوق من الضياع ، إذاً فلا غرابـة اذا ما رأينا مباركاً شديد الحرص على مساعدة تجـــار بلده ، ولا غرابة اذا ما رأيناه يدافع عن حقوقهم دفاعه عن حقه .

أخلاق مبارك المذموم:

كان مبارك جباراً عنيداً غشوماً ظلوماً وكان من المستبدين الجائرين شغوفاً بجمع المال وشديد البحث عن الطرق التي توصل اليه ، حتى كان يرهق بعض الجناة من رعاياه بضرائب من المال فادحة وحتى اخترع رسوماً مستمرة فمن زيادة في المكوس الى مشاركة في الأملاك والعقارات بل كان حظه احسن من حظ الشريك فله ثلث ما بيع وأجّر من كل عقار ولو تكرر ذلك في اليوم مرات ، وكان ذا مكر وخداع ومراوغة شأن غيره من المـــلوك والأمراء . جاهر في آخر أيامه بترك الشعائر الدينية والتساهل بالصلاة والصيام ومال الى اللهو والقصف والتهتك والخلاعة فاستقدم الراقصات من مصر وسوريا وأقام لهن المسارح في قصوره الشاهقة وانغمس في هذا الأمر انغماساً عظيما .

ولكن الأمر الغريب في هذا كله انمباركا كان ينزل عقابه الصارمبمقترفي الآثام في الكويت التي تشبه ما يأتي من بعض الوجوه فـكم سمعناه أدب شارباً للخمر وكم سمعناه عاقب متحرشاً بالمصونات وكم أشاد الناس بذكره لنفيه من المدينة بعض المتلبسين بما يندى له جبين الحيـــاء ، وكم وكم مما يطول شرحه واستقصاؤه .

هذان دوران غريبان متناقضان مثلهما مبارك علىمسرح الحياة في الكويت

دور برز به كالمحامي عن الأخلاق الفاضلة ودور برز فيه بصفة الولوع بالفسق والفجور ، وإنهما لدوران غريبان أعاد لنا بهما نبذة من تاريخ الحاكم العبيدي في مصر ، بل برز كشخص على فلم (السينما) يقوم في آن واحد بعملين متناقضين فيجيء ويذهب ويصعد وينحط ، لا بل نكاد نفهم منه ما انطوت عليه نفسه الكبيرة من حب التفرد في كل شيء حتى في تلك الأعمال التي استحق عليها الذم . وإذا علمنا ان كثيراً من رعيته تجنبوا ركوب الخيل لأنه كان يركبها ، وتجنبوا أزياء مخصوصة لأنها كانت مختصة بآل الصباح ، وتجنبوا التشبه به في مجلسه لعلمهم كراهته لذلك أمكننا ان نفهم السر فيما قدمنا . ولا ريب في ان هذا من حسنات مبارك ومن الأخلاق التي يحمد عليها ، فالمرء لا ينبغي له أن يحارب الله من كل وجه ، هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان من اعظم الويلات والمصائب على الأمم والجماعات هو تفشي المنكرات بينهم وانتشارها بين صغيرهم وكبيرهم ، نعم الويلات المهلكة في الأموال والأخلاق وفي العقول والأجسام .

مبارك والعلم

لم يكن لمبارك ميل الى العلم ولا رغبة في المعارف ، ولم ينشط لها في أيامه يوماً ما . فكانت الكويت في عهده محرومة من النور ومحرومة من أسباب الارتقاء الفكري ومن وسائل التهذيب العقلي ، لا معاهد علمية فيها ولا مجتمعات أدبية في أرجائها ، هذا وايم الحق مما يسيء الى كل مصلح غيور لأن مباركاً الذي عرفه الكل فيما مضى لو أراد النهوض ببلده وأخذها الى مستوى الكمال لتسنى له ما أراد في وقت قريب جداً لاقتداره بالمال والنفوذ والجاه، ولكنه — والأسف تلو الأسف — لم تحدثه نفسه به ولم يطمح نظره اليه فكانت مدينته إذ ذاك كالفتاة التي تستغيث بمن يورد غلتها ويقلد جيدها العاطل بجواهر العلم ولآلئه ، ولكن لا سامع ولا مجيب ، صم مبارك أذنيه عن سماع ندائها وتلبية

دعوتها ، وكان الواجب عليه ان يسمع لها ويجيب ، فصدوده عنها نقطة سوداء تضم الى نقطه السود في تاريخه المفعم بالعجائب. وهنا لا بد لنا من تعرف الأسباب التي دعته الى قبض يده عن ترقية بلده بنشر العلوم في ربوعها .

نرى من أهم الأسباب التي منعته هو ما يقوم في ذهن كل حاكم مستبد من أن العلم معول يهد به صرح الاستبداد وسيف يحز به عنق الظلم . ومبارك له في الاثنين ولع ايما ولع . ولا يبعد أيضاً أن يكون لجلساء السوء الذين أحاطوا به نصيب وافر في تمثيل شبح العلم المخيف أمامه . زد على هذا أنه لم يذق للعلم طعماً ، ولم يعاشر من أهله من يكون مثالاً حسناً في أعماله وأقواله ، مثالاً حسناً في مقاصده ونواياه . فيحبب العلم إليه ويقربه الى حماه، بل قضى عمره بين جهلاء لا يفهمون وأغبياء لا يعقلون ، وقد يكون من أقوى الأسباب أيضاً انهماكه باللهو ، والعلم الصحيح والخلاعة عدوان لدودان وضدان متناقضان قلما يجتمعان لرجل واحد في آن واحد . وهنا أمر واحد لا أستبعد ان يكون من تلك الاسباب أيضاً وهو ما كان يشاهده اذ ذاك في علماء بلده من الخمول والجمود الذي تخلل أدمغتهم وعقولهم .

ومهما تكن الاسباب التي منعته فليست هي أسباباً تزيح عنه العتب واللوم وسأحدثك هنا عن أهمها تاركاً لك المجال الواسع في بقيتها .

العلم وان كان عدواً للاستبداد وخصماً للظلم يغرس الحرية في القلوب ويعلم الناس ما يجهلون فالكل يعلم مع هذا ان من يسعى في نشره ويبذل في سبيله ما في وسعه سيكون له مقام محترم ومحبة تسكن الافئدة والقلوب ويرى الناس سيما من نشره بينهم ان له حقاً مقدساً يسهل معه بذل الأموال والارواح لأنه أنقذهم من ظالم عنيد وجبار غشوم هو الجهل المهلك . وقد حفظ لنا التاريخ كثيراً من هؤلاء الملوك المستبدين ، هذا الرشيد وابنه المأمون في بغداد وهذا عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم في الاندلس وغيرهم

وهذا محمد علي[1] باشا الكبير الذي أحيا مصر وابناءها بنهضته العلمية ورفعها الى ذروة المجد والكمال وترك أهلها يشيدون بذكره فهل هد العلم عروشهم وأزال نفوذهم كلا ثم كلا بل شاد لهم مجداً مشمخراً وفخراً لا يمحى على ان الحكام المستبدين لو أمعنوا النظر فيما يجنونه بنشر العلم من الفوائد المادية والأدبية التي تفوق ما يجنونه من ثمار ظلمهم واستبدادهم لجعلوا العلم نصب أعينهم وأعطوه اهتمامهم الكبير ولغلوا أيديهم عن الجور والحيف .

لهذا فنحن نلوم مباركاً على تقاعسه عن نشر العلم في ربوعه وفي العلم الحياة والفوز ونلوم جلساءه في عدم نصحه ونصحه عليهم من الواجبات نلوم مباركاً اللوم الشديد لانه لم يعمل كما يجب عليه ولم يعمل لرغبة ما هم في حاجة كبرى اليه فلم يبن لهم مدرسة واحدة علمية يشربون من نميرها .

أما المدرسة المباركية التي تقدم الكلام عليها في الجزء الاول وسميت باسمه فليس له في تشييدها يد ولا في نفقتها درهم واحد ويلوح لنا مما نعرفه عنه انه لو استشير بأمرها قبل ان تشرئب اليها الاعناق وقبل ان يذاع خبرها في مجالس الكويت وأنديتها لكان من أكبر المعارضين لها ومن أشد الناس حرصاً على إقامة العراقيل في طريقها ، ولكن من حسن الحظ انه لم يراجع فيها الا بعد أن بتّ في شأنها وقرر انشاؤها وبعد ان كانت هي الحديث للناس . نحن لا ننكر انه بعد أن أخرجت المدرسة الى حيز العمل وبعد أن رأى الجرائد قد أطنبت بمدحه بالثناء عليه وتعليق بعض الكتاب[2]

---

(١) قضى الشعب في مصر على هذه الاسرة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بزعامة ضباطه وقادته الأحرار .

(٢) هو الكاتب الكبير ، امير البيان والنسب الامير (شكيب ارسلان) الذائع الصيت فقد نشر اذ ذاك هذا الفاضل مقالة ممتعة في جريدة المؤيد الغراء أفاض فيها بذكر تلك المدرسة وبالشيخ مبارك آل الصباح الذي سميت باسمه وبمدحه والثناء عليه لهمته العالية التي دفعته الى انشاء هذه المدرسة . وأناط به كثيره من الكتاب الأمل العظيم في أن يكون أحد الامراء الافذاذ الذين سيشيدون مجد العرب الدائر ويرجعون عزهم الغابر .

الكبار الأمل به في ارجاع ما للعرب من مجد وإعادة ما لهم من هيبة وسلطان، انه تظاهر بتبرعه بأربعين (دكاناً) ولكنه تظاهر مصطنع له من ورائه اغراض لهذا فانه اكتفى بتلك الاشاعة ولم يتقدم لتحقيقها .

مبارك وكتابة الجرائد

علم مبارك بحاجته الضرورية للكتابة على صفحات الجرائد دفاعا عن نفسه ورداً على منتقديه ودحضاً لحججهم وقد تعلم الحاجة الجاهل ما لا يعلم، بل علم ما لها من التأثير في قلب الحقائق وفي التغلب على الأفكار ، وهو إذ ذاك في حاجة كبرى الى ذلك ، في حاجة الى ان يبرهن للحكومة العثمانية تفانيه في حبها وسعيه المتواصل في خدمتها لوجود من يعمل ضده في دائرتها ويرميه بالمروق من الطاعة وبالخروج على الخليفة برميه من ذلك بما هو حق وبما هو باطل سيما ذلك الداهية الدهياء يوسف آل ابراهيم فقد انتصب امامه في الميدان وأشهر عليه السلاح والقى عليه كل اثم وكل تبعة . علم مبارك لهذا بالاضطرار إلى الكتابة درءا لذلك السيل الجارف فاتخذ له كاتباً مصريا كان يتردد إلى الكويت وإلى المحمرة وقد أوقف الكاتب قسما كبيراً من جريدته لهذا الغرض ولكن يؤسفنا أن كل ما خطته أنامل ذلك الكاتب كذب صراح وافتراء محض ولا عجب فعبد المسيح الانطاكي قد عاهد نفسه ان لا يفوه بكلمة يقال له فيها صدقت . في نظرنا أن دفاعاً مثل هذا لا يفيد الفائدة المطلوبة فان من انفضح أمره في الكذب كانفضاح عبد المسيح حتى كان مضرب الامثال به فضرره أكبر من نفعه . إن كذب عبد المسيح فيما ينشر من أغرب الكذب الذي سمعناه وشاهدناه فانه لم يقصر كذبه على الاقوال بل جاءنا بنوع من الكذب غريب رسم منارة في الكويت مرتفعة شاهقة يخيل لناظرها انها من احدى منائر مصر أو سوريا أو العراق ، ورسم أمام مسجدها بستانا نضيراً ملتف الأشجار وليس في مساجد الكويت كلها ما يشبه هذا المسجد ولا من بعض الوجوه .

أعمال مبارك قبل ولايته

كانت أعمال مبارك قبل أن يتولى الحكم مقصورة على الغزو والحروب. فلم يمض عليه عام الا ويخوض معركة من المعارك ويقوم بغزوة من الغزوات.

ففي كل عام أنت جاشم غزوه تشد لأقصاها عزيم عرائكا

وهذا يدلنا على نفسية مبارك وعلى ما كان يميل اليه وبهذا وحده يحكم له بالشجاعة والإقدام ويحكم له بعلو الهمة وصرامة العزيمة. واليك ما وقفت عليه من غزواته اذ ذاك.

مبارك وماجد الدويش

اغار ماجد على عرين دار العوازم من قبائل الكويت في ملح وكان (دعيج آل الصباح) بينهم فخفّ الكويتيون لنصرتهم ولكن بعد ان قضى الله الأمر وأصاب الدويش منهم ما أصاب وأخذ ما أخذ من الغنائم والأموال. أما مبارك فتطير من عمل ماجد وعده اعتداء فظيعاً يستحق عليه العقاب الصارم، وذلك لأن مباركاً كان قد أعطاه قبل غارته ما يسد وطره ولأن من أغار عليهم لم يعتدوا عليه فيكون ما أصابهم به جزاء لاعتدائهم زيادة عليه فهو لا يرى هذا الاعتداء الا على آل الصباح انفسهم لا على قبيلتين من قبائلهم ومبارك لا يطيق الصبر على مثل هذا وان صبر عليه سواه. لهذا رماه بجيش كثيف من الكويتيين والعربان كان هو قائده بنفسه وقد صحبه في (الرديفيات) فأغارت عليه أولاً خيل عنزه ولكنها لم تفعل شيئاً، ثم تقدم زعيم العوازم ابن مساعد وتبعته عشيرته ولم يصغوا لمنع مبارك إياهم عن الإقدام، فكانت النتيجة انهزام الدويش تاركا خلفه من القتلى والجرحى والأموال شيئاً كثيراً.

غزو مبارك على الصميد [1]

وقع بين الصميد وبين ابن سويلط زعيم الظفير قتال لا ندري مـا سببه فاعتدوا عليه وضيقوا الخنـاق فاستصرخ ابن سويلط اذ ذاك بآل الصباح فأنجدوه بجيش كان مبارك هو القائد له وبه رجحت كفته على منـاوئيه وانتصر عليهم .

غزو مبارك على السعيد [2]

اعتدت هـذه الطائفة على أطراف الكويت فنهبت منها أموالاً عظيمة وامتنعت أخيراً عن إرجاع ما أخذت فسار اليها مبارك في زمن أخيه محمد وقد هجم عليها في الخنقة وأصلاها ناراً حامية .

غزو مبارك على بني هاجر [3]

اعتدى أفراد من بني هاجر على سفن في البحر لأهـل الكويت وأخذوا ما فيها من طعام ومال فسار اليهم مبارك بمن اعتاد تقويم الأود بهم ومعـه قبيلة العجمان وزعيمهم (راكان) المشهور ، وبين الاحساء والقطيف اقتص منهم وأذاقهم العذاب الاليم .

غزو مبارك على سليمان المنصور [4]

في أحد الأيام الخالية حدث بين الحكومة العثمانية وسليمان نزاع لا نعرف

---

(١) الصميد : طائفة من الظفير .
(٢) السعيد : طائفة من الظفير أيضاً .
(٣) بني هاجر : من عربان الجنوب .
(٤) سليمان المنصور هو أحد زعماء المنتفك ، القبيلة المعروفة التابعة للحكومة العراقية .

حقيقته، فأمرت محمد آل الصباح بغزوه . أما هو فجهز اليه جيشاً بقيادة أخيه مبارك ، وقد كره مبارك خوض غمار الحرب معه ، ولم يود الاشتباك وإياه في قتال . فكان لهذا يقدم قدما ويؤخر أخرى الى أن وصل سفوان وهناك بعث الى سليمان من ينذره خفية ليفر من أمامه وقد كان الأمر كما أراد فان سليمان عندما جاء النذير مال عن وجه الجيش وذهب الى حيث يأمن على نفسه . وبفراره من أمام الجيش أمرت الحكومة مباركاً بالرجوع .

أولاد مبارك

لمبارك من الأولاد جابر وسالم وقد ملكا بعده كما يأتي، وصباح وفهد وناصر وقد انتقلوا الى رحمة الله وحمد وعبد الله وهما باقيان الى اليوم .

سمو الامير الشيخ حمد

كان مبارك يحبه حباً جماً لم يمنحه أحداً من أبنائه العديدين . وقد أقام لزواجه في الكويت حفلة لم تعهد الكويت لها نظيرا في أيامها كلها ، حفلة سارت بذكرها الركبان وقامت الكويت لها وقعدت في ربيع ثاني سنة ١٣٢٦ وقد قدم الشيخ ناصر (١) الى أبيه مبارك قصيدة يهنئه فيها بزواج أخيه ويمدحه فيها ، ستأتي في باب الأدب .

سمو الشيخ ناصر

كان رحمه الله شاباً ذكياً ذا فطنة وقّادة ، وحافظة قوية نادرة ، وقد لقب لذلك (بكعب الاحبار) ذا شعور رقيق واحساس لطيف ، اشتغل بطلب العلم على أيدي اساتذة في الكويت فتحصل على شيء من العلوم الدينية

---

(١) نظرا لان الشيخ ناصر لا يد له في الشعر فقد استعان بأحد أفاضل الكويتيين بهذه القصيدة.

كالفقه والعقائد وغيرها وعلى شيء من العربية . وأما استاذه الحقيقي فهو هو نفسه الطموحة ، وهمته العالية التي كانت ولا تزال إذ ذاك تدفعه الى التوسع في العلوم والمعارف والبحث والتنقيب ، حتى بلغ الى درجة لا اغالي اذا قلت انه لم ينلها في الكويت من ابناء جنسه احد ولولا الخوف من ان ارمى بالمبالغة فيما أقول لقلت ولا أحد ممن ضمتهم الكويت من طلبة العلم ايضاً ،نعم فالشخص الذي ادهش الاستاذ الكبير السيد رشيد رضا بأبحاثه ومعلوماته ليس بالرجل الصغير ، قال الاستاذ في مجلته الغراء مجلد ١٦ ص ٣٩٨ عن هذا الشاب النابه بعد ان اجتمع به في الكويت عام رحلته ما يأتي : « انزلني مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الاماره وتولى مؤانستي ومجالستي في عامة الأوقاف نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لانه هو الذي يشغل عامة اوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الاسلامية وأقمت في الكويت اسبوعاً كنت كل يوم ما عدا يوم البريد القي خطاباً وعظياً في اكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد ، من أهل النفوس ، وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم . وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والأصول والفقه وغير ذلك على انه لم يتلق عن الأساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر أ هـ » .

وكان رحمه الله أعمى البصر ولكنه نيّر البصيرة .

ان يأخذ الله من عيني نورهما فان قلبي مضيء ما به ضرر
أرى بقلبي دنياي وآخرتي قد يدرك القلب ما لا يدرك البصر

وقد انصرفت همته الى التأليف فاشتغل بوضع حاشية على شرح السيوطي لالفية ابن مالك ولكنه لم يكملها وكان اكبر معين له على المطالعة والبحث

عن اليسار سمو الشيخ ناصر بن مبارك آل الصباح وعن
اليمين سكرتيره الاديب الفاضل سليمان أفندي العدساني .

سكرتيره الخاص صاحبها الأديب الفاضل سليمان افندي العدساني الذي لازمه الى وفاته بتجاربه ومعلوماته .

وكان رحمه الله في أول امره ذا تقى وصلاح وعفة ونزاهة وميـل شديد للعبادة حتى لقد كان يكثر نفل الصلاة وصيام التطوع . وكانت له رغبة في العلوم والمعارف . مما ترك الكويتيين إذ ذاك يستبشرون به ويتأملون منه خيراً لوطنهم المنكود الحظ .

ومن غرائب هـــذا الشاب النابه أنه كان في ابتداء امره يرى في شيخ

الاسلام ابن تيمية رأيه في الزنادقة والملحدين. وقد جرى نزاع طويل في هذا الصدد بينه وبين بعض الاساتذة الفضلاء في الكويت. أوشك أن يفضي إلى مـــا لا تحمد عقباه. ولكن هذا الشاب الراحل علم كثيراً بفطرته السليمة خطأه الذي ارتكبه أولاً. بل علم بغش من كان يلقنه تلك التعاليم الزائفة فكان بعد ان استنارت بصيرته يرى ان ابن تيمية في الحقيقة هو شيخ الاسلام. وإمام الانام وحامي حرمة الدين. توفي في صفر سنة ١٣٣٦.

الحاكم الثامن

الشيخ جابر الثاني بن مبارك آل الصباح

تولى بعد وفاة أبيه في ١٢ محرم سنة ١٣٣٤. كان جابر من الحلم بحيث يغض النظر عن كثير من الهفوات، ومن سلامة الصدر بحيث لا يعرف الحقد ولا البغض وتواضعه حببه إلى كثير من رعيته وبعده عن الظلم والجور رفعه في اعينهم الى مستوى الاكبار له فيه من دماثة الاخلاق وطلاقة الوجه مـــا جذب اليه القلوب الناضرة، وأمال الأفئدة المعرضة إلى جانبه.

أول مأثورة أعماله اعفاؤه الكويتيين من ضريبة الثلث على العقارات التي أثقل بها ابوه مبارك كواهلهم وارجاع بعض البيوت المغصوبة الى اربابها.

اشتهر قبل ولايته بالامساك الشديد فود الناس بعدها ان يخلع ذلك الثوب ويتجرد من تلك الصفة وقد قدر الله تعالى له التخلص منه والبعد عن حماه، فانه ما كاد يقبض زمام الحكم ويطل على خزائنه الملأى بالأكياس المكدسة، الا وطار طائر البخل من قلبه إلى حيث لا يبصره ولا يراه، فبسط بالخير يده المقبوضة وأرخص بما كان يعادل منه النفس والروح وبذلك غرس محبته في القلوب فأثمرت شجرتها الاخلاص له، والتفاني في خدمته.

جابر وابن سعود وخزعل

في محرم ١٣٣٥ اجتمع السر برسي كوكس بهؤلاء الأمراء في الكويت وكان الشائع على الألسنة إذ ذاك ان الغرض من هذا الاجتماع هو توحيد أمراء العرب تحت راية واحد من زعمائهم، وهو حلم ظاهره لذيذ وفي صالح العرب. ولكن هل الأمر كذلك وقد تناقل الناس شيئاً مما دار في المجلس من الحديث. فابن سعود قال أنا عدو للأتراك وهم لي أعداء سأطاردهم ولو وحدي لأني لا أذكر منهم إلا الشر لي ولآبائي من قبل فقد قتلوا من قتلوا منهم ومثلوا ببعضهم أشنع تمثيل، وضرب خزعل ايضاً على هذا الوتر. أما جابر فقال قولاً اكبره الناس لاجله فقال ولم يتجاوز الحد، قال نحن مسلمون فاذا ما اجمع المسلمون على شخص فنحن له من الطائعين. ثم قُلد كل من الشيخ خزعل والسلطان ابن سعود في هذا الاجتماع (نيشاناً) من الحكومة البريطانية.

جابر وابن الرشيد

لم يحدث بين الأميرين شيء يستحق الذكر وكانت الصلة بينهما متينة جداً، غير ان ابن الرشيد نزل قريباً من (الجهرى) بجيشه، فخشي جابر ان يكون جاء محارباً فاستنفر الكويتيين عموماً وقد نفروا في الحال الى (الجهرى) براً على الابل والخيل، والحمير والأقدام، وبحراً في السفن الشراعية ثم اتبعهم جابر بما يحتاجون من اطعمة وذخيرة وخيام ولكن ابن الرشيد عندما علم بما حدث في الكويت وعلم بحضورهم ارتحل من مكانه وابتعد عن الجهرى، وقد قيل انه لم يجيء محارباً ولم يقصد الكويت ولا أهلها بسوء وانما كانت الجهرى في طريقه فكان مروره عليها اضطراراً.

جابر وتعلق الكويتيين به

كان حكم جابر على الكويتيين سعيداً وأيامه مباركة انهالت فيها الأرباح

الطائلة عليهم ، وسيروا تجارتهم الى الشاسع من الامصار الى نجد والحجـاز والى الشام والعراق بل والى الاستانة أيضاً ، سارت الى تلك الجهات في الوقت الذي ضرب الحصر البحري على سوريا فلا من الهند ولا من اوروبا يأتي اليها إلا نزر لا يسد الرمق وكان مع هذا يواسي ويسلي ويعين ويعارض ويسعى السعي الحثيث في راحتهم ويحوطهم بما كان يحوط به نفسه وذويه، من جراء ذلك تعلق به الكويتيون تعلقهم بآبائهم المشفقين . ولا غرو فانهم لم يروا منه إلا الشفقة والحنان والعطف والرحمة .

ولقد ضجت الكويت بأسرها وشق عويلها عنان السماء يوم نعي اليهـا ذلك الشيخ الجليل ، عويل محرق وزفرات اججت النار في الفضاء، وعبرات سقت اليابس من الثرى .

ان جابراً عاش سعيداً بين قومه ومات حميداً ولم نر في ايامه ما يوجب الانتقاد إلا شيئين احدهما جموده رحمه الله عن الاصلاح وعدم اهتمامه بنشر العلم في بلده وهو الرجل السليم الصالح والسخي الكريم . ان هذا ليحزننا وأيم الحق ويضطرنا الى تأنيبه فيما فرط به ولكن اذا لمناه هنا فلومنا لجلسائه أعظم وأشد ، اذ قد يكون له من النسيان عذر واضح ولكن مـا عذرهم وهم عالمون ذاكرون . نعم قد يكون نصيبه من اللوم اعظم لو نبه فلم يتنبه وذكر فأعرض بوجهه اعراضاً . ثانيهما : تغافله عن تطهير البلاد من الفساد وكان في استطاعته ذلك لأن بيده امرها وله دون سواه الكلمة النافذة فيها . توفي رحمه الله في ربيع الأول سنة ١٣٣٥ .

أولاد جابر : – لجابر من الاولاد سمو الامير الجليل الشيخ أحمد آل جابر وحمود .

الحاكم التاسع
الشيخ سالم بن مبارك آل الصباح

في ربيع الاول سنة ١٣٣٥ تولى الحـكم بعد وفاة أخيه جابر ، كان سالم

من العفاف بحيث لم يتحدث حتى ألد اعدائه بما يوجب القدح في عرضه وكان عدواً لدوداً للفسق والفجور ، كثير الصمت حتى ليظن انه عن عي ، حليماً ولكن في رياض حلمه اشواكاً من الغضب مؤذية يتهرى منها اللحم ويتحطم العظم لا يعتني بلباسه ولا بمجلسه ، له المام يسير بالنحو وشغف بمطالعة الكتب الأدبية وله ميل الى حفظ الأشعار العربية ، وبعض المسائل الدينية ، كثيراً ما يناقش جليسه ويسأله اذا كان ذا علم وأدب محافظاً على شعائر الدين ولكنه لم يحج . له شجاعة نادرة المثال لو اقترن بها بذل وسخاء ورأي وتدبير ونظر في عواقب الأمور واطلاع على مجرى السياسة لقلت ولا أعد مبالغاً فيما أقول انه يعيد للكويت اياماً أحسن من ايام ابيه التي لا زلنا نتلهف عليها سيما وقد كان له من التقى والصدق والديانة ما لم يكن لأبيه الذي عرفناه من ترجمته .

أول أعماله تخفيضه الجمرك الى اربعة في المائة واسقاطه جمرك الخارج وتطهير البلد من الفسق حتى رتب مختارين في الأحياء لازالة ذلك الدنس فلهجت الالسنة بالثناء عليه لما أبداه من الغيرة على الآداب العامة والاخلاق الفاضلة وقد تقدمت اليه اذ ذاك بقصيدة اعلنت فيها شكري على ما عمل ثم تقدم اليه بعدي أربعة من الفضلاء : استاذنا الشيخ عبدالله بن خلف والشيخ علي بن سليمان والشيخ يوسف بن حمود والفاضل خالد بن محمد الفرج فنوهوا بذكره واعلنوا شكرهم على سعيه الحميد ، وهمته المحمودة بقصائد غرر تنشيطاً له وتشجيعاً ، ولكن المؤسف أن حضرته أبدى في آخر الأمر تغافلاً في هذا الأمر وصدوداً .

سالم وشاعر الكويت

من حسنات الشيخ سالم التي امتاز بها على ما سواه من حكام آل الصباح اعتناؤه بشاعر الكويت الفاضل الشيخ صقر بن سالم الشبيب ومنحه القرب منه حتى جعله شاعره الخاص ، وما زال يواليه بأنعامه مدة حياته الى ان انبعثت

في الوسط الشيخ سالم بن مبارك آل الصباح وعن يساره عمه المحترم الجليل الشيخ جابر
ابن صباح وعن يمينه الحاج ناصر آل بدر

قريحة شاعرنا النابغ بتحبير القصائد الخالدة في مدحه وحبك المقاطع الشيقة في نشر فضله ، ولا بدع فالإحسان الذي لا يشوبه غرض سافل يملك أحرار الرجال ويقيدهم بربقة الفضل لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها .

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

قد احسن سالم الى هذا الشاعر الذكي بما انساه اذ ذاك ما كان يقاسيه اليوم من ألم الحياة ومضض العيش وما يكابده من مناصبة المنافقين العداء فلا

عجب اذاً اذا ما بكاه بعد رحيله بالدموع الحمر ، وأخذ يندبه ندب الخنساء لصخر . ولا عجب اذا ما رأيناه يكاد يذوب من التلهف عليه وعلى أيامــه ويتهرى قلبه من التأسف على انقطاع تعطفاته ، فصبرا أيها البائس صبراً .

كان اول اتصال شاعرنا بحضرة الأمير ان قدم اليه قصيدة شكا اليه في آخرها ما يراق في الطرقات من المياه التي تؤذي المارين سيما العميان ، وهي قصيدة غراء محورها يدور على أم أيتام صغــار تحطم ما في يدها من البيض الذي كانت تجمعه من دجاجة هي كل ما تركه زوجها لها ولأولادها ، وكان الذي أوقعها ماء في الطريق ، فظلت تبكي وتنوح وتندب سوء حظهـا حتى شعر بها شاعرنا المتألم الحزين فمدها بخمسة دراهم كانت في يده، وفي اول تلك القصيدة يقول :

ومحزونة في الدرب تبكي وتلطم وتعول من عظم المصاب وترزم

الى ان يقول :

فأخرجت من جيبي دراهم خمسة ولم يك عندي غير هاتيك درهم
فناولتهـــا ما يسّر الله قائلاً خذي واعــذري اني لمثلك معدم
دعت لي إذ ناولتهـا ثم أنشأت تسب الذي ألقى الميـــاه وتشتم
فقالت أظن الشيخ لو كان عالمـاً بما منه نشقى في الطريق ونسأم
لشدد في نهي الرعايا عن الأذى وهــددهم حتى يكفوا ويحجموا
وحاشا لذاك الشيخ تلفيه راضياً بمـا قد غدت منه الضعاف تظلم
تبسمتُ لما ان علمت مديحهـــا ومن عادتي عنــد السرور التبسم

وقد لبى الأمير نداءه وشدد في الردع والزجر وأجازه ايضاً بمـــا جعل لسانه رطباً بشكره . وقد أتبعها بقصيدة أخرى ضمنهـــا مع مدحه حاجة أبهمها فقال :

فيا فرحتي ان نلت عندك حاجتي ويا حسرتي ان لم أنلها ويا خسري

وأكبر ظني انـــك اليوم مانحي — من المـــال ما ارقى به ذروة النسر
وحاشاك من تخييب من جاء عافياً — تقلبـــه الأيام بطنـــاً الى ظهر
وتصفعه صفعـــاً يفيض دموعه — فوتراً الى شفع وشفعـاً الى وتر
ولا غرو ان ابديت عندك حاجتي — ففزت بها يا ابن الفطـــارفة الغر

أما الامير فعلم ان شاعرنا يريد بالحاجة إصلاح بيته المشرف على السقوط والذي أكل البلاء عليه وشرب ، فبادر الى اجابته وأسرع الى تلبيته وأصدر أمره الى من أوكل اليه أمر البناء وحثه على انجاز مهمته ، فقام بما أمر به ، غير أنه كان يتباطأ أحياناً وأحياناً يعد الشاعر ثم يخلف ، وتكرر ذلك منه مرات فأراد الشاعر مداعبته لتثاقله بأبيات يقدمها الى سمو الامير في هـذا المعنى فقال :

أبا الشهم عبدالله لو انهم مشوا — اليه بجـد لابتنوه وتمموا
بخمسة أيام ولكنهم مشوا — اليه كما يمشي الى السجن مجرم

وقد لام الأمير الوكيل بعد هذا لوم المازح المداعب ، وحضه على ارضاء الشاعر والوقوف عنـــد أمره . وما هي إلا أيام حتى كان البيت كالعروس الفتانة ، ولا يقل ما صرفه عليه من ثلاثة آلاف روبية . وقد شكر الشاعر سمو الأمير على هذا الاحسان العظيم والفضل الشامل بقصيدة قدمها الى سموه ايضاً فقال :

كريم نفى عني هموماً أقلها — تذيب أصم الصخر لو حل بالصخر
فشكري له شكر المنابت للحيا — اذا ما اكتست منه ثياباً من الزهر
ومالي لا أوليه شكري والثنا — ولولاه أدنتني الهموم من القـــبر
وأعلم اني لا أقـــوم بشكره — ولو انني أفنيت في شكره عمري
ولو ان من تحوي الكويت من الورى — يعيرونني الأفواه للحمد والشكر
ولو انني اوقفت نطقي كـله — على شكره ما قمت من ذاك بالعشر
وكيف اقوم اليوم في شكر سيد — ازالت عطاياه همومي من صدري

مبارك وسالم ومد التلغراف

في رجب ١٣٣٠ طلبت انكلترا من مبارك بواسطة (شكسبير) رئيس الخليج العربي آنذاك ان يسمح لها بمد التلغراف من العراق الى الكويت فأجاب بان الحكومة لها أن تفعل ما ترى فيه مصلحة للعموم ، ولكن اود ان تقدم لي تفاصيل عن هذا المشروع الجديد فوعدته به في الوقت الذي تبتدىء فيه بالعمل ، وقد تأخر الأمر الى ايام سالم في جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ راجعته الحكومه بذلك ، فتثاقل في اجابتها ولم يعط اذنا صريحاً يجيبها الى ما طلبت منه ، ولكن نظراً الى ان معارضته فيها شيء من اللين ، فقد اتخذتها الحكومة كالحجة وشرعت بانشائه في ذلك التاريخ وفي ايام سالم تم وانتهى .

تزكية ابن سعود للعوازم وسفر هملتن اليه

العوازم من قبائل الكويت ومن التابعين لآل الصباح الذين ما زال سلطان نجد يحاول فصلهم والقبض عليهم ، ويتحين الفرص لقضاء مآربه منهم ، وقد رأى الفرصة قد حانت في أيام سالم للضعف الذي كان يعتقده فيه فأرسل هناك عماله لقبض الزكاة منهم وهو عالم أن ليس له حق في ذلك ولكنه اراد جس نبض سالم ليكون على بصيرة مما يحاول ، أما سالم فاحتج على هذا الاعتداء لدى (هملتن) معتمد بريطانيا في الكويت . وفي محرم سنة ١٣٣٨ سافر المعتمد الى ابن سعود لبعض المهمات ، وهناك افضى اليه باحتجاج سالم وابدى له خطأه فيما عمل فاعتذر عما جرى بأنه لم يأمر العمال بذلك ، ولم يبعثهم للعوازم اصلا فالخطأ انما هو اذاً من العمال لا غير وقد يكون هذا وقع من سوء الفهم ، ثم أخذ ابن سعود بعد هذا يتألم من ابقاء سالم قبيلة (العجمان) في الكويت وهو يعلم أنهم من ألد أعدائه وطلب من محدثه مفاوضته بشأنهم والالحاح عليه في ابعادهم ابقاء للصداقة القديمة ، فتقبل المعتمد أمر ابن سعود بالقبول ثم رجع الى الكويت في ربيع الأول فدار البحث فيما بينه وبين سالم في اعتذار ابن

سعود عن تزكية العوازم وفي طلبه منه فصل العجمان من حمايته ، فتظاهر سالم بقبول العذر وفي إبعاد (العجمان) إرضاء لصاحبه وتبع هذا ان كتب الى ابن سعود ايضاً في ربيع الاول مع فارس الوقيان كتاباً يشكره على اعتذاره وعلى حرصه في ابقاء الصداقة القديمة بين آل الصباح وآل سعود . ورجع فارس الى الكويت في ربيع الثاني وفي معيته (عبد العزيز الرباعي) مندوباً الى سالم من جهة عظمة السلطان وفي اثر وصول الاثنين الكويت وصل رؤساء العوازم إليها ، أما العجمان فقد انفصل (هملتن) من قبل ان يبت بأمرهم ، ولكن خلفه (قبطان لاخ) قام بتكميل المهمة فأعاد البحث مع سالم وبين له ان الحكومة ترى ارتحالهم الى أطراف العراق وبقاءهم هناك سنة كاملة على شرط أن لا يحدثوا حدثاً ولا يقوموا بشيء من الاعتداء فاجاب سالم ولم يمانع ثم ارتحلوا الى العراق وهناك عينت الحكومة معاشات لبعض زعمائهم وكانت النتيجة أخيراً انضمامهم الى عظمة السلطان في نجد ...

سالم والحصار

كانت الكويت كما قلنا آنفاً في ترجمة جابر مصدراً تجارياً لبعض البلاد اثناء الحرب العامة وقد بقيت الحال كذلك الى ان وشى بالأمر بعض المفسدين الى انكلترا ونبهها الى ما كانت عنه غافلة .. وبالطبع ان هذا يسيئها ولا ترضى به فأرسلت في ربيع اول سنة ١٣٣٦ المستر (بل) رئيس الخليج العربي الى الشيخ سالم في الكويت فابلغه ان الحكومة عازمة على جعل موظفين من قبلها في الكويت للاشراف على ما يخرج منها من السلع والبضائع الى سائر الجهات ويكون الموظفون تحت اشرافه فرفض سالم هذا الاقتراح وأصر على عدم قبوله وقال: لا يمكنني الرضوخ له مهما كانت الحال لان بلدي اولا ليست بمعادية لانكلترا حتى تضرب بهذا النطاق من الحصار . ثانياً : أنا من الساهرين على مصلحة الحكومة فيها وعلى ما يعود عليها بالنفع . ثالثاً : أنا أتعهد الآن — وحدي — بان لا يخرج من الكويت شيء الا بعلم من معتمدها هناك ثم لا يصح

أن تلقى المسئولية على بلدي فيما يصل الى المدن المحاربة من السلع والبضائع تخرج منها الى نجد وغيرها من الاقطار التي لا محظور من وصولها اليها فلا مانع اذاً من ان السلع التي رئيت في تلك البلاد هي من نجد أو من سواها لا من الكويت . فقال الرئيس ان الحكومة مصممة على ما أرادت ومعتزمة على اجرائه بأية حالة واذا لم ترضخ لارادتها فستمطرك وبلدك بوابل من القنابل التي تتعرض منها الى خطر هائل قال : أما أنا فلا استطيع وحدي البت في قبول هذا الطلب وفي الكويت من آل الصباح ووجهاء البلد من يجب علي أخذ آرائهم في مثل تلك المعضلة فاذا لم تسمحوا لي بمراجعتهم فافعلوا ما شئتم ، فقال الرئس : لا بأس من مراجعتك من تشاء منهم وقد راجع سالم آل الصباح والوجهاء فيما بعد وشرح لهم الأمر وطلب آراءهم فاظهروا أشد الامتناع وقالوا : ليس في وسعنا القبول ولو ألجأتنا الضرورة الى هجر الوطن فابلغ الرئيس امتناعهم وما قالوه وهناك ابدى الرئيس فتوراً فيما اراد وتظاهر بتحوله عما كان قد هم به ، إذ علم ان الحصول على ما يريد لا يتسنى الا بضجة كبرى في الكويت للحكومة غنى عنها في مثل تلك الأيام التي هي في حاجة الى جلب المواطف وعدم التنفير ، تظاهر بذلك وبتسكينه الزوبعة التي أثارها بنفسه ولكن بعد أيام قلائل ارسل السير برسي كوكس الى الشيخ سالم كتاباً لين اللهجة يرجوه فيه بكل لطف قبول ما اقترحته الحكومة له .. ويقطع له التعهدات الأكيدة بان تلك الهيئة التي ستعين لذلك الغرض هي مؤقتة الى انتهاء الحرب وان الحكومة ستعوضه عن النقص الذي سيلحق ببلده من جراء الحصار فقبل سالم طلب السير برسي كوكس وهو الطلب الأول الذي رفضه وما ذاك إلا لأن لِلين أثراً في النفوس ليس للشدة ، سيما النفوس الأبية الجبارة التي ترى النار ولا العار . بعد هذا أرسلت الحكومة قبطان (امكلم) من البصرة مأموراً للحصار في الكويت ولكن تحت نظارة الشيخ سالم وإشرافه وقد رتب الأمير معه رجالاً وابقى نقطاً في منافذ الطرق وضربت الخيام هناك وكان أول اعمال (امكلم) أن منع قافلة كبيرة قد أخذت أهبتها في

السفر الى نجد وحجز أموالها العظيمة في قصر نايف داخل المدينة مدة تزيد على سبعة أشهر كانت في خلالها عرضة للامطار وللشمس ولولا تشفع أهلها بسلطان نجد لبقيت الى أمد بعيد قد تكون فيه هباء منثوراً ضربت الحكومة الحصار على الكويت ، فلا ترد اليها الأطعمة والحاجيات من الهند إلا بمقدار ولا تخرج منها الا بجوازات ، لا للمسافرين وحسب بل حتى من يؤم اطرافها وضواحيها وكاد التضييق يصل الى تفتيش البيوت واحصاء ما فيها من الأموال التجارية لولا ما حصل في الكويت من الضجيج العظيم . وقد كلف الشيخ سالم ابنه سمو الأمير الجليل الشيخ عبدالله السالم مهمة الحصار والاشراف على ما يخرج من البضائع ، فقام سموه بها خير قيام ، قيام يذكر فيشكر ، واستمر الحصار الى ١٦ صفر سنة ١٣٣٧ ثم رفع ودفعت الحكومة للشيخ سالم تعويضاً كما وعدته اربعماية وسبعة وثمانين الف روبية . وفي جمادى الثانية من تلك السنة أهدت اليه نيشاناً وحضر في الكويت لتقليده اياه المستر (بل) الذي هدده اولاً .

سالم والشنقيطي

علمت ما حدث للاستاذ الفاضل في ترجمة مبارك وقد انتهى به الأمر اخيراً إلى الاقامة في عنيزه من بلاد القصيم ، الى ان وقعت الهدنة ثم سافر الى الكويت بعد حث من اصحابه وقد وصلها في شعبان سنة ١٣٣٧ وكان الحاكم اذ ذاك الشيخ سالم فذهب هو والأديب الفاضل مرزوق الداود آل بدر للسلام عليه في الشعب ولكن الشيخ سالم فاجأهما هناك بتحقير لم يكن لهما في حساب ، كان خارج القصر فبادر بالقيام الى داخله عندما ابصرهما مقبلين وقد تشاءم الاثنان مما وقع وشعرا من سالم بتغير وانفعال ولكنهما استسلما للقضاء ، وسلما الأمر الى بارئه وجلسا ينتظرانه على أحر من الجمر . وبعد هنيهة ظهر ولكن بوجه عبوس وأسارير مقطبة وعينين يطير منهما الشرر وكان رده عليهما السلام ضعيفاً جداً ثم جرى بينه والأستاذ ما يأتي :

سالم — من أين جئت ومن ارسل عليك وأحاطك بحمايته ؟

الاستاذ — جئت من القصيم ولم يرسل عليّ أحد وليس امامي عدو حتى آخذ لي منه اماناً .

سالم — أيسوغ لك ان تجيء الى بلدي وانا الحاكم فيها ولا تنبئني بذلك فكأنك بعملك هذا تقول ان الذي يخشى منه (وهو مبارك) قد مات ولم يخلف بعده من حقه ان يخاف منه ويحذر .

الاستاذ - انا لم اخرج إلا خوفاً من الحكومة الانكليزية لا من مبارك .

سالم — الحكومة الانكليزية موجودة الآن فكيف اذاً اتيت ؟

الاستاذ — جئت بعد ان حصلت الهدنة التي تخول كل شخص الرجوع الى وطنه ولو كان سياسياً،وهنا اراد الفاضل مرزوق الداود البدر الكلام فبادره سالم بقوله ماذا تريد أن تقول؟ انا اعرف انكم الذين جهزتم الرجل (الاستاذ) في سفينة الى كاظمة أيام أبي ، وأنتم الذين حرضتموه على الفرار . فأنا الان لا أسأل عنه احداً غيركم وانتم المطالبون بـــه دون سواكم . ثم أمر أحد خدامه بالذهاب الى بعض مقربيــه لابلاغ قنصل انكلترا في الكويت بمجيء الاستاذ وان ذلـــك من نفسه ثم امرهما بمغادرة المجلس ، وهو على نهاية من الغيظ والحنق ، فقاما يتعثران بأذيال القلق والاضطراب ، وفي اليوم الثاني ارسل سالم الى الاستاذ بعد ان جاء الى الكويت فقال مخاطباً اياه اني احترم العلم وأهله ولولا ذلك لعاقبتك عقاباً شديداً تكون فيه عبرة لمن بعدك ولكني سأغض النظر عن معاقبتك الآن غير اني لا اطيق بقاءك في بلدي وعليك ان تغادرها بعد ثلاثة أيام ، واذا مــــا ذكرت لي بعدها في اي محل فسأحرقه عليك وعلى من معك ، فقال الاستاذ : البلد بلدك ولا يمكنني البقاء فيها إلا بإذن منك وبرضاك غير اني ارجوك تأجيل ذلك الى رجوع القافلة التي جئت معها ولمـــا لم يجد منه إلا تشدداً وتصلباً اضطر الى السفر للزبير .

ونزل هناك في ضيافة الشيخ ابراهيم بن عبد الله آل ابراهيم شيخ الزبير وهو فيها الى الآن .

اما قنصل انكلترا في الكويت فقال عندما ابلغ خبر مجيء الاستاذ : «ان هذا الرجل أولاً ليس بمقيد في دفتر من تحاذر الحكومة منهم ، وثانياً أنه أقام هذه المدة في نجد وهي بلاد مسالمة لنا وثالثاً أنه لم يأت بشيء مخل بالسياسة اثناء اقامته هناك . ورابعاً ان الوقت الآن وقت هدنة فهو ولو كان تركياً أو من الاعداء لما كان لنا عليه من حق . وغاية ما يمكنني ان اعمله معه لو تعود الحرب كما كانت ان ارجعه الى المكان الذي جاء منه . بقي النظر فيه لك وحدك فاعمل ما تراه يوافقك . » وقد ظل سالم يتتبع الاستاذ حتى بعد سفره الى الزبير فانه ارسل الى حكومة البصرة يخبرها بأن الاستاذ من اهل الحركات ومن المهيجين فسأل الحاكم السياسي الشيخ ابراهيم عن الاستاذ هل هو في الزبير ؟ فقال نعم ، فقال ايضاً اين نزل ؟ قال في ضيافتي فقال سمعت انه من المهيجين فنفى الشيخ ابراهيم عنه ذلك وقال انه كان قد قام مع الاتراك في اول الحرب ظناً منه ان الحرب دينية وان كثيرين مثله كانوا على هذا الاعتقاد ، ولكن بعد ان تبين له ان الحرب سياسية لا دينية ترك القتال وفر بوجهه الى نجد وأقام فيها إلى وقت الهدنة ، وأما خروجه الأخير من الكويت فليس هو لأمر سياسي وانما هو لمنافسات بينه وبين بعض طلبة العلم ليس إلا ، فاقتنع الحاكم بما سمع .

ان هذه الحادثة من سالم وهو الرجل الصالح التقي لمحزنة جداً بل لنراها من أعظم سيئاته سيما والاستاذ لم يأت ما يستحق عليه هذا العقاب الفظيع فنعذره فيما فعل ، نعم إن سالماً توهم اموراً جسمها له تخوفه ، اموراً لو فرضنا انها صحيحة فلا تبرر ما عمل ، اذ ليس مثل الاستاذ اهلا للطرد والنفي ، وهو العالم الفذ والمحقق البحاثة والتقي والورع ، وهاك الاسباب التي هي أقصى ما يمكن ان يعتذر بها المعتذرون عن سالم .

(احدها) توهمه ان يكون بين الاستاذ وبين الأمير الجليل الشيخ احمد آل جابر تواطؤ واتفاق عقد في السنة التي حج فيهـــا الأمير واستصحب الاستاذ معه من عنيزه الى مكة المكرمة ولكن هذا التوهم في غير محله فلا تواطؤ ولا اتفاق .

(ثانيها) يرى سالم أن من حقوقه أن لا يقدم امثـــال الاستاذ ممن لهم شخصيات بارزة الى بلده من غير ان يستأذنوه وهذا ان كان حقاً صحيحـــاً لسالم فليس يوجب ما أجراه مع الاستاذ .

(ثالثها) ان سالماً قد التف حوله بعض المنتسبين للعلم ممن كان يرفع علمهم فوق كل علم وعقيدتهم فوق كل عقيدة وقد كانوا يتخوفون من مزاحمة الاستاذ لهم بما له من علم واسع واطلاع غريب اذا وطئت اقدامه الكويت، وما زالوا لهذا التخوف يرمونه عند سالم بفساد العقيدة ويوحون اليه انإبعاده من محيط الكويت امر واجب وطاعة من أعظم الطاعـــات . وهكذا لا زال الدجالون يرمون المصلحين .

والى هذه الحالة المؤلمة يشير صاحبنا الأديب الفاضل سليمان افنديالعدساني بقصيدته الغراء التي قدمناها كاملة في غير مكان .

ان الكويت لبعدكم كادت لبلواها تميـــد
فاصفح لماضيها وغض الطرف عن ذاك البعيد

الى ان يقول :

عجبي لقـــوم أغضبوك أمـــا بهم رجل رشيد
آذوك لمـــا أن دعو تهم الى أمر مفيـــد
هذي السفاهة أغضبت رب الخلائق والعبيد

وفي النهاية نسأل الله لسالم العفو والمغفرة من هذا الذنب فان سالما والله لعزيز علينا وكبير ان يصدر منه مثل ذلك .

سالم وابن سعود

لم تستحكم حلقات العداء بين آل الصباح وآل السعود في يوم مـــا مثل استحكامها بين سالم وابن سعود ، ولم تحدث معارك مخزية ذهبت فيها أنفس عديدة وأرواح ، مثل تلك المعارك بين هذين الاميرين على ان سالماً في هذا كله لم يمثل دور السياسي المحنك أمام خصمه ليقضي عليه وقد كان في وسعه ذلك ، لو كان كما قلناه في وصفه ، ولكن لسياسته الخرقاء أنزل به ابن سعود من الخسائر ما طارت به الاخبار شرقاً وغرباً .

أسباب العداء بين الاثنين

كان للعداء الذي حصل بين الأميرين أسباب عديدة يتشبث كل منهما بها يبرر به عمله وبها يرمي به التبعة على صاحبه . وانه هو الذي اضطره الى ذلك . أما أنا فسأسلك في هذا الفصل المنهج الذي سلكته في بحثنا المتقدم في ترجمة مبارك متجنباً كل ما يشتم منه رائحة التحزب مفسحاً المجـال لارباب النقد والتمحيص .

ما يقوله أنصار ابن سعود

ينزه هؤلاء ابن سعود من الاعتداء ويرمون سالماً بقنابله ويرونه بلا استثناء هو الباغي ويعتزون على خصومهم ببراهين عديدة نلخصها فيما يأتي :

أحدها — ان ابن سعود لقي من سالم صدوداً وإعراضاً في زيارته الكويت أيام جابر ، وهذا أول شيء أثار حفيظة ابن سعود على سالم .

ثانيها — وقوف سالم في وجه ابن سعود عندما أراد الإجهاز على العجمان بعد حادثة الإحساء وبعد أن أصلح معهم سالم بأمر أبيه .

ثالثها — ايواء سالم للعجمان وقبضه عليهم وهو يعلم انهم من ألد اعدائه .

رابعها - نفرة سالم من مذهب الوهابيين وعقده لبعض معتقديه مجالس الوعظ التي يرميهم فيها بفساد العقيدة وبالجهل والتعصب وهو شاهد .

خامسها - تمييزه لوفود ابن الرشيد بالحفاوة والإكرام على وفوده وهـــو يعلم ما بين الاثنين من العداء المتفاقم . هذه هي الأسلحة التي يقاتل بها أنصار ابن سعود اتباع سالم . وهذه هي البراهين التي يدلون بها في ميدان الشجار والجدال . فهل يسلم بها أنصار سالم وأتباعه ، ويرونها من المتانة بحيث يصعب عليهم هدمها وإبطالها ؟ أم ماذا يقولون فيها ؟

ما يقول أنصار سالم

يقول هؤلاء لأتباع ابن سعود أن ما احتججتم به ليس بأهل لأن يقام له وزن أو جدير بأن يسقط به اللوم والعتب عن ابن سعود ، سلطان نجد ، أو ينفي عنه إثم الاعتداء على سالم ورعيته وعشائره وبلدته . على أن الحجج التي بيدنا أقوى وأعظم والبراهين أمضى وأحدّ ، وها هي فانصتوا لها واسمعوا :

احدها - الجفاء الذي أظهره ابن سعود للكويت وأهلها والسعي الحثيث ضد مصلحتها وهو الغريق بإحسانها ، المشمول بنعمة حكامها ووجهائها يوم ان كان صفر الكفين من الحكم ، ويوم أن قبض على صولجانه بيده ، وجفاء مثل هذا يبدر من عظمته وهو والكويت كما علمت لا بد وأن يحدث أثراً سيئاً في النفوس ، ويبعد ما بين القلوب من محبة واتحاد ويلقي على عظمة السلطان المسؤولية الكبرى فيما عمل لأن الواجب يقضي عليه والحالة هذه ان يقابل سيئات الكويت لو كانت بالاغضاء والتجاوز .

ثانيها - تزكية ابن السعود للعوازم وهم من قبـــائل الكويت كما مضى واعتذاره بخطإ اعماله ليس بشيء وكل من عرف دهاء الرجل لا تخفى عليه الحقيقة التي يريد عظمته سترها .

ثالثها – تكفير الاخوان لأهل الكويت وسالم في معيتهم وشدتهم اذا ما ولجوا أسواقها واختلطوا بأهلها .

رابعها – المراوغات التي أجراها ابن سعود مع مبارك والاعتداءات التي وجهها اليه أيام حياته وما يؤذي الاصل يؤذي الفرع طبعاً . فبهذه الاسباب وبالاسباب التي سيأتينا الكلام عليها تكون الحجة القوية والعذر الواسع لسالم لو كان هو المبتدىء بالحرب التي ثارت بين الأميرين فكيف وهو مع هذا كان مخلداً إلى الراحة متفيئا ظل السكون ، ولم يبد منه أي شيء يسبب إراقة الدماء ويشعل نار الحروب الضروس التي فاجأه بها خصمه ورماه بقنابلها النارية متظاهراً امام الناس بالأسباب التي أسلفنا لك ، والتي لا يغنيه الاعتماد عليها فتيلا عند من يعرفه ويعرف حنكته السياسية ثم اذ الحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها أن ليس للحرب التي صارت إلا سبب واحد خفي لا غير وإن تعددت الأسباب الظاهرة وتناقلتها ألسنة الناس .

ذلك ان الاستيلاء على الكويت كان هو هم ابن سعود الوحيد وشغله الذي أقلق راحته وأزعج باله ، لعلمه أن نجدا بدون الكويت لا تساوي قلامة ظفر ، ولم يزل لهذا يترقب طلوع فجر الفرص التي تسهل عليه اقتناصها والقبض على تاجها فجاءت أيام سالم التي رآها من أحسن الأيام لتنفيذ خطته وقضائه من الكويت ما يريد ، علما منه أن صاحبنا ليس أهلا للثبات أمام دهائه ومعرفته ، وأمام حنكته وتجاربه ، ولكنه مع هذا لم يشأ ان يتظاهر بالابتداء بالعداء (وكان قادراً على ستر ذلك) لئلا تكون الحجة القوية التي لا يمكنه ردها عليه فشرع ينوع الأسباب التي تثير سالماً ويكثر التحرش به من طرف خفي بعد ان نصب الفخ في الطريق وكان أول شيء قام به أن أمر ابن شقير في رجب سنة ١٣٣٨ بالبناء في أرض هي من حدود الكويت الجنوبية . وقد أرسل سالم الى ابن شقير عندما بلغه الخبر من يمنعه ولكن ابن شقير قابل الرسول بكل برودة ورفض أمره رفضاً باتا إلا ان

يأتيه بأمر ممن كانت له الكلمة النافذة عليه ثم تلا هـذا أن اوعز ابن سعود أيضاً إلى طائفة من مطير بالغارة على أطراف الكويت وقطع سبلهـا ومنع الغادي والرائح منها . ومطير هي من القبائل التابعة له التي ليس بوسعهـا مخالفة أمره قيد شعرة فشرعت تشن الغارة تلو الأخرى كما أمرت اثارة لسالم وتحرشا به وكان إذ ذاك أحد شيوخها في الكويت ، فـلم يطق سالم الصبر بعدما جرى وبعدما اضطرمت النار في قلبه فطرد ذلك الشيخ من مدينته محتجاً عليه بما عملته قبيلته وما قامت به من الاعتداء وأسمعـه من اللوم والتأنيب ما خرج به من الكويت مغاضبا ومناصبا لسالم العداء وقـد أحس سالم إذ ذاك ان ابن سعود له إصبع عاملة في الأولى والثانية فرأى أن يأخـذ بشيء من الاحتياط والتحفظ لئلا يندم ولكنه ويا للاسف احتياط انقلب عليه.

أرسل الشيخ دعيج بن سليمان القائد البري على رأس سرية الى فيـافي (قرية) وأمره ان يضرب خيامه بين عربان الكويت القاطنين هناك وقـد أرسله لأمرين لإدخال الرعب أولا في قلب ابن شقير الذي شرع في بناء (قرية) عله يتحول عن عزمه وثانياً ليحمي عربانه من اعتداء الإخوان ظناً منه أن اسم سرية لسالم بن مبارك آل الصباح ستحميهم وتضرب بينهـم والمعتدين بسور من حديد وأنهـم لا يتجاسرون ان يدوسوا لسالم أمير الكويت خطة مهما كان ضعفه . قاس أيامه بأيام أبيه ولكن (فاتك الشنب) انه قياس مع الفارق فمبارك كانت تهاب من ذكره العربان وتخشى سطوته الاسود لغاراته المتوالية التي كان يخوضها بنفسه والتي ليس لسالم واحدة منها .

سار الشيخ دعيج كما أمره سيده وقد أوصاه أن لا يحدث حدثاً إلا بأمره ولا يقوم بعمل الا باسترشاده سار ثم هناك بين العربان ضرب أطنابه وأناخ ركائبه ، فعلم ابن سعود إذ ذاك أن الفرصة قد حانت لإنزاله بخصمه العذاب الاليم ، بل علم بقرب تقويض خيامه وقطع شأفته ، وان لم يتظاهر بذلـك

أمام الناس . ذلك لأن القبيلة التي أعلن سالم عليها الحرب من مطير في امكانها مع من يلتف حواليها من القبائل جعله اثراً بعد عين،وقطع الطرق التي يسلكها.

واقعة حمض

بعد أن سار الشيخ دعيج إلى «قرية» كما علمت وأقام بين عربان الكويت المتفرقين هناك،وأوعز ابن سعود من طرف خفي الي فيصل الدريش بالهجوم عليهم جميعاً ، صحبهم في ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٨ وأنزل بهم تلك الصواعق المحرقة التي التهمتهم التهاماً ، والتي لا ندري على من تكون مسؤوليتها . أعلى سالم الذي قيد القائد بسلاسل أمره ؟ أم على القائد الذي جاءه النذير فما سمع لندائه ولا انصاع وقوفاً عند أمر مولاه ؟ يلوم الناس الاثنين على ما جرى . وسالم اشدهما ، لتدخله في الشؤون الحربية في الأماكن الشاسعة وهو في قصره وبين أهله وأولاده ، وليس هو مع هذا بالعارف بقضاياها ولا بالفقيه باحكامها . قد يعذر سالم بعض العذر لو كان من المعرفة بحيث يسترشد به المسترشدون في مشكلات الحروب ومعضلاتها ، فيقال رجل لا يرى الكفاءة في غيره فله الحق أن يشارك سواه في رأيه ويقيده بما يراه صالحاً .

وقعت هذه الواقعة في اليوم الذي وقعت فيه حادثة الشعيبة بين الاخوان وشمر وأنصار سالم لا يشكون أن جيشها المجهز واخوانها المهاجين لم يتقدموا الا بأمر من سلطان نجد الذي له الكلمة المسموعة بينهم. ويقولون نحن نعرف الحقيقة واضحة وان عظمته ارسل (شويشاً) احد خدامه بكتاب الى الدويش قبل وقوع الواقعة ليصده عن القتال ، فقد قيل ان (شويشاً) كان حاضراً في اطراف الجيش قبل هجومه وبقي هناك ينتظر لمن العاقبة . وبعد أن وضعت الحرب اوزارها وانتصر الاخوان على خصومهم ، أقبل كالمذعور وهو يحوقل ويسترجع على ما جرى، والسياسيون لا يلومون عظمته على ما عمل . فالحكم يتطلب الدهاء والمكر ويقتضي الخداع والمراوغة ، وانما يلومون سالماً على

إهماله وتفريطه وهو يعلم أن أمامه داهية ينام الناس وهو يقظان ويتنسم المترفون وهو في نصب، يلومونه اللوم الشديد لان من لم يكن كاقال الشاعر:

اذا لم تكن دئباً على الأرض اطلسا   كثير الأذى بالت عليك الثعالب

بل كان عرضة للفناء والاضمحلال . عرضة للهلاك والدمار . وهدفا للجور والاعتداء حتى من أقرب قريب اليه ، وأحب الناس له :

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفـــة فلعلة لا يظـلم

نعم ان ذلك الاهمال الذي جرى من سالم ، أفقده قوة عظيمة من جيشه ومالاً وفيراً لا يعد ولا يحصى .

سور الكويت

بناء سور الكويت في رمضان سنة ١٣٣٨

في أثر حادثة حمض التي أولجت الخوف في الأفئدة ، وأطارت النوم من الأعين صمم سالم على احاطة المدينة بسور منيع ليصد عنها الهجمات ويطفىء به جمرة الخوف التي اتقدت، ويخفف من الوساوس التي ساورت الناس إذ ذاك وأزعجتهم، ولم يقبل فيما رأى أخذاً ولا رداً ممن دهشوا من تصميمه وعدُّوه قضاء على حريتهم التي كانوا بها متمتعين ، وقد اشترك الكويتيون عموماً في بنائه وبذلوا همة عظيمة يندر مثلها ويكفي انه لم يمض عليه إلا شهران حتى كان سوراً كاملاً ، وهو من الطين الخالص إلا أبراجه فمن الطين واللبن معاً ، أحد طرفيه في شاطىء الجون الشرقي والآخر في الشاطىء الغربي ، وله أربعة أبواب منها باب (نايف) و (البريعصي) و (بنيد القار) طوله نحو خمسة أميال تقريباً وقد قام الاهلون بنفقته كلها ولم تمدهم الحكومة ولا بدرهم واحد .

وفد الى ابن سعود

في أثر تلك الحادثة ايضاً ، بعث سالم على أهل الشورى من وجهاء البلد ، ليتعرف آراءهم فيما وقع ، وما هو المنهج الذي ينبغي المسير عليه؟ وبعد بحث طويل،ومناقشات متعددة قرروا إرسال وفد الى ابن سعود برئاسة عبد العزيز الحسن ، وعبدالله آل سميط ، يشرح له ما جرى من الدويش ويستطلع رأيه فيه ، ويطلب منه رد ما اخذ وما نهب .

فسار الوفد في ١٢ رمضان يؤم الرياض عاصمة السلطان ابن سعود ، وبعد أيام قلائل حلوا رحابها ، ثم مثلوا بين يدي عظمته للقيام بمهمتهم . وهناك شرع يلوم سالماً ويعتب عليه فيما كان يتظاهر به ضده ، وقال : « انه اساءني بتمييزه لرجال ابن الرشيد عدوي اللدود ، وكذا في عدم مراجعته إياي فيما يجري من الاعتداء على أطراف الكويت من الباديـة وسواهم ثم أخذ يبدي

اعتذاره عما جرى من الحوادث الاخيرة ، فقال أما اعتداء الدويش فليس لي فيه يد . وقد حاولت قبل وقوع الحادثة صده ولكن الله قضى ما أراد .

وها انا الآن بعثت اليه من يستل الاموال التي نهبها من يده لترتد الى اهلها ثم اني مستعد الى اجابة سالم في كل ما يريد اذا ما سألني بحق الولاء القديم الذي بيني وآل الصباح ، حتى ولو بالخروج من الاحساء التي امتلكتها (بحسامي) وحتى بان تمتد حدود الكويت الى سور الرياض ، أما ان ادعى بأن له عليّ حقاً واجباً يتحتم القيام به ، فأنا لا أقر له به ولا اعترف لا في القبائل ولا في الفيافي والقفار وملك آبائي القديم يشهد لما أقول . » ثم بعد أن رمى ابن سعود سالماً بما سمعت بين يدي وفده الذي لزم الصمت كتب اليه كتاباً فيه من الاجحاف بواجب الكويت وفيه من الاعتداء على حقوقها الظاهرة ما يعرفه كل من وقف عليه فقد علق فيه رد المنهوبات التي اخذها الدويش على أن يتنازل له سالم عن العشائر التي تحت يده ، وعلى أن لا يخرج من الكويت جيشاً مقاتلا . ثم أعطاه ناصر بن فرحان الذي اصطحب الوفد في رجوعه ، وقد حل الكل ربوع الكويت في شوال .

ومن غرائب الاتفاق ان ناصر بن فرحان في يوم وصوله شرع يملي على سالم في مجلسه العـــام خبر انتصار الاخوان على شمر في حادثة الشعبية وبين له الخسائر التي لحقتهم من ايدي الاخوان وما كاد ينتهي من حديثه حتى أناخ وفد ابن الرشيد ركائبه مبشراً بانتصار شمر في نفس تلك الحادثة فأخذ زعيمه يقص الخبر على القوم ولكن بعكس مـــا سمعوه أولاً ، فأصغى سالم بجميع جوارحه الى المحدث واستلذ روايته المزورة ، وبدا البشر على محياه ضد ما اصابه من الحديث الأول فعد ابن فرحان ذلك اهانة من سالم مقصودة وميلاً ظاهراً لابن الرشيد ولقد يكون سالم معذوراً في هذا الميل أو مضطراً اليه بعد ان علم بمـا يحاوله ابن سعود منه وبما يطالبه به من التنازل عن حقوقه وعلى كل فقد جرت بين الاثنين مناقشات لم تسفر عن نتيجة ولم تزد إلا الامر تعقداً

واخيراً اجاب سالم ابن سعود على طلبه بقوله : « أمـــا طلبك تنازلنا عن العشائر وان لا نخرج من الكويت جيشاً مقاتلاً، فهذا مع كونه اجحافاً بحقنا ما كنا لنتصوره من حضرتكم وهو مخل بشرفنا الذي كنا على يقين من حرصكم على المحافظـــة عليه . وأما ما نهبه الدويش فلا نعذركم في عدم ادائه وانتم تعلمون انه من المعتدين . ثم اننا على أتم استعداد لمساعدتكم والقيام بمـا يسركم وسترون منا من الاكرام أعظم مما رأيتم سابقاً » . وأعطى الكتاب ناصر بن فرحان الذي سافر في آخر شوال وفي معيته مبارك بن هيف وهلال مندوبين من سالم الى ابن سعود . ساروا جميعـــاً وبعد ان وصلوا الرياض وسلم ناصر الكتاب الى ابن سعود وهمس بأذنه بما شاهد وسمع في الكويت استشاط غضباً وتميز حنقاً وأكثر اللوم على سالم وذويه وانتهز ما جرى فرصة لتبرير إعلانه الحرب ، حيث علم أن ستكون له حجة قوية على خصمه الذي تظاهر بمـــا قصصناه . فقال لرسوليه كلمته الصريحة في ذلك ، وما كاد يلفظهـــا عظمته حتى طارا بهـــا يجاريان الريح ويسابقان الطير الى ان رميا تلك القنبلة في (صفاة الكويت) فسمع لها دوي عظـــيم وصوت مزعج أيقظ النائم ونبه الغافل ، ولكن من حظ الكويت الذي لا زالت تحاط به من نشأتها أن تأخر اعلان الحرب الى ان تم بناء السور الذي هو من حسنات سالم ، فقد كان للكويت منه قوة منيعة لولاهـــا لأصيبت بنكبة عظيمة . أما سالم فلم يبد عليه شيء من الخوف والخور أمام ذلك النبإ الخطير ، بل شرع يستعد بهدوء وسكون ، فاستدعى قبيلة شمّر وكانت إذ ذاك قاطنة على (سفوان) فأجابت وأنزلها (الجهرى) مغدقاً عليها الأموال الطائلة . ثم رأى ان تكون فاتحـــة أعماله غزو ابن شقير في (قرية) وأخذه على غرة ، فجهز له جيشاً بقيادة الشيخ دعيج بن سليمان ، وضاري ابن اطواله احـــد زعماء شمر . وبينما كان الجيش سائراً انفلت منه أحد الموالين للاخوان خفية وذهب نذيراً لابن شقير وقومه وبذلك علم الجيش الصعوبة التي سيلاقيها من هجومه فرجع أدراجه .

سالم والحكومة الانكليزية

في ذي الحجة سنة ١٣٣٨ قدم سالم الى انكلترا احتجاجاً على تعديات ابن سعود وعلى طمعه في الكويت وحدودها ومحاولته ضم عربانهـا اليه ، وفي إصراره على عدم تسليم منهوبات الدويش في واقعة حمض . فأجابته الحكومة بأنها ستعين مميزاً ليميز الحدود بين الكويت ونجد على شرط ان يقبل الاثنان ما يحكم به ، وأنها ستبت في الأمور التي رفعها اليها ، ثم طلبت منه قبل كل شيء أن يكف عن الاعتداء على ابن سعود ورعاياه ، وان يقدم لها المواد التي يريد البحث فيها مبيناً ما يقبله منها وما يرفضه . فقدم لها ما طلبت ولكن حصل فيها شيء من التعديل : (١) ان تمتد حدود الكويت من جزيرة العمار جنوباً الى قرب انطاع والى وبره واللهابة والقرعة واللصافة الى حفر الباطن وشمالاً الى جبل سنام وسفوان وام قصر . (٢) ان كلاً من الحـاكمين هو المسؤول عما يجري في حدوده من تعديات العرب الساكنين هناك . (٣) اعطاء العشائر الحرية التامة في الانضمام الى أي حاكم يرونه أقدر من غيره على حمايتهم وحفظهم من الغارات والاعتداءات ، ويدفعون له دون غيره زكاة أموالهم . (٤) اذا حدث شيء من الغارات بين البادية او نزاع فالفصل فيه للحاكمين انفسهـما إلا اذا عجزا فيرجع الأمر اذاً الى وكلاء الحكومة في الكويت والبحرين . (٥) تكون التجارة حرة بدون معارض .

سالم والسر برسي كوكس وفلبي

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٩ وصل كوكس وفلبي الكويت بعد اجتماعهما بابن سعود في العقير فشرع سالم يتظلم أمامهما من تعديات ابن سعود ومن أعماله التي كان يوجهها الى الكويت ولكن فلبي قاطعـه قائلاً : « أنت المعلن الحرب ابتداء على عشائره وأنت المعتدي عليه وعلى عربانه وها أنت قد بعثت بجيش الى القرية لتهاجم عشائره هناك وهم آمنون ، فأسكت سالم وقد أخذت الحدة

منه مأخذها ، وقال لا كلام معك وليس لك ان تتفاضل بالحديث او تخوض فيما لا يعنيك . فأشار السر برمي كوكس الى فلبي بالسكوت .

حادثة الجهرى

في أثر الاجتماع الذي حصل بين كوكس وابن سعود في العقير أمر ابن سعود قائده المشهور فيصل الدويش بمهاجمة الجهرى فهجم عليها صبيحة الأحد ٢٦ محرم سنة ١٣٣٩ بنحو أربعة آلاف من الاخوان ولم يكن في الجهرى إذ ذاك إلا نحو الف وخمسمائة مقاتل أما الاخوان فقد أصيبوا في هجومهم ذلك بما أضاع رشدهم وتركهم حائرين وسط الميدان ، ولكن ماذا يصنعون وقد وقعوا في شبكة لا خلاص لهم منها فالارض بيضاء بلقع لا عوج فيها ولا أمتا ، والهلاك ملازم لهم إن اقبلوا أو أدبروا ، غير أنهم أخيراً صمموا على الإقدام مهما اصابهم ومهما نزل بهم وقد فعلوا إلا انهم تباعدوا عن الجهات التي ذاق الكثير منهم الحمام منها واسرعوا الى جهة من القرية ظنوها خلواً من المقاتلين ولكنهم هناك وجدوا رجالاً أشداء اشتركوا وإياهم بمعركة تشيب لها الولدان . كان الاخوان فيها يتساقطون بلا عد ولا حساب ، وكاد يقضى على بقيتهم لولا نفاد ذخيرة الكويتيين الأمر الذي جعلهم يركنون الى الفرار ويدعون معتصمهم مدخلا للاخوان الى القرية .

أما أنا فكنت مع ثلة من الاصحاب امامنا فرقة من الاخوان صبغنا الأرض من سواد جثثهم ولم يبق منهم إلا افراد يعدون على الاصابع أطلقوا لأنفسهم عنان الهرب فحصل لنا اذ ذاك فصل قصير من الراحة كنا نتساءل فيه عن حقيقة الواقعة وفيما نحن كذلك ، واذا بعبد الكريم بن سعيد أمير الجهرى قد أقبل علينا وليس عليه من اللباس الا سرواله ، وعلائم الدهشة والاستماتة ظاهرة في وجهه ، فسألناه عما وراءه فقال قضي الأمر ودخل الاخوان القرية وانتشروا في شوارعها وبساتينها فانجوا بانفسكم فانهم منكم

قريبون وهناك طفقنا نعدو إلى (القصر الاحمر) لا يلوي أحد على أحـــد وكنت وحدي اقفز من جدار الى آخر ومن بستان الى سواه حتى ابصرت في أحد البساتين رجلا اصيب برجله وهو يقوم ويسقط ، فنبهني الى وجود أحد الاخوان في ذلك البستان فوقفت برهـة أتطلع اليه ولما لم أره أدبرت وعند ذاك اطلق عليّ طلقتين وقاني الله من شرهما أحدهمـــا وقعت عن يميني والاخرى عن يساري ونظراً لاعتصامه بما يقيه من ويلات عدوه فقد تركته وشأنه وذهبت الى القصر وجئته قبل ان يغلق فوجـــدته مكتظاً بالرجال والنساء والاطفال وعلى وجوه الكل امـــارات الخوف ودلائل الذعر وهم بحالة تفطر الاكباد وتذيب الفؤاد فمن واضع يديه على خديه ومن مـــاسح دموعه بيديه ومن متضرج بدمائه أو معلق يده المكسورة على عنقه ، مشهد مريع أيقن الجميـع بعده بالهلاك العاجل ، علموا ان الاخوان بعد احتـــلال الجهرى لا يغادرونها وانهم سيظلون محاصرين لهم إلى أن يضطروهم على التسليم والذي زاد تخوفهم أن ليس في القصر ما يسهل عليهم تحمل الحصار فان كان فيه ذخيرة وطعام فليس فيه إلا بئر واحدة ماؤها ملح أجاج يزيد الظمآن عطشا ، وفي القصر ما يزيد على ألف نسمة .

تيقنت الهلاك كما تيقنوا ، فأسفت على موت لا شهادة فيه ولا عز وقدكان اهتمامي بالأمر كبيراً فذهبت الى (سالم) في إحدى حجر القصر وهناك وجدته مضطجعا وعلى شفتيه ابتسامة أعياني فهمها أهي ابتسامة اليأس ؟ وقد يكون لليأس ابتسامة كما للأمل . أم ابتسامة الأمل بالفوز والنجاة ؟ أعيـــاني فهم حقيقتها ولكن قرأت في وجه الرجل سورة الشجاعة النادرة والثبات المدهش ورباطة الجأش الذي يعز وجودها ، وجدته لم يكترث بتلك الحادثة المفجعة ولم تحدث فيه انفعالا كما أحدثت في سواه وجدته وهو في ذلك القصر المحاط بالأعداء وكأنه بين أهله وخدامه في مغناه ، وقد يظهر للمتفرس فيه انه واثق من نجاته فقلت يا لها من صفات جديرة بالزعيم الكبير .

ابصرني اذ ذاك فقال ما عندك يا (فلان) فأعلمته بما خالج ضميري فقال حسناً ما رأيت ولكن الوقت حره شديد فلننتظر الى المساء ثم رأى إذ ذاك ان يرسل الى الكويت من يستصرخهم فأرسل مرزوقاً ومرشداً الشمري على أجود ما في القصر من الخيل وخرجا منه على حين غرة من الاخوان ولقد أحسن سالم بما صنع فان الإخوان ما كادوا يبصرون الفارسين الا وشملهم الخوف وأحاط بهم الفرق سيا وقد اصيبوا بخسائر عظيمة في الذخيرة والأرواح ضعضعت قواهم وأنزلتهم على شفا حفرة من اليأس والذي زاد ذعرهم ما أبصروه من السفن الشراعية التي أقبلت من الكويت فبذلك علموا بقرب حينهم ولكنهم دبروا حيلة تخلصوا بها ، ذلك أنهم ارسلوا مطلق بن مسعود الى سالم ليعرض عليه الصلح فقال له بعد اجتماعه به أن الاخوان صمموا على مهاجمة القصر ليلاً ولكن الدويش وعالمهم ابن سليمان لم يسمحا لهم الا بعد رفضكم الصلح وفي عزم الدويش ان يأتي اليكم بنفسه ليفاوضكم بذلك ثم سأله سالم عن حقيقة الواقعة فقال : « انكم قتلتم كثيراً من الاخوان وبقي منهم كثير ومصيبتهم العظيمة هي بنفاد الذخيرة من حقائبهم . »

مضى الرجل بعد أن علم برغبة سالم بالصلح وجاءنا بعده (منديل بن غنيان) أحد أقارب الدويش نائباً عنه فقال لسالم ان الدويش يريد مسالمتكم وهو يدعوكم الى الاسلام وترك المنكرات والدخان وإلى تكفير الأتراك فان أذعنتم لما أراد وقبلتموه أسلمكم على القصر وما فيه والا فسيرخص للاخوان بمهاجمتكم فأجابه سالم بقوله أما الإسلام فنحن مسلمون ولم نكفر يوماً ما لأن الاسلام مبني على خمسة أركان ونحن نحافظ عليها ونزيل من المنكرات ما في وسعنا ازالته ولم يثبت عندنا ما يوجب تكفير الأتراك وقد جرى ذكر عالمهم ابن سليمان في اثناء الحديث فقال سالم أنا أحب ان يأتي ليبحث مع فلان (كاتب هذه السطور) فليتفضل فقلت أنا لابن غنيان اني أود ان يضمني واياه مجلس لنتجاذب وإياه أطراف الحديث في المسائل الخلافية فعسى ان يجيء لتحقق الامنية .

غادرنا ابن غنيان وما بت في شيء مما جرى ولم يظهر أيضـــاً شدة من رفض سالم لما طلب وبعد هنيهة من ذهابه سمعنا رمياً متواصلاً قرب شاطىء البحر فقلت : قتال بين الاخوان وبين اخواننا من أهل السفن وبذلك ترجح لدي أن الإخوان خدعونا بما حصل فأعلمت سالماً بما رأيت ورجوته فتح الأبواب لنصرة اخواننا المقاتلين ولكنه قال لي انهم سيدافعون عن انفسهم بأنفسهم .

غربت شمس ذلك اليوم ولم يجيء الينا أحد فأخذنا الاستعداد للهجوم وبعد أن مضى هزيـع من الليل هجم الاخوان وهم رافعون الأصوات بقولهم (ابراهيم يا عمود الدين محمد يا رسول الله هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها) هجموا وهم متأبطون المعاول وحاملون الفؤوس ولكنهم ما كادوا يتقدمون خطوات قليلة حتى أصيبوا بما لم يكن لهم في حساب أصيبوا بسوقهم وارجلهـــم من فوهات صغيرة في أسفل القصر فرجعوا خائبين خاسرين وقد أثخن فيهم القتل والتجريح .

صعب على الدويش رجوعهم فتظاهر بأن سيكون هو حامل الراية بنفسه في الهجوم الثاني وأوعز الى احد مقربيه أخذها منه اذا ما تقدم ولكن حيلته لم تطل عليهم فقد انكشف لهم الغطاء اثناء الهجوم فنكصوا على أعقابهم ومع هذا فإنهم أعادوا الهجوم مرة ثالثة وكان حظهم على منوال ما سبق .

انبلج الصباح من اليوم الثاني وكانت مصيبتنا من العطش أعظم من كل مصيبة ، مصيبة بلغ بنا اليأس من جرائها أشده ونفذ منا ماء الجلد والصبر ولكن مركباً بخارياً خلفه سفن شراعية ابصرناه اذ ذاك خفف علينا شيئاً من تلك الوطأة الثقيلة وكذلك ما تخيلناه من اقبال النجدات البرية وفيما نحـــن كذلك وقد رششنا بماء الأمل والحياة اذا بعالم الاخوان عثمان بن سليمان قد أقبل لتكميل حديث الصلح فانفرد به سالم في أحد ابراج القصر وفي معيته الشيخ علي آل خليفة (وكاتب هذه السطور) فكان من حديثه لنا ان قال ان

الاخوان هموا بالهجوم عليكم البارحة ولكني قلت ان فعلتم قبل ان تيأسوا من قبولهم الصلح فقاتلكم ومقتولكم في النار ومقتولهم في الجنة صارحنا (هـذا العالم التقي) بما سمعت ولم يستح من الخداع وقـد أردت أن ابنه اذ ذاك ملاحظات على قوله ولكن أرجأته الى أن يدور البحث بيني واياه وقد كان كتاب من الدويش يتضمن جل المواد التي اشترطها ابن غنيمان آنفاً وهو غير مختوم فسلمه الى الشيخ وطلب منه الجواب على ان يكون مختوماً ولكن سالماً أجابه عن مواده شفهياً بمثل ما أجاب به ابن غنيمان وقال اني سآمر (فلاناً) (كاتب هذه السطور) بالجواب من غير ختم لان كتاب الدويش كذلك وهنا سأل ابن سليمان عني فقلت له : « أنا عبد العزيز آل الرشيد حنبلي المذهب سلفي العقيدة ولا أكتمك أنا سررنا أولا من اقبال الاخوان على الدين ورجونا ان يكون على ايديهم تقويم أوده ونشر الأخلاق الفاضلة وعلى أيديهم ازالة المفاسد والمنكرات ، حتى لقد كان بعض علمائنا ينادي بمدحهم على رؤوس الإشهاد ويقول هم النزاع من كل قبيلة الذين ورد فيهم الحديث ولكن خابت فيهم الآمال أخيراً لما احدثوه من قتل النفوس وسبي الأموال ، فان هذا قد صورهم بصورة المتوحشين الذين لا يعقلون من الدين شيئاً وبذلك نفر الناس منهم ونأى عنهم حتى محبوهم بمقدار ما تقربوا منهم وما ذاك إلا لأنهم خالفوا تعاليم الدين باستعمالهم الشدة والقسوة والإسلام دين رفق ولين وأحاديث النبي ﷺ كثيرة في ذلـك . كانت عنده أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهـا فجاء إليه نفر من اليهود فقالوا السلام عليكم فقالت وعليكم السام واللعنة » وما كدت انتهي الى هذا الحد من الحديث حتى قال لي يا (فلان) لسنا في وقت بحث ولم نأت لمذاكرة ولقد صدق ؛ فان ملامح وجهه ولهجته يشرحان لنا الخوف الذي أصابه والاضطراب الذي غشيه بل ويشرحان لنـا حقيقة الخداع الذي اتصف به (وهو العالم الديني) فيما قـال أغلق امامي بابا كنت اعلل نفسي بفتحه نعم أغلقه ولكني بقيت منتظراً ماسيفوه به سالم من الكلام على النقط التي سيكون مدار الصلح عليها فانتظرت وانتظرت وعندما يئست

تجاسرت بحضرته فقلت لابن سليمان على أي شيء سيعقد الصلح قال على القصر وحده وما فيه قلت بل عليه وعلى الجهرى معا وإلا فلا صلح فقال ولم يمانع لا بأس ولكن أمهلونا ثلاثة أيام . فقال حضرة الأمير هنا ، نحن اذا تم الصلح بيننا والإخوان فسنسمح لهم لا بثلاثة أيام وحسب بل بثلاثة أشهر وزيادة ثم قال مخاطباً لابن سليمان ايضاً ، لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون ، وأمامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعا ؟ هيا بنا لنرمي الضغائن والاحقاد ونكون يداً واحدة عليه ، وهذه فكرة جميلة تدل على صدق سالم وإخلاصه ولكن أقول ان التصريح بها امام مثل هذا الرجل يدل على السذاجة والبساطة ، وقد أكثر سالم القول هناك بما لا أحب ذكره الآن ثم جاء اثناء ذلك من أخبره بأن أحد الاخوان استاق بعيرا مما كانت تحميه نار بنادقنا فالتفت سالم الى ابن سليمان كالمنكر عليه هذا العمل وهذا الاعتداء من الاخوان فاستغرب ولكننا لما قمنا وإياه أبصرنا الامر كما قيل بل وأبصرنا في ابط الغاصب سرقة أخرى عند ذلك رفع ابن سليمان طرف عباءته فقال (أيها الإخوان إن أموال اهل الكويت عليكم حرام) وما كاد الغاصب يسمع الصوت حتى ترك البعير وولى هاربا فقلت في نفسي ، ما أعظم وزرك يا ابن سليمان وما أثقل حملك يوم القيامة ! في استطاعتك منع الاخوان عن الاعتداء بطرف عباءتك ثم لا تفعل وفي وسعك القبض على أيديهم عن سفك الدماء ونهب الأموال بكلمة تخرج من فيك ثم تضن بها إنك والله لمن الظالمين بل عليك اثم تلك الدماء العزيزة وعليك مسؤوليتها يوم لا ينفع مال ولا بنون .

قضى ابن سليمان هذا الدور كما سمعت وأراد تمثيل دور آخر عند انصرافه فانه قال لسالم اسمح لفلان (كاتب هذه السطور بالذهاب معي الى الدويش) ولكن سالماً لم يجبه إلى طلبه ، أما أنا فكان ودي إجابته لولا علمي بخداعه فيما طلب ذلك أن الاخوان كانوا في خوف شديد من مطاردتنا إياهم إذا ما ارتحلوا فارادوا ان يتخذوا رهينة بأيديهم تمنع عنهم ما كانوا يتخوفون وقد رأوا القبض عليّ أحسن رهينة .

ذهب ابن سليمان ليخبر الدويش بما تم ، وما هي الا بضع دقائـــق حتى أقبل علينا فزعم أن الدويش رضي وأنه سيرحل بعد الظهر من ذلك اليوم ، وقد انتهز الاخوان فرصة الهدنة فهجموا على سفينة على شاطىء البحر مملوءة أطعمة فأخذوها ولما احتج سالم على ابن سليمان قال : ان نهبها كان قبل تمام الصلح وان كان بعده فدعوها طعمة للاخوان فهم أحوج بها منكم .

انصرف ابن سليمان عنا الى اخوانه وما كادوا يبصرونـــه حتى ابتدروا الرحيل الى الصبحة تاركين من قتلاهم ما لا يقل عن ألف وخمسمائة، وحملوا من الجرحى عدداً كثيراً ثم خرجنا من القصر بعد ارتحالهم لنستنشق الهواء الطلق ونقف على كثير من القتلى الذين استشهدوا في سبيل الله والوطن وإن أنسَ فلا أنسَ منهم ذلك الشاب النبيه الفاضل الشهيد المرحوم علي بن شملان بن علي آل سيف فقد أراد القضاء ان يذوق الحمام في تلك المعركة ، ابصرته منطرحاً على الأرض وهو متوسد احدى يديه كالنائم المشتغل باحلامه اللذيذة أبصرته وقد عفر التراب وجهه فلم املك عبرتي[1] على فضله الجم وعلى حريته وعبقريته.

---

(١) وقد رثاه شاعر الكويت بقصيدة عصماء مؤثرة منها :

وهيهـــات اني بالتصبر بعدمـــا ... تولى عن طاهـــر الردف اظفر

الى ان قال :

وقل لذاك الشهم دمع أذيله ... ولو انه مثل اليواقت احمر
ففي كفه بحر يمـــد رغائبـــا ... فيا ليت ذاك البحر ما كان يجزر
ابـــا يوسف شوقي اليـــك يشبه ... ويصره بـــين الضلوع التذكر
ابـــا يوسف فـــداك لو افتدى ... من الموت انسان يجل ويكبر
ولكن هذا الموقف شيء مقدر ... ومـــا حيلة الانسان فيما يقدر
ابا يوسف تهنيك دار دخلتهـــا ... ويهنيك فيهـــا سلسبيل وكوثر
أبا يوسف والله أفتأ دائبـــا ... انظم فيك الشعر مدحـــا وأنشر
ألست سليل الشهم شملان من غدا ... بـــه يزدهي ربع المعالي ويفخر
ربيع اليتامى والأرامـــل غيثهم ... إذا ثار للاعمال والجدب عثير
ألم ترن الكل يـــذكر فضله ... وذو الفضل بين الناس بالخير يذكر
وحق له ما قد اتى من مؤرخ ... لعـــلى جنـــات الخلود مبشر

حقاً انه لم يؤثر في نفسي منظر مثل ذلك الشهيد ، وهنا رأينا الواجب يقضي بموارته بثيابه ودمه الذي سيشهد له يوم الحساب ورأيناه على ملة الله ورسوله قائلين في ذمة الله انت يا علي، لقد علقنا عليك آمالاً كبيرة ولكن أبى الدهر إلا أن يفجعنا بك قبل تحقيقهـــا ، انا لمحزونون على فراقك ولكن ما الحيلة والقضاء لا يغالب ، فانا لله وانا اليه راجعون .

رجعنا الى القصر وبتنا فيه ليلتنا تلك وفي صبيحة اليوم الثالث خرجت ايضاً وجملة من الاصحاب لنشاهد بقية المعارك الشاسعة فذهبنا الى الموضع الذي حطمنا فيـــه تلك الفرقة من الاخوان كما قصصت امرها آنفاً فلم نجد أثراً لقتلاها هناك ، فقلت سبحان الله أكانت عيني إذ ذاك ترى ما لا حقيقة له من جراء الهول الشديد، بقيت في حيرة لا ادري كيف التعليل أو التوفيق بين اليوم والأمس، وفيما انا افكر واذا بنسوة اقبلن علينا فقالت لنا إحداهن بدون سؤال ان الاخوان ملأوا الآبار والعيون من جثث قتلاهم وأخفوا كثيراً منهم تحت الرمال وما ترونه على وجه الأرض قليل من كثير فحلت بما قالته لنا الإشكال .

ورجعنا الى الكويت وتركنا من قتلانا في فيافي الجهرى نحو ثلاثمائة شهيد وقد شاء الله ان يشاركنا اخواننا في البلد ببعض مـــا حصل لنا من الخوف والذعر سمعوا في اطراف الكويت رمياً متواصلاً في الليلة التي ارتحل فيهـــا الاخوان من الجهرى فظنوه منهم وانهم مالوا اليهم بعد ارتحالهم فضجت البلد من اقصاها الى اقصاها بالنخوة وشرع الناس يتأهبون ويستعدون ، وما هي إلا هنيهة حتى علموا ان طائفة من العجمان لما اقبلت على الشعب أطلقت النار من بنادقها فرحاً بسلامتها من حومة الوغى .

أقام الاخوان على الصبيحة اياماً وقد فتك طيب الجهرى بكثير من جرحاهم ثم بعثوا وفداً الى سالم ليستأذنه في دخول البلد للامتيار منها وليرسل معهم رسولاً الى السلطان ابن سعود وقد اجتمع الوفد بقنصل انكلترا في الكويت

فسأل القنصل زعيمهم أكان هجومكم من أنفسكم أم بأمر من ابن سعود؟ فقال: ابن سعود هو الذي امرنا بذلك وهو الذي زودنا بالسلاح والذخيرة .

رجع الوفد ولم يتحصل على شيء وقد تكاثرت الاقاويل والاشاعات بعد خروجه عن قوات جديدة لابن سعود جاءت لتنضم الى الدويش ولتقوم واياه بهجوم آخر على الكويت فاضطر سالم إذ ذاك الى الاستنجاد بالحكومة وطلب معونتها وقد اجابته ولم تتأخر فأرسلت الى مياه الكويت المدفعيتين (الورنس) و (اسبيكل) وطيارتين من العراق، وقد حلقت احدى الطيارتين على الاخوان فرمت عليهم منشوراً [1] تنذرهم فيه بالضرب اذا اعتدوا على الكويت مرة اخرى وتأمرهم بالارتحال فارتحلوا بعد هـــذا الانذار من الصبيحة وبذلك سكنت الزوبعة في الكويت واطمأن الناس .

وعلى كل فحادثة الجهرى كانت لنا وعلينا وفيها يقول ابن عثيمين أحـد

---

(١) وهذا نص المنشور وقد رأينا نقله بلفظه ليكون اثراً تاريخياً :

الى الشيخ فيصل الدويش وجميع الاخوان الذين معه :

ليكن معلوماً لديكم بأنه طالما ان افعالكم ضيقت على البادية وحتى على الجهرى ايضاً ، وبما ان الحكومة البريطانية لم تدع لتعمل اكثر مما هي عادتها ان تسعى بحسب الصداقة وراء الاصلاح، فاما الآن ما دام انتم تهددون ليس فقط ضد حقوق سعادة شيخ الكويت التي تخالف تأميننا له بل ضد مصالح بريطانيا وسلامة الرعايا البريطانيين ولا يمكن بعد للحكومة البريطانية ان تقف على جانب بدون دخولها في المسألة ثم من التأمينات التي نطق بها من مدة قصيرة سعادة الشيخ عبدالعزيز ابن عبد الرحمن الفيصل السعود : كي . سي . اي آي . الى فخامة السر برسي كوكس المندوب السامي في العراق تثق الحكومة البريطانية ان افعالكم هي بعكس إرادة واوامر الامير المشار اليه ولا شك ان سعادته سينبهكم بذلك عندما يعلم بافعالكم. فبناء عليه بهذا نلبهكم بأنه اذ تجربون ان تهجموا على مدينة الكويت فحينئذ ستحسبون مجرمين بالحرب ليس عند سعادة شيخ الكويت بل عند الحكومة البريطانية ايضاً . فالحكومة البريطانية لم تعتبر ذلك بل ستقابل هـذا بافعال عدائية بواسطة القوة التي تفتكر لائقة ، هذا ما لزم اعلامه لكم .

تاريخ ٧ صفر ١٣٣٩

ميجر جي سي مور الوكيل السياسي لدولة بريطانيا في الكويت

شعراء نجد من قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان والاخوان وفيصلا ويعرض بسالم وأهل الكويت نثبت ابياتاً منها هنا ليحكم القراء بما تقتضيه .

سقها من البلد المعمور متخذا دليلك الجدى ان لم تهدك النصب
سلم على فيصل واذكر مآثره وقل له هكذا فلتفعل النجب
سيف الامام الذي بالكف قائمه ماضي المضارب ما في حده لعب
اذا انتضاه الامام في مصارعة مضى اليها وثار الحرب تلتهب
رئيس علوى علا في الدين مجدهمو والدين يملو به لو لم يكن نسب
ومن تبوأ بالدار التي بنيت على التقى والهدى اكرم بهم (عرب)
الساكنين بأرطاوية نصحوا للدين بالصدق مافي نصحهم خلب
كذلك اخوانهم لا تنس فضلهم هم نصرة الحق صدقاً أينما ذهبوا
أعني بهم عصبة الاسلام من سكنوا مبايضاً ولحرب المارق انتدبوا
واذكر مآثر قوم جل قصدهم جهاد أهل الردى لله لا (السلب)
هم أهل قرية اخوان لهم قدم في الصالحات التي ترجى بها القرب
صب الإله على اهل الكويت بهم سوط العذاب الذي في طيه الغضب
ظلت سباع الفلا تفري جماجمهم كأنها شارب يهفو به الطرب
كم عاتق تلطم الخدين باكية تقول وا حرب لو ينفع الحرب
تفاءلوا باسمه المنحوس طالعه بسالم فاذا في سالم العطب
هذا نكال امام المسلمين بكم فان رجعتم وإلا استؤصل العقب

ما قالته تيمس الهند في حادثة الجهرى ومتعلقاتها

قالت تحت عنوان (الحوادث في بلاد العرب) (انتشار حركة الاخوان) في ١٠ نوفمبر ١٩٢٠ ان الحوادث الجارية في بلاد العرب هذه الأيام لهي مما يستلفت النظر العميق وأهمها انتشار حركة الاخوان التي تحت زعامة ابن سعود امير نجد ولها مساس بسياسة بلاد العرب والبلاد المجاورة لها أما الاخوان فهم جماعة من البدو وغايتهم ترقية ديانتهم والدعوة لها على طريقة المذهب

الوهابي وقد وقع الخلف بينهم وبين البلاد التي هي تحت حكم كل من ابن الرشيد وشيخ الكويت ، واول نزاع حصل من هذا القبيل هو ان بعض الاخوان المنتمين الى عشيرة امطير خيموا على بعض الآبار الداخلة بحدود الكويت حسب ادعاء شيخها وفي ١٠ اكتوبر هاجمت جيوش الشيخ تلك العشيرة وبعدها هجمت جيوش الاخوان على الشيخ في (الجهرى) الواقعة على بعد اميال قليلة عن الكويت وقد نجم من ذلك الهجوم خسائر كثيرة للطرفين وبعدها انسحب الاخوان وبعد انسحابهم أرسلوا رسلهم إلى الكويت حاملة شروط الصلح اشترطوا بها وجوب اعتناق شيخ الكويت وأهاليها لمذهب الاخوان أما الشيخ فقد ماطل الرسل في الوقت نفسه وطلب مساعدة بريطانيا لتدرأ خطر هجومهم على الكويت ومن الواجب علينا حسب تأميناتنا السابقة لشيخ الكويت ان نحميه من كل اعتداء لهذا ارسل الرؤساء العسكريون في العراق طيارتين الى الكويت وأنذروا الاخوان بأن بريطانيا مستعدة للدفاع عن الكويت بالقوة اللازمة اذا حاولوا الهجوم عليها وقد أرسلت المدفعيتان (اسبيكل ولورنس) والقيتا مراسيها بالكويت .

بعد الجهرى

بعد ارتحال فيصل الدويش من الصبيحة بما يزيد على الشهرين جهز ابن سعود اولاً سرية هجمت على أطراف الكويت، وبعدها في ربيع ٢ أقبل الدويش بنفسه بجيش جرار هجم به على ابن ماجد من زعماء امطير شمال الكويت ففتك به فتكاً ذريعاً وأخذ منه أموالا عزيزة ، ثم أغار على الظفير وكان حظه منهم حظه ممن تقدمهم ، ثم خيم بعد هذا قريباً من (الزبير) فبعث اليه حاكمها إذ ذاك الشيخ ابراهيم بن عبدالله آل ابراهيم يسترد منه ما اخذه من الظفير له ولأهل الزبير من إبل وغنم، ولكن الدويش رد الرسول برد خشن واستسهل حتى اعلان الحرب على اهل الزبير .

فرجع الرسول وأبلغ الشيخ ابراهيم بما سمع ، وما كان من الشيخ ابراهيم

إذ ذاك إلا أن أبلغ الحكومة الانكليزية بجلية الأمر ، فأرسلت في الحال عسكراً للمحافظة على الزبير وطيارة حلقت على الدويش منذرة إياه بالعذاب الأليم اذا لم يرتحل . أما هو فأسرع بالاجابة وما توانى ورجع من حيث أتى متخذاً الجهرى ممراً له وطريقاً .

وقد خشي أهلها أن يكون له أرب فيها فأعدوا له العدة ، ولكنه وقد سلم بما أصابه هناك من الويل الذي تركه يحوم في جو الخوف والحذر لم تحدثه نفسه من الدنو منها ولولا انها كانت في طريقه لتباعد عنها وسدل بينه وبين رؤيتها الحجب والاستار .

بعد هذا أمرت الحكومة سالماً بإيقاف الحركات العدائية ضد ابن سعود وان لا يجعل في الجهرى قوة زائدة عما يحفظها . أمرته بذلك حيث خالت الصلح قريباً بين الاثنين ، وبدت لها اماراته . أما سالم فرضخ لأمرها ووافق على ما أرادت ، وقد رأى الشيخ خزعـــل خان ان يكون هو القائم بأمر الصلح والسعي بحقن الدماء للواجب الذي يراه عليه للكويت واهلها فذهب الى البصرة لسبر غور الحكومة الانكليزية في ذلك ، ولما لم يجد منها معارضة استعد بالهدايا والتحف لسلطان نجد ثم أمّ الكويت للبحث مع سالم عمن يترأس وفد الصلح ، وبعد مداولات بين الاثنين فيمن يكون الرئيس تعين سمو الأمير الجليل الشيخ أحمد آل جابر الحاكم الحالي (وكان هو ولي العهد إذ ذاك) وفي معيته كاسب ابن الشيخ خزعل، وعبداللطيف باشا المنديل ، والاديب الفاضل عبدالعزيز افندي السالم آل بدر ، وقد تركنا بقية البحث عن هذا الوفد الى ترجمة سمو الامير الجليل الشيخ أحمد لأن أخباره لها تعلق عظيم بترجمته هناك.
توفي الشيخ سالم في أثناء غيبة الوفد .

أولاد الشيخ سالم

لسالم من الأولاد : الشيخ عبدالله ، والشيخ علي ، والشاب النبيه فهـــد، وصباح ، وكل هؤلاء موجودون ، ودعيج وقد توفي .

سمو الشيخ عبدالله السالم آل الصباح

أي حديث يسرك أيها القارىء عن الامير الخير ، أحديث أخلاقه وهي كالشمس النيرة في الفضاء سخاء وكرم وحلم وعقل ، ومباسطة للجليس بما يؤنسه وأخذ بعضد الضعيف المظلوم وتعطف على الأقارب والاصحاب وبذل في سبيل العلوم والمعارف ؟ ام حديث مواهبه النادرة التي لبس منها تاجاً وضاء أصبح منه كعلم في رأسه نار . ذكاء غريب وفطنة وقادة وفكر في المعضلات سديد ونظر في عواقب الامور بعيد ، وأدب غض يحكي الروض باكره الحيا . انظر الى سعادته وهو يبحث معك في الشعر فتراه يطربك منه بما رق وراق ويشنف سمعك بما عذب وطاب ، فمن غزل رائق الى حماس يستثير العواطف إلى حكم تحرك أوتار القلوب ، يتخلل ذلك نكات بديعة ونوادر غريبة . أما الشاهد من الشعر فهو أطوع له من بنانه ، له في النحو نصيب وافر وولع محمود ، حتى لقلما يجمعني واياه (حفظه الله) مجلس الا ويفتح بابه بنفسه ، ويجري في ميدانه شوطاً بعيداً ، فتارة يسأل كالمستفيد واخرى كالمستشكل . له حافظة قوية حتى ليعد على صغر سنه مصدراً تاريخياً للكويت وحوادثها ، وانك لتسمعه يسرد لك الحكايات الطويلة في ذلك مما لا تدور في خلد كثيرين من الطاعنين في السن وله في الحركة الفكرية والعلمية في الكويت يد من أعظم الأيادي وأنصعها ، بل هو في الحقيقة من أقوى أركانها التي تتفيأ ظلاله وتحتمي بجاهه وتأمن به من غوائل الدهر ونوائبه ، يحادث كل زائر بما هو في دائرة علمه فمع التاجر بما يلذ له من أخبار التجارة ومع السياسي بما يرتاح اليه من أخبار الدول وأحوالها بنظرات صائبة وآراء صادقة . أما العالم الديني فينتقل معه من بحث الى آخر ومن مسألة الى أختها حتى كأنه زميله وشريكه في التحصيل .

زرت سموه يوماً بعد طول غيبة . فاخـــذ يطارحني (أدام الله فضله) المسائل العلمية والأدبية بمهارة غريبة كان في اثنائها يرميني بسؤالات واشكالات حيرني بها . ووقفت امامها موقف المعجب بذكائه الفطري واستعداده الغريزي وقد دفعني ذلك الى ان اقدم لسموه قصيدة ابثه فيهـــا اعجابي به وبابحاثه الشيقة اللذيذة . وهذه هي :

يا ايها العـــلم الراقي بفطنتـــه   اوج الصواب وصدق الرأي والخبر
اني غدوت وايم الحق منتعشا   من بعدمـــا كنت من يأسي على خطر
اني طربت لابحاث اتيت بهـــا   وقد حكت بسناهـــا طلعة القمر
لم لا فديتـــك لا انفك منتعشا   وأنت تتحف من يأتيـــك بالدرر
فمن محادثـــة في العلم رائقـــة   الى مذاكرة تجلو صـــدى الفكر
الى مسائل في الآداب تذكرنا   عصر الرشيد وعصر السادة الغرر
لذا وحقك لم ابصر لطلعتـــكم   الا وابت بأنس قـــد جلى كدري

* * *

هذي المحامد فاخطب خودها ابدا   اليك تأتي بلا خوف ولا حذر
فأنت كفؤ لهـــا والفضل يشهد لي   والنحو والشعر والتقويم في النظر
مـــا للمحامد لا تأتيك طائعـــة   وانت ملجأهـــا في ساعـة الضرر
ما للمحامد لا تأتي وأنت بهـــا   اخو غرام تعانيـــه الى السحر
اشرب فديتك كأس العلم ان له   طعما لذيداً كطعم الماء ذي الخضر
وفيه تعلو ذرى العليـــاء من سقطت   ابناؤها ورماهـــا الدهر بالشرر
استغفر الله من امري لــكم ولكم   رأي الى المجد يهديكم مدى العصر

وقد شربتم كؤوس العلم مترعة كما علمتم بأن العلم كالمطر
يا عاذلين دعوا عذلي فليس لكم في عذلكم منهج يرضاه ذو بصر
هذا الذي فضله كالشمس مشرقة هذا الذي فخره كالروض ذي الزهر
هذا الذي ترك الاصلاح منشرحاً والجهل غادره في السقم والخور
فان شككتم فهيا نحو مجلسه تروا به صدق ما اعلنت من خبري

والخلاصة ان سمو الامير الجليل من الرجال الأفذاذ في الكويت . ومن الذين جمعوا مع تلك الاخلاق الجميلة هاتيك المواهب العالية التي بمقدار ما تسر اصحابه المخلصين . تسيء من يكاد الحسد يلتهم فؤاده التهاماً . وقد مدح سموه شاعر الكويت الحر الفاضل الشيخ صقر بقصيدة عصماء عطرها بعبير مناقبه . ثم تلاه الشاعر الجديد الفاضل عبد اللطيف بن نصف باخرى شرفها باوصافه المحمودة . وهاك نموذجاً مما قاله الأول من سحره الحلال :

ومن يقتدي والشهم ذو الجود سالم ابوه وذو العليا المبارك جده
فاجدر به ان لا يخيب املا وهيهات يأبى ان يخيب مجده
فيا من غدا في الناس يجمل مدحه يدور وحسن الفعل والقول نده
ويا من به روض المديح تبسمت ازهاره من بعد ما جف ورده
ويا من به نشر المدائح قد حلا ولولاه لم ينشر لمدحي برده

أما الثاني فهاك من جواهره المنثورة . ما يضيء امامك الطريق وقد قدمها الى سعادته معتذراً وشاكراً . فقال :

اعبد الله عفواً عن فتى لم يود من الامور سوى رضاكا
اتيت يقودني امل صريح وحلم قد تجسم في علاكا

سمو الأمير الجليل الشيخ عبدالله بن سالم آل الصباح

وهبني قد أسأت بغير قصد … أليس العفو يشمل من اتاكا
رجائي فيك اكبر شافع لي … وهل خاب امرؤ يوما رجاكا
اعوذ بمجدك العالي ذراه … ويا لله من مجد هناكا
وحزم لا تغيره الليالي … وعزم قد بلغت به السماكا
بأن ينتابني يأس لما بي … ويضنيني الأسى وأنا اراكا
على اني وحقك لست ممن … تضعضعه الخطوب ولست ذاكا

جزيت عن الشبيبة ألف خير ... ولم ابلغ بهـــا ابداً جزاكا
نصرتهم وكنت لهم مجيراً ... ولم يخذل اناس في حماكا
مددتهم بنورك فاستنــاروا ... وراحوا سائرين على سناكا
وان ما يحمدون وانت اهل ... فان الحمد يشهد حينذاكا
فشيد في الكويت ربوع علم ... ترقيها فليس لهــا سواكا

سمو الشيخ علي السالم آل الصباح

هو من فضلاء آل الصباح النبلاء ، ومن أهل الذكاء والادراك له ميل للادب وذويه ، ورغبة في مجالسة أهل الفضل ، وحرص شديد على الاستفادة منهم . ولقد أحسن كل الاحسان في انتخابه لصاحبنا الاديب الفاضل مشاري ابن حسن آل بدر جليساً له وسميراً لعلمنا بالاخلاق العالية التي اتصف بهـــا ذلك الصديق المحترم ، وبالادب والفضل الذي بزّ به كثيراً من اقرانه وسمو الشيخ علي في حاجة كبرى الى مجالسة هذا الفاضل وعلى شاكلته من أهــل الصدق والاخلاص للاستفادة منهم وقد أسند الى حضرته فصل كثير مـــن الخصومات التي تقع في الكويت ، وفوض اليه أمر القيام بهذا الواجب المهم الذي لا زال الكويتيون يعترفون له بالفضل في قيامه به اذ هو مع تصديه لما سمعت كان يتقبل القضايا التي ترفع اليه بانشراح صدر ، وينظر فيها بغاية من الدقة والتأني ، مع الحرص الشديد على ان تكون احكامه على نهج الصواب والحق وفقه الله واخوانه للسداد .

الشاب النبيه فهد بن سالم آل الصباح

هو شاب ذكي تلقى مبادىء الفقه والعقيدة والنحو والصرف والجغرافيا

وغيرها في المدرسة الأحمدية في الكويت ، وكان هو أحد افراد البعثة العلمية التي سافرت من الكويت الى العراق لطلب العلم ، ولكنه وحده أقام في المدرسة الرحمانية في البصرة ، وأما رفاقه فسافروا الى بغداد ودخلوا الكلية

الشاب النبيه فهد بن سالم آل الصباح

الأعظمية هناك كما سيأتي ، ويعجبني من هذا الشاب طموح نفسه للرحلة في طلب العلم الى البلاد القصية . فعسى الله ان يحقق امنيته فالشوق وحـــده يكفي لتذليل الصعاب . فكيف اذا انضم معه استعداد وذكاء ؟

الحاكم العاشر

الشيخ حمد بن جابر آل الصباح

في ١٤ رجب سنة ١٣٣٩ بعد قضاء الأمير مهمة الصلح بين عمه وابن سعود كما سيأتي ، وبعد رجوعه الى الكويت تقدم اليه الكويتيون فبايعوه بالإمارة طائعين وقد اختاروه على ما سواه لأخلاقه التي كان بها فذاً بين آل الصباح .

أخلاق الأمير وصفاته

كان من التواضع بحيث لا يحرم الفقير الضعيف ما يوليه الغني القوي من تعطف والتفات على ما له من مكانة سامية وعز مشمخر وإنها لصفة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم يغضي عن كثير من الهفوات وهو قادر على الاخذ بها وإنزال أربابها إلى الدرك الأسفل والعفو عند المقدرة من اجل ما يتحلى به الملوك ، له محيا بشوش ضحوك جذاب ، صبور على الشدائد والمكاره وحتى في أعظم المصائب يمنح زائريه احتفاءه حتى يخيل لكل واحد أنه هو بيت القصيد . لا يحب تكدير أحد من رعيته مهما كانت منزلته ، له ولـع بمطالعة الجرائد والمجلات ونفرة من الظلم والاستبداد وله عقل واسع ونظر في عواقب الامور. حدثت في أيامه مشاكل عديدة لولا حلمـه النادر وتأنيه المحمود لصارت الكويت في مآزق ضيقة قد تقضي عليها وعلى مستقبلها وتوقعها في شرك لا سبيل للتخلص منه ويحتسي الناس منها كؤوساً أشد مرارة من الصاب والعلقم وأمر مما شربوه في أيامهم السالفة ، وهذه حقيقة لا يعرفها إلا من درسها درساً دقيقاً وفحصها بميكروسكوب الانصاف والروية ولم تخف حتى على من اتخذ الكويت ممراً له من الغرباء الافاضل .

الأمير والحج

ليس أدل على الاخلاص في العمل من تحمل المشاق واقتحـــام الأهوال للوصول اليه ، واذا كان هذا دليل لا يحسن انكاره فلنا اذاً ان نحكم لسمو الأمير به بلا استثناء لأنه حفظه الله تعالى هو أحد أمراء آل الصباح الذين وفقوا لأداء فريضة الحج ولكن في عام كثر خوفـه وتفاقمت اخطاره وقل الأمن في سبيله ، وفي أيام اتقدت رمضاؤها واشتد حرها ، ولم يثنه هذا كله عما اراد ولا استرسل في ميدان التسويف ، وقـد كان له ان ينسى الحج الى عام يبسم وجهه بالأمن وتتلفع أيامه بالراحة والسكون ولكن شوقه الممزوج بالإخلاص حلق به في جو المنى مسرعـــاً حتى هبط تلك الأماكن المقدسة وتشرف بهاتيك المعاهد الميمونة والشوق البالغ يسهل أمام صاحبه كل صعب ويذلل كل عقبة . تربع الأمير على دست الإجلال هناك عام ١٣٣٦ ولقي من الملك حسين إذ ذاك حفاوة واكراماً لاتقين بمقامه السامي ، وبعـد أن قضى أعظم ركن من اركان الاسلام شرف وطنه باليمن والهنا ، والى هـــذا الحج المبارك أشرت بتلك القصيدة المتقدمة :

اذا رام المفاخر لا يبالي ... بما يلقاه من خطر كبير
فأصعب ما يكون لديه سهل ... اذا فيه اكتساب للاجور
فللحج المبارك سار قدماً ... ولم يعبأ بحرّ في الهجـــير
فأدى الفرض محموداً كريماً ... زكي القلب مغسول الضمير

أنا والأمير

لا نعلم أن احداً من حكام آل الصباح اتخذ له واعظاً خاصاً في مجلسه العام، كل صباح يفسر بين يديه الكريمتين الآيات القرآنية ويشرح الأحاديث النبويـة ويبين شيئاً من الأحكام والأخلاق ، غـير اميرنا المحبوب فقد شرفني للقيام

بتلك الوظيفة العالية ودعاني اليها فلبيت نداءه وامتثلت أمره ، وقد كان يصغي لما يسمع من الآيات والمواعظ اصغاء المتدبر ، وبقيت مدة طويلة قائماً بهذه الوظيفة الشريفة قبل ولايته .

الأمير ورحلته الى لندن

ارتأت الحكومة الانكليزية بعد انتهاء الحرب العامة ان يزور ملكها في عاصمته (لندن) بعض أمراء العرب الذين بينهم واياها روابط سياسية ، احكاماً لها واظهاراً لتعلقهم بها ، وكان من بين اولئك الامراء أميرنا المفخم في ولاية عهده .

سافر من الكويت في ذي الحجة سنة ١٣٣٧ ومر على بمبي في طريقه وأقام فيها أياماً بين التعظيم والتبجيل ثم سار منها الى لندن في صفر سنة ١٣٣٨ وحل رحابها واجتمع هناك بملك انكلترا وأهداه حصاناً عربياً وسيفاً وخنجراً مذهبين وحضر احدى جلسات البرلمان الانكليزي ، وبعد ان أقام أياماً ملحوظاً بعين الاجلال قفل راجعاً الى اهله ، ومر على مصر ومكث فيها أياماً ثم رجع الى وطنه في ربيع ثاني سنة ١٣٣٨ .

الأمير والصلح

ها نحن سنفي بما وعدنا به في آخر ترجمة الشيخ سالم من الحديث عن اخبار وفد الصلح فنقول : في ٢٩ جمادى الاول ١٣٣٩ سار الوفد الى البحرين على اليخت الخزعلي وفي رحابها نزل ضيفاً كريماً على الشيخ عيسى آل خليفة ، حاكمها ، ثم سار منها الى القير ومنه الى الاحساء حيث قابله الأمير عبدالله ابن حلوى بما يليق به من اكرام ، وبعد أن أقام هناك أياماً قليلة للاستراحة من عناء السفر سار الى السلطان ابن سعود ، وفي حفر العج قابله ابنه فيصل مندوباً من جهته ، ثم قصد (انقى روضة التنهات) وفيه وجد السلطان

في انتظاره وقد أظهر له من الاكبار ما هو لائق به وأبدى بمقدمه فرحاً وسروراً ، وبعد تبادلهم عبارات الود تناولوا المسائل اللازمة لحسم النزاع ، وطلب السلطان من الامير الكفالة على عمه في قبول ما يتم عليه الصلح من الشروط بلا استثناء فأعطاه الامير ما طلب وقدم نفسه عليه كفيلاً ، ثم حرر ما جرى من الشروط التي أهمها تحديد الحدود بين الكويت ونجد وطوي بساط الماضي بما فيه .

وفي تلك الآونة وقد أزمع الوفد الرحيل نعي اليه وفاة الشيخ سالم فكاد ابن سعود يطير فرحاً من هذا النبأ ، ثم قال للشيخ أحمد : أما الآن فحيث صار الأمر اليك فلا أرى من حاجة الى شروط او تحفظات فأنا لك سيف مسلول اضرب بي من شئت وانت أولى بالقبائل التي تحدت أمري ولك ان تؤدب من تشاء اذا ما بدر منها اعتداء على أحد رعاياك . اما حدود الكويت فانها ستمتد الى اسوار الرياض ولا أقبل ان تكون هي ما قطعنا به آنفاً ولك على هذا عهد الله وميثاقه . ثم أخذ الورقة ومزقها ونادى المنادي بين الاخوان أن سوق الكويت ونجد والاحساء واحد ولا معارض لمن أراد السفر الى الكويت ، وحذرهم من الاعتداء على من ينتسب لآل الصباح . اذن للنجديين (بمسابلة الكويت والامتيار منها) . ثم رجع الوفد بتلك البشارة والألسنة تلهج بشكره وشكر من كان الأصل في ذلك الصلح ، وتفاءل الناس خيراً بحاكمهم الجديد الذي تم الصلح على يده الكريمة .

ومن غرائب الاتفاق ان كان بيني وبين الاصحاب إذ ذاك مذاكرة في (صلحة الاعراب) وكان بحثاً في اول اليوم الذي جاء البشير في آخره مبشراً بقرب قدوم الامير ورفقته في المبتدإ والخبر من قول الحريري :

تقول في ذلك زيد عاقل والصلح خير والامير عادل

فأنست به وتفاءلت خيراً بعدل الامير الجديد ، وبعقله ، أما الصلح فلا

ريب انه خير من الحروب مهما جنى المتحاربون من الغنائم والانتصار . ثم بعد أيام قليلة شرف الأمير الكويت من البحرين في مركب بخاري فأسرع الى شاطىء البحر لمقابلته كثير من العلماء والأمراء والاعيان ، وقد ذهب اليه في الباخرة الشيخ خزعل خان ، والميجر (مور) قنصل انكلترا في الكويت ، وعمه الشيخ جابر آل الصباح ، وسماحة السيد رجب النقيب ، وصديقه المخلص السيد حامد بك النقيب . وبعد ان قابلوه هناك وسلموا عليه نزل في زورق صغير ، ثم ما كادت تطأ قدمه الارض حتى انطلقت المدافع العديدة اشعاراً بنزوله ، وهناك أخذ الناس يتهافتون عليه للسلام والتهنئة وهو يقابل الكل بوجهه البشوش الجذاب ومحياه الطلق . والى ذلك أشرت بقولي ايضاً من قصيدة لي :

يجشم نفسه المكروه حرصاً	على قطع التنازع والنفور
ألم تره لصلح القوم أمسى	يخوض من المخاوف في بحور
ولذّ له المسير يجوز خرقاً	به تدنو الوساوس للجسور
الى ان فك من ذا كل قيد	وزحزح كل ريب في الصدور
وأصبح قافلا والكل يبدي	له الشكر الجزيل بلا فتور
ألا يا أحمد أحسنت صنعاً	بصلح القوم في هذا المسير

مميزات عصر الامير

إذا ما أردنا ان نقيس أيام أميرنا الامير الجليل بأيام من سبقه من آبائه الكرام لنسبر غور تلك الحركات فيها ، فإنا بلا مواربة سنرفع لأيامه السعيدة تاجاً منيراً على رأس العلم والأدب ، وننثر بين طلابه لآلىء تنير لهم المناهج المظلمة التي كانوا فيها يتخبطون . صدقني أيها القارىء فيما قلت ولا تظنه تزلفاً الى سموه وإنما هي الحقيقة التي يجب ان تقال ، الحقيقة التي لا يباح كتمها ، وإلا فانبئني بربك متى نبغ في الكويت كتاب مجيدون وشعراء مفلقون تحلت

الجرائد والمجلات بنفثات أقلامهم الساحرة ؟ وفي أي يوم كان للشباب الناهض صوت مسموع وحركة مستمرة ؟ وفي أي وقت تكاثرت فيه المشاريع النافعة علمية وأدبية شرب الكويتيون منها زلالاً أطفأ الظمأ وأنقع الغلة ؟ وفي أي عصر تمتع الكويتيون بالحرية التامة في نشر العلوم والمعارف؟ أنبئني بربك متى كان هذا ، وفي أي حكم وجد ؟ أنا ما أظنك مهما قلبت صحيفة تاريخ الكويت وتتبعت حوادث حكامها السابقين أن تجد فيها ما يحسن ذكره بأيام أميرنا المحبوب مهما قلنا فيه ومهما وصفه به الواصفون .

كل ما سردت هنا هو من مميزات عصر الامير على عصر ما سواه وهناك مميزات أخرى سأجلوها عليك ، وأزيدك بها علماً ، اذ قد تكون عازبة عن ذهنك فأمعن النظر فيها بعين الإنصاف .

الامير والمجلس

في إبان مبايعة الكويتيين سمو الامير أفسح لهم المجال بتأسيس مجلس ينظر في شؤون البلد ومصالحها ليكون عوناً له في إدارة الأمور والاحكام، وعاهدهم أن لا يبت بأمر مهم الا بتصديق المجلس عليه . وقد تأسس فعلاً وانتخب له الفاضل حمد آل صقر رئيساً ، وهؤلاء الفضلاء اعضاء : الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي ، وأحمد الفهد آل خالد ، والسيد عبد الرحمن النقيب ومشعان الخضير ، وأحمد الحميضي ، ومرزوق الداود آل بدر ، وشملان بن علي بن سيف وهلال المطيري وابراهيم بن مضيف وخليفة بن شاهين آل غانم ، (وكاتب هذه السطور) ولكن المؤسف المحزن أن هذا المخلوق الصغير كان قصير العمر جداً فانه ما كاد يحكم حتى زهقت روحه وألحد في قبره ، وقد تضاربت الأقوال فيمن هو الملوم على إحباط هذا المشروع ، ومن الذي تلقى عليه المسؤولية في إخفاقه ، أما أنا وقد كنت واحداً من أهل ذلك المجلس فإني

أنزه سمو الامير عن المسؤولية ، وقد عرف اخواني الفضلاء على من تكون المسؤولية من أهل ذلك المجلس .

الأمير والمدرسة الأحمدية والمكتبة والنادي

أما المدرسة الأحمدية التي سميت باسمه والتي كان له في تأسيسها اليد الطولى وفي مساعدتها المادية النصيب الكبير ، فإنها من لآلىء مميزات عصره ، اذ كان لها يد قوية في ادارة الحركة في الكويت وفي نفخ روح الحياة بين أهلها . بل كانت النافذة التي يطل منها كل غريب يفد الى الكويت ليبصر ما فيها من حياة وأدب ، فيشاهد هناك ما ليس له في حساب ويبصر ما يأخذ بمجامع لبه ، ويغادره وهو ينظر الكويتيين من جرائها بنظرة المعجب بهم وبنهضتهم هذا عدا احتفالاتها المتنوعة التي كان لها في تحريك الشعور واثارة الحماس أثراً جميلا لا ينكر،فالاحمدية اذاً من أعظم مميزات عصر الامير وحسناته التي تضم الى حسلتيه في فتح المكتبة الأهلية ، والنادي الادبي . هذان المشروعان النفيسان اللذان لا يقلان عن المدرسة في التأثير والفائدة سيما وقد تبرع الامير الجليل بكثير مما يرد باسمه الكريم من الجرائد والمجلات للنادي الأدبي .

الأمير والتاريخ

لو لم يكن لسموه من الحسنات والمميزات الا اعتناؤه بتاريخ الكويت الذي حاز قصب السبق به دون أحد من سلفه من آبائه والذي سيخلد ذكره العاطر على صفحاته باحرف من نور لكفاه بان يرفع الى أعلى مقام في الفضل ويلحظ بعين الاجلال والاكبار ، فكيف وله من الصفات الحميدة ما قدمناه . نعم ان سمو الامير بتعطفه على التاريخ واهتمامه به أطلق السنة الشكر له والثناء عليه وترك الكثيرين يلهجون بحمده وبمدحه من صحفيين وغيرهم.

الأمير والسيارات

لا ندري بماذا نميز عصر الامير الجليل أبالحركات العلمية والأدبية ؟ وقد علمت منها ما علمت . أم بالحرية ؟ وقد ضربنا لك مثالاً منها. كل هذا جدير بالتمييز وفيه كفاية للتفضيل ، ولكني مع هذا سأنبئك بأمر تغتبط به كما اغتبط به عموم اخواننا الكويتيين وعدوه انقلاباً عظيماً فيحياتهم ومن أعظم حسنات الأمير الجليل التي انفرد بها ذلك هو تسهيله (ادام الله عزه) طريق المواصلات بين الكويت والبصرة والزبير حيث منح امتياز تسيير السيارات البرية في ذلك الطريق لصاحب السعادة الحر الغيور السيد حامد بك النقيب رجل الهمة والعمل والجد والنشاط .

ففي رمضان سنة ١٣٤٣ تقدم سماحته الى سمو الامير يطلب ذلكالامتياز وما كان من سموه عندما سمع صوت هذا السيد الجليل الا ان أظهر رغبته الاكيدة في هذا المشروع وفي إخراجه الى حيز العمل فبادر بمنحه ما طلب الى مدة خمسين سنة وهناك انعقدت شركة رأسمالها مائة الف روبية . وأبيح الاشتراك فيها لكل واحد من الكويتيين ، وانتخبت لها هيئة ادارية يرأسها صاحب السماحة السيد حامد بك ومعه اعضاء ، وسن لها قانون يحتوي على عدة مواد ، وجعل السهم الواحد فيها مائة روبية . وابتداء مسيرها في ٤ شعبان سنة ١٣٤٤ وكانت اول سيارة قطعت هذا الطريق هي المسجلة بنمرة ٢٧ في دفتر مدينة الكويت .

وقد أصبح الكويتيون الان يعدون سفرهم الى الزبير والبصرة كخروجهم للنزهة ايام الربيع ، فلا البرد القارس يؤذيهم ، ولا الشمس الحارة تؤلمهم ، واصبحوا يقطعون المسافة باقل من اربع ساعات في حين أنهم كانوا فيما مضى لا يقطعونها بأقل من ثلاثة ايام مع المشقات على انها ستحدث تغيراً مهماً في احوالهم الاقتصادية سيما في معاملتهم مع العراق، وفي الأمل ايضاً ان سيحال البريد العراقي إليها .

البعثة العلمية في عصر الامير

اذا لم يقنعك ما مضى من مميزات عصر الامير الجليل فهاك برهانا اخر لا يحسن بك انكاره خذه واظنك ستذعن له ان كنت من المنصفين. فيعصره السعيد وحده سمعنا للبعثات العلمية صوتا وفيه شاهدنا لها حركة وحياة . في عصره دون سواه ، رأينا الشوق للعلم قد دب في نفوس القوم حتى استعذبوا في سبيله هجران الأهل والاوطان ، واستلذوا في تحصيله الم الغربة والفراق ، ها هي البعثة العلمية من الشباب الناهض [1] قد خرجت الى العراق لطلب العلم هناك وللشرب من نميره العذب الزلال سنة ١٣٤٣ أفليس في خروجها في أيامه ميزة لعصره ؟

الامير وتجار بلده

لا نعلم حكاماً فتحوا خزائنهم لتجار بلدهم يأخذون منها ما يشاؤون ، يبيعون فيها ويشترون بلا ربح ولا فائدةغير حكام آل الصباح من الشيخمبارك الى حاكمنا المعظم . وان لسموه الآن عند كثير من تجار بلده اموالا طائلة لو اراد سحبها منهم واخذها من ايديهم لربما وقعوافيمشكلة وارتباكتجاريعظيم .

---

(١) هذه البعثة مؤلفة من هؤلاء الشبان الافاضل : فهد بن سالم آل الصباح الذي قلنا عنه الكلمة الماضية ، وخالد بن سليمان العدساني ، واحمد بن عمر العلي،ومحمود بن عبد الرزاقالدوسري، وعبد الكريم بن محمد آل بدر ، وسليمان العنزي وعبدالله المدير ، ولقد اكرمت الكليه الاعظمية وفادتهم وقابلتهمبالمقابلة الحسنة، لا في ايام مديرها الاول الاستاذ العلامة الشيخ نورالدين ، ولا في ايام مديرها الثاني العلامة المفضال الحاج نعمان الاعظمي، فجزاهم الله عن الكويت واهلها خيراًوشكر سعيهم واثابهم الثواب الجزيل . اما الذي يستحق التنويه به من اهل الكويت بعد سمو الاميرلشده ازر تلك البعثة واهتمامه بمصالحها وايقافه نفسه على ما ينفعها فهو مصلح الكويت الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي ولا غرو ان يقوم هذا المفضال بهذه المهمة دون اخوانه الكويتيين فانه كما قلنا عنه آنفاً هو مصلح الكويت الفذ الذي تنظر اليه في كل شدة وضيق وتؤمل منه كل خير واصلاح . فحياه الله وابقاه واكثر في الكويت من أمثاله .

ان هذا الامهال وتلك المعاملة من هذا الامير الشاب لمن أجل الاعمال التي يجهلها الناس ويجهلون قدر صاحبها وبالطبع لا تعرف الاشياء باضدادها .

الامير وابن سعود

زار عظمة سلطان نجد الكويت أيام الشيخ جابر آل الصباح سنة ١٣٣٥ فأحس من الشيخ سالم بضعف علم منه ان لا بد من حدوث انقلاب بينهما إذا ما افضى الأمر اليه وانه اذ ذاك سيظهر له ما يكنه ضميره ويندفع في تياره، وقد أسرّ السلطان هذا في نفسه ولم يبده الا لسمو الامير الجليل وتعاهد هو واياه على الاخاء والصفاء وكان الأمر كما تعاهدوا عليه الى هذا اليوم ، فهما على جانب عظيم من الولاء والرسائل الودية تتبادل بينهما ، مطرزة بأرق عبارة وألطف اشارة وعلى صفحاتها ينشر كل منهما ما في قلبه لصاحبه من الصدق والاخلاص . وقـد يكون اميرنا المعظم احرص الاثنين على ان يكون عمله مصدقاً لما ينطق به .

نعم وهـذا أمر ظاهر لا يخفى فانه حفظه الله قام بمساعدات جسيمة للسلطان ومده باعانات هو في أشد الحاجة اليها كما ستعلم .

ابن سعود يستنجد بالأمير في حصار حائل[١]

نفد جميع مـا لدى عظمة ابن سعود من اطعمة وزاد في حصاره حائل فضاق به الحال ولكنه استنجد بسمو اميرنا المحبوب واستغاث بأخوته الصادقة ليمده بما يسد فيه فاقته ، ويفك عنه اغلال الضنك والضيق ، فقدم اليه سمو الأمير في محرم سنة ١٣٤٠ ستين ألف ريال وألف كيس من الرز .

---

(١) وقد انتهى الامر اخيراً الى سقوط حائل بيد ابن سعود في صفر ١٣٤٠ .

نيشان يتقلده الأمير

في جمادى ثاني سنة ١٣٤٠ تعطفت انكلترا على سمو الأمير الجليل بنيشان (سي. آي اي) وقد حصل لتقليده اياه حفلة باهرة في احدى ساحات قصر الأمير الذي على ساحل البحر ، حضرها آل الصباح ووجهاء البلد وأعيانها وقد تقدم المعتمد البريطاني في الكويت الميجر مور بالنيشان الى سموه .

المراجعات بين ابن سعود والامير في المسابلة

في رجب سنة ١٣٤٠ كتب ابن سعود الى سمو الامير يخبره بعزمه على منع رعاياه من اهل نجد والبادية عن الكويت،وصرفهم الى مسابلة بلاده كالقطيف والاحساء والجبيل وقال له انه لم يقدم الى ذلك الا اضطراراً ، وانه ليس في استطاعته والحالة هذه ان يتنازل عما عزم عليه الا باقامة موظف من قبله في الكويت يقبض الرسومات على أموال رعاياه الخارجة ، ولكن الأمير رفض ما طلب وبقيت الحال متوقفة الى ان جرى البحث في مؤتمر العقير عن هذه المشكلة ، وكان الفاتح له معتمد بريطانيا في الكويت فحرك كلام المعتمد ساكناً من ابن سعود ، غادره يرسل السيد حمزة غوث مندوباً من جهته الى سمو الامير ، وقد وصل السيد حمزة الكويت في رمضان سنة ١٣٤١ وهناك طلب على لسان ابن سعود من سمو الامير أحد ثلاثة أمور: اما اقامة الموظف أو يسلم من خزانته الخاصة ما يقابل رسوم تلك الأموال ، أو يقيم هو موظفاً من قبله يتقاضى تلك الرسوم ثم ترسل اليه . أما الامير والكثير من وجهاء البلد فأبوا قبول شيء مما اقترحه المندوب نظراً الى انه اقتراح مخل بشرف الكويت وحكامها ، ومخل باستقلالها . وأخيراً رأى سمو الأمير أن يرسل اخاه الكريم سمو الأمير الخطير الشيخ عبدالله بن سالم آل الصباح الى عظمة السلطان ابن سعود في الرياض ليفاوضه هو بنفسه في حل تلك المعضلة واصحبه من الهدايا اليه عشراً من الخيل وألفاً وخمسمائة كيس من الرز ومائتي كيس من

السكر وكثيراً من اكياس القهوة ايضاً فسار سمو الامير في شوال سنة ١٣٤١ وفي رفقته السيد حمزة غوث وقد قابله عظمة السلطان هناك باكرام وحفاوة عظيمين ، ولكن سموه لم يتحصل على شيء مرضٍ يحل الاشكال لا في الرياض ولا في الكويت ، واستمرت الحال كذلك الى هذا اليوم وقد افضنا في هذا الموضوع فيما سبق .

امتياز الارض المحايدة بين الكويت ونجد

في ذي القعدة سنة ١٣٤٠ طلب الميجر هومس وكيـــل النقابة العمومية الشرقية بلندن من سلطان نجد منحه امتياز الارض المحايدة لاستخراج ما فيها من معادن النفط ، ولكن عظمته لم يبت بالأمر إلا بعد مراجعة سمو الأمير وعلمه بموافقته ورضاه أما الحكومة الانكليزية فلم تبد اقل معارضة في ذلك وقد حصل التصديق على الاتفاق في رمضان سنة ١٩٤٢ .

ابن سعود يضرب رسماً على السفن الكويتية وغيرها

في رمضان سنة ١٣٤١ ابلغ ابن سعود سمو الامير وضعه رسماً على سفن الغواصين التي ترسو في بلاده كالقطيف ودارين والجبيل ، ففاوض سمو الامير من يهمه امر الغوص في الكويت ليستطلع رأيهم ونظراً الى انهم ليسوا بمضطرين الى تلك البلاد والذهاب اليها اثناء الغوص فلم يهتموا بما جرى ، ولم يعيروه التفاتهم ، اما ابن سعود فما كاد ذلك العام ينتهي حتى اسقط الرسم الذي وضعه ، وما ذلك الا للخسائر التي لحقت أهل تلك البلاد بانقطاع اهل الكويت عنهم ، وعن المجيء الى بلادهم والاتجار معهم .

هجوم ابن حثلين والفغم على أطراف الكويت

في رمضان سنة ١٣٤٢ هجم ابن حثلين والفغم على أطـــراف الكويت

ونهبوا من عربانها ورعاتها ما نهبوا وقد أبقى هذا الهجوم في نفس الامير وفي نفوس الكويتيين عموماً أثراً سيئاً حتى عرض بعض زعمائهم على سموه تعقب المعتدين ومطاردتهم . ولكن سعادته وقد عرف بالتأني الذي لا زال يحمد عاقبته رأى قبل كل شيء مراجعة ابن سعود فيما جرى فأرسل (تزالاً) أحد رجاله اليه ليشرح له الأمر ويستطلع رأيه . اما ابن سعود فتظاهر بالأسف الشديد على ما وقع . وكتب الى سمو الامير يعتذر اليه عن الحادثة ويحلف له الايمان المغلظة ان هذه الغارة على غير علم منه ، وان أثرها سيكون نقطة سوداء في قلبه لا تمحى وأنه لا ينساها ولو طال الزمان، وانها ستكون أعظم همه وسيجعلها نصب عينيه . ثم ركب ناصر بن سدحان الى المعتدين ليسترد منهم ما أخذوه ، واتبعه بابنه فيصل ليفصل بين العوازم وبين ابن عشوان زعيم (ابريه) في قتال حصل بينهما ، وكتب أيضاً الى سمو الامير يقول له (انه لم يرسل فيصلاً الا للقيام بحقكم ولمسرتكم وقد أوصيته بان يقبل كل ما يطلب إليه منكم) .

قصور الامير ودسمان

للأمير قصور عديدة فخمة منها قصران وسط المدينة على شاطىء البحر بناهما جده الشيخ مبارك آل الصباح ، وفي ناحيتها ترفرف الراية الكويتية الحمراء التي كتب عليها باحرف كبيرة (كويت) .

أما دسمان فهو قصره الخاص الذي منحه عنايته وصرف عليه الأموال الطائلة ، شيده على أنقاض قصر لأبيه المرحوم الشيخ جابر وجهزه بكل ما يحتاجه من الأواني الذهبية الغالية والمفروشات النفيسة والمصابيح الكهربائية التي اذا سطع نورها الوهاج في أرجائه خلت الاقمار المنيرة في السماء أو الشموس الوضاءة تخترق الحجب والاستار ، وقد نوع رياشه تنويعاً بديعاً، فمن حجره ما هو مزين بالرياش الوطني النفيس ومنها ما هو مجهز بالاثاث الافرنجي

الغالي وقد علق على جدرانها السجاد الفارسي المحلى بالصور والرسوم ، وفي اعلاه مصباح كبير يهتدي به المسافرون ليلاً ويشاهد من نحو اثني عشر ميلاً وقد بنى الامير في شماله الغربي مسجداً يصلي فيه من يأوي الى القصرومسجداً آخر في جنوبه الغربي للبدو الذين يقطنون هناك أيام الصيف وفي غرب القصر وشماله بستانان نظيران تنوعت أشجارهما وعبق أريجها يسقيان من بئرين يستخرج ماؤهما بالآلة الهوائية وقد اتخذه الامير منتجعاً له في غالب أيامه ولياليه ، ويقطع بسيف مسراته عنق الهم والأسى وهو القصر الذي عقد فيه المؤتمر التاريخي في الكويت ، وجعله الكولونيل (ناكس) منزلا اذ ذاك وهو طبقة واحدة بنى الامير على أحد دورها غرفة زادته بهاء وجمالا وهو مشيد على مرتفع من الأرض في بنيد القار يشرف المرء منه على منظرين بديعين ، البحر وهناك خضرته الساحرة وسعته التي يكل الطرف دون غايتها وفيه السفن الشراعية والبخارية ذاهبة آتية ، ثم يعطف جيده الى المنظر الثاني

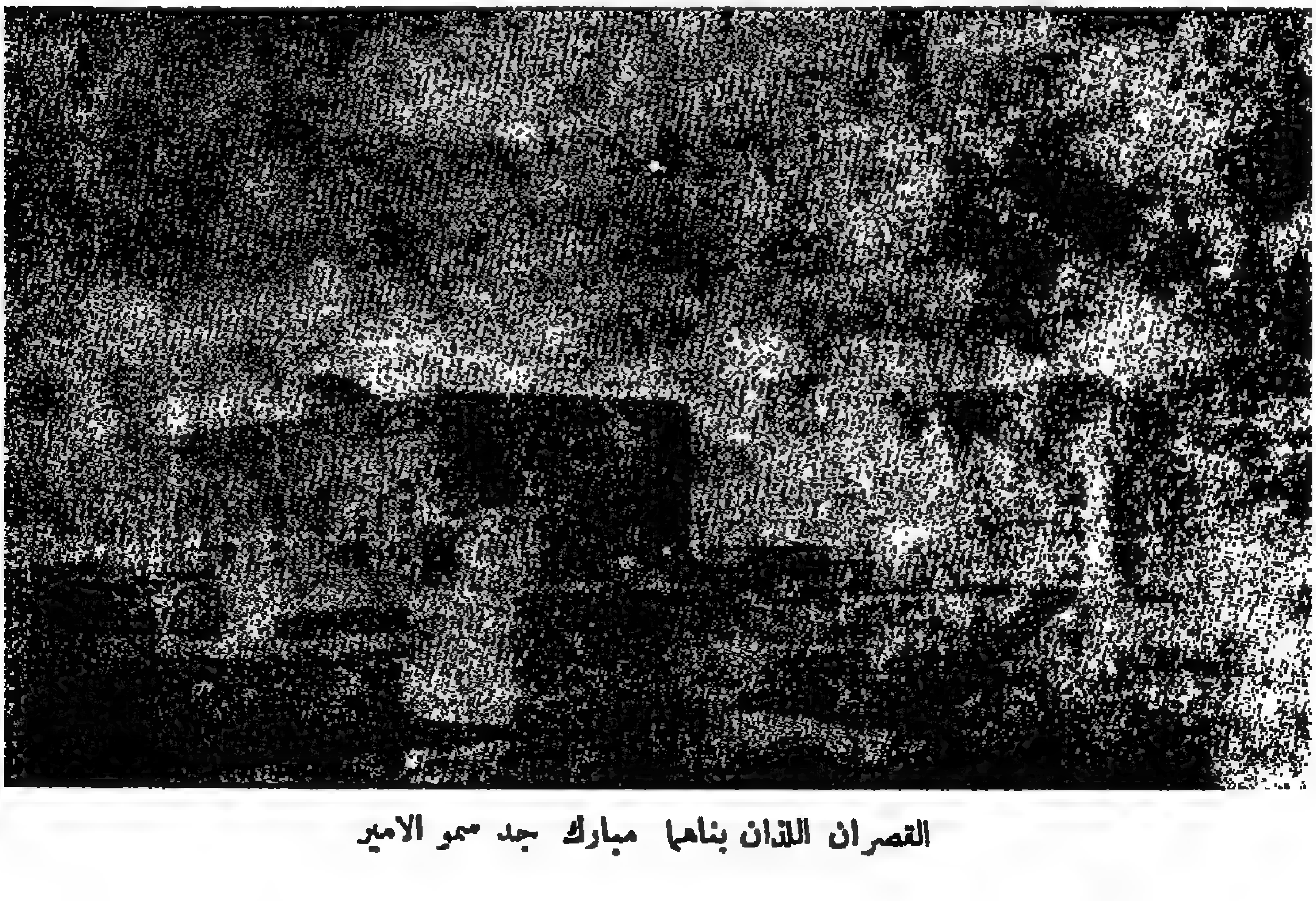

القصران اللذان بناهما مبارك جد سمو الامير

فيمتع طرفه بأرجاء واسعة من البر يمتد فيه البصر ، ويبصر الناظر هنـــاك المدينة ومآذنها الشاهقة فكأنه والحالة هذه المعني بقول أبي نواس في النجف:

لم يخلق الله من سهل ولا جبل أشهى هواء ولا أبهى من النجف
حفت ببر وبحر في جوانبهـا فالبر في طرف والبحر في طرف

نظام القصر بديع ، ومنظره يطرد الهم ، وهواؤه طلق عليـل وجوه صاف اصفى من عين الحمام تخترق السيارات اليه شارعاً طويلاً من الاثل صفت على جوانبه صفاً هندسياً بديعاً .

المسجد والبستان اللذان في شمال دسمان قصر الأمير

اقوال الأجانب في سمو الامير

هذه نبذة من كلام غير الوطنيين في الامير وقد لا يتهم الأجنبي في مدحه

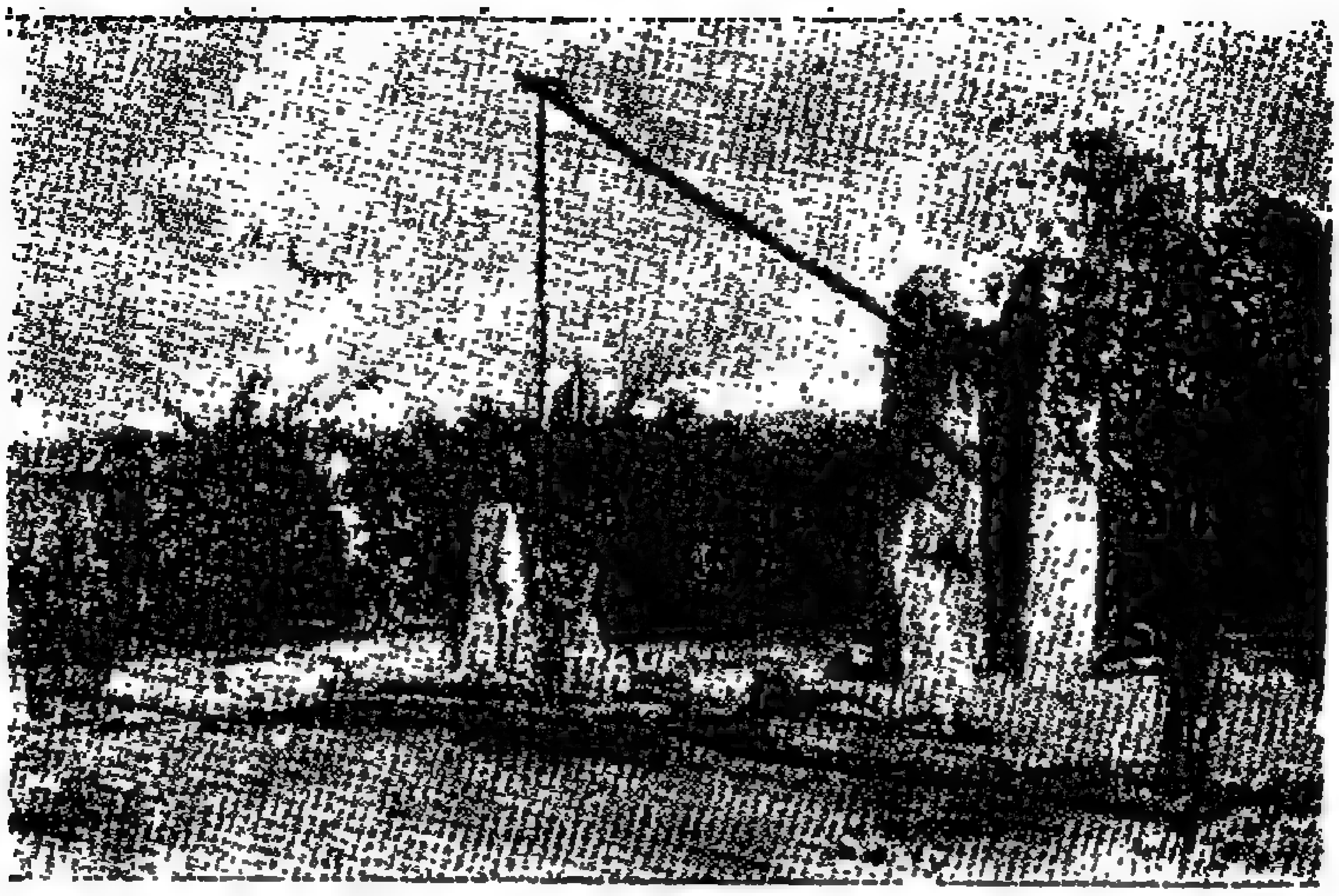

منظر احد بساتين الكويت

والثناء عليه وفي ذكر أعماله كما يتهم الوطني الذي قد يكون الدافع له الحب او المراءاة .

قال الميجر (مور) المعتمد البريطاني في الكويت عندما سأله الفاضل الاديب السيد قاسم افندي الهياني صاحب جريدة الفيحاء الغراء :

س : هل أنتم على وفاق مع الامير ؟

ج — « نعم ، وأقول لك ان الذين لا يعرفون الأمير أحمد الجابر الصباح لا يستطيعون ان يقولوا كلمتهم ، وأما أنا فأقولها وأقولها عن معرفة جيدة واختبار صحيح . ان الامير أحمد الجابر من أشد المحافظين على سلامة البلاد ومصالح العباد، وقد تظهر لك سذاجته وقد يقول لك بعض الناس أنه غبي وقد يقولون اشياء كثيرة مؤلمة عن هذا الرجل الطيب ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها أنه من أشد الناس حرصاً على بلاده وشعبه » .

وقالت (الأوقات) البصرية تحت عنوان (شيخ الكويت) : نشرنا سابقاً

في الأوقات البصرية ان الشيخ احمد الجابر قد انتخب ليكون شيخاً للكويت خلفاً لعمه سالم الذي توفي في ٢٢ (فبروري) بداء القلب، والشيخ أحمد كان في نجد يوم وفاة عمه ورجع منها في ٢٤ مارس حيث حصل له موكب استقبال عظيم وكان مقبولاً لدى عائلة آل الصباح، وفي اليوم الثاني بعد وصوله دعي أشراف البلد الذين قبلوه ان يكون حاكمهم الجديد ، وصرح أنه لا يأتي امراً مهماً إلا بعد مشاورتهم « والشيخ احمد قد أبرز مهارة في جميع المسائل التي عهدت اليه في زمان عمه ، كما انه أهل لذلك ومقبول عند العموم . فنحن نهنئه على هذا التعيين ونهنىء اهالي الكويت على انتخابهم اياه [١] .

وقال الاستاذ الريحاني في رحلته ملوك العرب :

لو كان غير الشيخ أحمد حاكماً في الأزمة الاقتصادية التي سبق الكلام عليها لما سلم الأمر من حادث عدائي بين البلدين نجد والكويت ، ولو حدث الحادث لما اختلف اثنان في نتيجته ، فالفضل اذاً في سلامة الكويت وإن كان على ضيق وشدة هو للشيخ احمد ذاك الرجل المسالم اللين الجانب الدمث الاخلاق. قد يختلف الناس في هذه الخطة السياسية خطة اللين والمسالمة ، وفي الكويت من لا يستحسنها ولكنهم اذا ما ذكروا سياسة سلف الشيخ أحمد ونكبة الجهراء يتيقنون ان في دار الحكم اليوم رجلاً أقل ما يقال فيه انه محافظ على سلامة الكويت واستقلالها.

---

(١) اعلن استقلال الكويت استقلالا ناجزاً في ١٩٦١/٦/١٩ وانسحب الانكليز منهـا نهائياً وأسست فيها وزارات لادارة أمورها السياسية والادارية داخلياً وخارجياً منذ أوائل عام ١٩٦٢ ودخلت الجامعة العربية عضواً فعالاً ، وشاركت في الامور الدولية والعربية مشاركة ذات قيمة كبيرة جداً .

حديث عن حالة الكويت اليوم[1]

زار الأديب الفاضل السيد قاسم افنـــدي الهياني الكويت سنة ١٣٤٤ فقابل الميجر مور معتمد انكلترا هناك ودار بين الاثنين ما يأتي من الحديث وسنثبته هنا لما فيه من الفائدة:

---

(١) جرى هذا الحديث عام ١٩٢٥ . أما اليوم وبعد مرور أقل من نصف قرن فقـد أصبحت الكويت دولة مستقلة تبني وتلشيء وتتقـدم بخطى سريعة حثيثة مدهشة وتسهم في مساعدة شقيقاتها الدول العربية وتمنحها القروض السخية لبناء اقتصادها وتقدم عمرانها ولدفاعها عن أنفسها ضد العدو الغير . ومن اطلع على الاحصاءات التالية أخذه العجب :

١ – تمّ انشاء ٦٠٠٠ بيت لذوي الدخل المحدود كلفت نحو ٥٢٩٨٢١٤ ديناراً . ويتم الآن إنشاء نحو ١٥ ألف بيت لتوطين الاعاريب البداة .

٢ – قدّم بنك التسليف والادخار عام ١٩٦٨ نحو ثلاثة ملايين دينار للنشاط الصناعي . ونحو ثلث مليون دينار للنشاط الزراعي .

٣ – بلغ النقد المتداول أوائل عام ١٩٦٩ نحو ٥٥ مليون دينار .

٤ – قدمت الكويت عام ١٩٦٨ قرضاً لتدعيم الاسطول التجاري المصري ساهمت فيه بنحو ٤٢٪ من التكاليف وبنحو ٧٥٪ من الانفاق عليه بالنقد الاجنبي.

٥ – قدمت الكويت عـام ١٩٦٨ قرضاً لبناء صوامع حبوب في لبنان بلغ نحو ٢،٢٥ مليون دينار منها ٥٠٪ بالنقد الاجنبي.

٦ – أسست عام ١٩٦٤ مصانع للاسمدة الكيمارية الكويتيـة برأس مال قدره ٦ ملايين دينار يقوم بها نحو ٥٠٠ موظف وعامل ٩٠٪ منهم عرب .

٧ – وهناك مصانع وشركات كثيرة منها : مصنع النشادر . ومصنع اليوريا. ومصنع حامض الكبريتيك . ومصنع سلفـات النشادر . والشركة الكويتية لصيد الاسماك . ومصنع الطابوق الرملي . ومصنع منتجـات الاسمنت . وشركة ناقلات النفط الكويتية . وشركة الملاحة الكويتية .. . الخ ..

٨ – افتتحت جامعة الكويت اواخر عام ١٩٦٦ انشئت فيها كلية للحقوق وثانية للشريعة وثالثة للتجارة ... والاقتصاد والعلوم السياسية وخصص لمباني الجامعة مساحة من الأرض تبلغ ٣،٥ مليون متر مربع . وبلغ عدد طلابها عام ١٩٦٨ نحو ١٥٠٠ طالب .

٩ – وفي الكويت مستشفيـات متعددة وكثيرة تتسع لنحو ٣٣٠٠ سرير منها المستشفى الاميري ومستشفى الحميات ، ومستشفى الامراض العصبية والنفسية ، ومستشفى الميـدان، =

س – سمعت ان في عزم الدولة البريطانية أحداث بعض التغيير في نظام امارة الكويت وشكل حكومتها الحالية فما هو مبلغ هذا الخبر من الصحة ؟

ج – لا صحة لما يشاع ، وثق يا حضرة الصحافي العربي ان الامارة في الكويت باقية على ما هي وستبقى اما اذا توفي – لا سمح الله – اميرها الحالي فالامارة تنتقل الى أحد أمراء الصباح ويكون ذلك بنـــاء على انتخاب الشيوخ والأهلين عموماً .

س – هل لحكومة بريطانيا علاقة بدائرة البرق والبريد ؟

ج – مصلحة البريد في الكويت هي الآن بمثابة فرع لدائرة برق وبريد العراق العامة ولكنها سترتبط بعد نهاية السنة الحالية أي في أوائل سنة ١٩٢٦ رأساً بمصلحة البريد الهندي .

س – ما هي علاقة بريطانيا بالكويت ؟

ج – ليس من علاقات رسمية بين امارة الكويت ودولة بريطانيا العظمى انما هي نوعاً ما تحت حمايتنا والحكومة البريطانية بعيدة عن كل تدخل يتعلق بشؤون البلاد الداخلية .

= ووحدات مجمّعة ومستوصفات ومصانع للأدوية والمصول وجهاز وزارة الصحة يحوي ٥٢٠ طبيباً و ٤٢ طبيب اسنان و ١٥ طبيب بيطري و ٧٠ صيدلياً و ١٨٠ مساعد صيدلي و ٨٢٧ ممرضة . و ٥٠٥ مساعدة و ٨٥٣ مضمّد . و ٤٤ ملاحظ صحي . و ٣٧ معاون بيطري . و ٩٤ معاون وملاحظ محجر صحي .... الخ .

١٠ – وفي الكويت اكبر مصفاة في العالم لتقطر الماء المالح من البحر وتقديه سائغاً مشروباً وأسست بعدها مصفاة اخرى بلغ انتاج الأولى خلال عام ١٩٦٨ ٣٣٤٦٥٣٦٦١٠ كالونـــا وبلغ انتاج الثانية ١٥٠٧٣٢٤٨٦٠ كالوناً . وبذلك استغني عن استجلاب الماء من مصب شط العرب في العراق .

س – الى من تعود واردات الجمارك ؟

ج – الى الحكومة الوطنية وليست الرسوم الجمركيــــة سوى ٤ أو ٥ في المائة فقط .

س – اذا تعرض عظمة السلطان ابن السعود بسوء لإمارة الكويت فماذا يكون موقف بريطانيا عندئذ ؟

ج – عندئذ يكون ابن السعود قد اخل بشروط المعاهدة التي تعهد فيها بالابتعاد عن كل ما يمس امارة الكويت بسوء . هذه الامارة التي سنحافظ على وضعيتها الحاضرة بجميع الوسائل الممكنة .

س – فهمت ان ابن سعود لا يبيح للاخوان التردد الى الكويت لماذا ؟

ج – هذا صحيح ولكنه لاسباب جمركية فان الاخوان يأبون دفــع الرسوم الجمركية .

س – الا يمكن التوفيق بين الامير والسلطان من هذه الجهة ؟

ج – لقد سعينا وراء ذلك ولكننا لم نفلح ، وقد عقدنا اجتماعاً لهــذا الغرض منذ سنتين أو ثلاث وبعث ابن سعود مندوبه اليه فطلب هذا المندوب أن يكون مدير الجمرك سعودياً ولهذا لم يحصل الاتفاق .

س – قيل لي انكم سترتبطون محاكم الكويت بمحاكم الهند رأساً فهــل هذا صحيح ؟

ج – ومن قال لكم هذا القول ؟ انه افتراء محض . إن ما اشيع ينحصر باصحاب التابعية الانكليزية من هنود وغيرهم واعلاننا هذا صريح جداً . ان الاجانب يحاكمون امامي في هذه الدائرة – دائرة الاعتماد البريطانية – واما الكويتيون فليس لي اقل علاقة معهم .

س – هل من نهضة ادبية في الكويت ؟

ج – يوجد ولكنها لا تذكر .

س – هل تفكرون القيام بشيء من المشاريع العمرانية ؟

ج – كلا .

س – هل تعود واردات البرق والبريد الى الحكومة الوطنية أم للحكومة العراقية ؟

ج – تعود الى حكومة العراق ، وهذا مؤقت كما سبق .

اولاد الامير

لسمو الامير من الاولاد اثنان عبدالله ومحمد وهما شابان موجودان .

سمو امير الكويت المعظم والوجهاء في (قهوة) ابو ناشي بعد العصر والخدم امامهم

الشيخ الجليل جابر بن صباح آل الصباح

وهو أخو مبارك آل الصباح واكبر الموجودين اليوم في هذا البيت الكريم له في تأبيد من يرتقي عرش الامارة في الكويت يد تذكر ، واعمال تشكر وكثير من آل الصباح يصدرون عن رأيه في جل مهماتهم ويستفيدون من معلوماته وتجاربه التي اكتسبها بطول عشرته للدهر ، راوية لتاريخ الكويت وركن من أركانه بل لعله أعظم رجل يعتمد عليه فيه يرغب كثيراً في حفظ المسائل الدينية والأحاديث النبوية ويرغب في الاطلاع على الكتب والمؤلفات، صاحب حجة في ميدان الجدال يزينه حلمه وتواضعه ودماثة اخلاقه .

ملاحظة :

ردد المؤلف كثيراً في فصول كتابه تشوقه لأن يرى في الكويت مدارس ينهل منها ابناء الكويت العلم . ولكي يستطيع القارىء ان يتصور مايبذل من جهد في سبيل تعميم العلم في الكويت في هذه الايام نجد من المستحسن ان نضع أمامه الأرقام الآتية وتطورها في مدة قصيرة من الزمن في نهضة الكويت الحديثة :

كانت ميزانية الكويت لادارة المعارف سنة ١٩٤٢ – ١٩٤٣ تقارب ٤١٥،٠٥٤ روبية وقد بلغت سنة ١٩٤٦ – ١٩٤٧ الدراسية ١١٧،٠٧٦روبية بينما منذ هذا التاريخ القريب حتى ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ارتفعت الميزانية حتى بلغت ٢٦٧،٦٠٤،١٥٤ . وبينما كان عدد المدارس سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٧ مدرستين ابتدائيتين فقط فهو في سنة ١٩٥٩ – ١٩٦٠ كما يأتي :

للصبيان :

١٧ مدرسة ابتدائية ، ١١ – ابتدائية متوسطة ، ٦ – متوسطة ،

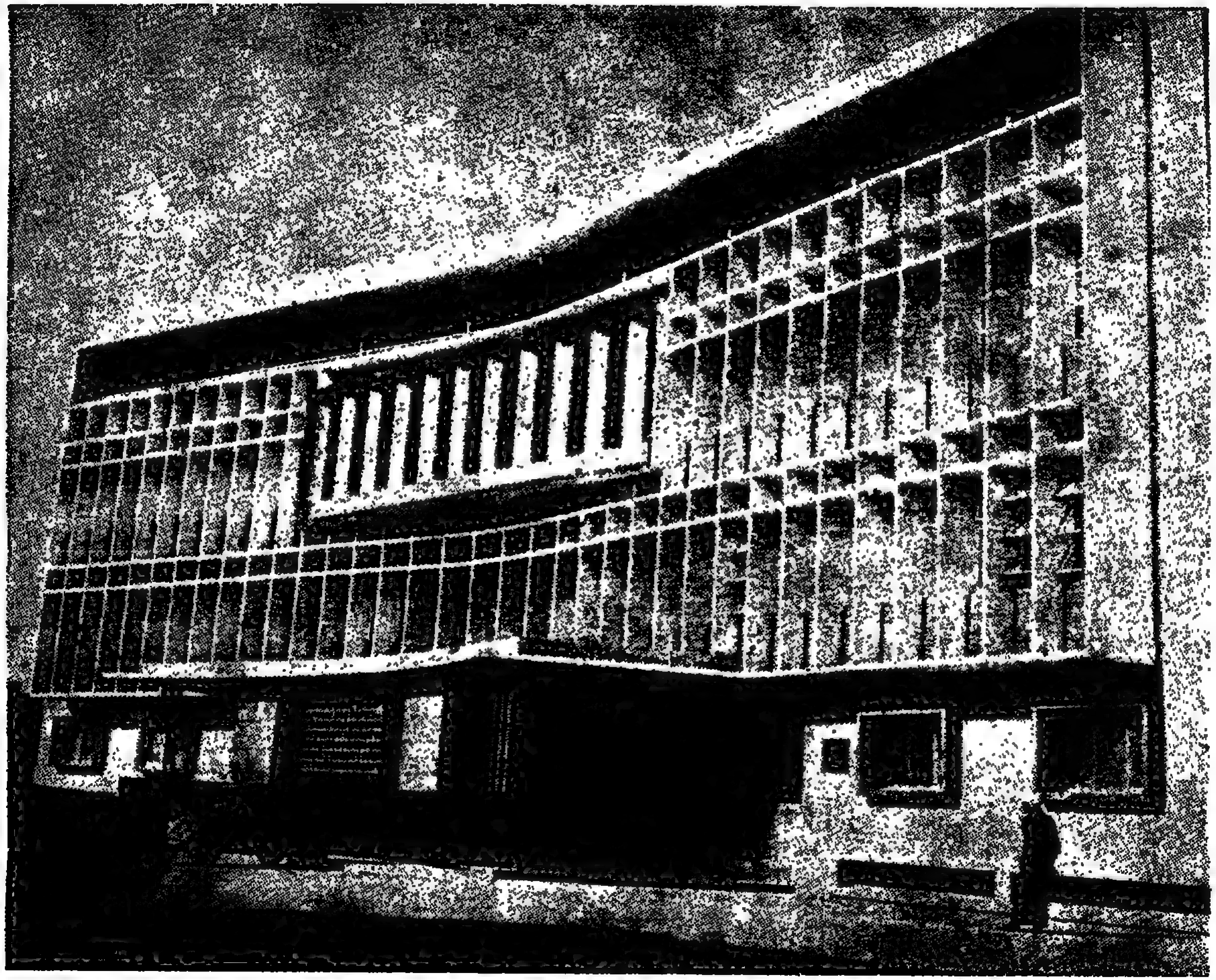

المدرسة المباركية

١ – ثانوية ، ٤ مهنية .

للبنات :

١٣ – مدرسة ابتدائية ، ١٤ – ابتدائيـــة متوسطة ، ٣ – متوسطة ١ – ثانوية ، ٢ – مهنية .

١٥ مدرسة مختلطة .

كما أن للكويت ١٦ مدرسة في الخارج وهكذا يبلغ المجموع ١٠٣ مدارس كما هي في سبيل تأسيس جامعة كويتية وقد استدعت ثلاثة خبراء لهذه الغاية .

وقد ضمت مدارس الكويت لسنة ١٩٥٩–١٩٦٠ ٢٤٩٧٨ طالباً و ١٥٣٢٤ طالبة كما يدرس فيها ١١٣٤ مدرساً و ٨٧٧ مدرسة من جنسيات مختلفة .

وهناك ٤٢٨ طالباً وطالبة يتلقون علومهم في الخارج في بعثات دراسية في مختلف العلوم والصناعات .

إحصاء بعدد المدرسين والمدرسات والمدارس والطلاب

عـــام	المدرسون	المدرسات	المجموع
١٩٣٦ – ١٩٣٧	٢٦	–	٢٦
١٩٦٧ – ١٩٦٨	٣٣٤٨	٣٠٥٣	٦٤٠١

عدد المدارس

عـــام	بنين	بنات	مدارس الخارج	المجموع
١٩٣٦ – ١٩٦٨	٢	—	—	٢
١٩٦٧ – ١٩٦٨	٧٦	٩٦	٣٥	٢٠٧

عدد الطلاب

عام	طلاب	طالبات	المجموع
١٩٣٦ - ١٩٣٧	٦٠٠	-	٦٠٠
١٩٦٧ - ١٩٦٨	٦٤٣٦٦	٤٧٦٥٥	١١٢٠٢١

الميزانيــــة

عام		
١٩٤٦ - ١٩٤٧	٨٣٧٨١	ديناراً
١٩٦٧ - ١٩٦٨	٢٤٨٣٤٣٦٩	ديناراً

ملاحظة : الدينار = ١٠٠٠ فلس

الجنيه الاسترليني = ٨٥٧ فلساً

الدولار = ٣٥٧ فلساً

مدرسة من الماضي

وفي الكويت من المستشفيات :

عـــدد :

٢ – مستشفيات عامة .

٤ – للامراض الصدرية .

٢ – للامراض العصبية .

٢ – للامراض السارية .

٤ – مستوصفات جوعية .

٢٣ – مستوصفات عادية ومراكز إسعاف .

كما ان هناك مستشفيين اثنين جديدين هما في طريق التجهيز .

تطور نظام التعليم

بدأ التعليم في الكويت في « كتاب المطوع » واقتصر على تدريس الكتابة والقراءة والدين والحساب ، وكان لا بد من تطوير هذا التعلـــيم بعد ان زاد نشاط البلاد التجاري ، فأدخل الى التعليم مسك الدفاتر والمراسلات الخارجية والمحاسبة ، كما أنشئت أول مدرسة نظامية بالكويت عام ١٩١٢ بتعاون جماعة من التجار ورعاية من الشيخ مبارك الصباح . وأصاب التعليم شيء من الركود إبان الأزمة الاقتصادية عام ١٩٣٠ ، وفي عام ١٩٣٦ تعاون التجــار مرة أخرى مع الحكومة في تنظيم التعليم ورفعه وتحسينه ، واستقدمت بعثة تعليمية من فلسطين ثم توالت استعارة المدرسين من البــلاد العربية الشقيقة ، وكان ذلك التاريخ هو بداية المرحلة النظامية في التدريس ، كما أخـذ التعليم يتسع مداه ، وأخذت الحكومة في إيفاد أبناء البـــلاد الى الخارج لمواصلة تعليمهم ، وكان لتدفق انتاج النفط أثر كبير في التعليم ، فقد وفرت الدولة الخدمات التعليمية للجميع وبذلت بسخاء في هذا المجال ، وبهذا خطا التعليم خطوات واسعة في المجال النوعي وفي المجال العددي .

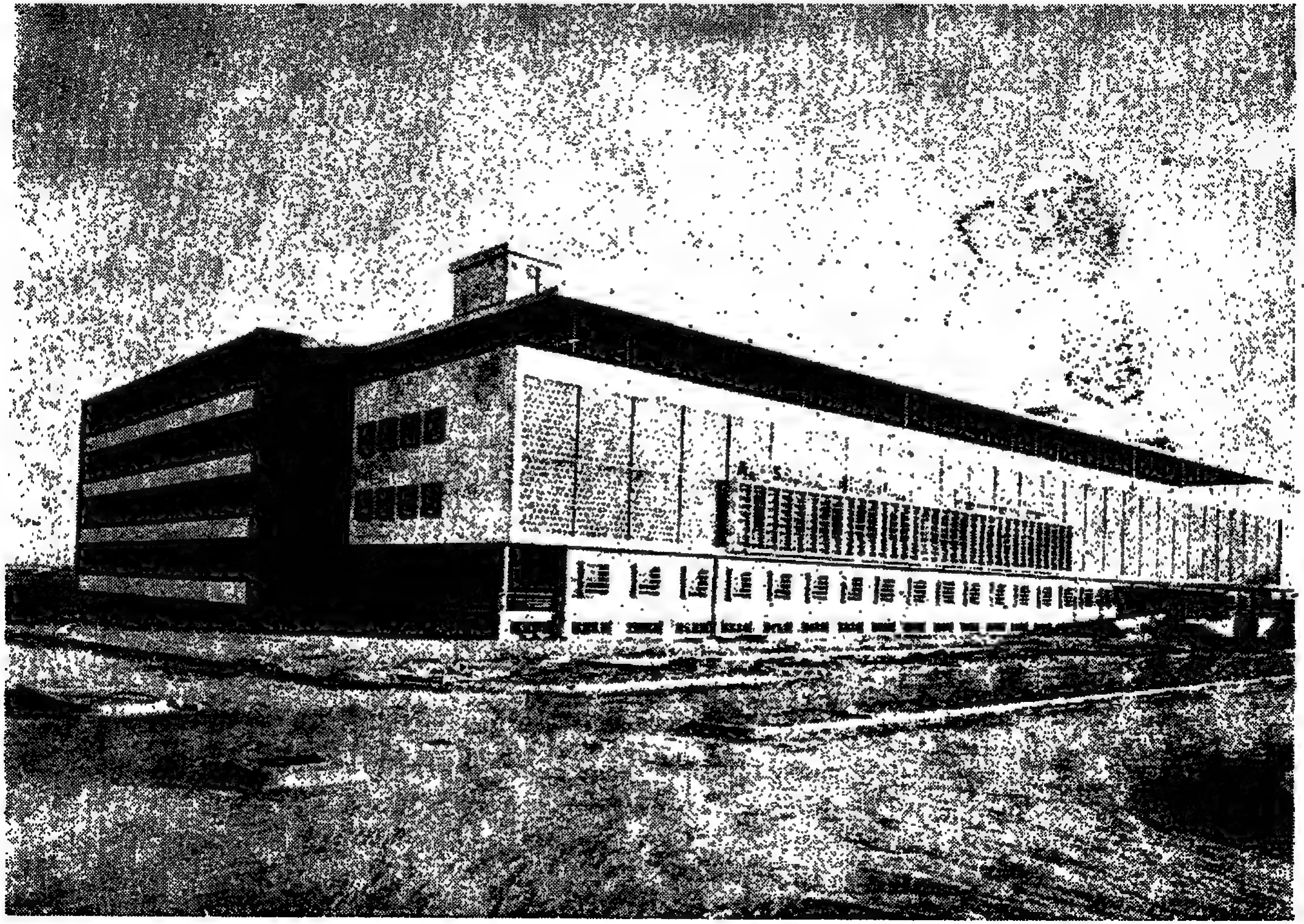

مستشفى الصباح

ويقسم التعليم العام في الكويت الى ثلاث مراحل ، تسبقها مرحلة الرياض ومدتها سنتان ، ومدة كل مرحلة من المراحل الثلاث أربع سنوات ، وهـذه المراحل هي الابتدائية والمتوسطة والثانوية . وهناك امتحان عام في نهاية كل من المرحلتين – المتوسطة والثانوية . وقد جاء هذا التقسيم نتيجـة لدراسة وتوصيات خبيرين استقدمتهما إدارة المعارف (في عام ١٩٥٥) وهما المرحوم اسماعيل القباني ، والدكتور متى عقراوي ، وشرع في تطبيقه في العام الدراسي عام ٥٦ / ١٩٥٧ .

وكانت إدارة المعارف – أو وزارة التربية كما أصبحت تعرف فيما بعد – تعمل على ارسال البعثات للدراسات العليا في خارج البلاد . وفي عام ١٩٦٠ استقدمت بعثة لدراسة موضوع انشاء جامعة الكويت ، وقـد تم انشاء الجامعة وافتتحت في عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ مبتدئة بكلية للآداب والعـلوم والتربية للبنين ومثلها للبنات ، وفي هذا العام تم افتتاح كلية للحقوق والشريعة للبنين ومثلهـا للبنات وكلية للتجارة والاقتصاد والعـلوم السياسية للبنين ومثلها للبنات .

وبالرغم من ان التعليم كان إلزامياً في الواقع ومن الناحية التطبيقية ، إلا أنه أصبح إلزامياً من الناحية الرسمية أيضاً في عام ١٩٦٥ عندما صدر قانون التعليم الالزامي الذي يلزم الآباء على تعليم الأبناء حتى نهاية المرحلة المتوسطة .

كما صدر قانون ينظم التعليم الخاص (الأهلي والأجنبي) في عام ١٩٦٧ ، ودستور خاص بمهنة التدريس . وضم معهد تدريب الفتيات لوزارة التربيـة وأدخل على مناهجه وبرامجه تعديل وتطوير وأصبح يعرف بالمدرسة الثانوية الفنية للبنات .

كما أنشىء « مجلس للتربية » برئاسة وزير التربية يجتمع بصفة دورية كل ثلاثة شهور لبحث قضايا التعليم وأساليب التربية ومخططاتها . وشكلت لجنة

عليا للتوجيه والتخطيط التربوي برئاسة وزير التربية ومهمتها مناقشة المسائل التربوية والفنية وإعداد البحوث التربوية . كما أنشأت الوزارة جهازاً للتخطيط يضم أقساماً للمتابعـــة والاحصاء والوثائق التربوية والبحوث مهمته وضع المخططات التربوية الكمية والنوعية وإعداد القوى البشرية اللازمة لمواجهـــة خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومتابعة التطورات التربوية الحديثة وتقويم البرامج التنفيذية والعمل على تطويرها بصفة مستمرة .

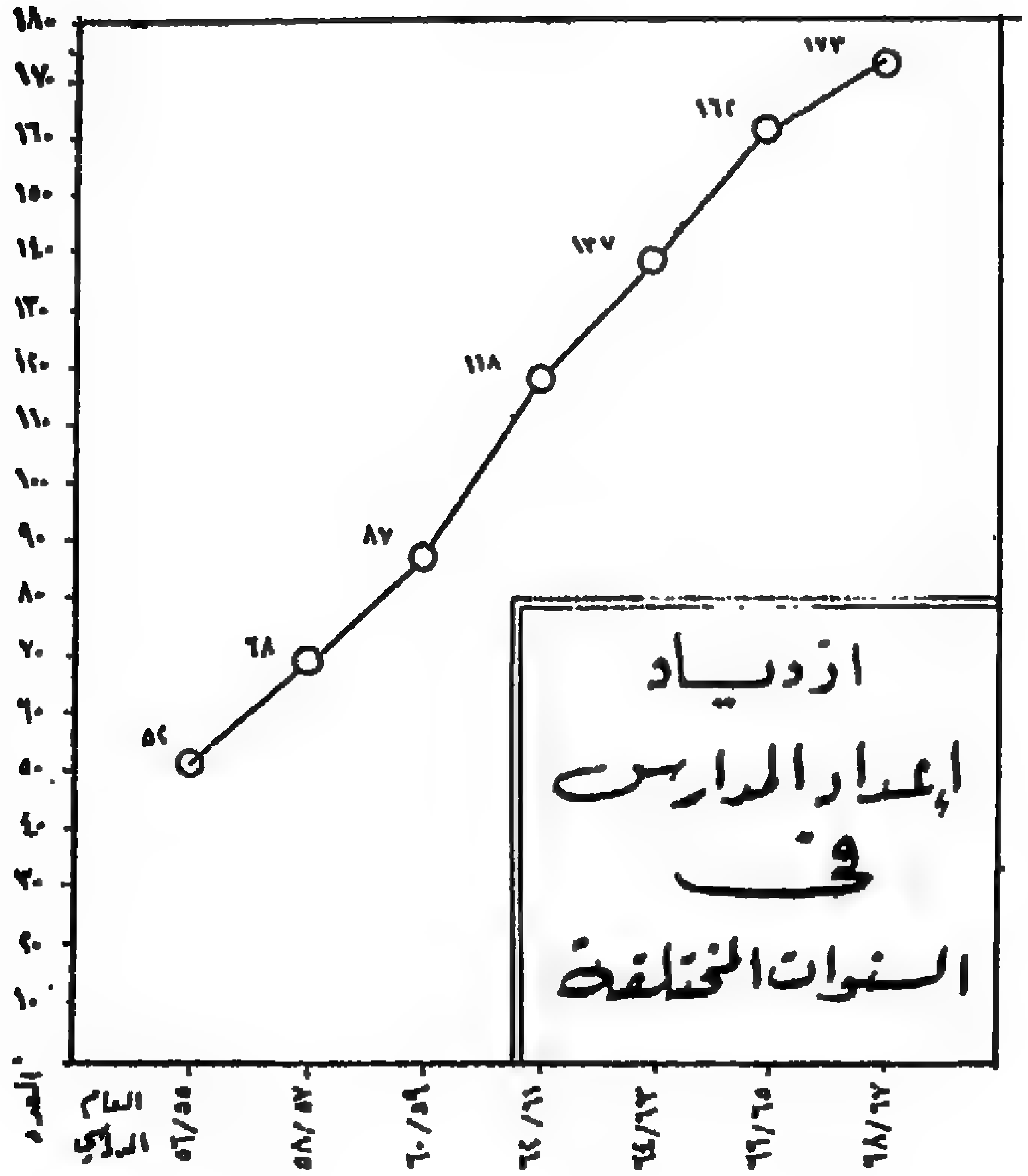

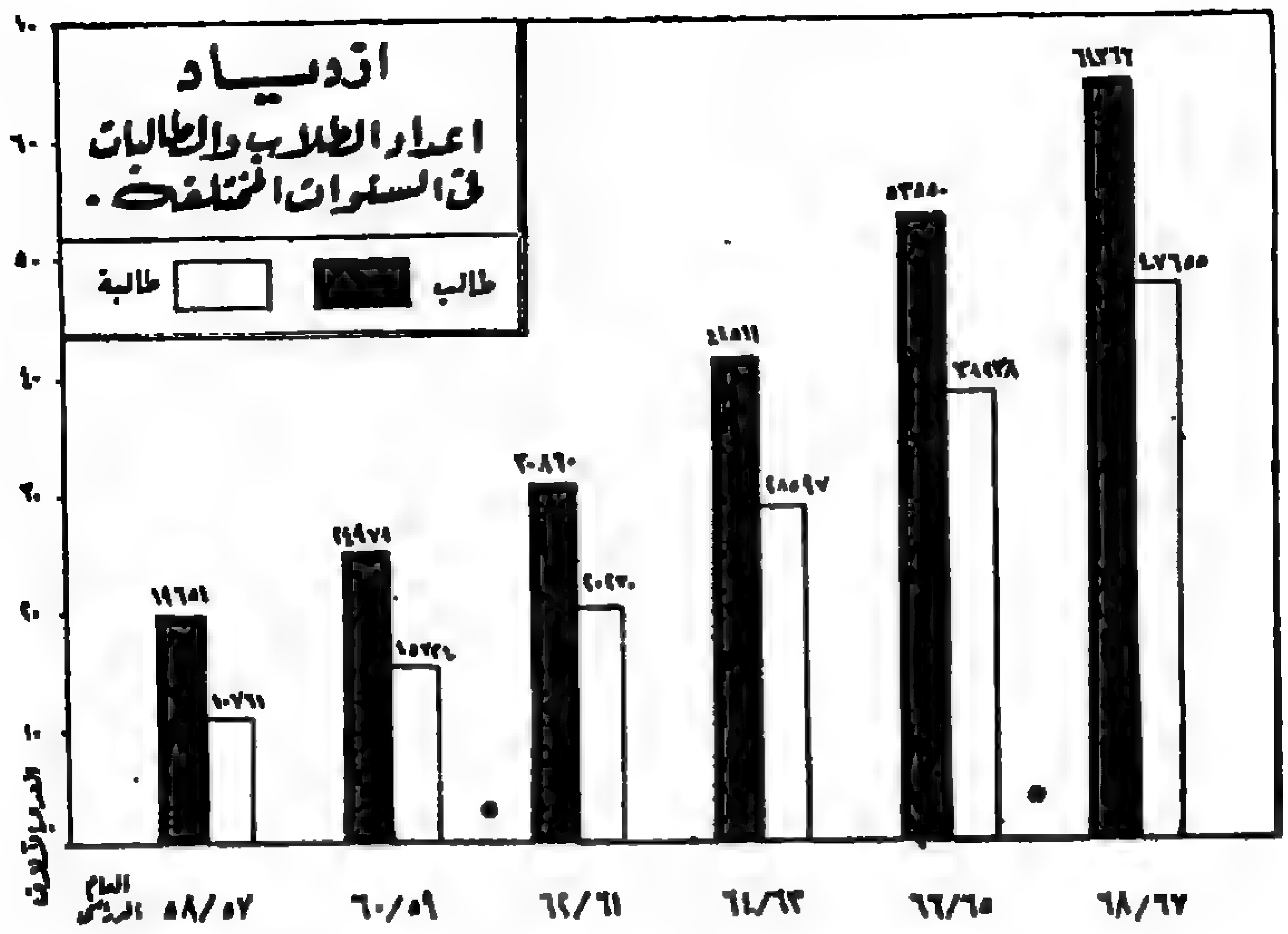
ازديـاد
أعداد الطلاب والطالبات
فى السنوات المختلفة .
طالب
طالبة
٣٠٨٦٠
٥٨/٥٧
٦٠/٥٩
٦٢/٦١
٦٤/٦٣
٦٦/٦٥
٦٨/٦٧

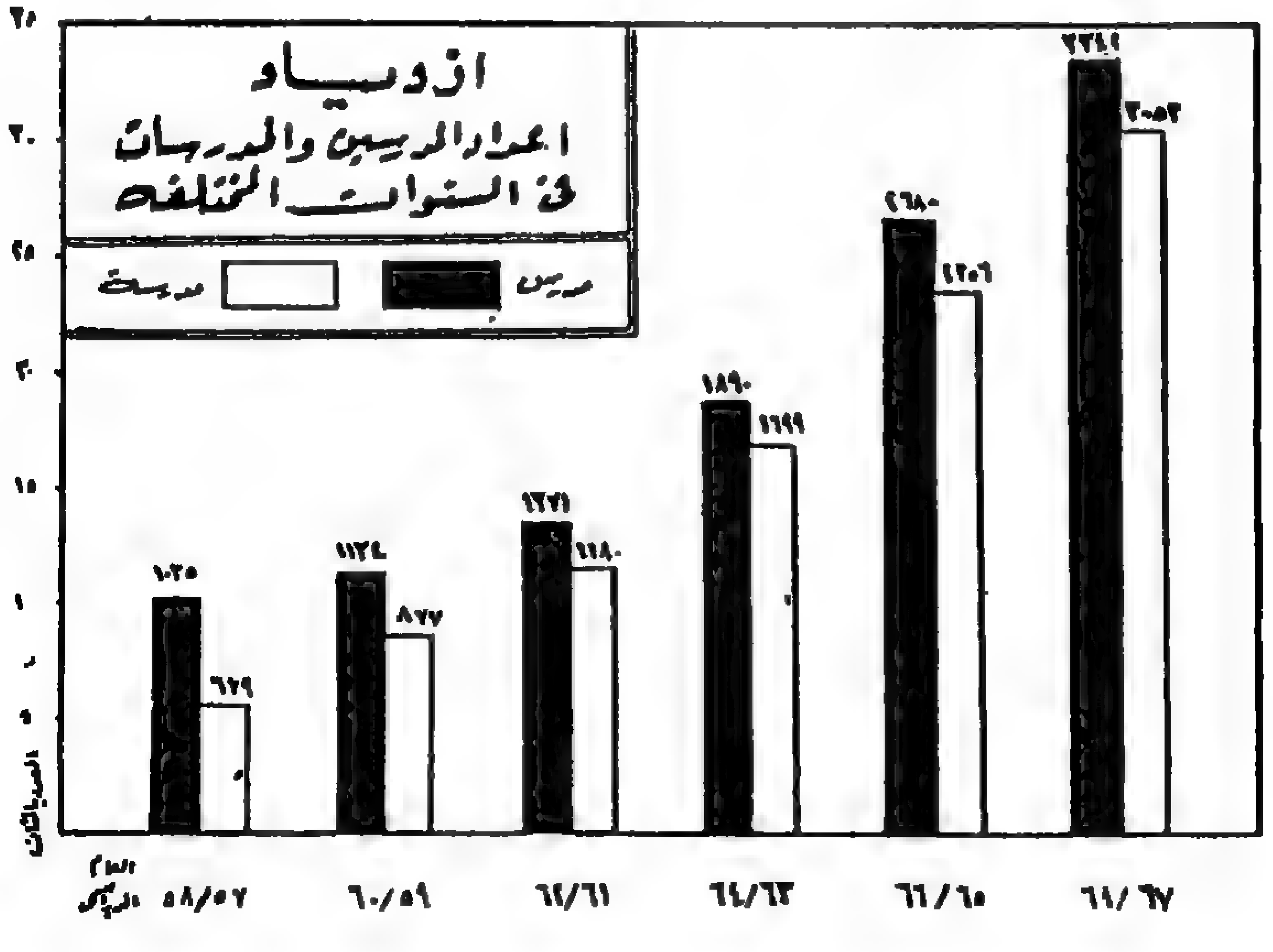
ازديـاد
أعداد المدرسين والمدرسات
فى السنوات المختلفة
مدرس
مدرسة
١٠٣٥
٦٢٩
١١٢٤
٨٧٧
١٨٩٠
٥٨/٥٧
٦٠/٥٩
٦٢/٦١
٦٤/٦٣
٦٦/٦٥
٦٨/٦٧

جهود حكام آل الصباح في سبيل نهضة الكويت وحمايتها :

اختيار صباح الاول للحكم سنة ١٧٥٦

لما ضعف بنو خالد بعد موت ابن عريعر قوي نفوذ آل الصباح بين الناس ولما كانت الكويت في بادىء أمرها قرية صغيرة عاش السكان كأفراد أسرة واحدة ولم يكن هناك حاجة لمن يتولى أمر الناس بها ويرعاهم ولكن بسبب هجرة البدو وهجرة أهل البصرة ونجد كثرت الخلافات وظهرت المشكلات بين السكان لتعدد الأجناس فأتفق أهل الرأي على اختيار حاكم لهم ووقع اختيارهم على صباح الاول الذي وضع مبادىء الشورى في الحكم وفق النظام الاسلامي حيث كان يستشير أهل الرأي في كل أمور الحكم وفيما يواجهه من صعوبات ويحمي البلاد من أي عدوان – وقد عمل على تأمين مركزه في بلاده بأن سافر إلى البصرة وأظهر للوالي العثماني أن أهل الكويت لا يريدون شراً ولا ضراً بأحد حتى لا يسيء العثمانيون اليهم وبذلك عاش السكان في طمأنينة وسلام في عهده .

وفي عهد ابنه عبدالله الذي يعد المؤسس الحقيقي للامارة حاول الوهابيون نشر دعوتهم في الكويت بل وأرادوا الاستيلاء عليها وفتحها عنوة - ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك بفضل حكمة الشيخ عبدالله واستبسال الكويتيين وصمودهم في سبيل حماية وطنهم – وفي عهده نشطت تجارة الكويت مع العراق والهند واليمن وحاولت انجلترا وضع الكويت تحت حمايتها ولكنها لم تنجح واتبع الشيخ مع الانجليز سياسة ودية بعد ان زاد نفوذها في منطقة الخليج وتحولت السفن الانجليزية الى الكويت بدلاً من البصرة ونقل المقيم البريطاني في البصرة مقره الى إحدى جزر الكويت سنة ١٧٩٣ لخلافات بين انجلترا والدولة

العثمانية وحرصاً من الشيخ على استقلال بلاده منع الانجليز من رفع علمهم على الجزيرة وكذلك رد بني كعب بن عامر الذين طمعوا في البلاد وهزمهم في موقعة الرقة حيث انتصر الكويتيون وأخذوا بعض سفن بني كعب بما عليها من ذخيرة .

ولقد حافظ آل الصباح على استقلال بلادهم في الوقت الذي سيطرت فيه انجلترا على أغلب منطقة الخليج في القرن التاسع عشر وبدأت تظهر أطماع المانيا وروسيا لمنافسة انجلترا في الخليج واعتمدوا في سياستهم الداخلية على تدعيم الثقة بينهم وبين رعاياهم عن طريق العدل والشورى وفي السياسة الخارجية اتباع سياسة ودية مع الدولة العثمانية والحكومة الانجليزية ويظهر ذلك في مساعدة الكويتيين في عهد جابر بن عبدالله للعثمانيين ضد بني كعب ابن عامر أثناء حصارهم للبصرة فأرسلت لهم قوات كبيرة حملتها السفن الى البصرة فارتد عنها بنو كعب ومنحته الدولة العثمانية أوسمة عديدة اعترافاً بخدماته .

وكذلك في عهد عبدالله الثاني الذي وقف في وجه الاطماع الانجليزية وصد غارات الوهابيين عن البلاد .

ولقد كان آل الصباح يعملون دائماً على النهوض بالبلاد تجارياً وعمرانياً كما يظهر ذلك في عهد مبارك بن صباح الذي زادت ثروة البلاد في عهده واتسعت مساحتها وكثرت منازلها وتقدمت تجارتها ونشطت حرفة صيد اللؤلؤ التي بلغت أوجها سنة ١٩١٢ حيث درت على البلاد أرباحاً كبيرة وكانت عاملاً من عوامل تنشيط حركة بناء السفن وزاد اتصال الكويت بالعالم الخارجي — وفي عهده فتحت أول مدرسة وهي مدرسة المباركية .

وفي عهده ساءت العلاقات بينه وبين تركيا لأنها كانت تخشى نفوذ انجلترا الى الكويت بعد أن زاد نفوذها في منطقة الخليج فأخـــذت تتحرش به وتؤلب عليه ابن الرشيد وتساعده بالمال والسلاح حتى يستولي على امـــارة الكويت ولكنه أخفق في جميع محاولاته – ثم أرسلت اليه الحكومة التركية وفداً يفاوضه في تعيينه عضواً في مجلس شورى الدولة بالآستانة او يغـــادر الكويت الى بلد آخر وتتعهد الحكومة التركية بدفع معاش سنوي له وهددته باستعمال القوة . ولكنه فوت الفرصة على الاتراك بعقد معاهدة سنة ١٨٩٩ مع انجلترا تعهدت فيها بمساعدته والا تتدخـــل انجلترا في شؤون الكويت الداخلية ولقد كانت الظروف السياسية في القرن التاسع عشر هي الدافع الى عقد هذه المعاهدة حينما ازدادت اطماع الدولة العثمانية في الكويت كما ان روسيا كانت تطمع في السيطرة على منطقة الخليج واشيع انها قد نالت امتياز مد سكة حديدية تربط ساحل بلاد الشام بالخليج عن طريق الكويت كما ان المانيا سعت لدى الدولة العثمانية حتى حصلت على امتياز مد سكة حديدية تربط بين آسيا الصغرى واوروبا وتمتد الى حلب فالموصل فبغداد وتنتهي في كاظمة الكويت وكانت تأمل أن تنافس انجلترا في المحيط الهندي . كل هذه الظروف دفعت مباركاً الى أن يعقد اتفاق ٢٣ يناير سنة ١٨٩٩ بينه وبين الحكومة البريطانية ووقعه نيابة عنها ممثلها في الخليج مستر مالكولم جون Malcolm John Meade وكان الاتفاق سرياً ثم أعلن فيما بعـد وكانت أهم نصوصه ما يلي :

١ – ألا يستقبل وكيلا أو ممثلاً لأي حكومة أو دولة أجنبية في الكويت ولا في أي مكان آخر داخل حدود أراضيه بدون اذن سابق من الحكومة البريطانية .

٢ – ألا يتنازل ولا يبيع ولا يؤجر أي جزء من أراضيه الى حكومة أو رعايا أي دولة بدون موافقة الحكومة البريطانية .

٣ – تتعهد بريطانيا مقابل ذلك بتقديم المساعدات المالية والعسكرية للكويت وتأييدها في مقاومة المحاولات التركية لاحتلال أراضيها وبذل مساعيها الحميدة لتسوية ما ينجم في الكويت من خلافات داخلية .

ويلاحظ ان الكويت لم تتنازل عن حقوق التصرف في أراضيها واستقبال المبعوثين وانما قيدت هذا الحق بموافقة الحكومة الانجليزية سابقاً كما انها لم ترد أي قيود على سيادة الكويت الداخلية، كما ان الاتفاق لم يحرمها حق الاتصال بالدول الاخرى عن طريق آخر غير طريق المبعوثين الدبلوماسيين وكان الاتفاق مؤقتاً يمكن للكويت وقفه في أي وقت تشاء ولقد كانت الظروف السياسية المحيطة بالكويت هي الدافع الاول لعقده .

ولقد عمل الشيخ مبارك على تحسين علاقته مع السلطان العثماني فتبرع بسخاء للمنكوبين في حريق الآستانة سنة ١٩١١ وأعان الحكومة التركية في حرب طرابلس .

وفي سنة ١٩١٣ عقدت تركيا مع انجلترا معاهدة تضمنت اعتراف تركيا بالاتفاقات الكويتية البريطانية ولقد وقفت الكويت الى جانب انجلترا في الحرب العالمية الاولى .

ولقد عمل الشيخ على تنفيذ اتفاقيته مع الانجليز وصيانة بلاده من الاطماع الخارجية حيث رفض العرض الالماني حينما جاءت بعثة المانية وفاوضته على تحديد موقع نهاية الخط الحديدي الالماني عند رأس كاظمة ولقد تمكن بدهائه

من التغلب على المصاعب الخارجية التي واجهته بسبب نزاعه مع آل الرشيد وآل سعدون . ولقد صان آل الصباح بلادهم ضد الطامعين فيها حيث أغارت بعض القبائل القاطنة على أطراف الكويت بايعاز من السعوديين وكان ذلك في عهد الشيخ سالم بن مبارك الذي أرسل قائده دعيج بن سلمان مع قوة حربية لحماية أهالي الحدود من الغارات ولكن الامدادات السعودية جعلت القائد الكويتي يتراجع ليتحصن عند الجهرة وفي موقعة الجهرة دافع الكويتيون عن بلادهم دفاعاً مجيداً اضطر الوهابيون بعده الى الانسحاب الى الصبيحية — ولما هددت انجلترا ابن سعود بمحاربته دفاعـــاً عن الكويت واستعدت لذلك وأرسلت بارجتين حربيتين وطائرتين من العراق تراجع السعوديون — وبعدها تفاوض السعوديون مع الكويت وعاد الصفاء بين شيخ الكويت وأمير نجد في عهد الشيخ أحمد الجابر .

الكويت في عصر البترول

كان الشيخ أحمد الجابر محبـاً للعلم وبدأ يعمل على اتصال الكويت بالعالم العربي والخارجي فزار مصر وانجلترا وبدأ في عهده عصر النهضة التي تعيشها الكويت اليوم وبدأ عصر البترول حيث بدأت حركة التنقيب عنـه فأعطى امتيازاً بالبحث للشركة الامريكية الانجليزية كما اتفق مع شركة امريكية على استخراج البترول من المنطقة المحايدة وفي أواخر ايامه صدرت أول شحنة من البترول سنة ١٩٤٦ م وبدأ الرخاء يحل بالكويت .

ولقد عني بتشجيع الحركة العلمية والادبية والفكرية عناية كبيرة فزاد في عهده عدد المدارس وأشهرها الأحمدية وكذلك ظهر في ايامه النـادي الأدبي والمكتبة الأهلية وبدأت البعثـــات العلمية الى خارج الكويت فأرسلت الى العراق بعثة علمية وانشىء بيت الكويت في القاهرة .

وكان يؤمن بالنظام الديمقراطي ونظام الشورى فاشرك بعض الأهالي في الحكم وأسس مجلساً ينظر في شؤون البلاد ومصالحها وتعهد بألا يقر أمراً إلا بعد تصديق أعضائه عليه وذلك ليكونوا عوناً له في ادارة شؤون البلاد – كما أنشأ الدوائر الحكومية كدائرة المعارف والشرطة والأمن العـــام والبلدية والاشغال والصحة وانشىء في عهـــده المستشفى الأميري واستقدم الاطباء المتخصصين من الخارج– وشجع وسائل الاتصال بالخارج فانشئت الطرق البرية بين الكويت والبصرة .

ولقد ساءت العلاقات بينه وبين عبد العزيز بن سعود بسبب طلبه تعيين موظف سعودي فيسوق الكويت ليجمع رسوماً من التجار فرفض الشيخ احمد الجابر – كما فرض ابن سعود رسوماً على كل سفينة كويتية ترسو على شاطىء الاحساء؛ فامتنعت السفن عن الرسو بموانيها مما أضر بأهل تلك الجهات مادياً وأدى ذلـــك الى كساد التجارة فاضطر ابن سعود إلى الغاء الرسوم والتهج سياسة المهادنة والود مـــع الكويت التي أعانته اثناء حصاره لمدينة حائل وساعد ذلك علىالاتفاق بين البلدين على تحديد الحدود بصفة نهائية سنة ١٩٢٢ وتغلبت الروح العربية على الاطماع الشخصية واستمرت العلاقات طيبة بين البلدين وقد توفي احمد الجابر سنة ١٩٥٠ بعد أن رسم الخط الصحيح السليم الذي تسير عليه الكويت من بعده .

وفي عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح نهضت الكويت نهضة عمرانية شاملة في جميع نواحي الحيـــاة وارتبطت هذه النهضة بالرخاء الاقتصادي وزيادة الدخل من انتاج البترول حيث زاد انتاجه زيادة مستمرة بلغت فيسنة ١٩٦١ حوالي ٨٤ مليون طن وفي عام ١٩٦٥ حوالي ١١٥ مليون طن مما ساعد على القيام بالكثير من المشروعات العمرانية وأدى الى زيادة رؤوس الأموال ولقد ساعد علىالنهضة شخصية الأمير وحبه للخير ومشاركته في الحياة العامة حيث تولى قبل الامارة رئاسة المجلس التشريعي سنة ١٩٣٨ ثم رئاسة مجلس الشورى

كما ترأس الكثير من الجمعيـــات الأدبية والعلمية كما تولى الاشراف على مالية الكويت كل هذا أدى إلى اتصاله برعيته ومشاركته في المجتمع مشاركة فعالة وكان يحب الخير ويؤمن بالأمة العربية ولذلك قـــاد حركة النهضة الحديثة ووجهها الوجهة السليمة .

وفي عهده نهضت الكويت نهضة شاملة وأخذت دورها في المجالين العربي والدولي ومن مظاهر النهضة الشاملة الحركة العلمية حيث بذلت الجهود لنشر التعليم فزاد عدد المدارس في جميع المراحل التعليمية زيادة كبيرة إذ كان عدد المدارس في سنة ١٩٥٠ : ٢٣ مدرسة أصبح في عام ١٩٦٥ حوالي ١٨٣ مدرسة وبلغ عدد التلاميذ حوالي ٨٠ ألف طالب وطالبة كما انشئت المدارس الحديثة المزودة بأحدث المعامل والأدوات ، والمبنية على أحدث النظم والتعليم بالمجان ويقدم للتلاميذ وجبـــات الغذاء الصحية ويقدم اليهم الكساء ليكون الزي موحداً كمظهر من مظاهر المساواة كما انشئت معاهد المعلمين والمعاهد الخاصة لرعاية ذوي العاهات والشواذ .

ومن مظاهر النهضة الصحية تأمين العلاج لجميع المواطنين مجاناً واستقدمت الدولة خيرة الاطبـــاء للعمل في المستشفيات التي انشأت، وزودت بأحدث الاجهزة كما انشئت المستوصفات في جميع الاحياء والمراكز الصحية لرعاية الحوامل والأطفال . كما انشأت مستشفى الصباح النموذجي . ويصرف الدواء بالمجان في جميع المستوصفات مما ادى الى ارتفاع المستوى الصحي .

ومن مظاهر النهضة الاجتماعية توفير مياه الشرب النقية حيث انشئت سنة ١٩٥٤ اكبر محطة لتقطير مياه البحر في الشويخ. وأقيمت محطة كبيرة لتوليد الكهرباء بالشويخ تمد المنازل والمصانع بأسعار زهيدة للغاية .

كما بنيت المساكن لذوي الدخل المحدود وتبرع الشيخ عبدالله السالم بمبلغ مليون دينـــار للمساهمة في زيادة عدد المساكن كما نظمت المساعدات المالية

للأرامل واليتامى والعجزة .

كما عملت على تنشيط التجارة بين الكويت والخـــارج براً وبحراً وجواً ونظمت حركة التجارة الداخلية وشجعت على تصنيع البلاد وتحولت منطقة الشعيبة الى منطقة صناعية تعتمد على صناعة تكرير البترول والاستفادة من مشتقاته المتنوعة في قيام صناعة الاسمدة والبتروكيماويات كما نشطت صناعة طحن الغلال آلياً لتوفير الخبز للسكان .

استقلال الكويت

رأى الشيخ عبدالله السالم ان الظروف التي عقدت فيها اتفاقية ١٨٩٩ قد تغيرت لهذا سارع بالدخول في مكاتبات مع الحكومة الانجليزية انتهت بالغاء المعاهـــدة في ١٩ يونيو سنة ١٩٦١ واستكمل الكويت استقلاله – ودخلت الكويت الجامعة العربية في ١٦ يوليو سنة ١٩٦١ وأصبحت عضواً عاملاً في أسرة الشعوب العربية وساهمت في جميع مؤتمرات الجامعة ومؤتمرات القمة ومن أقوال الشيخ عبدالله السالم المأثورة « ان الكويت دولة عربية تتضامن مع شقيقاتها الدول العربية في كل ما يعود بالخير على الأمة العربية وتسعى جاهدة الى تدعيم جامعة الدول العربية » .

ولقد اسهمت الكويت في معاونة شقيقاتها العربية معاونة مادية في شكل قروض قدمتها الى كل من الاردن والعراق وسوريا والجزائر والسودان والجمهورية العربية المتحدة . كمـــا ساهمت الكويت على حل المشكلات والمنازعات بين الدول العربية .

كما عمل على تقدم بلاد الخليج العربي فرصدت الأموال لنشر التعليم والعناية بالصحة في امارات الخليج العربي وقامت الكويت بانشاء المدارس في الكثير من الامارات وتمد تلاميذها بالكتب والأدوات وتعين لها المدرسين كما تعنى

بالرعاية الصحية فيها وفاء من الكويت لجيرانها .

الحكم الدستوري في الكويت

آمن آل الصباح منذ أول عهدهم بنظام الشورى اتباعـــاً لتعاليم الاسلام ولقد آمن الشيخ عبدالله السالم بقيمة الحكم النيابي ومزايا النظام الديموقراطي الذي يقوم على حق الشعب في حكم نفسه فاتخذ الخطوات التالية لقيـــام الحياة الدستورية .

١ – تأليف أول وزارة في الكويت بعد إلغاء معاهدة سنة ١٨٩٩برئاسة الأمير صباح سنة ١٩٦١ حيث ألغيت المديريات وحلت محلها الوزارات .

٢ – أجريت في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦١ انتخابات عامـــة لاختيار ٢٠ عضواً لتكوين المجلس التأسيسي ليقوم بمهمة وضع دستور للبلاد وتمت الانتخابات ودعي المجلس للانعقاد بحضور الامير في مبنى وزارة البلدية في احتفال كبير في ٢٠ يناير سنة ١٩٦٢ .

٣ – إصدار الدستور الكويتي : صدر بعد تصديق الامير عليـه في ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٢ ويتكون من خمسة ابواب في ١٨٣ مادة وهي تحدد شكل الدولة ونظام الحكم بهـــا وتبين اختصاصات السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والقضائية وعلى رأسها الامير وأهم مواده تنص على أن الكويت دولة عربية مستقلة وشعبها جزء من الأمة العربية ودين الدولة الاسلام وتعتبر الشريعة الاسلامية أساس القوانين – واللغـــة الرسمية هي اللغة العربية – والكويت إمارة وراثية في أبناء مبارك الصباح والأمة مصدر السلطات جميعا ولها السيادة الكاملة .

وفي القسم الثاني من الدستور مبادىء اجتماعية وفي الثالث حقوق الأفراد والحريات العامة – ويقرر الدستور فصل السلطات مع تعاونها .

ويعتبر دستور الكويت وثيقة دستورية هامة ويحقق للبلاد الحياة الديموقراطية الحقة . ولقد أجريت الانتخابات في يناير سنة١٩٦٣وعقد مجلس الأمة أول جلساته في ٢٩ يناير سنة ١٩٦٣ ودلت المناقشات بين أعضائه على أن هناك وعياً نيابياً في طريقه للنمو والقوة . ولقد أمده الشيخ عبدالله بروحه وعزيمته وإرادته حتى شب وقوي - ولقد كانت فترة حكم الشيخ عبدالله السالم من أزهى أيام الكويت وشعبها ويعتبر بحق واضع أسس النهضة الحديثة .

ولقد تبادلت الكويت التمثيل الديبلومامي مع معظم دول العالم وخاصة مع الدول العربية والدول الكبرى وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة في ١٤ مايو سنة ١٩٦٣ ومنذ ذلك الحين وهي تشارك بنصيب موفور في حل المشكلات الدولية واشتركت في الكثير من المنظمات الدولية التابعة للهيئة كمنظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة ومنظمة اليونسكو والبنك الدولي- ومنظمة العمل الدولية كما أنها ساهمت من أموالها بنصف مليون دولار تبرعاً منها لسد العجز في ميزانية هيئة الأمم المتحدة .

وبعد وفاة الشيخ عبدالله السالم تولى الحكم في البلاد أخوه سمو الأمير الحالي الشيخ صباح السالم الصباح الذي سار على نهج سلفه وبدأ حكمه بداية موفقة تبشر بالخير الكثير واهتم بتشجيع تصنيع البلاد ووضع حجر الأساس لكثير من الصناعات الوطنية في منطقة الشعيبة وتسير النهضة في أيامه بخطى سريعة في كافة الميادين العلمية حيث انشىء في عهده الكثير من المدارس وفي كل عام مع زيادة العمران تنشأ المدارس على اختلاف مراحلها في الأحياء الجديدة وكذلك افتتحت في عهده جامعة الكويت - وتهتم الحكومة في عهده بانشاء المستشفيات ورعاية المواطنين في كافة النواحي الاجتماعية فأنشىء الكثير من المساكن لذوي الدخل المحدود - ويعمل سمو الأمير على تقوية الروابط الأخوية بين الكويت والبلاد العربية وتشترك الكويت في كل

المؤتمرات العالمية ويعقد فيهـــا الكثير من هذه المؤتمرات ولقد وقفت الكويت إلى جانب شقيقاتها الدول العربية بعد العدوان الإسرائيلي في يونيو سنة ١٩٦٧ بفضل توجيه سمو الأمير وقفـــة تدل على حبه للعروبة وإيمانه بها وشاركت الكويت بجيشها وضحت بدماء أبنائهـــا في المعركة ، كما اشترك سموه في مؤتمر القمة في الخرطوم وكان لحضوره أثر كبير في تصفية الجو العربي،وساند الدول العربية التي تضررت بالعدوان ووافق على مساعدتها اقتصاديا حتى تزول آثار العدوان وتقوم الكويت بدورها في المجال السياسي والعالمي لنصرة قضية فلسطين وتعمل جاهدةعلى مناهضة الصهيونية والاستعمار ليعود الحق العربي السليب الى أهله .

الجزء الثاني

أقطاب النهضة في الكويت

إني أرى الواجب يقضي علي هنا بأن أعرف القراء الكرام بكلمات وجيزة عن أقطـــاب تلك الحركة في وطننا العزيز اليوم اعترافاً بفضلهم واقراراً بسعيهم المشكور ، وليشكروا على مـا عملوا فيزدادوا ويقتدي بهم غيرهم من إخوانهم .

إذن فـــلا اعد خارجاً عن الخطة التي رسمتها لهذا القسم من التاريخ بما سأذكره عنهم في هذا الفصل .

بيت آل خالد الكرام

لهذا البيت من العز والشرف في الكويت ما جعله القطب الذي تدور حوله الامور المهمة هناك ولشيبه وشبانه ميزة على مواطنيهم بالذكاء والفطنة وبمناصرة كل مشروع خيري وعلمي وأدبي وبالثبات الذي هو سر النجاح في الاعمال ومن الغبطة في هذا البيت الكريم ان رجاله كما قال الشاعر :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها الساري

وفي هذا البيت وأبنائه الفضلاء قلت من قصيدة :

هات اليراع لاقضي حقـــا وجبا لمن انبروا للمكرمـــات وشمروا

اما يراعي فهو اعرج منحني ما زال يكبو في السباق ويعثر
هات اليراع لتمتطيه اناملي في مدح قوم في العلا ما قصروا
السابقين الى المفاخر فوقهم سبقا لعمري شمسه لا تستر
فليهنكم آل خالد سبقكم والسبق في الخيرات فخر يذكر

اما الكلام على رجاله فهاك نبذة صغيرة عنهم .

حمد آل خالد

هو زعيم هذا البيت الكريم وهو من اكبر وجهاء البلد واذكيائهم ومن أرقهم شعوراً وأحسنهم محادثة له اطلاع واسع على تاريخ الكويت القديم .

المرحوم الحاج حمد الخالد

حتى ليعد اليوم من مصادره المهمة التي يرجع اليها وفي هذا المفضال قلت من قصيدة .

يا حمد نجل الطيبين ومن هو في الليلة الظلماء بدر مسفر
انت العمود لأسرة ما همها الا اقتفاء طريق من يتبصر
أنت الزعيم لهم وأنت إمامهم في كل معضلة تجل وتكبر

وله فوق ذلك فضل على المدارس والمساجد وفضل على الفقراء والمساكين ولا يوجد مشروع خيري الا وتجده في مقدمة أهله وله شغف بالإحسان وميل شديد الى المواساة . صافي السريرة ، عالي الأخلاق ، صاحب نظرات صائبة وآراء صادقة .

أحمد الفهد آل خالد الخضير[1]

فلأحمد نجل الشقيق مآثر حصباؤها يوم التفاخر تنثر
وكذاك اخوان له لا تنسهم فالكل منهم طيب ومطهر
فهمو شباب قد حووا غرر العلا سيان منهم أصغر أو أكبر

هذا الفاضل هو أحد أقطاب هذا البيت الميمون وأحد رجاله العاملين واحد أحرار الكويت الفضلاء .

امتاز على كثير من أقرانه بدماثة اخلاقه وبتواضعه الذي غرس محبته في القلوب وبتفانيه في حب وطنه وبذله لذلك ما في استطاعته من مال وجاه ، وأذكر أن المحبذين للمشاريع الخيرية في الكويت كان هو في طليعتهم .

تولى نظارة الجمعية الخيرية بعد وفاة أخيه المرحوم الشاب التقي فرحان

---

(١) من القصيدة التي قدمتها لزعيم ذلك البيت الحاج حمد آل خالد .

كما علمت سابقاً وانتخب عضواً في المجلس الذي تأسس إبان تولي سمو الامير الشيخ احمد الجابر الصباح وكان احد القائمين بتشييد المدرسة الأحمدية وأحد الآخذين بضبط المكتبة الأهلية وأكبر عضو عامل فيها وله يد بيضاء على هذا التاريخ تعادل يد من مده بالمساعدتين المادية والأدبية معاً فمع كونه بذل من ماله القسط الاوفر من قيمة طبعه كان هو أول منشط لي على السير في سبيل جمعه وتأليفه حتى كان لكلمات تنشيطه أعظم وقع في نفسي وكانت اكبر دافع لي على السير في ذلك المنهج الوعر .

فاليك اذاً ايها الكريم المفضال شكري الجزيل لأعمالك الجليلة وفضلك الظاهر واليك اعجابي بحميتك على وطنك العزيز وابنائه وغيرتك التي جعلتك مثالاً حسناً بين مواطنيك والتي لك الحق من جرائها ان ترفع على الاكف والرؤوس وتسكن منا في سويداء الأفئدة والقلوب .

علي آل خالد

هذا الفاضل هو شقيق المكرم احمد ويكفي ان نقول فيه بانه شارك أخاه المحترم في جل اعماله وفي كثير من اخلاقه وآدابه .

مهلهل بن حمد آل خالد

هو اكبر انجال المكرم حمد له عقل رزين وحلم واناة وسخاء وكرم سيا في مناصرة العلم والادب وهو أحد اعضاء المكتبة الاهلية وأحد المحسنين على المدرسة الاحمدية بماله وفيه قال شاعر الكويت عندمـــا استضافه في البصرة فأولاه إحسانه واكرامه :

تهلـــل من مهلهل المحيـــا ورحب اذا نزلت عليـه ضيفا

مهلهل بن حمد آل خالد

واعلا منزلي كرمـــا وفضلا وسارع للحفاوة بي وحفـــا
وأوسعني كما اهــواه برا واوسعني كما اهواه عطفـــا
واكسبني رعـــايته امتنـــانا واكسبني العناية منه لطفـــا
فكيف عليه لا يثني جميـــلا لساني جـــازيا نعماه كيفـــا
حكى حمدا أباه في عـــلاه وشابهـــه لعمر الله عرفـــا
فهذا كان للعليـــاء زندا وهذا كان للعليـــاء كفـــا
ولا برحت ثغور المجد تتلو جهارا من ثنا هـــذين صحفا

خالد بن زيد آل خالد

شاب نبيه يتوقد ذكاء وفطنة ، مثال للاستعداد الغريزي في الكويت اذ

هو على صغر سنه وعلى عدم دراسته له افكار صائبة وآراء ناضجة وتدقيق في كثير من المسائل العلمية والأدبية ممـــا يدع السامع يقف موقف المعجب بفطنته وبرقة احساسه وشعوره ولا غرو فقد اكتسب ذلك كله من ابيـــه المرحوم .

بأبيه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابـــه أباه فما ظلم

هو أحد اعضاء المكتبة الأهلية وأحد الذين ساهموا في المدرسة الأحمدية ايضاً.

مشعان الخضير

شاب ذكي جسور انتخب عضواً في المجلس الذي تأسس أول ولاية سمو الأمير الشيخ احمد آل جابر وهو الآن عضو في الهيئـة الاداريـــة للمدرسة الأحمدية ويعد من الهيئة المؤسسة لها زيادة على إحسانه عليها براتبه السنوي ومن اعضاء المكتبة الأهلية ايضاً .

علي بن ابراهيم ال كليب وشقيقه سلطان

اخوان فاضلان ، الاول أحد اعضاء المكتبة الاهلية وقد اشتهر بالثبات الغريب بحيث لا يمكنه التحول عن مبدئه مهما كان معارضوه .أما شقيقه فهو من الشبان الغيورين وممن كان لهم في تأسيس المدرسة الاحمـــدية يد تذكر فتشكر وهو الآن مدير المكتبة الاهلية وأحـــد اعضاء النادي الأدبي وكذا عضو في الهيئة الادارية للمدرسة الاحمدية .

مشاري بن عبد العزيز آل كليب

انتخب عضواً في الهيئة الادارية للمدرسة الاحمدية وفي المكتبة الاهلية ايضا هو من رجال بيت آل خالد الاذكياء .

آل النقيب الفخام

زعيم هذا البيت في الكويت السيد خلف باشا النقيب وهو أحد الرجال الفضلاء هناك . له أخلاق عالية وميل للعلم وذويه وكان من اعظم المعضدين للمدرسة الأحمدية وفي مجلسه العامر جرى أول بحث في تأسيسها وفيه أيضاً عقدت عدة جلسات للمجلس الآنف الذكر وقد نقلنا عن هذا السيد بحثاً مستفيضاً في هذا التاريخ مما هو أعرف به من غيره .

السيد حامد بك النقيب

هذا الفاضل هو احد انجال السيد رجب نقيب اشراف البصره رحمه الله وهو كويتي وعراقي في آن واحد حيث له في الكويت والبصرة بيوت وأقارب وله اعمال هنا وهناك وآمال في هذه وتلك فالكويتي اذا ما فاخر به العراقي أن يشاطره افتخاره ويقف واياه في مستوى واحد لأن فخر سعادته مشاع بين الفريقين .

له من المواهب العالية ما تؤهله لان يكون في صف كبار الرجال الذين تناط بهم الآمال في مدلهمات الأمور ، فصدقه وخلقه وهمته القعساء مثال الكمال ، وقدوة حسنة لارباب الاعمال أما فطنته الوقادة فله منها ما يسهل عليه تناول الأمور الصعبة والمسائل العويصة بدون مشقة وعناء .

حلو الفكاهة ، عذب الحديث ، لا يخلو حديثه من نكتة بديعة أو فائدة. لا يعرف لليأس معنى ولا يتطرق القنوط الى نفسه الكريمة ، يقدم على العمل في الوقت الذي يحجم عنه الكثيرون . يقدم عليه وكله أمل في ادراكه ما يريد ولو سدت أمامه الطرق .

هو أول من فكر بتسيير السيارات بين الكويت والزبير في الوقت الذي كان الناس يرون فكرتها خيالا لا يمكن تحقيقه ولكنه وقد عرف بالاقدام

السيد حامد بك النقيب

سار بعزم لا يفل ونشاط لا يعرف الكلل حتى تحصل على امتيــاز ذلك من سمو الامير الجليل الشيــخ أحمد آل الصباح حاكم الكويت فبرز المشروع بهمته

يرفل في حلله القشيبة وبذلك أطلق الالسنة بشكره وبالثناء عليه وأخذ الناس يتهافتون على الاشتراك بالمشروع تهافت الفراش على السراج وعض سبابة المتندم من لم يكن له فيها سهم ولكن بعد فوات الفرصة .

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وللسيد المفضال عدا هذا جاه عريض ، وأخلاق حسنة ، وغيرة على العلم والأدب ، وأخذ بناصر الحق . ووقف في وجه من أراد خدش محياه بأظفار اعتدائه .

قام بسياحتين مع والده المرحوم في الهند ومصر وسوريا سنة ١٣٢٩وسنة ١٣٣٠ وفي سنة ١٣٤٢ انتخب نائباً عن البصرة في المجلس التأسيسي في بغداد ولكنه قدم الى المجلس اعتذارا فحصلت بين اعضائه مناقشات في قبول العذر أو عدمه وقد قال أحد فضلائهم : لا ينبغي قبوله لأن سعادته من الرجال الذين عليهم المعول في العراق وفي قبول ذلك يحرم المجلس من مواهبه وبعد أخذ ورد تقرر أخيراً قبوله . وهذا كله يدلنا على زهد سعادته بالوظائف التي يستميت عليها الكثيرون ويبذلون الأموال الطائلة في الحصول عليها ويدل على مكانته السامية بين القوم وكفاءته في مثل تلك المهمات .

أما فضل السيد الكريم على (التاريخ) فأمر يضطرني وكل غيور على أن نخلع عليه برد المدح العاطر والثناء الجميل .

كان حفظه الله حريصاً على رفع شأنه واعلاء مناره وقد شمله بمساعدتيه الأدبية والمادية حيث سلم لي بعض ما في خزانته من الرسائل التي دارت بين والده المرحوم وبين بعض حكام العرب وغيرهم مما لا يخلو من فائدة تناسب موضوع التاريخ كما أنه احد القائمين بطبعه وكذا تفضل بشجرة نسب آل الصباح جزاه الله أفضل الجزاء وأقامه ركناً للحق وحصناً للعلم والأدب .

انت نعم الدليل في حندس الليل اذا مـــا الدليل تـــاه السبيلا
أنت علمتنـــا الثبـات وحق ان تلاقي من الثنـــاء الجميلا

السيد عبد الرحمن بك النقيب

هو أحد انجال السيد خلف باشا النقيب من احرار الكويتيين الفضلاء ذو

عبد الرحمن النقيب

غيرة على العلم والادب ومن أعظم المنشطين لذلك هناك . انتخب عضواً في المجلس الذي قلنا انه تأسس ايام امير الكويت المعظم وكان من أعضاء الهيئة الادارية للمدرسة الأحمدية ومن المؤسسين لها وأحد أعضاء المكتبة الأهلية أيضاً وفي هذا الفاضل يقول شاعر الكويت :

اثني عليك محقـــاً مقول الادب يا من نماه لخير الرسل خير أب

فكم نظرت الى الآداب تنعشها　　واهلها نظرات المشفق الحدب
وكم عطفت الى الآداب منحرفا　　عنهن عطف اصيل الرأي ذي الدرب

عن اليمين الشيخ سالم بن حمود آل الصباح
وعن اليسار حضرة السيد عبد الرحمن بك النقيب

الى ان قال :

فلو حبتك الكويت اليوم منصفة　　صاغتك محكمة من جوهر الشهب
سجية فيك حب العلم راسخة　　رسوخ حب ذويه منك في العصب

مصلح الكويت الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي

هذا الاستاذ الفاضل هو أحد أقطاب الحركة العلمية والفكرية في الكويت واحد العاملين في كثير من المشاريع الخيرية بل هو في الحقيقة مصلح الكويت

الفذ وقد فاق على ما سواه بمعاضدة المشاريع النافعة مادياً وأدبيـــاً فتجده يبذل من ماله في سبيل اصلاحها ما يفوق بذل الكثيرين من مواطنيه أهـــل الملايين ويبذل ذلك من وقته النفيس ما يعادل بذله للمال كل هذا قياماً بحق الوطن المقدس الذي لا يعرف الجم الغفير له معنى ولا غرو أن يمتاز هـــذا الاستاذ على اخوانه بذلك فانه قد جمع مع الثروة علماً جماً انكشف له به من الاسرار ما لم ينكشف لاحد من مواطنيه والى هذه الحقيقة اشرت بقصيدة عاتبته فيها على امر عتاب مداعبة ومزاح فقلت :

ابن لي فدتك النفس ذنبي ولا تخف — وما كان غير الحق قصدي وبغيتي
ولست ارى نقصاً علي من امرىء — يبين خـــلالي الناقصات وزلتي

الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي

فما المرء إلا عرضـــة أينما سعى — لنقص وتقصير وسهـــو وغفلة

على انني مـــا زلت ابحث جاهداً عن السبب المفضي لهجر الأحبة
فلم أر حقـــاً ما يبرر هجرهم سوى صفر كفي وهو أصل بليتي
وذاك هو الذنب العظيم اذا بـــدا لدى جامع الامرين جهل وثروة
ولو كنت ذا مال ولم تك عالمـــاً لقلت اذا من جهله اليوم قد أتي
ولكنني ماذا اقول وعلمـــكم به كنت حقاً مثل شمس منيرة
وكنت به تحمي الضعيف من الأذى وكنت به تبني علالي الفضيـــلة
وكنت به ملجا الكويت وأهلهـــا اذا ما الخطوب السود في القوم حلت

انتخب عضواً في المجلس الذي علمت وهو الان ناظر المدرستين المباركية والأحمدية ورئيس المكتبة الأهلية التي يرجع الفضل اليه في تأسيسها ولله در شاعر الكويت حيث يقول في هذا المصلح مشيراً الى بعض مساعيه الخيرية وأعماله النافعة سيا تأسيس المكتبة الاهلية :

شغفت بكل إصلاح جليل منـــافعه تعود على العموم
أقمت اليوم يوسف خير ناد تقوم به مذاكرة العلوم
وذلك خير منهاج يؤدي بني وطني الى الخير العميم
وما العلم لا يثني على من غدا لسعادة أزكى مقيم
وبوأ في الكويت العلم داراً يشح بهـــا الحميم على الحميم

استاذنا الفاضل الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان

هو أجل علماء الكويت اليوم وأصلحهم وقد امتاز عليهم بالهدوء والسكون وحسن المعاشرة وبالأخلاق الفاضلة والآداب الجمة التي يغبط عليها ، قلما يسيء جليسه مهما بدر منه ، صبور على الشدائد جـلد على المصائب ، وهو على علمه وفضله لا يستنكف من الأخذ عمن هو دونه علماً ، وقد جمع مع علمه الواسع كرمه الحاتمي وعقله الحصيف .

له في مناصرة المشاريع الخيرية في الكويت آثار محمودة يشكر عليها فهو أول خطيب في افتتاح المدرسة الأحمدية وأحد الخطباء في افتتاح الجمعية الخيرية وله مكانة بين القوم سيما أهل الحي القبـلي لعفته النادرة وتقاه الصحيح حتى ان كثيراً من الناس ليقطعون المسافـــة البعيدة من أطراف الكويت الى حي القبلة لصلاة الجمعة خلفه ، وله في الفقه الحنبلي يد طولى، وهذا الاستاذ الجليل هو الذي قال فيه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك الاحسائي :

ألا أبلغا عني فتى المجد اطلاقا ... ومن سبق الأقران في العلم اطلاقا
وأربى على نهر المجرة فقهـــه ... لذا زهرها لاحت لعليـاه أخلاقا
أديب على حبه اطوي جوانحي ... وأجعـله في موقف الحشر ميثاقا
سلاماً تمطى نسمة بات ركبهـا ... بروض من النسرين والند قد راقا

بيت آل بدر

زعيم هذا البيت المحترم الحاج المكرم ناصر البدر أحد الوجهاء والرؤساء وأحد رجال الشورى في مجلس الامير ، وكان من رجال هـــذا البيت ايضاً المبرور المرحوم عبدالله الرشيد الذي امتاز على كثير من الوجهـــاء والتجار لصلاحه وورعه ، وفي الأول يقول استاذنا الفاضل الشيخ عبدالله بن خلف في رحلته الحجازية :

وناصر كان الله عوناً لناصر ... شقيق ابي (مرزوق) من خير باذل
لقد جاد بالمعروف وهو ابن يوسف ... كما جاد عبـــدالله في كل طائل
حليف التقى ابن الرشيد انتماؤه ... الى البـدر لا زالوا بدور المحافل
جزى الله عني بالرضى كل محسن ... وجـــادلهم باللطف في كل نازل

مرزوق الداود آل بدر

هو من صلحاء هذا البيت وأتقيائهم له ميل غريب الى أهل العلم واسراع

الى اغاثتهم وقد برهن على ذلك بعطفه على كثير منهم سيما الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ عبدالله الخلف ، والى هذا يشير شيخنا في رحلته الحجازية شاكراً فضل ذلك المحسن ومعترفاً بمعروفه وأفضاله :

جزى الله مرزوق الرضى عن فعاله ... وأولاه احساناً بطيب الفعائل
وفيٌّ وفى بالوعد اذ كان اصله ... من البدر داود حميد الخصائل
رآني أعاني حمل شوق الى الحمى ... فساعدني بالحمل فوق الرواحل
وأكرمني فالله يوليه مكرماً ... مع الرفقة الغر الهداة الافاضل

وقد انتخب هـــذا المفضال عضواً في (المجلس) ولم يزل دأبه التنشيط والتشجيع للحركات هناك .

مشاري الحسن آل بدر

أما هذا الأديب الفاضل فهو من أفراد هذا البيت الفضلاء بل من أفراد الكويت عقلاً وأخلاقاً وآداباً .

له اطلاع واسع على مجرى السياسة في سائر الانحـــاء سيما في مصر بحيث يدهشك حينما يبحث معك في ذلك حتى ليخيل اليك أنه ممن نبتوا في أرض مصر واغتذوا بلبانها . له من الصلاح والتأني وصفاء السريرة ما جعله محترماً بين اخوانه ومحبوباً عند مواطنيه .

محمد الثنيان الغانم

هذا الكريم المفضال من آل زايد العائلة الكبيرة المعروفة في الكويت . اشتهر بين صغير القوم والكبير بكرمه الحـــاتمي وسخائه الذي كان به كعلم في رأسه نار ، فما يوجد مشروع خيري هو في حاجة الى المال إلا وتراه

مع المتقدمين في سبيل معاضدته . ولا اصطحبه قوم في سفر إلا وقيدهم بربقة فضله وامتنانه . وهو ايضاً من الآخذين بساعد العلم والادب .

أذكر أنه شهد احد احتفالات المدرسة الأحمدية فتبرع لها بمائتي روبية عندما أعجبه ما رأى وشاهد فيه من النجاح وحسن النظام . أما تاريخ الكويت فانه يشكره بملء فيه لما اولاه من عطفه واحسانه .

ولا يفوتني أن اذكر في بيوتات الحي القبلي بيت آل العدواني . وآل المديرس وآل السميط . وبيت المحترم الفاضل محمد السديراوي الذي نزح إلى بمبي مع والده المرحوم واتخذه آل الصباح وكيلاً لهم هناك . وبيت آل فوزان . وقد نزح منهم ايضاً الى بمبي الفاضل الحاج عبدالله واولاده الفضلاء ومن الباقين في الكويت من ذلك البيت المكرم الفاضل فهد الفوزان وقد سكن في أعظم بيت تاريخي في الكويت وهو بيت الشيخ احمد بن رزق المشهور . وبيت المرحوم مرزوق آل مرزوق الذي أقام في كراجي مع كثير من أولاده الكرام وتحصل هناك على ثروة طائلة ، وقام بايواء مواطنيه ، وقضاء حاجاتهم خير قيام . وبيت آل الخرافي وقد نزح ايضاً بعضهم الى كراجي . وبيت الكريم المفضال عبدالله النفيسي معتمد عظمة سلطان نجد . وهو رجل من اهل الاخلاق العالية ، ومن أهل الهدوء والسكون الذي حببه إلى كثير من الكويتيين وبيت الاخوين الفاضلين عبدالله ومبارك آل ساير ، وكان لهما فضل على المدرسة الاحمدية بما فرضاه على انفسهما من المرتب السنوي لها . وبيت الحاج الفاضل عبدالرحمن بن بحر وهو من المثرين النبلاء ومن الذين لهم ايضاً فضل براتبهم السنوي على المدرسة الاحمدية ومن اعضاء المكتبة الاهلية . وبيت الشاب النبيه السيد علي بن السيد سليمان احد اعضاء الهيئة الادارية للمدرسة الاحمدية ، وأحد اعضاء المكتبة الاهلية ايضاً وبيت الحسيب النسيب السيد عبدالله ابن السيد يوسف واولاده الكرام . وبيت آل العتيقي وقد كان كثير منهم موظفين عند آل الصباح ومنهم صاحبنا الاديب

الفاضل سالم بن عبدالله العتيقي وبيت الفاضل الأديب عمر العلي وهو ممن عرفوا بميلهم الشديد للعلم وحرصهم على تعليم ابنائهم العلوم النافعة وقد دفعه ذلك إلى أن يسعى السعي الحثيث لانضمام ابنه في معية البعثة العلمية التي أسلفنا الكلام عليها ولهذا الفاضل نظراء كثيرون من أخصهم صاحبنا الفاضل الأديب سعود آل زين فقد كان شوقه شديداً الى أن يكون ابنه فيصل رئيس تلاميذ المدرسة الأحمدية من جملة افراد البعثة وقد خاطبت مدير الكلية الأعظمية العلامة المكرم المحترم الاستاذ الحاج نعمان الأعظمي في قبوله فابدى كل ارتياح وسرور يشكر عليه .

أما في حيّ الوسط فأذكر بيت آل غانم ومنه أخوان فاضلان ابراهيم وأحمد وقد قام الاخير بعمل شريف لم يفز به أحد من أهل الكويت، ذلك هو تصديه لمباشرة المرضى مجاناً وإشغاله أوقاته النفيسة في معالجتهم . حتى غادر الناس يلهجون بذكره وبالثناء عليه . وكذلك بيت آل جوعان وقد هاجر منه الى المدينة المنورة الفاضل الشيخ عبد الوهاب آل الجوعان ، وبيت آل الدويرج ، وآل العنقري ، والشاب الحر السيد زيد بن السيد محمد أحد اعضاء المكتبة الاهلية وبيت آل فريج ومنه الشاعر المشهور عبدالله آل فرج الذي طبع ديوانه المحتوي على كثير من شعره النبطي صاحبنا الاديب الفاضل والشاعر الثائر خالد بن محمد آل فرج الذي نظمناه في سلك شعرائنا المجيدين.

وهناك في الحي الشرقي بيت آل الدبوس وهم من المشهورين بالشجاعة والاقدام . وآل المناعي وآل العسعوسي ، ومدرسة السعادة التي أسسها المحترم المفضال شملان بن علي اليوسف .

وهنا لا يسعنا ايضاً إلا أن نشكر مع هؤلاء الأماجد رئيس النادي المحترم وأعضاءه الكرام ومن قدمناهم من الشبان والشعراء وبقية أعضاء المكتبة الأهلية فانهم والحق يقال من أعظم أركان الحركة في الكويت .

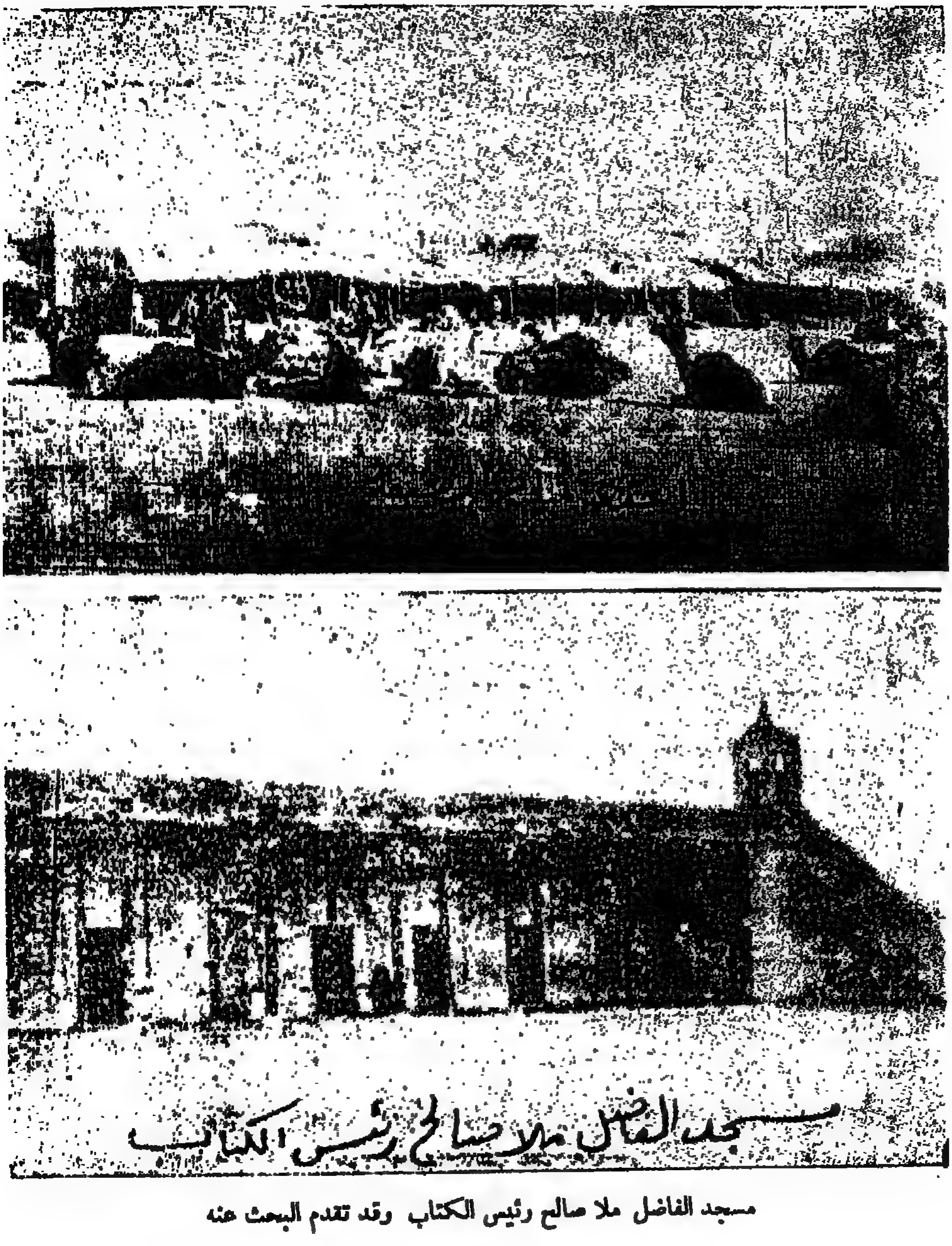

مسجد الفاضل ملا صالح رئيس الكتاب وقد تقدم البحث عنه

هذه صحيفة بيضاء لهؤلاء الاماجد النبلاء سطرنا فيها أعمالهم الجليلة التي يجب من جرائها رفعهم الى مقام الاجلال والاكبار ما تخللت أرواحنا الاجساد هذه هي صحيفتهم النقية وأعمالهم الطاهرة ولا ريب في أن من مواطنيهم من لو أردنا الكتابة عنه لكانت ويا للأسف صحيفته سوداء قاتمة ترمي النفس بشرر الغم والحزن فمنهم من لا يوصف إلا بالصفات الذميمة فمن بخل شنيع الى خور في العزيمة ومن كبر واعجاب الى نفرة من الاصلاح واهله .

وبودي ان لو سنحت لي الفرصة في هؤلاء لأضم صحيفتهم السوداء الى تلك الصحيفة البيضاء النقية حتى يعرف القراء البون الشاسع بين الفريقين ويعرف كل فريق ما يستحقه دون زميله من مدح أو ضده بودي ذلك ولكني أخشى ان اقدمت عليه تألب القوم على اقلاق راحتي بكيدهم ومكرهم وانا في حاجة الى راحة استرد بها ما فقدته من قوة لأتفرغ بعد إنجاز طبع التاريخ الى عمل آخر غيره . لهذا فسأطوي صحيفتهم الآن بما فيها منتظراً فرصة أخرى يصفو جوها وتنار سبلها .

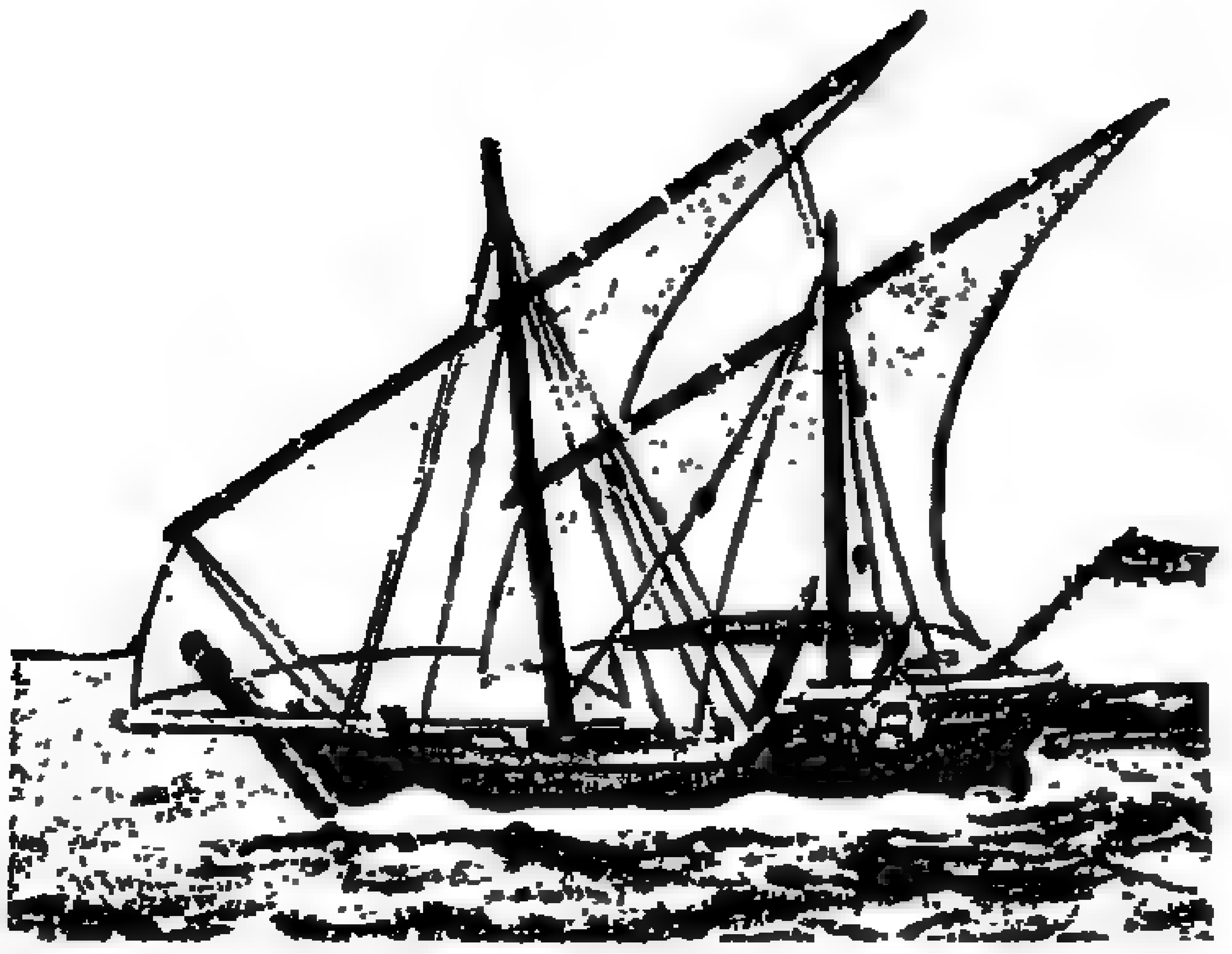

من تقاليد الكويت

العيـــد في الكويت

للعيد هناك من الابهة والجلال مثل ما له في سائر الاقطار الاسلامية فهناك ترى رمز المحبة الاسلامية ظاهراً والاتحاد الديني محكماً وهناك ترى الاحقاد تتطاير من القلوب والضغائن تذهب من الصدور وهناك ترى الحكمة في مشروعية تلك العبادة الشريفة متجلية بأعظم مظاهرها يحس بها من القوم حتى الصغار يهبون باكراً لاداء ما فرض الله عليهم من صلاة مهللين ومكبرين وحامدين الله على مـــا خصهم به من جزيل النعم يهبون وقد لبسوا أفخر ملابسهم وتجملوا بأجمل ما عندهم من زينة .

ثم يذهبون الى امير الكويت المعظم واخوانــــه من آل الصباح لتهنئتهم بحلول العيد فيجدونهم قد اصطفوا في بهو واسع أمام أحد قصور الامير الفخمة التي شيدت على ساحل البحر فيصافحون كلا على حدته مهنئين ثم تقدم اليهم بعد ذلك قماقم ماء الورد وينصرفون .

مراسم العيد بين الأهالي :

في اليوم الأول يزور أهل الحي القبلي اخوانهم من الشرقيين وأهل الوسط

وليس هناك من التكاليف إلا تقديم كاسات القهوة والشاي وتقديم ماد الورد والعود ايضاً وفي اليوم الثاني يعيد أهل الحيين الزيارة على إخوانهم فيقابلونهم بمثل ما قوبلوا به يقول المهنىء لاخيه (عيدكم مبارك) فيجيبه بقوله :(اعاده الله علينا وعليكم بخير وعافية) أو نحو ذلك من العبارات وهنا يعجبني قول احد الفضلاء في بيتين قدمها (لمبارك) في هذا المعنى :

تهنا بالسعادة حيث لاحت لك الافراح والعيد المبارك
فأنت الفخر لا للعيد فخر لقول الناس عيدكم مبارك

عادات العيد

اعتاد الكويتيون سيما في أيام مبارك تعطيل أشغالهم أسبوع العيد كلـه واشتغالهم بالألعاب الحربية كل نهار فيكون أهل كل حي حلقة من رجالهم قد انتظموا كخرز المسباح وهم يرقصون ويلعبون وينشدون الاناشيد الحماسية الحربية ويضربون بالدفوف وبالطبول ويملأون الفضاء من رمي البنادق ويخطفون الأبصار بوميض السيوف ، وقد كان مبارك يعطي هذا الامر اهتمامه الزائد حتى لقد كان يقسر الناس أحياناً على ذلك ليمرنهم على مقدمـات الحرب وتسمى تلك الالعاب (حدوات) او (عرضات) جمع (حدوه) و (عرضه) ولله در شاعر الكويت حيث يقول في ذلك :

وما للعمي في (العرضات) انس فأمدحها بنظم أو نثـير
وهل اثني على العرضات خـيرا ولذتهـا خصوصاً للبصـير

طعام العيد

يعتني الكويتيون بطعام العيد اعتناء خاصـاً فمنهم من يخصه بعائلته وبأقاربه ومنهم من يفتح أبوابه للفقراء والمحتاجين الذين لا يجدون من يواسيهم

الكويتيون يلعبون على خيولهم في « العرضه »

الكويتيون يلعبون في « العرضه » بالبنادق والسيوف والعلم الكويتي يرفرف عليهم

في مثل ذلك اليوم الذي هم في حاجة كبرى الى من ينتزع البؤس من قلوبهم وانها لعادة شريفة يتجلى فيها الكرم العربي بأكمل معانيه ويتهلل منها وجه المروءة والشهامة وبودنا لو تسري هذه العادة المحمودة في جميع بيوت المثرين الذين لا زالوا ينفقون الأموال الطائلة في سبيل لا يحمدون عليها بل بودنا ان يتخطوها الى ما هو اعظم منها شأن اخواننا النجديين ومن حذا حذوهم كإخواننا أهل الزبير فقد كانوا ولا يزالون يخرجون الطعام من بيوتهم ويملأون به الشوارع والأسواق في هذا اليوم وكانت هذه العادة موجودة فيما مضى في بعض احياء الكويت ولكنها ويا للأسف قد انقطعت .

اليك يا عيد

أرسل الينا صاحبنا المفضال الاديب خالد بن محمد الفرج الكويتي الجنسية قصيدة غراء من البحرين بهذا العنوان رأيت اثباتها هنا لما لها من المناسبة في هذا الموضوع ولما تضمنته من الفوائد والعبر فقال :

اليك يا عيد باحفاء	يلقى سؤال لسان حالي
هل طالع الناس منك سعد	يرمي الى ذروة الكمال
أم أنت يوم كما سمعنا	قد حفه الله بالفضال
اذ يطلع الفجر منك شمسا	رمز المسرات والجلال
تحسد أيام كل عام	يبديك للعالم الليالي
ان حان للناس منك حين	قاموا للقياك باحتفال
هذا بما لاق مستعد	وذاك يرنو الى الهلال
ام سعدك الان فيه رمز	تطالع النحس في المآل
كبسمة الطفل فهي تنبي	عما يلاقي من الوبال
اني ارى فيك حين تزهو	بكل زين لميع آل
لم تبق زوراتك الخوالي	لواسع الفكر من مجال

وليلة بتها سعيداً   لم يخطر النوم ببالي
أحييتها في الدجى فريداً   ولا سمير سوى الخيال
هل تغمض الجفن عين صب   او تسهر الليل عين سالي
أظن ان الهوى مجد   من حيث لم أدر باغتيالي
بل بي هوى هاتاك الدراري   اذا البست حلة الحجال
خاطبتها والشماع زهو   وليلها أسود القذال
يا أيها الأنجم اللواتي   ما زلت للكشف في مطال
يا ليت جسمي يكون نوراً   ولو ضئيلاً بلا اشتعال
حتى أراك من قريب   محرراً مطلقاً شكال
وليس للجذب من سبيل   الى احتباسي او اعتقالي
بالله فاشفي لظى غليلي   وعللي ما حوى سؤالي
وخلصيني من الأماني   ان الأماني كالمحال
أفيك عيد له سعود   يشبه ذا العيد بالمثال
أم هو في السعد ذو نصيب   كما توهمت في خيالي

* * *

يا قلب دع عنك ما تناجي   فليس ذا السر بالمذال
قم باكراً (فالصباح عيد)   والنجم قد مال للزوال
وأيقظ الديك كل غاف   برفع أصواته المعجال
هيا الى العيد ان فيه   أسمى عظات ذوات بال
لبست ما راق من ثيابي   من الضروري الى الكمال
خرجت والناس في ارتياح   كعاشق فاز بالوصال
من كل شخص له ثياب   والقلب والجسم للبغال
لم يأل جهداً بكل زين   من نعل رجليه (للعقال)

لم يدر ان الجديد رمز | للبس أكفانـــه البوالي
فسرت والناس في ازدحام | لمسجد الله ذي الجـــلال
جلست مخسوشعاً خضوعاً | يــكاد يبيض لي قـــذالي
فلوعة الحزن في اضطرام | ودمعـــة الخوف في انهمال
قام خطيب كلا خطيب | يتلو صدى الأعصر الخوالي
ادير وجهي الى النواحي | واتعب الطرف في المجال
فمن أمامي الى ورائي | وعن يميني وعن شمـــالي
رأيت نفسي تجاه قوم | يدعوهم العصر بالوجـــال
عهدت من قبلهـــم أناساً | دعاهم الموت بارتحـــال
بمثل هـــذا المقام قاموا | ورتلوا مثل ذا المقـــال
ناداهم الموت فاستجابوا | وكل حيّ الى زوال
لا بد يأتي اليك عيد | وأنت تحت الثرى المهال
هناك ترنو لمن عليهـــا | قد عطر الثوب بالغوالي
تقول يا أيهـــا المغني | مسكين هل أنت في خيال
إذ يكشف القبر سراً | لديك كشفاً ولا يبـــالي

عادات الكويتيين في مجالسهم

المجلس الذي يقابل المرء فيه زائريه أو يدعو اليه اصحابه يسمى (ديواناً) ويكون في جناح الحرم فيه حجرة أمامها بهو في أحد جوانبه (ايوان) للصيف ، وفي صدر الحجرة صفت آلات القهوة والشاي وقماقم الورد ومجامر العود صفاً متقناً .

أما (الوجاغ) وهو الموقد الذي تصنع فيه القهوة فهو حفرة مجوفة مربعة على حافتيها مجلسان صغيران أقيم لكل واحد (متكأ) (جدار صغير) احدهما يجلس فيه رب البيت بنفسه والزائر الوجيه والثاني لصانع القهوة وأحيـــاناً

يوجد خلف المجلس الأخير أو عن يساره مخزن للحطب ومجموع آلات القهوة يسمى (ادلالا) جمع (دلـّه) او (معاميل) وهي مؤلفة من أباريق عدة مستوية أشكالها في حين اختلافها في الحجم والاسماء فمنها (المصب) وهو الذي تسكب منه القهوة للشاربين و (اللقمة) وهي التي تطبخ فيها و (الخمره) وهي ما تكون مجمعاً لبقاياها ، وقد يوجد في المجلس من كل نوع عدة ، ومن تلك الأباريق ما يصنع في نفس الكويت ومنها ما يجلب اليها من الخارج ، وتسمى آلات الشرب (فناجيل) تحريف (فناجين) كما قال الشاعر :

هات اسقني قهوة قشرية فضحت بكر المدام وشنف لي الفناجينا
تدعو إلي نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا
لو أن ألفاً أحاطوا نحو ساحتها قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

والمفرد (فنجان) وهي من الكاسات الصغيرة وليس من العادة المتبعة أن يملأ الكأس كما يوجد في بعض الجهات وهناك (المحماس) وهو الذي تقلى فيه القهوة على النار ثم تدق في (الهاون) وهو قالب من الحديد مجوف . .

وللقهوة اهمية لا عند الكويتيين وحسب بل عند جميع أهل الخليج وأهل نجد والاحساء واليمن بحيث لا يتم إكرام الزائر بدون تقديمها مهما قدم له من لذيذ المآكل والمشارب ، ومن هنا كثرت اشعارهم في مدحها والتشبيب بها وهاك نموذجاً مما قالوه فيها لتعرف مقدار أهميتها عند القوم .

قال الشيخ عبدالله بن عبد القادر الاحسائي قاضي المبرز المتوفى هناك سنة ١٣٤٤ رحمه الله :

اغثني ايها الساقي لعلي اذا اظمتك نازلة سقيت
بكأس من جنى البن اليماني متى آنست رياها انتشيت
تعد نباهة عقلي كما قد يمـــد ذبالة النبراس زيت

وقال الشيخ صقر شاعر الكويت في مجلس المكرم شملان بن علي بن سيف :

محل الشهم شملان المفدى	به لذوي المفاخر أي حظوه
به كانونه يدفي فيكفي	فتى لم يلق في مشتاه فروه
يؤجج ناره فيه إلى أن	يغادر في جسام القر بنوه
وحول النار قد صفت (دلال)	يهن لشاربيها خير قهوه
وهل كالنار في المشتى اذا ما	بها حفت (دلال) البن شهوه

وذهب السيد عبد الجليل والشيخ عثمان بن سند الى الشيخ حمود الثامر الشبيبي شيخ المنتفك على شاطىء الفرات وهناك وجد الشيخ علي بن الشيخ محمد صالح مفتي البصرة فقال الشيخ عثمان مخاطباً الاثنين « مرا لي صاحبي بكأس قهوة » قال السيد فامرنا له بها فقال لا بل اجز فاستقلته فلم يقلني فعلمت اذ ذاك انه يريد اختباري فقلت على البديهة «كذوب التبر صافية بقدوه» ثم سكت فقال زد البيت فزدته ثم حمي وطيس المساجلة وقد انتهت الى أبيات زادها السيد بما تخلص به الى مدح قاضي البصرة الشيخ عبد القادر افندي الحيدري البغدادي والشيخ عثمان بن سند واليك الأبيات بأجمعها :

عثمان	مرا لي صاحبي بكأس قهوه	كذوب التبر صافية بقدوه	السيد
	من البن الاريج شذا بكأس	يعطر عرفه من رام حسوه	«
	علاه جوهر كفرند عضب	جلاه القين لا لحذار نبوه	«
	تنقط من فم الابريق خالا	بوجنة جامها وشما بموه	«
«	يطوف بها علي أغن أحوى	كأن بخده والكف جذوه	«
«	رشيق القد يحكي البان لينا	كأن به اذا ما ماس نشوه	«
«	له نعتات أم الخشف ترنو	بعين تذكر العذري شجوه	«
«	اروم وصاله لتقر عيني	بغرة وجهه فيزيد زهوه	«
«	علقت به وغصن العمر غض	يحركه الهوى العذري نحوه	«

وقال أحد الاحسائيين واظنه الشيخ عبد العزيز بن احمد آل المبارك الذي تولى التعليم في المدرسة المباركية كما يأتي :

قم يا رفيقي فاسقني بمنية اذكى من الورد الجني واضوعا
وأدر علينا من جناها قهوة حمراء تستصبي العفيف الأورعا
بكرا تعير الكأس لون متيم فتخاله بجمالها متولعا

وقال ايضاً وهو في أبي ظبي من مدن عُمان :

أخذ الدلة من كانونها بشمال وأدار الكأس يمنا
طال ليلي (بابي ظبي) ولا ظبي لي فيه يحاكي البدر حسنا

الحركة الفكرية والعلمية امس

كانت الكويت من نشأتها إلى قبل عشرين سنة غارقة في بحر الجمود منغمسة في حمأة التأخر ولا أثر للحركة العلمية والفكرية فيها وكان الشائع بين أهلها إذ ذاك مبادىء الفقه والعربية والخط المتوسط والحساب البسيط وما عدا هذا من العلوم العصرية والمشاريع النافعة والآراء الحية فليس لها أثر بينهم ولو وجد شيء منها إذ ذاك لنفروا منه ومن أهله النفور العظيم ولرموا متعاطيه بالزندقة والإلحاد . ولا غرو فالبعد عن البلاد المتمدنة وعدم الاختلاط برجال مفكرين وعلماء مخلصين ووجود أذناب ينتسبون للعلم بهتاناً وزوراً كل ذلك من العوامل القوية لبقاء القديم على قدمه وتأخر الشعوب في ميدان الكفاح وقد ظلت الكويت تلك المدة الطويلة وأهلها يتخبطون بجهلهم الدامس فكانوا يرون الصغير في العلم كبيراً والحقير في الأدب عظيماً . ولا اذهب بعيداً في ضرب الامثال على سذاجتهم في ذلك الدور وها كل منا قد شاهد منه كثيراً في وطننا وسآتي هنا بنبذة يسيرة للاعتبار لكل القراء ممن يجهلون الحال هناك ليقارنوا بين امس الكويت ويومها .

الكويتيون والدجالون

للدجالين آثارهم السيئة في كل بلد وفي كل محيط ولهم من الهيمنة على العقول

والافكار ما يستصغر معها كل هيمنة وسلطان وللكويت منهم حظ كبير ونصيب كما لغيرها وهم فيها كثيرون لا كثرهم الله ولا أعوانهم . وفي هؤلاء قلت من قصيدة ارسلتها الى صاحبنا الفاضل نابغة البحرين ونبراسها عبدالله ابن علي آل زايد :

ايها السيد اني في عنا ... من مداراة جهول أرذل
إن أقل حقا تراه مغضبا ... وتراه مصغيا للعذل
وتراه دائماً من جهله ... ضارباً رأس الهدى في معول

نابغة البحرين الفاضل عبدالله بن علي آل زايد

بل تراه مصلتاً سيف العدا | ليذيق الحق كأس الحنظل
حالة منها المعالي زعزعت | وبها دين الهدى في مشكل
ويح قلبي يا خليلي ان يكن | كل وغــد بين قوم يعتلي
وعليه الجـــل يمسي عاكفاً | راجياً منه انجـــلاء المعضل
ان يقل جهلاً يقولوا قــد أتى | بعلوم هي فتــح للولي

ولكن صاحبنا الحبيب عاتبني على هذا التخوف من هؤلاء القوم بقوله :

ايهــا الشهم مزقت الحشا | بشكاة مــن جهول ارذل
قل سلاماً ثم اعرض عنهم | جهلهم راميهم في المقتل
لا تحاذر من خيـــال زائل | إنهم من عمرهم في الارذل
إن ادوار الورى دائرة | في ارتقاء رغم قطب أو ولي

وقد يكون حفظه الله مصيباً في عتابه فإني أرى فيهم كما يرى ولكنها نفثة مصدور رميت بها اليه إظهاراً لحقيقة هؤلاء الدجالين لمن لا يعرفهم ولا يعرف ما نعانيه في سبيل مقاومتهم .

وما لي الآن وللافاضة في اخبارهم وكشف اسرارهم واستقصائهم فرداً فرداً في هذا القسم من التاريخ وإني اكتفي بالتلميح اليهم .

أما هنا فسأكتفي بزعيـم من زعمائهم المقدمين في الأيام الحالية :

عبد العزيز بن صالح العلجي الاحسائي

يفد هــذا الرجل الى الكويت من الاحساء فيقيم هناك مدة ينفث فيها سمومه القتالة ويسعى في إيقاظ الفتنة النائمة وإضرام نار البغضاء في القلوب ويستعمل الوسائل العديدة لذلك بلا خوف ولا حياء .

تكون الكويت آمنــة مطمئنة وما هو إلا أن تطأ قدمه أرضها حتى

ينكر الابن على أبيه والأخ على أخيه وينشر من زيفه وضلاله ما يضج الدين منه ومن أخف ما كان يحدث به استسهال معتقديه اطلاق الكفر والالحاد على المسلمين واستحلال دماء الموحدين وتقربهم الى الله بهجر المؤمنين .

حكم بعضهم من جراء تعاليمه بكفر الاستـــاذ الكبير السيد رشيد رضا واستحلال دمه حتى حاول احدهم قتله في السنة التي زار الاستاذ فيها الكويت وترصد له في الطريق الذي اعتاد المرور منه ولكن من حسن الحظ ان منع القدر الاستاذ من المرور ذلك اليوم من طريقه ، هناك رفعنا الى الله اكف الحمد على نجاته من تلك اليد النجسة حمدنا الله وأثنينا عليه كثيراً لأن قتل الاستاذ مع كونه خسارة كبيرة على الاسلام والمسلمين يكون نقطة سوداء في تاريخنا وعاراً نلبسه أبد الآباد .

ثم أتدري لماذا حكم عليه بالكفر واستحل دمه المعصوم ، كان ذلك لأن الرجل الاحسائي يقول في فضيلته :

الى الله نشكو من ضلال على عمد	اتتنا به الجهـــال عن كل مرتد
قلوا كتب الاسلاف واستبدلوا بها	سجلات أصحاب المنار التي تردي

أمـــا هو فقال هذا القول حينما عثر على عبارة الدكتور صدقي في مجلة الاستاذ الغراء ظهر له فيها كفر صاحبها ولم ير للاستاذ الجليل رداً عليها ولا انتقاداً على صاحبها أو تكفيراً له إذ اعتبر من جهله وغباوته سكوته اقراراً للكفر ورضا به واستفتاه بعض افاضل الكويتيين إذ ذاك في تكفير الاستاذ فصدهم وردهم ، ومنعهم علمهم عن موافقته على جنونه فكان جزاء هؤلاء الاتقياء منه أن نظمهم في سلك الزنادقة ايضاً ولم يكتف بهذا بل حاول تجشم المثول بين يدي مبـــارك الصباح لاقناعه بقسرهم على ما يريد أو على نفيهم من الكويت حماية لعقائد العامة وكاد يفعل لولا ان منعه بعض محبيه مـــن ذلك التهور .

أما مبارك فقد علم بكل ما جرى واستنتج منه بفطرته السليمة الخطأ الفاضح الذي ارتكبه. ذلك الرجل ففاجأ من كان يأوي اليهم بقوله (اعطوا صاحبكم ما قسم له ودعوه يذهب الى بلده فلسنا في حاجة الى امثاله ممن يبثون الفتن ويحكمون على أهل العلم بالكفر والضلال ، دعوه يغادر البلد سريعاً وإلا أخرجناه منها قسراً فشكر النـــاس مباركاً على ما عمل وعدوا ما قاله من حسناته ولكن مهما يكن فقد بذر هذا الرجل بذوراً فاسدة أثمرت التعصب الذميم تعصباً لا تزال نعاني من جرائه الأمرين ونكابد في قلعه الأذى والنصب وهاك نموذجاً صغيراً من ذلك .

صرح بعض معتقديه في مجلس عام بقوله (إن قتل ثلاثة من أهل الكويت ثمن لدخوله الجنة بغير حساب الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي والشيخ صقر بن سالم الشبيب وكاتب هذه السطور) .

وقامت قيامة بعض السفلة على شاعر الكويت ايضاً عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان (يضر النصح) قال فيها :

وخلوا في الديانات افتراقــا يؤول بكم الى الحرب العوان
ودينوا من تكاتفكم بدين لكم يلقى التقدم بالعنان

قامت قيامة ذلك السفيه على الشاعر الفاضل إذ فهم من قوله هذا انه لا يرى فرقاً بين المسلم والكافر حتى قال كنت شاكاً في تدهوره وكفره . اما الآن فقد اتضح لي ذلك وهناك تمالأ هو وأسافلة مثله على قتله ولكن الشاعر وقد علم بما بيت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيماً فيه الى حيث يأمن على نفسه من الكويت سيما وقد أشار عليه بعض اخوانه المخلصين بذلك فأعلن بيع بيته وقال متأسفاً عليه :

أظلتـــني بشرقي الكويت خطـــوب ألزمتني قعر بيتي
ومـــا بيعك يا بيتي بسهل ولكن فيك خفت اليوم موتي

أيسهل أن أبيع اليوم بيتا | وفيـــه انت يا نفسي ربيت
فذوبي من اساك عليه ذوبي | وإلا يا لـــكاع فما وفيت
اتلزمني خطوب الدهر بيعاً | لبيت فيه يا نفسي نشأت
ومـــا تقضين من جراه حزناً | اذا مني عليـــك الدهر مقتي
كأنك يا جياع الخطب مني | وقد افنيت لحمي ما اكتفيت
رويدك إن للعليـــاء حاجا | بمن ظلما عليه قــد أنخت
ستثأر لي المعـــالي منك ان لم | تكوني عن جهالتك ارعويت

وكاد الشاعر يبيع بيته لولا شفاعات من إخوانه الصادقين بأن لا يفعل وقد علم هو وعلمنا أن ما أصابه من أولئك السفهاء هو كله من نفثات ذلك الإحسائي المتلبس. فإنه هو الذي حكم عليه بالكفر أولاً وهو الذي أفتى بهجره ثانياً والى هذا يشير شاعرنا الفاضل :

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا | أناس بشرقي الكويت تقيم
وطاعتنا عبد العزيز بن صالح | سبيل الى باب الجنـــان قويم
فقلت جزاه الله خيراً فهجركم | لنفسي به لو تعلمون نعيم
على راحتي قد حشكم ومراده | شقائي وربي بالضعيف عليم

أفتى هذا الرجل بوجوب هجر الشاعر على غير ما ذنب ولا جرم ولا دافع غير التعصب والخوف ان يحتل الشاعر عند معتقديه مركزه الذي كان يشغله وإلا فهو القائل فيه أولاً :

أرى الغوري يبكي بعد صقر | بدمـــع ساخن وهو الحليب
إذا قلنا له أمسك علينا | دعـــاه الشوق فهو له مجيب
وتنتحب الكؤوس عليه حتى | خشينا أن يفتتهـــا النحيب
وصاح الصحن من حزن بصوت | به انشقت من الخبز الجيوب
وهل عيش اذا صقر جفـــانا | و (هاجرنا) بلا ذنب يطيب

لیعلم أن صقرا وهو أهـل . لنا ما حل في أرض طبيب
ولا عجب اذا أحببت صقرا ففي أخلاقه نبـأ عجيب

وهنا أمسك القلم عن الجري في ميدان التعصبات التي كان يبثهـا ذلك الدجال في الكويت وكان بودي انه لم يجر ولا شوطاً واحداً في ذلك الميدان الواسع الفسيح لأن من شربوا كؤوس تلك الغصات اخوان لنـا ومن أبناء جلدتنا يضمنا وإياهم دين واحد ووطن واحد وهم منـا ونحن منهم عيبهم عيبنا ونقصهم نقصنا، ولكن ماذا أصنع والتاريخ يناشدني أن أقول الحق ولو على نفسي وأن أجاهر بما أعلم ولو كان مراً، اقول هذا وانا على يقين أن القوم اليوم غيرهم بالأمس وأن افـكارهم الآن غيرها في الماضي فقد تبين لكثير منهم الحق وعلموا بتدليس بعض دعاتهم سيما ذلك الاحسائي، وقد أشرت إلى تلك الحقيقة بالقصيدة التي بلغت نحو ثلثمائة بيت في الرد عليه وكشف اسراره فقلت:

(اباصالح) يا من يرى أنه الذي به هجر تعلو على قمة النسر
هجرت لهجر وهي ارض عزيزة وما كنت من خير هجرت ربى هجر
هجرت لها إذ لم تفز عند اهلهـا وهل فاز ذو مكر خبيث وذو غدر
وجئت لقوم في الكويت تزيغهم عن المنهج الأسنى إلى المنهج الوعر
تذيع لديهم كل يوم نصائحـاً ولكنها عن كل خير وعن بر
وتحسب ان الغش إن طال صقله سيخفى على أهل البصيرة والذكر
ألا عـلم الاقوام بالغش والريا ألم تر حتى الجاهلون على حذر
يقولون جمعاً ما لنا بعـداوة ونحن بأسباب العداوة لا ندري
أيأتي الينا من ربى هجر جاهل تزيا بزي العـلم للنهش والعقر
فيتركنا في فتنـة وعـداوة فنمسي على غل ونصبح في وغر
أهل زاغت الأبصار عن قول ناصح أم السمع منا في غشاء وفي وقر

الى من يلوم الدعوة إلى الاتحاد

قد يلومني جاهل متعصب فيا كتبته في هذا الفصل ويرميني بالميل لتفكيك عرى الوحدة والاجتماع وسوف لا اعبأ بلومه ولا برميه، أما من شرب كأس الانصاف وفحص الحقائق فحص محقق خبير فانا على يقين انه سيمنحني من العذر أوسعه ويرى ما كتبته واجباً دينياً ، كيف يسوغ لنا السكوت عن كشف اسرار هؤلاء المدلسين الذين تقولوا على العلماء المصلحين بما سمعت ولم لا يعتبرون هم ومن على شاكلتهم البادئين بالاعتداء والساعين لإثارة الفتنة القائمة ،أيسوغ لنا السكوت عنهم وقد نسبوا لنا كل عظيمة ورمونا بكل افتراء وزلزلوا عقائد العامة بتدجيلهم وأفسدوا فطرهم بمكرهم وخداعهم واستولوا على افكارهم بما يظهرونه من زهد مصطنع وتقى غير صحيح .

صلى فأرهبني وصام فرابني نح القلوص عن المطي الصائم

* * *

أظهروا للناس نسكاً وعلى المنقوش داروا
وله صلوا وصاموا وله حجوا وزاروا
ان يكن فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

ان كانوا يرون ما يقولونه فينا وفي سوانا من الدين فنحن نرى إبطال ما زعموه من الدين ايضاً كما يرون ، نحن نود ان نكون يداً واحدة في كل ما يرفع الوطن ويعليه وفي كل ما يحمي عقائد أهله من الزيغ والضلال ونكون كتلة في مقاومة ما يتخلل بلدنا من مفاسد ومنكرات . ها نحن مستعدون لمصافحة من يريد مصافحتنا ممن يزعمون انهم لنا من الخصوم متناسين كل خلاف، ورامين له في قعر مظلمة. ولكن هل هم يودون ذلك ويتنازلون من عروش كبريائهم وعظمتهم ؟

حقاً اننا غير مختارين فيا كتبناه في هذا الموضوع ولكننا كما قيل :

ولولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا طيب المنام

نحن نود المسالمة ونميل اليها بجميع جوارحنا ولكنهم يضطروننا الى ضدها ها هو رجل من بلد أهل فارس وأذنابهم قد علا منصة الوعظ والإرشاد في آخر شوال من هذه السنة أي ١٣٤٤ في أكبر جامع في الكويت وقد التف حوله كثير من الناس لسماع وعظه البارد وإرشاده المظلم التفوا حوله وأنصتوا لمـــا ينطق به من هجر القول في أساطين الاسلام وأقطاب الاصلاح والطعن الشنيع في أديانهم المتينة والقدح في أعراضهم الطاهرة النقية ، أمثال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وتلميذه الأكبر السيد رشيد رضا والاستـاذ الكبير الزعيم التونسي الشيخ عبدالعزيز الثعالبي وغيرهم ممن لهم اقدام راسخة في العلم والدين ، وكان مع هـــذا يضم الى الطعن في هؤلاء الكرام التعريض بمدارس الكويت وبنهضاتها والتنفير من الكتب العصرية وأربابهـا ومطالعة الصحف بسائر أنواعها زاعماً ان ذلك من الدين افتراء منه وزور .

فمن إذاً أحق باللوم يا ترى أنحن وما كنا إلا مدافعين ، أم هـذا الأحمق وأعوانه وقد كانوا لنا مهاجمين ، أيراد مع هذا كله ان نخلد الى الراحـــة والسكون ونكم الأفواه وإلا رُمينا بالتسرع فيما نكتب وبالحمق فيما نقول ، تالله اننا واياهم ليصدق علينا قول القائل :

قتل امرىءٍ في غابة جريـــة لا تغتفر
وقتـل شعب آمن قضية فيهـا نظر

« ربّ افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

الحركة الفكريـــة والعلمية اليوم

في الكويت حركة فكرية ونهضة علمية وأدبيـة يدير شؤونها أناس تعلموا

من الحوادث التي مرت عليهم ان العصر عصر ارتقاء وتقدم لا عصر جمود وتأخر علموا بذلك فساروا بكل همة ونشاط وبكل إقدام وجرأة تتقدمهم الاحلام اللذيذة والآمال العذبة غير مبالين بمن سدوا عليهم الطرقات وأقاموا في طريقهم العثرات من عبـــاد الشهوات وأمراء التقليد ، حركة تبشرنا بمستقبل زاهر للكويت وأهله اذا ما أخذ بعضدها وشد ساعـدها وضمن ما تحتاجه مادياً وادبياً ، حركة من يقارب بين الامس يجد بوناً شاسعاً وفرقاً عظيماً لا يحسن التغاضي عنه انه انقلاب مدهش ولكل انقلاب اسباب ولا بد من سرد الأسباب هنا ، احدها : تعلق الكويتيين بأذيال الصحف واشتغالهم بمطالعتها والاهتداء بنبراسها وللصحف من التأثير في الآراء والأفكار ما لا يجهله إلا كل غر معاند أو جاهل مكابر ولله در الشاب الفاضل احمـــد بن بشر الرومي حيث يقول في منافعها :

إن للصحف بقلبي منزلاً أغـلى نزوله
انما الصحف كطير يشتهي الحر هديله
كل من شاء رقيـــا صير الصحف سبيله
فبها خـــير حياة وهي للعـلم وسيله

وأول بيت في الكويت يستحق اسناد فضل السبق اليــــه في الاشتراك بالصحف هو بيت آل خالد النجباء فقد بزوا سواهم في هذا الميدان وتقدموا اخوانهم في هذا السبيل فاشتركوا في مجلة (المنار) الغراء وبجريدة المؤيد في الوقت الذي كان جمهور الكويتيين يحرمون مطالعتها ويرمون أهلها بكل عظيمة وقد لقوا من مواطنيهم اذ ذاك انكاراً شديداً لو نزل بمـــن سواهم لانهزموا امام ذلك التيار ولكن آل خالد الكرام عرفوا بالثبات حتى اصبحوا مضرب الامثال به ولله در الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي حيث أشار الى هذا المعنى بأبياته المتقدمة وقـــد أشرت ايضاً الى ذلك

بالقصيدة التي قدمتها لزعيمهم المكرم الحاج حمد الخالد بمناسبة اصلاحه لمسجد آل يعقوب :

شكراً لكم اذ زنتم بفعالكم أرض الكويت واهلها لا تنكر
علمتموهم والثبات حليفكم ان النجاح حليف من يتصبر
وبحسن مبدئكم وقوة عزمكم كنا نفاخر من علينا يفخر

الثاني : الآراء الحرة والنصائح الثمينة التي كان يبثها أهل العلم والفضل من الغرباء الذين يتخذون ساحة الكويت ميداناً لتعاليمهم الراقية وأفكارهم الحية وفضحهم هناك دسائس أهل الغش والخداع فبذلك اقتلعوا من اذهان الكثيرين ادغال الجمود وحصدوا أشواك التعصب وبذروا البذور الطيبة الصالحة وكان أول من حاز قصب السبق في هذا المضمار الاستاذ الكبير العلامة المحقق السيد رشيد رضا فانه في السنة التي زار فيها الكويت أحدث انقلاباً بين أهلها وتأثيراً عظيماً بخطبه الرنانة التي قام بها في أكبر جامع وهو يتدفق كالسيل المنحدر قام بتلك الخطب الساحرة هناك فتاب الى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلته السوء وأصبح الراغبون في العلوم الراقية التي كانوا يحرمونها أولاً جماً غفيراً بعد ان كانوا يعدون على الأصابع وكذا ازدادت الرغبة في مجلته الغراء بعد ان لم يكن لها من المشتركين إلا اثنان او ثلاثة. ولا ريب ان كل هذا من الاصلاح المنشود أو من الطرق التي توصل اليه وضرب على نغمته المطربة فضلاء جاؤوا بعده منهم العلامة الاستاذ المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والاستاذ الفاضل الشيخ حافظ وهبه المصري. اما الاول فقد دعي للجمعية الخيرية من الزبير سنة ١٣٣٣ فأجاب ولبث مدة يبث افكاره السديدة وتعاليمه النافعة بالوعظ والتعليم والارشاد في الجمعية تارة وفي المساجد اخرى. وما زال يدأب في هذا الاصلاح الى ان طرأ ما اضطره الى مغادرة الكويت كما سيأتي، وفي هذا الاستاذ الفاضل يقول الشاب النبيه الاديب الفاضل الشاعر

الجديد عبداللطيف بن إبراهيم آل نصف في احتفال النادي الادبي بالاستاذ عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ :

اليوم هلت الكويت وكبرت	لما أتاهـــا العـالم النحرير
واستبشرت فرحاً بنابغةالهدى	حتى حسبنا انهـــا ستمور
والقوم بين مؤهل ومرحب	طرباً وقد شمل القلوب سرور
قد جاءهم ذرب اللسان مروعاً	لبق بحـــل المعضلات بصير
ايه بني قومي وسادة معشري	أوموا اليه بشكركم وأشيروا
خلوا النواظر شاخصات نحوه	ودعوا القلوب تسير حيث يسير
أثنوا عليه بمـــا ترون فإنه	رجل لعمري بالثنــــاء جدير
اممطر الاسلام من نفحـــاته	ومعيد روض الدين وهو نضير
والمرسل السحر الحلال منقحاً	يوحيه فكر ثاقب وضمـــير
بشرى لهذا الثغر لما زرتــه	فلكم تمنت أن تراك ثغور
تالله نلنا فيك صفقـــة رابح	كتبت لها فوق الاكف سطور
أمحمد أهـــلا بعلم محمـــد	يوحيه فينا المصلح المشهور
كم قد اصبت بنكبة(١) وبمحنة	وكأن اعظمها لديك يسير
الله يشهد حينـــذاك بأنني	قـــد كاد قلبي للمصاب يطير
خطب له اهتزت جبال تهامة	جزعـا وعج الى الاله ثبير
هيهات ينسى الله أجرك بعدها	فاصبر وربك بالعبـاد بصير

أما الثاني فدخل المدرسة المباركية أولاً والأحمدية اخيراً معلماً لكثير من

---

(١) يشير الشاعر الى تجاسر بعض السفهاء الاغبياء في الزبير على الاستاذ بالضرب ولاهانته لا لذنب إلا لسعيه في الاصلاح وتنبيه الافكار من خمولها ولقد تألم المصلحون من ذلك الحادث الفظيع وصدرت احتجاجات من الكويت والبصرة والزبير على الجاني الجاهل وكانت النتيجة اخيراً القبض عليه وزجه في السجن مدة جزاء لطيشه ورفع الاستاذ على أكف الاجلال والتعظيم .

العلوم العصرية كالهندسة والجغرافية وغيرها فكان له من الآثار الحسنة ما لا يزال الكويتيون الى هذا اليوم يشكرونه عليها ويعترفون بفضله وبغيرته .

الزعيم التونسي في الكويت

وآخر اولئك المصلحين الافذاذ زعيم كبير واستاذ محقق وبطل مقدام وعالم من العلماء المحققين ، وسياسي أخرس الساسة المحنكين ، ومخلص له في كل حركة أثر محمود وخطيب مفوه يحق للشرق ان يفاخر به الغرب وأبناءه، ولا غرو فالزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي من رجال الشرق المعدودين ومن زعمائه الكبار الذين تتجاب الغياهب لبوادر هداهم ومعرفتهم ، زعيم لا يسمح الوقت بكثير من امثاله ، زار هذا الأستاذ الكويت في ذي القعدة سنة ١٣٤٣ ونزل ضيفاً كريمـــاً على آل خالد الكرام ، وهناك مدها بسلك كهرباء الحياة ، وأجرى فيها روح الحركة والنشاط وتركها متحفزة لنهوض مدهش وتقدم غريب بما كان يجود به على المحتاجين لفضله إن في مجالسه العامه أو في خطبه البليغة التي تفضل بها في احتفالات الكويتيين به ، نعم فالاستاذ الثعالبي له من قوة الحجة والعارضة ما ليس لأحد من اقرانه وله من التأثير ما يندر أن يفوز به احد سواه، له تأثير في كلامه ومنطقه وتأثير في سكوته وحركته، وله فوق ذلك ما يبهر العقول ويسحر الألباب ويضطر الخصم العنيد ان يطأطيء رأسه أمامه. أقام هذا الاستاذ الكويت بزيارته وأقعدها وشهدت منه مـــا لم تشهده في حياتها من شخص غيره . انعقدت على محبته القلوب وأكبره صغير القوم والكبير وأقاموا له الاحتفالات الشيقة في المعاهد العلمية والادبية ، إكباراً لقدره وتقديراً لفضله وقد القيت امام فضيلته في احتفال النادي الأدبي به هذه القصيدة :

هذا احتفال قـد كسي بجمال ... فلمن اقيم على ربى الاجلال ؟
ولمن أنير سمـــاؤه في ساحة ... تجلو الظلام بنورها المتلألي ؟
ألعـــالم ملك القلوب بهيبة ... هي هيبة الاساد والاشبال ؟

أم قد أقيم لمصلح مـــا عابه إلا الثبات وصالح الأعمـــال
يا من علا متن الزعامة مدركاً ما ليس يدركه اخو اهمال
ان الزعامة باسمكم قد شرفت وسواك يحسبها حلى ولآلي ؟
وسواك يخطبهـا ليرفع قدره وأراك انت خطيبها المتعالي
ما للزعامة ان تشرف سيداً ساد الانـــام بفخره المتوالي
يا من تصارع والخطوب بهمة هي همة من قائل فعـــال
ان الكويت تزينت بقدومكم يا زينة الاقران والابطال
أنظر اليها قد بدت في وشيها تمشي ابتهاجاً مشية المختـــال
حظيت بعيد يوم زرت ربوعها وزيارة الابطال عيد غـــال
في كل ناد من نوادي أهلهـــا خبر يسر عن الزعيم العالي
هذا يقول ألا ابشروا قد زاركم أسد العرين وغاية الآمـــال
وسواه يهتف بالمسرة قائـــلا ان الجهالة آذنت بزوال
اهل الكويت فعظموا من ضيفكم بظلاله في المكرمات علالي
بظلاله يوم النزال مهابـــة منها الجموع تصاب بالاجفال
وله اذا ما الامر اصبح مشكلا رأي يحل غوامض الإشكال

فتنة محمد (١) خراشي في الكويت
وفي الخليج العربي

واذ قد ذكرنا في هـــذا الفصل افاضل الغرباء المصلحين الذين بذروا في اذهان الكويتيين بذور الاخلاق الصالحة وقلدوا اعناقهم بدرر العـــلوم

---

(١) ليعذرني القارىء في الافاضة في أمر هذا الرجل هنا فانه لم يجبس تلك الديار الا للفتنة والتضليل ولإفساد العقائد الصحيحة وهدم قواعد الايمان، ولا عمل افضل من فضيحة امثال هؤلاء المتلبسين السفهاء والنصيحة للناس عن الانخداع بهم .

النافعة فيليق بنا اذاً أن نذكر نموذجاً ممن كان له من الآثار هناك عكس ما لهؤلاء تمييزاً للمصلح من المفسد والطيب من الخبيث ويضدهـــا تميز الاشياء وسأحصر البحث في شخص كان يظن أنه من الفريق الأول وما هو في الحقيقة فيهم الا دعي زنيم. رجل وفد إلى الكويت من الزبير فنزل في ضيافتي وهناك قمت بحقها وكنت أول المعجبين به وبعقيدته السلفية التي كان يتظاهر بهـــا حتى سعيت في توظيفه معلماً ومديراً للمدرستين (المباركية) و (الأحمدية) وتوظف فيها فعــلا ولكنه ويا للأسف انعكس وانتكس . فخلف له في الكويت آثاراً سيئة تستك لها الأسماع ، اثاراً قذفته من جرائها بجمعها التي تحرق الافئدة والقلوب ، خرج منها مزوداً بالشتائم المرة ومتمعاً بالسخط حتى من اصحابه الذين عرفوا حقيقته في ما بعد ، خرج منها محمد خراشي الازهري المصري المنفلوطي بعد ان ابقى له فيها من المخزيات ما كان يجدر به أن يواري نفسه بالتراب لو كان من أهل الحياء . غادرها بعد ان سطر في صحيفة تاريخه ما تبكي له الاخلاق الفاضلة بالدموع الحمر .

ماذا تريد ان احدثك عن هذا الرجل أعن اخلاقه وقد كان بها سبة في وجه العفاف والطهر . انغماس بالفسق والفجور ومعاقرة للمسكرات والخمور وميل للشهوات البهيمة . ومجاهرة بالافطار في رمضان وترك للصلاة التي هي من أعظم اركان الإسلام . أم عن كذبه الغريب الذي كان به مسيلمة وقتــه وسجاح زمانها . أم عن مكره وخداعه وتلونه تلون الحرباء .

كل ما سمعته ايها القارىء من هذه الخلال الشنيعة قد اتصف بهـــا ذلك الرجل الأزهري وإن لم تصدقني فيا قلت فاذهب اولا الى الكويت ثم عرج على البصرة والزبير واغش هناك مجالس القوم وأنديتهم واسألهم عما يعرفون عنه فانهم سيخبرونك بما يصيبك منه المقيم المقعد .

أما عقيدته التي كان يضمرها فعقيدة زائفة يجل عنها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان . عقيدة لا تبقي لصاحبها اثراً من الدين . صرح بلا حياء ولا

خجل في بحث دار بيننا عن الامام البخاري رحمه الله بقوله (لو كان البخاري موجوداً في هذا العصر لكان جزاؤه الإعدام بالرصاص) . وارجح ايضاً أن الرجل لا يعتقد بالمعاد لما كان يرميه من الشبه بين جلسائه على استحالتـــه من غير ان يتعرض لازالتها . أما وحدة الوجود التي هي الكفر والضلال فكان يدعو اليها جهاراً ويقول ان الايمان لا يتم الا بها ، ويرفع لابن العربي مقاماً لم يرفعه لأحد سواه ويدعي ان الناس لم يفهموا مراده في الوحـدة وان جميع عباراته التي تشير اليها لها تأويلات تتفق والدين فقلت له حسناً مـــا قلت ولكن ما هو الجواب عن بعض عبارات له في الفصوص يعسر علي ان اجد لها معنى يرتاح اليه الضمير وذكرت له نبذاً منها فبهت الرجل وقال ان صح نسبة هذه العبارات له فعقيدته اذاً خبيثة ولم يفتني انه لم يكن صادقاً فيما قال وان الذي اضطره إلى هذا التصريح انما هو حرج المركز لا غير .

وقد علمت اخيراً انه لم يدع الى وحدة الوجود الا ليتوصل بها الى مذهب البابية الذي كان يدعو اليه سراً ، علمت ذلك منه دون غيري لطول عشرتي له وكثرة ما يدور بيننا من الابحاث في شأن هذا المذهب وكان يظن من غباوته عدم تفطني لما كان يستره ويخفيه وان حيلته ستنطلي علي كما انطلت على كثير من اخواني الكويتيين ..

قال لي يوماً انه اتهم بهذا المذهب في مصر لمعرفته بعقائد اهـله واطلاعه على تراجم رجاله اطلاعاً غادر أصحابه (كالشيخ عبد الباقي سرور)واضرابه يعتمدون عليه فيما يحدث به عنهم . وقال ان غرضه من هذا الاطلاع هو الوقوف على مواضع الضعف فيه ليتخذه سلاحاً في ميدان الجدال .

قال عن هذه التهمة ما سمعت ولا ريب انها تهمة قوية جداً فان أهـــل البيت أدرى بما فيه سيما وقد رمي الرجل بما رمي به ولم ينتصب للدفاع عن نفسه لا بلسانه ولا بقلمه ثم لو كان صادقاً فيما يدعي لأسمعنا صوته ضد دعاة ذلك المذهب في مصر والعراق على كثرتهم هناك وكثرة اختلاطه بهم ولكن

سكوته الطويل والتهم تحوم حوله ، وعدم جداله لاولئك الدعاة وهم كثيرون اكبر برهان على متانة تلك التهمة. والا فما المانع له يا ترى عن الدفاع والجدال وفي استطاعته ذلك ، فبهذا البرهان وببراهين عديدة قويه أضربت عنها لم يبق عندي أقل ارتياب في ان الرجل من تلك الطائفة الممقوتة وانه من دعاتها وقد صارحت بعد ان علمت بذلك بعض القائمين بامر المدارس في الكويت بما كان يضمره من العقائد الخبيثة فاعتذر من افضيت اليه بالامر بامور قد يكون معذوراً بالتمسك بها . من هنا ظل الرجل مدة متربعاً على كرسي وظيفته وما كان ليتركه لولا كثرة ما كان يوجه اليه من اللوم في اهماله للوظيفة وعدم قيامه بواجبها وعدم نجاح التلامذة ايضاً .

لو كان هذا الرجل غير ازهري لما اجريت قلمي في تسويد صحيفته ولكنه وهو من المنتسبين لهذا المعهد الكريم رأيت من الواجب ان اذيع ما اعرفه عنه تحذيراً للناس من ضلاله سواء في البحرين او الهند او غير ذلك من البـــلاد وليكون القائمون بالازهر على علم بما يأتيه احد خريجي معهدهم الشريف فينزلوا به ما يستحقه من الجزاء والعقاب كما انزلوا ذلك بمن على شاكلته .

انا لا أقول ان هذا الرجل هتك حرمة الازهر المقدسة بمـــا قام به من تمثيل تلك الادوار المحزنة في العراق وفي بلاد الخليج الفارسي فإن الازهر ينفي خبثه كما ينفي الكير خبث الحديد ولكني اقول عليه ان يكون يقظاً امام اولئك المفسدين الملحدين الذين لا يألون جهداً في تشويه محاسنه الجميلة في الخارج واساءة سمعته الحسنة بين الجمهور .

رأي في محمد خراشي
يتضمن آراء

لم أعجب من موافقة صاحبنا الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بهجة الاثري

فيما كنت اراه في هذا الرجل فان صاحبنا من أهـــل الاحساس الرقيق والفراسة الصائبة .

جئت الى بغداد فوجدت صاحبنا قد خالج ضميره مثل مـــا كان يخالج ضميري عن الرجل بل وزادني عنه معلومات مهمة استقاها من مصادر صادقة رغبت الى حضرته اخيراً ان يتفضل بها علي مع ما يعن له من الملاحظـــات فاجاب مسروراً ولبى فرحاً وها هي كلمته البديعة البليغة اضمها الى كلمتي السالفة لتكون شاهدة لها ومصدقة لما تقول قال :

(هذا رجل أجدب في مصر فانتجع ، ودخل دمشق ، وخرج منها الى بغداد يحمل الي كتاباً من سميي العالم الجليل الاستاد الشيخ محمد بهجة البيطار فرحبت به وقضيت حقوق ضيافته ، وبقي في بغداد أياماً لا يعرف فيهـــا غيري ، ولا مرجع له سواي ، ثم ودعني الى حيث ينتوي وكانت طيته التي ينتويها (الزبير) .

وقد دارت بيني وبينه مباحثات سبرت بها غوره ، واكتنهت جوهره ، بل أدركت بها سره ، وكشفت مضمره ، ولا بأس ببيان ما بان لي منه لكم.
ظهرت لي في هذا الرجل خلال لا تليق ان يتصف بها مسلم عامي فضلاً عن منتسب الى العلم والدين ومنتم الى معهد كالأزهر عظيم . وأقبح ما رأيت من خلاله الكذب ، والعياذ بالله من الكذب ؛ كان يحكي الشيء ويبالغ فيه مبالغة لا تكاد توصف حتى اذا ما انتهى من حديثه ناقض آخر كلامه اوله . وقد ادعى مرة انه لازم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه وأخذ عنه العلم ، ثم جرى حديث ذكر فيه انه بلغ من العمر ثلاثين عاماً ، فابتدرته هنا قائلاً بكل تلطف ما معناه : يا شيخ ا مضى على وفاة الامام حتى اليوم زهاء ٢٠ عاماً وقد ذكرت انك قد بلغت الثلاثين ، فلله درك : لقد وفقت لما لم يوفق له أحد غيرك من ملازمتك للامام وأخذك عنه وأنت في العاشرة من العمر ! » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

أما مذهبه فقد ادعى أنه سلفي أثري ولكن سرعان ما ظهر انه كاذب كذب مسيلمة اليمامة في دعواه ، وانه في دينه على حد قول القائل :

دعيٌّ في (الديانة) يدعيها   كدعوى آل حرب في زياد

فقد رأيته يلهج بذكر عباس افندي ويصفه بما لا يكاد ينطبق على الملائكة المقربين مع ما هو معروف به من افن الرأي وفساد المذهب – حتى وقر في نفسي انه داعية من دعاة (البابيه) المرتزقين . وذكرت ذلك للاستاذ البيطار فأجابني : ان في نفسه شيئاً مما وقر في نفسي منه . كتب اليه الشيخ راغب القباني من الأزهر يؤكد ذلك ويرغب اليه ان يكتب إلي لأحذر الاستاذ الشيخ محمد الشنقيطي الذي تعين في مدرسته . من مكره ودسيسته ، قال الاستاذ البيطار :

« ... ثم نقل لي الاستاذ القباني عن اصدقائه الافاضل العدوي وحمزة وعاصم رضا ما يأتي ، قال : نتيجة حديثهم لي عن الخراشي انه متلون لا يثبت على شيء أبداً لما في عقليته من الاضطراب مع ذكائه ، وان المهم عنده ان يعيش وتكون له شهرة – الى ان قال – وعندي بناء على هذه النتيجة النهائية ان ذهابه الى العراق لنشر البهائية بألوان شتى ، فالمرجو المبادرة الىتنبيه السمي الحبيب ليحذر منه الناس ويكتب الىأخينا الشنقيطي السلفيالعلامة المحترم الذي في الزبير من اعمال البصرة يحذره منه لأنه تعين في مدرسته »

والذي يظهر من اقتصار البيطار على بعض كلام القباني ان القباني اغلظ القول في حقه فاقتصر على ما يفي بالمراد ويرمز الى حقيقة حاله . ويا ليته أورد جميع ما كتب .

وباحثني ليلة في مسألة وحدة الوجود الشهيرة ، وأثنى على محيي الدين بن عربي ثناء كبيراً ، فرددت عليه ، وذكرت له من أقوال ابن عربي الشاذة

ما لا يسع احداً ان يمتري في ضلاله . ثم أطلعته على رسالة بديعة لشيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه في الرد على القائلين بوحدة الوجود وفساد مذهبهم ، فتنصل من كلامه معتذراً بكلام بارد لا يقبله منه انسان . وهكذا كان في غالب حديثه مضطرباً :

كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

ولقد رأيته سليط اللسان وكثيراً ما كان يغلظ القول في زعيم مصر الاكبر سعد زغلول ، ويرميه بأفن الرأي ، وسخف العقل !!! ورحم الله من قالت ، رمتني بدائها وانسلت .

وأما علمه فقد ظهر لي ان بضاعته – ولا سيما في العلوم اللسانية – مزجاة ولكن الرجل قد رزق جنة في اللسان فاذا تكلم زوق كلامه وخرج فيه الى المبالغة حتى يوهم الجاهل انه على شيء من العلم كبير ولكنك اذا « نخلت » كلامه فلا تلبث ان تقول « اسمع جعجعة ولا أرى طحناً » !

وبالجملة فان الرجل متلون ، مضطرب ، قليل البضاعة ، صفر الوطاب ، خالي الوفاض ، لا يحسن ان يعتام مثله مدرساً ابداً ؛ ولا هو ممن تتناوله يراعتنا ولولا سؤالك عنه ايها الاستاذ الصديق لتركت صحيفته مطوية أبد الدهر) .

محمد بهجة الاثري

صديق لمحمد خراشي
يكشف سره

قبل أن اقدم صحيفة هذا الرجل السوداء للطبع بنحو أربعة أيام جاءني كتاب من البحرين من أخ فاضل اصطحب الخراشي ولازمه ملازمة الظل لصاحبه فاطلع منه على ما لم يطلع عليه احد غيره وقد افضى إلي ذلك الأخ بشيء

من تلك الأسرار سيا انتماء الرجل الى البابية فجاء ما قاله شاهداً لمـــا كنت اعتقده فيه ولا بأس بايراد شيء من تلك العبارات هنا تنويراً لاذهان بعض من لا يزالون الى هذا اليوم في شك من أمر الرجل قال :

(اني وايم الحق لمسرور جداً بما قد سمعته منكم ليـلة المناقشة التي كانت بينكم وبين الخراشي الذي غر ويغر الناس باسم الدين تضليـــلا . لا تتعجب من انقلابي على المذكور بعد ما كنت ملازما له ملازمة تامة ومتخذا له كأخ شقيق فما كنت اذ ذاك اعتقد فيه صحة ما وجهته اليه انت وغيرك من كثير من العقلاء الذين أوقفوا حياتهم في خدمة الدين ومصلحة النظام أما في الايام الاخيرة فقد ظهر لي معتقده بعد أن اختبرته وباحثته مراراً في مسائل دينية ودنيوية حيث أباح لي بحقيقة الأمر حتى كاد ينزع عقيدتي لا سمح الله وجدته دائماً يوقر البهاء ويعظمه ويتمسك بمبادئه وينشر ما صرح به البهاء على بعض الشبان) ثم ذكر أن الأسرار التي اطلع عليها كثيرة واقتصر على اهمها فقال (وأهمها ما اطلعت عليه من كتب أرسلت للخراشي من عباس افندي البهائي في سنة ١٣٤٢ في ١٣ جمادى الأولى ونصها أن عباس افندي يمدح الخراشي كمدحه لأبيه تقريباً قال عباس في كتابه مخاطباً المذكور(احمدالبهاءالذيوفقك لإرشاد البهائيين،ايها الحبيب عالج الناس بكل رفق وهدوء وعليك (البهاء). احمد البهاء الذي اظهر لك الحق باتبـــاعك اياه وفقك لمعالجة المرضى وتبيين الحقيقة ، وغـــير ذلك من الأقوال التي تثبت للخراشي ما نسب اليه من كثير من الناس المؤمنين وقد تحصلت على الكتاب بخط عباس افندي باللغة العربية الفصحاء ، اما رسم الكتاب فهو بالفارسية ، ولا يزال الكتاب عندي محفوظاً بدون علم من الخراشي اه) . ثم قال : فاتني ان اذكر لك انه كتب الى الشيخ احمد الجابر كتاباً اعلمه فيه بأنكم انتم الذين كتبتم المقالةالسابقة التي طعن فيها بامارة الكويت ، وقد لفق هذا الكتاب بمفترياته كذباً وبهتاناً وكتبه بحضوري وأفهمني عن المسألة تفصيلاً الخ اه .

تنبيــه

في آخر رمضان سنة ١٣٤٤ بعد ان استقال محمــد خراشي من المدارس القى محاضرة طويلة في النادي الأدبي في الكويت في البهائية وعقائدهم وتراجم رجالهم وأطنب في مدح عباس أفندي أحد زعمائهم وفي اخلاقه ومعارفـه حتى خيل للبعض انه ليس من البشر ، وكر على شيء من عقـائدهم بالنقض والابطال ذراً للرماد في العيون ، القى هذه المحاضرة فازددت يقيناً في ان الرجل من دعاة هذا المذهب بلا ارتياب وإلا فما الباعث لهـا ولا بهائية في الكويت ولا دعاة . زادتني يقيناً على يقين فعارضته بعد ان انتهى ونبهت القوم الى انه كان متهماً بهذا المذهب وسردت لهم شيئاً من البراهين الدالة على ذلك غير أنه تبرأ من هذا المذهب إذ ذاك وأنكر ما قلت إنكاراً باتـاً وما كان ذاك إلا ليخدع الحاضرين ويموه على عقولهم ، وقد فاز بمـا يريد في تلك الساعة فإن القوم آمنوا بما قال وصدقوا واستغربوا معارضتي اياه وخطأوني فيها وكان منهم صاحب ذلك الكتاب ولكني ما زلت واياهم في جدال أدلي لهم بالحجج والبراهين على صحة ما قلت حتى تمكنت في وقت قصير من اقناع الكثير منهم .

أما نسبة الرجل الى تلك المقالة وابلاغه سمو الامير عنهـا فقد أيد ذلك ايضاً صاحبنا الفاضل ملا صالح رئيس الكتاب ولكني لم استغرب الأمر لعلمي بتفنن الرجل في الكذب والافتراء وإقدامه على ما هو اعظم منه وأشنع.

قد علم الامير وحاشيته وعلم اهل الكويت ايضاً اني لم أخط حرفاً واحداً من تلك المقالة فاذا قد شاء هذا الرجل ان يفضح نفسه بنفسه وان يحز عنقه بسيفه ، وهكذا المفسدون المدلسون يرمون سوامهم بالسهام فتعود في صدورهم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

فالى ما كتبت في هذا الفصل ألفت نظر من تعلقوا بأذيال الرجل وأقاموا

له المنزل العالي بين جوانحهم وقلوبهم الى هذا اليوم فانه لا يليق بهم والحالة هذه ان يعيروه من الاعتبار شيئاً ان كانوا صادقين .

ومن مقومات الحركة الفكرية والعلمية في الكويت ظهور شبان متنورين امتلأوا حماسة وغيرة حتى اخذوا على عاتقهم انهاض الوطن الى العلا ورفعه الى مستوى الكمال بطرق شتى وأساليب مختلفة . ولهذا الغرض نفسه أسسوا المكتبة الاهلية والنادي الأدبي وشرعوا يقرعون الاسماع بالمقالات الضافية على صفحات الجرائد وما زال هذا دأبهم حتى كان للعلم منهم سلاح قاطع وجيش عرمرم لغزو الخرافات والاصاليل ، ولا غرو فالشباب هم في كل بلد وقطر الذين يبنى عليهم المستقبل وتقام دعائم الأعمال الكبيرة فبارك الله فيهم من شباب وفي هممهم العالية وعزائمهم القوية التي تلين الصخور ولا تلين وتنضب لينابيع وماؤها لا ينضب وإلى هؤلاء الشباب الاحرار وجهت هذه الأبيات في افتتاح النادي الأدبي في الكويت :

يا شباب القوم هيا — نبن للاوطان مجدا
إن للاوطان حقا — دونه الارواح تفدى
فابذلوا كل نفيس — ودعوا أخذا وردا
واتركوا قول مداج — يستحق الصفع حدا
يحسب الحق ضلالا — وطريق الغي رشدا
فاتركوه ان يلمكم — انه يحمل حقدا

* * *

أيها الشبان جدوا — حفظ الله الجدا
ودعوا النوم لقوم — يحسبون النوم سعدا
فبوار القوم يتلو — منهم نوماً وسهدا
ايه جدوا ثم هبوا — للعلا جمعا وفردا

ثم سيروا للعلوم واكسروا غلا وقيدا
ليس للشخص حياة ان يكن بالفكر عبدا
والى الدين فموجوا فبه تجنون شهدا
خاب مسعى كل شخص هدم الدين وهدا
انما الدين حياة رفضه يوجب طردا
والى الاخلاق فاسموا فبها تسمون قصدا
ما عهدنا الشعب ينجو بسواها إن تردى
يا رعى الله شبابا منهم الفخر تبدى
عن قريب سنباهي بهم شاما وهندا
عن قريب سنراهم للهدى جيشا وجندا
ايها الشبان صفحا عن جهول جاء إدا
ليس كالصفح سلاح يقتل الخصم الألدا

الرابع : تأسيس المعاهد العلمية التي شرب الكويتيون من مناهلها عذباً زلالاً كالمدرسة المباركية وأختها المدرسة الاحمدية فمن آفاق هاتين المدرستين سطعت بذور الافكار الحرة والآراء الناضجة وانتشرت أشعة مبادىء العلوم التي كانوا يحرمونها اولاً كالجغرافيا والهندسة والتاريخ ، أما مبادىء الفقه والنحو والصرف فهي وان كانت شائعة هناك قبل هاتين المؤسستين فقد كانت محصورة بأفراد من أهل اللحى . اما الآن فقد صارت ميسورة حتى بين الكثير من الصغار الذين يوجد فيهم من يفوق ذا اللحية العريضة والعمامة الكبيرة .

مدارس الكويت (١)

في الكويت الآن (١٩٢٦ م) من المدارس ما لا يقل عن سبع عشرة

(١) ارتأى المشرفون على وزارة المعارف اخيراً ان يكرموا مؤرخ هذا الكتاب المرحوم عبدالعزيز الرشيد فأوجدوا مدرسة حديثة تحمل اسمه وذلك سنة ١٩٦٠ .

مدرسة للذكور ونحو ثمان مدارس للاناث ومن مدارس الذكور التي لها يد في الحركات التي قدمناها المباركية والاحمدية والسعادة وما عداها فهي كتاتيب صغيرة جلها مقصور على الكتابة والقراءة والحساب .

المدرسة المباركية : يرجع الفضل في انشاء هذه المدرسة الى ثلاثة من الفضلاء في الكويت الشيخ يوسف بن عيسى والمرحومان الشيخ ناصر المبارك والسيد يسين الطباطبائي ، فهم أول من حث على تأسيسها وأول من رغب الجمهور في الانفاق في سبيلها وقد كان لآل خـالد الكرام ايضاً أياد بيضاء عليها لا تقل عن أيادي من سواهم .

أسست اولاً على أنقاض بيت كبير من بيوتهم وكانت ماليتها في عهدتهم وكانوا يحرصون على تنميتها كما يحرصون على تنمية اموالهم بدون أي مقابل .

المدرسة « المباركية » والمعلمون

اجتمع لها ما ينيف على ثمانين ألف روبية من المحسنين وكان للشيخ قاسم وللشيخ عبدالرحمن آل ابراهيم اليد الطولى في ذلك فتفضل الأول لها بثلاثين الف روبية والثاني بعشرين الفاً ولتفردهما بهذا الفضل الكبير امتدحهما الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي بقوله :

هكذا الفضل وإلا فـلالا ... ان للفضل والمجد رجالا
يعرف الفضل ذووه في العلا ... فهم الابطال ان رمت نزالا
قم بنا يا صاح نجلو ذكرهم ... فبه الارواح ترتاح ثمالا
ودع الاطلال والربع ومن ... أخذ الألباب تيهاً ودلالا
ودع الأحور معسول اللمى ... إن في اللحظ سهاماً ونبالا
ودع الراح وحالات الهوى ... فهي تكسوك جنوناً وخبالا
ثم صرح لا (تكني) عنهم ... فهم الانجاب فعلا ومقالا
آل ابراهيم هم أهل الوفا ... هم نجوم بسما المجد تلالا
وهم السادات هم أهل العلا ... وهم الكهف اذا ما الخطب مالا
حملوا الدهر معال اثقلت ... كاهل الدهر يميناً وشمالا
غير بدع ان تسامى فرعهم ... او ينل من ذروة الفضل منالا
اصلهم زاك تدلى زهرة ... فلذا طابوا فروعاً وفعالا
إن للمجد لهم في قاسم ... علماً يخفق جوداً وجلالا
فهو المفضال والندب الذي ... قد تسامى بمعال لن تنالا
تنشر الكتاب من بين الملا ... ذكره المحمود فضلا وخصالا
لم يكن في الخير من جمعية ... لم ترد من ذلك البحر زلالا
وسل الابناء تروي بذله ... في معال قد تفياها ظلالا
لو سألت الدهر عمن قد مضى ... هل رأى سمحا كهذا قال لالا
غير أني لست أنسى ماجداً ... فاضلا فاض جميلا ونوالا
غن يا صاح بتذكار له ... فلقد طاب أبو عوف فعالا
باسم الثغر لمرتاد الندى ... عنده كم حل من العسر عقالا

حبس النفس على نيل العــلى ... فيــه تكسب عزاً ودلالا
دمتم بالخير يا أهــل النهى ... ما بدا برق بليــل وتلالا
وعليكم آل ابراهيم مــا ... طلـــع الفجر سلام يتوالى
من اديب ليس يرجوكم ندى ... بل ولا يرجو من المخلوق مالا

بدىء في بنائها سنة ١٣٢٩ وكان المباشر لذلك الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي الذي تولى ادارتها والتعليم فيها فيما بعد وكان له أثر عظيم في انبثاق الافكار الحرة والعلوم النافعة في سمائها .

أما افتتاحها فكان سنة ١٣٣٠ واهم من اشتغل بالتعليم فيها الاستاذ الفاضل الشيخ حافظ كما تقدم وقد دخلها غيره من المعلمين والمديرين وهاك اسماءهم :

مدير ومعلم

١ – الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي
٢ – الشيخ يوسف بن حمود
٣ – السيد عمر الازميري الذي غير نهج التعليم الابتدائي الى طريقة حديثة
٤ – (كاتب هذه السطور)
٥ – الشيخ محمد خراشي الازهري المصري المنفلوطي كان له فيها أثر في تعليم التلاميذ الانشاء وقد استقال منها ومن المدرسة الاحمدية ايضاً في رمضان من هذه السنة كما علمت فيما بعد .

معلم فقط

١ – الشيخ حافظ وهبة المصري
٢ – الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك الاحسائي
٣ – الشيخ نجم الدين الهندي
٤ – الشيخ محمود الهيتي
٥ – الشيخ نوري الموصلي
٦ – السيد عبد القادر البغدادي
٧ – صاحبنا الفاضل عبد الملك ابن الشيخ صالح المبيض الزبيري الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في ترقية الحساب وتحسين الخط في الكويت.

وسميت بالمباركية باسم حاكم الكويت المشهور الشيخ مبارك آل الصباح .

المدرسة الاحمدية

أسست سنة ١٣٤٠ وسميت باسم حاكم الكويت المعظم الشيخ احمد الجابر آل الصباح لرعايته لها ومساندته اياها .

أما سبب تأسيسها فكلمات وجهتها إلى ثلة من أشراف البلد ووجهائها في مجلس السيد خلف باشا النقيب حثاً لهم واستنهاضاً لهممهم في شأنها فصادفت قبولاً لديهم واستحساناً،وفي الوقت نفسه وفي ذلك المجلس بادروا بالاكتتاب لها وقد فرضوا ما تفضلوا به سنوياً فالى أولئك الفضلاء يرجع الفضل في إخراجها إلى حيز الوجود ولهم دون سواهم يسند الشرف في تشييدها واليك اسماءهم لتذكرهم فتشكرهم ، الحاج حمد الصقر ، الشيخ يوسف بن عيسى ، الحاج احمد الحميضي ، الحاج أحمد الفهد الخالد ، الفاضل السيد عبد الرحمن بك النقيب ، الحاج مشعان الخضير ، الحاج مرزوق الداود ، وهناك رجل آخر أبلى بلاء حسناً في سبيلها جدير بأن ينظم في سلك هؤلاء الأفاضل وهو الأديب سلطان الابراهيم الكليب فقد بذل همه ونشاطاً في جمع الاعانات لها والترغيب في معاضدتها .

وأقيم لافتتاحها حفلة شائقة قام فيها من الخطباء أستاذنا الجليل الشيخ عبدالله خلف والفاضل سلطان الابراهيم الكليب وصديقنا الحر الفاضل السيد حسين بن السيد كمال الدين النجفي وكان إذ ذاك في الكويت وكاتب هذه السطور وقد قال السيد النجفي المفضال ابياتاً مؤرخاً افتتاحها :

أرض الكويت الا ازدهي فلقد نجحت بما رجوت
بشراك في ابنائك الذ ين بفضلهم نجحت
م شيدوا لك معهدا للعلم فيه قد سموت
ما لاح صدق نهوضهم إلا وقلت بما ارتضيت
العلم ينهض بالهداة ارخ وينهض بالكويت

وأسند أمر نظارتها الى الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي

وانتخب لها أخيراً اعضاء ينظرون في شؤونها وهم السيد عبد الرحمن بـك النقيب . والحـاج مشاري الـكليب والحاج مشمان الخضير . والفاضل السيد علي بن السيد سليمان والأديب سلطان الابراهيم الـكليب .

مدرسة السعادة

أسسها الحاج المكرم المحسن المفضال شملان بن علي آل سيف سنة ١٣٤٣ في الحي الشرقي لأولاده وأولاد اقاربه ولثلة من الايتام الفقراء وقد قام هذا الكريم بتأسيسها وبما تحتاج اليه من نفقة بنفسه وصمم على أن يسير بها وحده ولو لم يعاضده في شأنها أحد. ولا ريب أن عملاً خطيراً شريفاً كهذا يقوم به أحد تجارنا الأفاضل على نفقته الخاصة لما يبشر بمستقبل حسن لأهل الكويت ويبعث على الغبطة والأمـل الكبير في اقتطافهم ثمار الاصلاح يانعة في وقت قريب إذا ما سار القائمون به في نهج السداد ودفعوا به في ميدان الاعتدال بل ويحرك الغيرة في صدور اقران ذلك المحسن من المثرين الذين ملكوا مثل مـا ملك أو فاقوا عليه . ويا حبذا التسابق في تلك الميادين النضرة ميادين المشاريع النافعة ففيها دون سواها الذكر الحسن والشهرة الطيبة والأجر الجزيـــل .

هذي المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماء فعـادا بعد أبوالا

وقد قـــال الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى في هذه المدرسة وفي مؤسسها الفاضل قصيدة غراء على لسان أحد الأيتام :

ايا من شاد للأيتام دارا   حباك الله مجداً واعتبارا
وأولاك الجليل جليل فضل   يشيد به من العليا منارا
وأسكنك الجنان جنان عدن   تحل برحبها داراً فدارا
لئن شيدت للأيتام داراً   اضاء العلم فيها واستنارا

فكم واليت معروفاً لراج	بنيل لا يقاس ولا يجارى
وكم لك في الجميل جميل ذكر	يؤم بنا اذا ما المجد سارا
ودارك للضيوف لخير دار	تناديهم بترحيب جهارا
وبيتك في البيوت أجل بيت	سما فضلاً وجوداً واعتبارا
فيا (شملان) يا رف اليتامى	وملجا البائسات من العذارى
أزف اليك شكراً مستديماً	مدى ما لاح بدر أو توارى
وأتحفك الثناء ثناء صدق	اراك له محلاً بل قرارا
فواصل حسن سيرك باجتهاد	تنل ذكراً حميداً وافتخارا
ودم يا بدر للايتام نوراً	وسوراً أحاط مجداً واستدارا

الجمعية الخيرية

لا يستحق أن يعطى صك الشرف والسبق في هذه المؤسسة النافعة غير الشاب التقي المبرور فرحان[1] الفهد الخالد الخضير فانه هو أول من أخذ يفاتح الناس بأمرها ويحسن لهم القيام بشروعها ، وقد لقي رحمه الله آذاناً صاغية وميلاً كبيراً من مواطنيه لما له من المكانة السامية بينهم ولما له من الجاه والسمعة الحسنة بالاستقامة والصلاح .

---

(١) توفي هذا الشاب التقي في محرم سنة ١٣٣٢ عائداً من بمبي في احد المراكب البخارية ودفن في بندر عباس فكان لموته رنة أسف وحزن عظيمين في الكويت ، وقد علم الكويتيون عموماً انهم اصيبوا بأجد أفراد بلدهم فضلا وادبا واخلاقاً وغيرة وحماساً . ورثاه الفاضل الشيخ عبد المحسن أبا بطين قاضي الزبير سابقاً وكذا الأديب الحر السيد مساعد بن السيد عبدالله ، وقال الأخير :

متى يلومنا القلب والنفس ترح وقد مات فرحان فهيهات نفرح

وقد اشرأبت الاعناق بعد وفاة هذا الشاب التقي الى شقيقه الاكبر الكريم المفضال احمد الفهد فسار هذا الكريم بالجمعية في المنهج الذي سار عليه سلفه الراحل وبذل من وقته النفيس وماله في اصلاحها ما أطلق ألسنة الناس بشكره وعلموا اذ ذاك ان فرحان لم يمت وقد خلف مثل هذا الكريم الأبي كان له وللقائمين بالجمعية فيها آمال عظيمة ولكن الوقت خانهم كما سيأتي .

كان الغرض من تأسيسها كما جاء في المنشور الذي اذاعته الجمعيـــة اذ ذاك (هو إرسال طلاب العلوم الدينية الى الجامعات الاسلامية في البـلاد العربية الراقية كمصر وبيروت ودمشق وغيرها من أمهات المدن العربيـــة وبذل ما يقتضي لهم من المصاريف في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية، وجلب محدث فاضل يعظ الناس ويرشدهم الى الصراط المستقيم وكذلك جلب طبيب وصيدلي مسلمين حاذقين لمداواة الفقراء والمساكين واعطائهم العلاجات اللازمة مجـــاناً وتوزيع الماء الذي هو من أهم حاجات بلدتنا هــــذه وتجهيز وتكفين أموات المسلمين الفقراء والغرباء اهـ) .

افتتحت الجمعية في ربيع آخر سنة ١٣٣١ واقيم لافتتاحها حفلة ألقيت فيها خطب من بعض الغيورين الفضلاء ، من بينهم أستاذنا الفاضل الشيخ عبـدالله الخلف والمرحوم الفهد الخالد ، وسأثبت هنا نبذة من خطبة الأخير تخليـداً لذكره واعترافاً بفضله وغيرته . قال رحمه الله بعد مقدمة طويلة أورد فيها آيات كريمة وأحاديث تحث على أعمال الخير والتعاون على التقوى (ولا يخفى عليكم ان أسلافكم رحمهم الله مع عدم امتدادهم في الوقت عمروا المساجد وأوقفوا الأوقاف وهذه أعمالهم بين ظهرانيكم تشهد لهم وانتم خلف من سلف فـلا تكونوا أدنى منهم والله لا يضيع أجر المحسنين ، ومن فضل الله قد أفاض الله عليكم نعمته في زمن اميركم المحبوب مبـارك لاسم ميمون الطالع مولانا الشيخ مبارك الصباح المشهود له مع انجاله الكرام بالعدل والانصاف وحبهم الخير ومساعدة الوطن والرعية أعزهم الله على أعدائهم ووفقهم وهداهم . فعليكم أيها الاخوان بالتعاون على البر والتقوى واعلموا ان هذه اول جمعية خيرية أسست في بلدنا لمساعدة اخواننا من الفقراء والمساكين والأيتام الخ) .

وقد جمع في اول الامر لها كميـــة وافرة من اموال المحسنين وكثير من الكتب النافعـــة يرد مناهلها القراء الكرام ، ودعا اليهـــا الاستاذ الفاضل المحدث الشيخ محمـــد الشنقيطي من الزبير ليقوم فيها بمهمة الوعظ والتعليم

ودعا اليها اسعد افندي ايضاً من البصرة وهو طبيب تركي وجلب لها ما تحتاجه من ادوية وأدوات وأسلم في إبان فتحها رجال من اليهود ورجال من النصارى قامت الجمعية بإيوائهم وشد عضدهم خير قيام ، وما زالت قائمة بتكاليفها مدة من الزمن الى ان رماها مبارك بنظره الشزر وأخذ يلاحظها بعين السخط والغضب ، فأصدر أمراً بمغادرة الطبيب التركي الكويت ليمهد السبيل لإقفالها .

اما الاستاذ الشنيقطي فغادرها ولكن بعد مدة لأمر سياسي مر الكلام عليه فيما مضى ، وبذلك اقفلت الجمعية واوقف دولاب حركتها .

المكتبة الأهلية

ود كثير من اهل الفضل والادب في الكويت تأسيس مكتبة علمية تضم بين جنبيها من الكتب النافعة المفيدة ما تهذب العقول وتنير الاذهان سيما وكتب الجمعية كانت محفوظة في بيت آل بدر الكرام وما زال حديث تأسيسها ليرتادها الناس يتخلل المجالس والاندية إلى ان تحققت الامنية على يد الاستاذ الفاضل مصلح الكويت الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي وعلى ايدي اخوان له فضلاء من مواطنيه الغيورين ففتحوها بهمتهم ورتبوا لها على انفسهم من المال ما يقوم بحاجتها وجمع في ساحتها كثير من الكتب النفيسة التي تبرع بها المحسنون فضمت الى كتب الجمعية الباقية .

وفي سنة ١٣٤١ فتحت المكتبة أبوابها للقراء واصبحت مورداً عذباً زلالا ومنهلاً صافياً للمطلعين وفيها عدا الكتب عدة جرائد ومجلات راقية تفضل بها رجال من أهل الشرف والغيرة .

وانتخب لها اعضاء من احرار الكويتيين وافاضلهم وانيطت رئاستها

للفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي وادارتها للحر الغيور الفاضل سلطان آل ابراهيم الكليب .

المكتبة الأهلية

النادي الادبي

رأى ثلة من الشبان الغيورين تأسيس نادٍ في الكويت يلم شعثهم ويجمع شملهم ويكون واسطة لتبادل الآراء والافكار وكان من اغراضه السامية تهذيب الاخلاق ونشر بعض العلوم النافعة والقاء المحاضرات المفيدة وأول من فكر بهذا المشروع الشاب الاديب خالد بن سليمان العدساني .

وقد اقيمت لافتتاحه حفلة شائقة سنة ١٣٤٢ حصل لها دوي عظيم في انحاء الكويت القيت فيها عدة خطب وقصائد من أعضائه وسواهم وقمت انا في النادي مدة باعطاء دروس في الاخلاق والفقه والعربية وألقيت فيه محاضرة

هي أول محاضرة ألقيت في الكويت ، ورئيسه الآن الفاضل الأديب الغيور الشيخ عبدالله الجابر آل الصباح ، وهو من أفراد عائلة الصباح ذو أخلاق عالية وآداب جمة ميال الى العلم وأهــله ومحب للأدب وذويه والى التجدد العصري النافع وله من التواضع ما بذ به أقرانه . أما مديره الان فالاديب الفاضل عيسى بن صالح الجناعي وأسندت أمانة صندوقه للشاب النبيه الفاضل محمد بن احمد الغانم وانتظم في سلك عضويته كثير من الشبان النبلاء الذين عليهم الاعتماد في انهاض الكويت والسير بها الى العلا . وقد تبرع له المحسنون بكثير من الكتب النافعة واشترك بجملة من الجرائد والمجلات وتفضل حاكم الكويت باهداء كثير مما يرد باسمه من الصحف الى النادي .

استعداد الكويتيين وذكاؤهم

في الكويت استعداد فطري وذكاء غريزي لا يقل عما في غيرها من البلاد. فيها ذكاء مدهش ولكنه كامن واستعداد غريب ولكنه مظلوم مهضوم . فيها من ذلك ما لو اتيح له ما أتيح لغيره من المنشطات لرأينا الكويت اليوم روضة غناء في العلم وكعبة تقصد في الأدب ولــكان لنا ما نرفع به الرؤوس ونفاخر به في ميدان الفخار . وما تجود به قرائح شبابنا المتنورين اليوم من النظم البديع والنثر الرائع مع هذا الاهمال المحزن وعدم تقدير العاملين برهان ناصع لما قلناه ، سيما ومن هؤلاء الشبان من تجود قريحته بالمطرب المعجب في أول باكورته ويأتي بما يترك الكثيرين في شك وارتياب من امره .

وأحسن برهان يؤيد ما قلت ان اقدم بين يدي القراء صحيفة من الادب في الكويت اليوم وقد اكون مضطراً لتقديم ذلك تعريفــاً للبعيدين عن الكويت بنفسية أهلها وبما عندهم من حركة وحياة وليكون نموذجاً للادب العصري هناك سيما والجم الغفير يظن ان الكويتيين الى هذا اليوم لم يرفعوا رؤوسهم من مراقد البداوة والتوحش .

صحيفة الادب العصري في الكويت

في الكويت اليوم كتاب مجيدون وشعراء مفلقون للكويت الحق أن تفخر بمواهبهم فانهم على كثرتهم وعلى إجادة الجل منهم في المنظوم والمنثور اجادة تستفز الشعور وتحرك الأوتار لم يلجوا مدارس راقية ولم يتهذبوا على ايدي أساتذة ماهرين .

يحمل راية الفريق الأول الفاضل الأديب والكاتب القدير الحسيب النسيب السيد هاشم الرفاعي الذي نزح الى بغداد وطفق ينشر في صحفها المقالات البديعة البليغة التي حازت اعجاب الجمهور من عراقيين وغيرهم والذي تحصل اخيراً على امتياز جريدة في بغداد باسم الصراحة وهو من الشبان الاذكياء .

أمـــا الفريق الثاني فيدير دفة سفينته الحر الغيور الاديب الفاضل الشيخ صقر بن سالم الشبيب الذي فاز بلقب شاعر الكويت عن استحقاق وكفـاءة وإلى هذا يشير الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي بقصيدة قدمها اليه :

ابا صقر الحجا وأديب قومي وشاعرهم باقرار العمـــوم

نشر في مجلات العراق وجرائدها وفي مجلة المرأة الجديدة قصائد خالدة أدهشت الواقفين عليها .

وقد أرجأت الافاضة في تراجم هؤلاء الادباء الفضلاء جميعاً الى مجال آخر من التاريخ أمـــا هنا فسأكتفي بسرد نبذ من شعر بعض شعرائنا وهو خير تعريف بهم أقدمه للقراء الكرام .

شاعر الكويت الفاضل صقر بن سالم الشبيب

الى بطل العراق

عنوان قصيدة أعدها لتلقى في احتفال النادي الادبي في الكويت بسعادة

صاحب الدولة السيد طالب باشا النقيب عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الاخير ولكن الباشا لأمر طرأ غادر الكويت قبل إقامة الحفلة لسعادته :

ما في العراق لشمس فضلك منكر … أنّى وقد سمقت تنير فتبهر
شمس من الفضل المبين قد اهتدى … بضيائها مذ أشرقت من يبصر
شمس لها من ذي المعالي (طالب) … شرف فليست عن سواه تصدر
شمس اذا أخفى شبيهتها الدجى … أو راح يخفي من سناها العثير
فهي التي مذ أشرقت قد أقسمت … أن لا ترى يوماً بشيء تستر

الى أن قال :

أما الكويت فانها قد أصبحت … بحلولك السامي بها تتبختر
وما بعجيب أن تبختر بلدة … أنسا اذا ما رحت فيها تخطر
إنا عرفنا فيك كل مزية … يثني عليها ذو الحجاء ويشكر
فلذا بقدمك الكويت قد اغتدى … حظ عظيم للكويت ومفخر

* * *

لما رجعت الى العراق مسلماً … مما عليك من السياسة يحذر
أعلنت صوتي بين قومي قائلاً … اليوم عاد الى شراه القصور
وهل العراق الرحب إلا غابة … من (طالب) فيها الشجاع غضنفر
(يا طالب) العلياء نلت من العلى … ما لم ينل شرواه نجم ازهر
فغدوت في أفق الفضائل كوكباً … عال كما تهوى الفضائل يسفر
فخصالك الغر الزواهر ان غدا … إحصاؤهن على امرىء يتعسر
فلكم تعالت أن يحيط بعدها … يا ابن الأماجد قبل من هو أشعر

العلماء المتلبسون لا حرمة لهم [1]

انتم في الكويت ونحن في ... عراق تحت سكين الجهاله
تفرقنا الجهالة كيف شاءت ... وتفعل ما تريد بنا البطاله
يزندق بعضنا بعضا سفاها ... مطيعين العمائم في الضلاله
ادين يا اولي العمات ان لا ... يلين لبعضنا بعض مقاله
وان تجفو الرجال مواطنيها ... وتشهر من تخالفها نصاله
ويلعن بعضنا بعضا لأمر ... علينا مكركم فرض امتثاله

* * *

علمتم باتحـاد القوم فوتا ... لما فيه لمطمعكم عـلاله
فابدلتم وئام القوم خلفا ... لتحظوا بالدقيق وبالنخاله
والبستم خداعـكم لثامـا ... من اسم الدين مسبلة غلاله
أعند اولي العمائم من كتاب ... به قد خصهم رب الجلاله
فهم يتلون دون الناس آيا ... الى قبح الشقاق به سماله
لتوقد من جحيم الخلف ما لا ... يخاف سوى الألباء اشتعاله

---

(١) اذا ما ندد شعراؤنا الافاضل بالعلماء والعمائم، فانما يريدون علماء السوء الذين طووا عمائمهم على الغش والخداع وكوروها على الخبث والنفاق من كل متظاهر بغير ما انطوى عليه ضميره لا العلماء المتفانين في خدمة الحق والباذلين في احياء الاسلام ما يستطيعون وشتان بين الفريقين وليس شعراؤنا ببدع فيما قالوه من الحط في الفريق الاول فان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة وفي اصحابه الكرام ومن بعده من الائمة الاعلام فقد كثرت الاحاديث عن الرسول (ص) والآثار عن السلف في التحذير من اولئك المتلبسين وما زال المصلحون يشكون من فسادهم ويتخوفون منهم على الاسلام ولهم الحق في ذلك فان من اعظم اسباب انحطاط الاسلام فساد علمائه .

وهل افسد الدين الا الملوك ... واحبـار سوء ورهبانها

ولله در الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حيث قال :

ولست ابالي ان يقال محمد ... ابل او اكتظت عليه المآتم
ولكن دينا قد اردت صلاحه ... احاذر ان تقضي عليه العمائم

وتوهم ان في التفريق رشدا اذا فالرشد هلك لا محاله
أيودي بالشعوب سوى اختلاف يصول على تجمعهم مصاله
سلوا عنه أولي الالباب ترفع لكم عن سوء عقباء حجاله

* * *

ففروا من تفرقكم فمنه نفيس نهوضكم يشكو اعتلاله
والا فاحفروا للنهض قبرا وردوا فوقه ميتاً رماله
وخروا للعمامة . ان تبدى اخوها خضعا جهلا حياله
وان يمنع لهذا العصر علما فبتوا سامعين له حباله
وناموا من تخالفكم بليل عمامة (بعضنا) تخشى انتقاله
فان يك فيك للاوطان موت وفيه لانتباهتها إزاله
فمطمعها الخسيس اذا تلظى له ظمأ له فيه بلاله
فعذر عمائم (الأشياخ) باد اذا كرهت لمنهجنا اعتداله
أيسمو بالشعوب سوى وئام لهم يجلو الرقي به هلاله
وهل شعب ينال بلا اتحاد لديه من تقدمه كماله
ففي حسن الوئام لنا رقي لنور جبينه تعلو الغزاله
وقد حث الاله على اتفاق تضيء دجى الخطوب له ذباله

* * *

احذركم بني وطني انشعابا لهلك الشعب فيه شر آله
فلو كانوا أولي ذوق سليم وكان لرأيهم بعض الاصاله
لما مدوا الى أحد أكفا لأخذهمو بسؤلهم نواله

* * *

الى كم فوقنا العمات تلقي من الأعباء ما نخشى احتماله
وتزعم ان دين الله عسر خلافا لما الرحمن قاله

وتنفخ روح شؤم الخلف فينا ... وتوسع بيننا ظلما مجاله
لتسلب كل ذي جهل حجاه ... وتسلب من يديه بعد ماله
ولو قنعت بسلب فضول مثر ... لقلنا صيد من بر غزاله
ولكن العمائم قد أسفت ... الى ما للاجير من العماله

* * *

رويدا يا أولي العمات فينا ... أتيتم عامدين من السفاله
فباسم الدين حقا قد سلبتم ... على طمع يشينكم جماله
ستوجز من خداعكم بنونا ... وان رغمت انوفكم الاطاله
وتطوى من حاكم ما تشرتم ... لصيد ترائنا منها حباله
فان لم تتقوا فينا الها ... يصب على عمائمكم نكاله
فخافوا من سلالتنا نكالا ... فقد علمت بغشكم السلاله
ستنسف ريح عدل الله عنكم ... عمائم للنفاق بها دلاله

في الاعتزال

قالوا اعتزلت الناس قلت لانهم ... جروا علي المحزنات صنوفا
لولا مخالطتي البرية لم يكن ... قلبي لذؤبان الهموم خروفا

* * *

في الصراحة والاعتزال والاباء

وكم لي في الكويت أولي عداء ... بلا ذنب صغير أو كبير
سوى أني صريح القول حر ... يترجم مقولي مافي ضميري

* * *

ولما لم أجد في الناس حرا | يعين على ملمات الامور
نبذت الناس ظهريا ورائي | وناديت المنون ألا فزوري
فمثلي ما له في العيش خير | وهل في العيش خير للفقير
أخاف اذا بقيت تذل نفسي | على طمع لذي مال كثير
فتمنحه مدائحها اللواتي | تعز على الفرزدق أو جرير
فيجزيني على شعري شعيرا | ولست من البغال او الحمير
ولكني كما سميت صقراً | وهل أبصرت ذلا في الصقور

في الاعتزال والشكوى من الزمان

لكل سهام موجعة فوادي | أراه بينكم أضحى نجيثا
وما لي من مغيث حين أدعو | وأجهر بالدعا الا مغيثا
كأني بينكم ذئب خبيث | ومن ذا يرحم الذئب الخبيثا؟
فان يغضبكم نصحي واني | لكم بالغش لم امزج حديثا
فسبوني وآذوني فاني | بسيري في النصيحة لن أريثا
ستلقوني كما اني قديما | بحبل الصبر معتصما حديثا
حثيثا سير نصحكم اليكم | فسيروا بالأذية لي حثيثا
فاني أرتجي لكم انتباهاً | ولو حبل الرجا أمسى رثيثا
ثقوا أن الأذى منكم بصبري | عليكم حين أنصح لن يعيثا
الى أن أطمئن بنجح سعيي | وأجنيكم جنى غرسي اثيثا
سأنزل من قلوبكم مكاناً | اذا انجاب الكرى عنكم دميثا
ولو اسمعتموني اليوم قولا | جرير قبل اسمعه البعيثا
فرب نصيح أقوام شتيم | اصاروه لحمدهم وريثا

* * *

في اسم الشاعر

يقولون لي يا صقر ما لك واقعا … من الكف عن طير القريض على وكر
اذا لم تحلق في فضا الشعر صائدا … طيور معانيه فما أنت بالصقر
وما علموا ان المقادير قد رمت … جناحي عن قوس الحوادث بالكسر

* * *

الى الله اشكو انني في معاشر … يروني من الاعسار كالواو في عمرو

الى صديق حميم

قصيدة أرسلها الى الفاضل الأديب حجي بن قاسم آل حجي الكويتي جواباً لقصيدة بعث بها اليه :

كسوت أخاك ثياب الثنا … فجاز فخارا بهن السما
وأصبح يسحب أذياله … على ذروتي نسرها والسها
ولكن أطلت ذيول المديح … وألبستهن فتى ذا عمى
وطول الذيول عثار له … وأنت بسطت له في الكسا
فان لم يصل للمدى في الجزاء … فأوضح عذر له قد بدى
نظمت القوافي بمدح امرىء … كساه الزمان كسائي هجا
فليتك جاريت فيه الزما … ن فان الثناء عليه افترى
ونهج سبيل الهجا واضح … اليه وان كان عنك اختفى
فحب الفتى للفتى مسبل … على ما به من عيوب غطا
فلا تنسجن من خيوط الثنا … كساء لمثلي بين الورى

وصن ما استطعت قوافي القر　　يض ففي صونهن لهن اعتلا

أصلح الفاضل الكريم راشد بن احمـــد آل رومي (بتيله[1]) القديم مـــا هو في حاجة الى الاصلاح فبرز كأنه قد اصلح من جديد فقال شاعرنا الفاضل فيه :

شب هذا الفلك من بعد المشيب　　وصباه بعد ما شاب عجيب
عاد بعد الشيب في عهد الصبا　　إذ كساه راشد صنعـا غريب
فارفل اليوم (سعيد) في الهنا　　واسحب السفن الى الدار الرطيب
مثل مـا كنت بأعوام خلت　　ترشد السفن الى (الهير) الخصيب

في الغزل

تلوت بعيني مسمعي صورة البها　　بلفظ له منه تكون عقــده
فآمن قلبي انـــه اوحد الظبا　　جمالاً وان قد عز فيهن نده
غزال صريم في الكويت كناسه　　وقيصومه بين الضلوع وزنده
تواصل منه الوصل لي قبل علمه　　باني على حكم الصبابـة عبده

الشاعر الجديد عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف

الى أسد الريف

قالها الشاعر الفاضل قبل استسلام ذلك الأسد لمحاربيه ذلـك الاستسلام الذي ضج له الشرق وانهدت به الآمال التي كانت تبنى على فوزه وانتصاره ولله في خلقه شؤون .

---

(١) البتيل من أنواع السفن التي تسافر للغوص وصاحبه راشد هو زعيم الغواصين الذي تكلمنا عنه سابقاً وهو من الرجال الفضلاء الذين لا زالوا يواسون شاعر الكويت ويقومون بما يحتاجه من ضروريات الحياة ويسمى ذلك «البتيل» اسعيد وهو الذي يتقدم سفن الغواصين الى مغاصات اللؤلؤ.

أرى الشرق بالاغلال يرسف باكيا ... على حين بات الغرب جذلان يبسم
حنانيكم يا ساسة الغرب حسبكم ... فيا طالمـــا اجرمتموا وظلمتموا
(مهن) لا تسومونا الصغار فاننا ... ولا فخر قـــد جربتم وخبرتموا
ملكنا فواسينـــاكموا بنفوسنا ... فهلا فعلتم مثـــل ذا إذ ملكتم
تخلوا عن الريف العزيز لأهـــله ... وعودوا الى اوطانكم فهو أسلم
حمى الريف أبطال المامع عنكم ... وأسد جيـــاع في الجبال تهمهم
فصبراً حماة السين صبراً على الردى ... ولا تجزعوا ممـــا شربتم وذقتم
طلعت فظنوا في ثيابك طارقاً ... وذكرتهم ايام طـــارق فيهم
صدمتهم وسط الملاحم صدمـــة ... فكم بعدها ثكلى ترن وترزم
فلله يوم فيـــك قد شهد العدا ... حساما جـــلاه الله لا يتثلم
فقد علمت مدريد انك فاتح ... وقد شهدت باريس انك ضيغم
وقد علموا لو اصبح العلم نافعاً ... بانك من بسمارك أدهى وأحزم
وانـــك أقوى الفاتحين حفيظة ... وأمضاهم عزمـــاً وأعلى وأعظم
فضع فيهم السيف الذي أنت حامل ... وعلمهموا في الحرب ما لم يعلموا
تقدمت لا يثنيك عمـــا ترومه ... مدافع برقاع الردى حين تهزم
اذا سدّدت فهي القضاء مسدداً ... وان أطلقت فهي البلاء المحتم
تدك الجبـــال الشم وهي منيعة ... وتحصد جمع الجيش وهو عرمرم
فرحى لليث العرب مرحى ومثلها ... ثلاث يؤديهـــا اليراع المقوم

استصراخ الاموات

هذا الربيع وهذا الورد قد قدما ... فانهض نوفيهـــا يا صاح حقهما
وغنني في ذرى الأغصان يانعـــة ... وعاطني اليوم ممـــا يشرب الندما
صفراء كالذهب الابريز صافيـــة ... شمل السرور بهـــا قد عاد ملتئما
اذا الحباب علا من فوق هامتهـــا ... تخاله الدر حول التاج قـــد نظما

اذا احتساها من الفتيـــان أنجلهم		عادت به جعفراً او حاتماً كرما
كلا فما أنا والصهبـاء أشربهـــا		لكن بجراً بصدري هاج فالتطما
فقل لصحبي ان ما كنت مبصرهم		اني على العهـد لم أخفر لهم ذمما

* * *

أقول للدهر اذ أبدى العداوة لي		سدد سهامك اني لست منهزمـا
خابت أمانيك يا ذا الدهر لست ترى		مني سوى الصبر فيما جل او عظما
لو كنت تعـلم مني بعض ما علمت		نفسي لمـا سمتني الإذلال معتزما
اني فتى ان دهته الحادثات ضحى		بدا لناظره جذلان مبتسما
حر يزين صريح القـــول مقوله		بادي الأناة مضّاء لمـــا عزمـا
شعـــاره الحق والعلياء مطلبه		يعنو الكلام له ان جرّد القلما

* * *

ابلغ بني وطني من ناصـــح لهم		لا يرتجي منهم اجراً ولا نعما
ان قد شقي وطن ناط الرجاء بهم		ولا بجيب كمن يستصرخ الرمـا
أيرتجى لهـــمُ خير وجهلهـمُ		لا يغضب اليوم من حق اذا هضما
هيهات يقبل حر ان يضام وهل		بالضيم يرسخ حر في العلا قدما
ويح الكويت وويح الساكنين بها		إن لم يثيروا وينضوا منهم الهمما
راح الأديب بها حيران مضطهداً ،		ويل امها ، وغدا ذو الجهل محترما
أطلقتمُ يدكم في هدم مجـــدكمُ		لله مجـــد بلا حام له هـدما

تهنئة صاحب الدولة برجوعه الى العراق

قصيدة نظمها شاعرنا الرقيق باقـــتراح من الاديب الفاضل السيد حسن ابن السيد زيد النقيب تهنئة لصاحب الدولة السيد طالب باشا النقيب برجوعه الى وطنه من منفاه الاخير سالماً :

هنيئاً لبلدان العراق وثغره وسكان نهريه وسفح نخيله

الى ان قال :

فرحى لرب الجود والمجد والحجى ومن يرتوي العافون من سلسبيله
ومن ترهب الأملاك سطوة بأسه وترتجف الابطال من وقع قبيله
أتى (طالب) والسعد يقدم خطوه وشخص الأماني واقف في سبيله
أتى بعد ما جاب البلاد بجولة من السين للتاميز غرباً لنيله
وكم بلد في الغرب شرّف أرضها فباتت يهنيها السهى بحلوله
لئن سرّ وادي الرافدين بجيئه فكم عظمت أحزانه برحيله
ولو انه إذ ذاك يسطيع لافتدى فتاه بعرض الملك جمعاً وطوله
ولكنه أمر هناك مقدر وهل يدفع المقدور حين نزوله
مضى ولواء الفخر يخفق فوقه وآب به رغم العدا لطلوله
لئن فخر السكسون حين غدوا به فحق لهم ان يفخروا بمثيله
لقد اخذوا لا واهي العزم خائراً ولا مستكيناً قانعاً بعويله
ولكن مقداماً اذا الأسد أحجمت ضروباً اذا جد الوغى بصليله

مرثية امام السيد « محمود شكري الآلوسي »

رويدك يا هذا الزمان فانني أراك لعمري للكرام معاديا
علام وحتى لست تنفك دائباً تدير لنا كأس المصائب ساقيا
أعزيك بغداد بشكري فقدمضى تقياً نقياً طاهر الثوب صافيا
غدا مسرعاً ضيفاً كريماً لربه وقد كان كالشمس المنيرة زاهيا
لقد دهي الاسلام يوم وفاته بما لو أصاب الدهر أصبح جاثيا
بكى المسجد الأقصى عليه بعبرة وأضحى له البيت الحرام مجاريا
وأمست دموع الرافدين سواكباً عليه وبات النيل بالدمع جاريا

فويح بني الأقوام حين غـدوا به … الى القـبر ميمون النقيبة هاديا
وقد وضعوا فوق العواتق نعشه … فيا لك نعشاً قد هدمت المعاليا
أمحمود لا تبعد فنعم أخو الحجى … لقد فقدت منك الشريعة حاميا
غيوراً عليها ذائداً عن حياضهـا … بصارم عضب حده كان ماضيا
نعيت الى الاسلام فانهال صبره … ومـا كان منهار البنـا متداعيا
وباتت عيون الدين بعدك خشعا … وقد عزت الأيام فيك الليـاليا
فيا لهف نفسي حين غيبك الثرى … فلست وان طال التصبر ساليا
لقد كنت في بحر الفصاحة سابحا … ولم تك من ثوب البلاغة عـاريا
اذا رمت الاقوام نحوك سهمها … رأت غير هياب ولا متوانيـا
بعيداً عن الفحشاء مجتنبا لهـا … قريبا من الخيرات للحق داعيا
يحث على المعروف والخير كله … وقد كان عن فعل المناكر ناهيا
اذا دهمته الحـادثات بنكبة … رأيت له قلبا على الدهر قاسيا
سقى الخالق الباري المصور تربة … حللت بها من وابل العفو هاميا

ثناء على شملان

اقام المحسن المكرم شملان بن علي بن سيف احتفالا في مدرسته (السعاده) فقال شاعرنا المطبوع هذه القصيدة الغراء مادحاً فيها ذلك المحسن وشاكراً فضله وكان بوده أن يلقيها هناك بنفسه ولكنه تأخر عن ذلك لمرض أصابه :

اليوم نال العلا والمجـد ما طلبا … مذ أصبحا لأبي الأمجـاد قد نسبا
ما زال يدأب والخـلاق يكلؤه … حتى استكان له الأمر الذي صعبا
الله اكبر يا (شملان) كم لك من … مكارم فقت فيها العجم والعربا
رفقا بنفسك قـد كلفتها شططا … رفقا بمالك قـد حملته تعبا
جردت همة ليث لا يساورهـا … وهن الرجال ولا تستصحب النصبا
وسرت في فلوات الفخر معتزما … ولو سواك مشى فيها اذاً لكبا

بنيت مدرسة أم شدت مفخرة — أم نلت مكرمة أم فزت منقلبا
لله مدرسة الايتــام مدرسة — قد ابهجت ببناها العلم والادبا
أقمت فيها احتفالا راق منظره — عين الزمان فأبدى الانس والطربا
قد كنت أهوى لواني اسطعت حينئذ — بأنني كنت فيه أول الخطبا
لكنما عاقني دهر الســح على — ظلمي ومن طبعه أن يظلم الادبا
هذي الكويت وانت اليوم واحدها — رضي بذاك كبير القوم أم غضبا
ترنو اليك بعين الشكر معجبة — بمــا اتيت به من نخوة وإبا
فايه يا ابن علي قم فانت لهــا — وأنت من بحماه تأمن العطبا
الواهب المال لا يحصيه حــاسبه — وليس يتبعه من اذا وهبــا
والمشتري الحمد والذكر الجميل معا — والقائل القول لا تلقى به كذبا
ماضي المضارب مرهوب الجوانب — محمود العواقب نجل السادة النجبا
وما عددت قليلا من مناقبــه — وكيف يحصي النجوم الزهر من حسبا
لا تحسبن بخيل القوم سيدهم — لكن سيدهم من يبذل النشبا
ما المال ان لم يشد ذكرا لصاحبه — سوى وبال عليه يجلب الحربا
أبا محمد خــذ بكرا لليلتها — لم تهو غيرك يا خـير الكرام أبا

صدى الفراق

أرى ساعة التفريق والبين قد دنت — فصبري وانسي آذنا ببعاد
قفوا قبل توديعي لكم لأبثكم — لواعج شوقٍ حكمت بفؤادي
فــاني اذا ودعتكم لمودع — بتوديعكم عيشي وطيب رقادي
سلام على وقت بقربك قد زهــا — ويفديه مني طارفي وتلادي
وما عن هوى مني أراك مفارقي — وما وأبيك الدهر طوع مرادي
ولكنها الأيام فيهــا عجائب — فمن رائحات للبــلى وغوادي

* * *

فسر تاركاً شعبا تمادى بجهله وفي سبل الخسران أي تمادي

الى ان قال :

فيا امة قد ناء بالعصر حملها ولم تستعض عن غيها برشاد
لك الويل هل من يقظة بعد نومة الم يؤلم الأقوام طول سهاد
فيا ويح قومي والمصائب جمة لقد لبست ثوب الهوان بلادي
بلاد بهـا سوق الخرافات رائج فلم يمن يوماً واحداً بكساد
وحسبك ان العلم فيهـا مضيع فليس بها من معهـد بشاد

قدمنا لهذا الشاب اللوذعي قصيدة غراء في مدح الاستاذ الشيخ محمد الشنقيطي افتتحها بقوله :

اليوم هللت البلاد وكبرت لما أتاها العـالم النحرير

وستأتينا له قصيدة أخرى مدهشة في ترجمة سمو الامـير الجليل الشيخ عبدالله السالم آل الصباح .

وقد ضم شاعرنا المطبوع اجادته في النظم الى اجادته في النثر .

والغريب في هذا انه لم يتعاط الاشتغال في هاتين المهنتين الا من نحـو سنتين وان له من الانصراف الى الماديات ما منعه من التفرغ للادبيات.

الشاعر الاديب خالد محمد آل فرج

الى شاعر الكويت

معري الكويت وبشارها هززت من النفس اوتارها
والمستها من دقيق الخيـا ل مـا يعجز افكارها
بآيات سحر هتكن القلوب ازحن عن النفس استارها

ولو كان(رنتجن) من قبل ذا ... ك رأى هذه الروح لاختارها
هي السهل للسامع المستصيخ ... ولكن من الصعب احضارها
هي الشمس تسطع فوق الجبا ... ل وترمي الى القوس انوارها
فينظرهـا كل ذي خبرة ... ومن كان يجهل أسرارهـا
ولو مثلت للمعـاني الريا ... ض لـكانت معانيك ازهارها
أتاني شعرك مثل الحيـا ... ة فجدد للنفس تذكارهـا
وما كنت سالٍ ولكنما ... ألفت الخطوب واكدارها
وقد كنت اهـتز للحادثات ... اذا بدلت في ادوارهـا
فأطرب للحسن ان رمتـه ... وأوسع للنفس مضمارهـا
واستصعب الخطب ان جاءني ... بارزاء قد اوقدت نارهـا
وان مسني البين من صحبتي ... حكيت الطيور وتهدارهـا
فاذكـر صحبي في كل آ ... ن كما تتذكر اوكارهـا
فلمـا دهتني تلك الخطوب ... وجففت العـين مدرارها
الفت الفراق واهوالـه ... كما تألف العيس اوكارهـا
وقد يألف الجسم فعل السمو ... م اذا ما تعود تكرارهـا
فاحسب ورد الربى شوكة ... وجمر الجذيعات جمارهـا
فيا صقر عطفـاً على بائس ... أبثك للنفس اسرارهـا

في الزعيم التونسي الكبير

في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ احتفل النادي الادبي في البحرين بالزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي فالقى شاعرنا الاديب هذه القصيدة العصماء في الامام المحتفل به هناك كان لها وقع حسن في نفوس القوم :

ان رضت في الترحيب فيك مواهبي ... بك يا زعيم فذاك دون الواجب
لو يحتفى بك حيث صيتك طائر ... خرس الاديب وجف حبر الـكاتب

قمنــا لديك مهنئين نفوسنا كمرحبين بغيث عــلم ساكب
ما الاحتفال وان تضاءل مظهراً الا عواطف افرغت في قالب
والله يعــلم ما تكن قلوبنـــا لمقامك السامي العــلي الجانب

* * *

يا أيها الاستاذ جئت منقبــاً عمــا ليعرب من طلول مناسب
لترى بقــايا الفاتحــين فسلهم هل (يستطيعوا) رد مجد ذاهب
جبت الجزيرة غربها وجنوبهـا فرأيتهــا بتقاطـــع وتناصب
في كل مرحــلة مليك قائم شغلت دقائقــه بآخر طالب
لعــدوه في ذلة عن قومــه في شاغل من جهـله في قالب
إن عف عنه الليث أهوى نحوه نسر الغريب بمنسر ومخــالب
ويكل شبر في الجزيرة أمــة ترنو إلى جيرانها كأجانب
إن قام فيها مصلح ليلمهـا قاموا له من عاتب أو عائب
شغلوا عن الدين الذي هو حصنهم بطوائف من بينهم ومــذاهب
جعلوا الخلاف على الفروع فوارقاً ليسود فيهم حــد سيف الغاضب
والاجنبي لــــه السيادة كلهــا قـــد وطدت بمكائد وتلاعب
يغري الشقيق على اخيه وينتحي بمصالح من حربهـــم ومكاسب
والجهل ثالثـــة الاثافي واقف دون الرقي لهم وقوف الحاجب
اني اؤمـــل إذ رأيتك باسماً أن تنجلي عنـــا غيوم غياهب
واليأس أوغل في القلوب فلا ترى منـــا سوى هم ووجه قاطب
وأراك تبسم حين تيــأس آملاً بزوال كارثة ونيـــل مآرب
آلامنـــا آمالنـــا وشفـــاؤنا لو حققت بتكاتف وتحـــابب
ومدارس تنمي الفضيلة بيننـــا لتردنا نحو السبيـــل اللاحب
العلم للشعب الضعيـــف معزز ومحرر من غـــاصب أو ناهب
أو مـــا ترى الطفل الصغير بعلمه قاد الجمال على علو الغـــارب

والسين والتـــاميز تيارامــــا غمر المحيط بـــدون أي تناسب
أمــــا الحقوق فلا تنال بحجة إلا بحجــة مدفـــع وقواضب
ومتى غدا طلاَّبُهــــا مستضعفاً بسلاحه فالحـــق حق الغاضب

* * *

عبـــد العزيز وأنت أفضل قادم وافى بوقت للنهوض منــاسب
بلغت به النفس التراقي من عنا جهـــل لاطناب المذلة ضارب
لا خير في بـــلد يشيب شبابه لم يسمعوا بمدارس ومـــكاتب
بالله ان سطرت عنهـــم اسطرا وكتبتهـــا بنجيع قلب ذائب
فـــابن لهم سر المذلة عليهـــم يقفوا على كيـــد العدو الواثب
واكتب وعظ وانشر خبايا حالهم في الخافقين فأنت أفضل كاتب

أبيات كتبها على رسمه وهو في سن العشرين

ليت شعري أهكذا أنا ابقى مثـــل رسمي ممتعاً بشبابي
في ربيع العشرين ارقب آمـــا لي بقلب الى لقاهنّ صابي
أم سأفنى من الوجود وأبقى ثاوياً بين جنـــدل وتراب
انمــــا هذه الحياة أماني كاذبات والسؤل حسن المآب

مرثية الشيخ عبد الوهاب الزياني

توفي مصلح البحرين وزعيمهـــا العالم الشيخ عبد الوهاب الزياني في بمبي سنة ١٣٤٣ فرثاه شاعرنا بهذه القصيدة العصماء :

بطل الجهاد ضحية الأوطان لك في الشهادة رتبة الرضوان
لا تبعدن وان نأى لك مضجع فالبعد في القلب الصفي تداني

ان مت مبتعدا فذكرك خالد   متجدد بتجدد الأزمـــان
خفقت لنعيك في أوال ضمائر   فوق الخدود أسلن دمعا قاني
وكأنما أسلاك نعيك كهربت   تلك القلوب بهزة الخفقـــان
رزء على رزء صدى آلامــه   آهـــات أحزان بلا سلوان
فقد الزعيم على ابتعاد مزاره   وفوات آمال وموت أمان
متحيرون سؤالهم وجوابهم   بالامس مات الأوحد الزياني
يا راحلا عنـــا واسم بلاده   ختم لمـــا نطقت به الشفتان
هزت أوال لصوت نعيك هزة   ضؤلت لديهـــا هزة البركان
عذراء ذات وداعة نشبت بمن   تحنو عليه مخـــالب الحدثان
لكن قصارى الجهد منها انها   لبست عليك ملاءة الأحزان
عصفورة خطف العقاب فراخها   فغدت مرفرفـــة على الأركان
ضحيت بالعلق النفيس لأجلها   بالأهل بالأموال بالخـــلان
ما كان أحوجها لسمع وصية   من طاهر الأخـــلاق والجثمان
وأضنها بك ان تضمك بقعة   لم تغذ فوق ترابهـــا بلبان
لك فوق تربتها أساس مبادىء   يا ليتها ضمت رفـــات الباني
في ذمـــة الله المهيمن راحل   صافي السريرة ثابت الايمـــان
أقواله أسمى الدروس وشخصه   مـــلء النفوس برقة وبيان
لو قدرت أعماله العظمى لمـــا   ضمته أكفان سوى الاجفان
لكن بلاء الشرق أن رجاله   تجزى على أعمالهـــا بهوان
ان اخـــلدوا مستسلمين أقامهم   وخز الشعور بقاضب وسنـــان
وان استفاقوا مارحين فما لهم   في رفع أرزاء البلاد يدان
يتقلبون على الشقـــاء حياتهم   فسكوتهم وكلامهم سيان

* * *

يا عبـــد الرحمن يا خلف الذي   هو في العـــلا ركن من الاركان
صبراً جميلا فالمصاب وان دهى   خضه بعقـــل ثابت الرجحان

فالكل مشترك برزئك آمل ... فيك السداد وكل حي فاني
فأقم على آثاره بعزيمة ... لترى بشخصك ذلك المتفاني
هطلت على ذاك الضريح برحمة ... مزن الرضى وسحائب الغفران
حيث النعيم من الجنان حنوطه ... تغدو اليه ملائك الرحمن

القيصر نقولا يتكلم

ما اتعظنا بمن مضى فهلكنا ... ولمن يأتي عبرة قد تركنا
إذ حسبنا الشعب القوي عبيداً ... وأردنا تملكاً فملكنا
يا ذوي التاج إنما هو در ... ونضار لا تحسبوا التاج ركنا
قيصر الروس كنته وأنا الآ ... ن نقولا وبالأفندي أكنى
وعزائي الوحيد انا ملكنا ... شركاء وبالمهات اشتركنا

لغز في الشمس

ما اسم ثلاثي له شهرة ... قسها تجدها شهرة الشمس
يبدله التصحيف لكنه ... يعود بالتصحيف والعكس
ان فقد الأعمى له منظراً ... أدركه بالشم واللمس

أقام الفاضل راشد الفرحان وليمة سحور دعاني اليها وبعض علماء الكويت من بينهم استاذنا الفاضل الشيخ عبدالله الخلف وكان الشاعر الفاضل هناك أيضاً فقال :

غبطت دارك يا را ... شد في ذا الفضل دور
اذ حوت أقطاب علم ... كلهم بدر منير

ففدت هالة مجـــد وهو فيهـــا بدور
وبدا فيهـــا (سماط) فيـــه أوصافي تحير
فهو في العينين سحر وهو في الجوف سحور

في معنى مخترع

حسنك من وجهك لا يمحي ان غيَّر التعبـير مجراه
فالثغر يبدي الدر في ضحكة وان بـدا حبك أبداه

وقدمنا لهذا الشاعر الأديب قصيدتين احداهما في حلة الماء في الكويت والثانية في عادات الكويتيين بعنوان (اليك يا عيد) وهذا الشاب من المجيدين في النظم والنثر معاً .

الشاب الاديب والفاضل اللوذعي حجي بن قاسم آل حجي
النصائح الثمينة

أقسمت يا شعب اني لا اخلف الدهر عهدك
وعـدتني بنهـوض فحقق الله وعـدك
يا شعب قلبي كليم قد كلمته الليـالي
يا شعب ان شفائي أمنـيـة من محـال
أبيت رهن قيـود على أكفي ثقـال
مظلـل بغـمام أقبح به من ظـلال
علمت ممـا أراه ان المنـايا حيـالي
ناديت يا قوم هل من يجيب منكم سؤالي
من يخطب البكر يوماً يبذل لهـا كل غال
أقسمت يا شعب اني لا أخلف الدهر عهدك
وعـدتني بنهوض فحقق الله وعـدك

* * *

لا تخضعن الشعوب لمن خاول عسفا
والحر لا يلتحى أن ينسف الطود نسفا
إن رام منه عدو ذلاً وان سيم خسفا

الشاب الاديب والفاضل
اللودعي حجي بن قاسم آل حجي

أيقبل الضيم حر أن يمدد الضيم كفا
صارحتني يا رفيقي أظهرت ما كان يخفى
لله درك خل وصفت دائي وصفا
أخبرتني بدوائي عسى به الداء يشفى

* * *

أقسمت يا شعب اني لا اخلف الدهر عهدك
وعدتني بنهوض فحقق الله وعدك

* * *

خير الانام همـــام يصون حق البلاد
يكون فيها كشمس تضيء طرق الرشاد
مفكراً كل حـــين بنقض أس الفساد
ومن يفكر يومـــاً بنمط حق العبـــاد
فهو الذي راح يدني مصيره للنفـــاد
ترقب الفجر يا من عدمت طيب الرقاد

* * *

أقسمت يا شعب اني ، لا اخلف الدهر عهـــدك
وعدتني بنهوض فحقق الله وعـــدك

* * *

رنت الي عيون رنت لشخصي شزرا
اذ قلت يا قوم قوموا الى التقـــدم جهرا
فعـــد قولي رياء وعـــد أمري نكرا
ما زال كل جهول للعـــلم يضمر شرا
ترقب اليسر اذ مـــا لاقيت يا صاح عسرا
لا تكترث بكلام لن يغلب الشر خيرا
ان ترض عيني المعـــالي فلا أخـــاف الهزبرا

* * *

اقسمت يا شعب اني لا اخلف الدهر عهـــدك
وعدتني بنهوض فحقق الله وعـــدك

* * *

اضر بالنـــاس قوم يدعون بالعلمـــاء
يحبذون التمادي بالجهـــل للسفهاء

تدرعوا بثياب ثياب أهـــل الرياء
سيكشف الصبح ما قد أخفيـــتم بالمساء
نحـــن الشباب رياح وانتم كالهباء
تيارنا آخـــذ في تمزيقـكم في الفضاء

* * *

أقسمت يا شعب اني لا اخلف الدهر عهدك
وعـــدتني بنهوض فحقق الله وعدك

في النادي الادبي

افق يا علم من نوم عميق فان القوم اضحوا ناهضينا
ويا شمس المعارف اسعفيهم فنحوك هم غدوا متطلعينا
امديهم اذا سألوك علمـــاً واخلاقاً بها تحيا البنونا
وداويهم اذا سألوك برءاً أزيحي عنهم الداء الدفينا
وان سألوك عن مجد تقضى وعن حال الجدود الغابرينا
فقولي انهم كانوا رجـــالاً الى العلياء ظلوا مسرعينا
يجيدون المسير الى المعـــالي فكانوا بالمفاخر فائزينا
وانتم مثلهم جسماً وخلقـاً فهل بالفعل أنتم مقتدونا
فان شئتم إعادة مـــا تقضى وشئتم عيشة المتنعمينـــا
فربوا في نفوسكم التـــآخي وكونوا في الوغى متعاضدينا

* * *

فتحتم يا شباب القـــوم ناد لأنواع العلوم غدا معينا
وقد كنا بلا ريب اليـــه جياعاً في الورى متعطشينا

فجدوا في المسير لنيل علم　　فبئس العيش عيش الجاهلينا
بغير العلم لا يرجى سعود　　وهل بالجهل فاز الخاملونا

مساجلة في الغزل

من قصيدة جرت بينه وبين زميله الاديب الفاضل السيد حسن بن السيد زيد نجل السيد خلف باشا النقيب وقد كتب الزميل الاشطر الاولى وبعثها اليه فكملها .

نسيم الصبح يشجيني　　إذا هب ويشجيه　　ويقتلني ويصبيني
صدود منه يبديه

ويومـــني ويغريني　　بلفظ الدل والتيه　　ويطعمني ويسقيني
لذيذ الخمر من فيه

اذا أعتل يشفيني　　دواء منـه يسديه　　وتطربني وتلهيني
أهازيج أغـــانيه

أغازله فيقصيني　　وعني التيه يثنيه　　ويضعفني ويسبيني
فتور في مآقيـه

أواصـــله فيجفوني　　ويغضبني فأرضيه　　غرام كاد يخفيني
عن العذال أخفيه

يعذب روحي التعسا　　رشا بالروح أفديه　　اكتم في الهوى سري
وللواشـــين يفشيه

طبيبي ، في الحشا داء　　فقل لي من يداويه　　اجرني من ضنى الهجر
وبدل مـــا أعانيه

عظيم مـــا ألاقيه　　جسيم مـــا أقاسيه　　اعد لي ليلة فاتت
ومن أنسي ماضيه

اعد لي ما مضى اني   بغالي العمر أشريه   فكم ليل به بتنـــا
بالحان أتاغيه

يداعبني على ألم   فيقصيني وأدنيه   وأقضي في الهوى غما
وقلبي فيه ما فيه

عظة واعتبار

المستبد يلاقي   عما قريب حمامه   فعصرنا اليوم أضحى
شبيه يوم القيامه

يلقى المسيء عقاباً   والمحسنون الكرامه   العــدل يعقب خيراً
والظلم يجبي الندامه

يا واقفــاً بين قوم   يقدسون كلامــه   راقب إلهك واحــذر
وأد حق الإمامه

وجذ من كل ظفر   بقــدر حجم القلامه

التلمر من الكويت وأهلها

وأما بلادي فإن أهجها   فان بلادي محل الهجا
يهاب بها الحر جهالها   ويشقى بها كل سامي حجا

إلى الزمان

صحبتك يا زمان بشرط أن لا   تمــاكسني بأمر من أموري
وأن ترنو إليّ بعين طوع   كما يرنو الصغير الى الكبير

وقد كان لهذا الشاب الناهض ايضاً نثر رقيق وخيال واسع في ميــدانه فهو يستحق الاعجاب إذاً بنثره وبنظمه .

الأديب الفاضل السيد مساعد بن السيد عبدالله الرفاعي

تعليم البنين والبنات

وواقفة بقرب البحر تبكي ... لعظم بكائها عيل اصطباري
فقلت لها بكاك لأي خطب ... وبي ألم التطلع كان ساري
فزادت بالنحيب فزدت قسرا ... وما بالود نحت ولا اختياري
وكان بقربها ولد صغير ... بماء البحر يلعب وهو جار
فقالت انما ابكي لهذا ... وزوج زج في قعر البحار
وما حولي كريم ارتجيه ... فيرحمني ويحسن لي جواري
فقلت لها فطيبي اليوم نفسا ... فاني سوف اوليك انتصاري
ولا شيء يعز عليك مني ... وأول ما أجود به انتحاري
فقالت لا عدمتك يا ابن ديني ... ودامت شمس سعدك بازدهار
فخذ هذا اليتيم لدار علم ... ليشرب حب مصلحة الديار
ظللت لقولها حيران ساه ... اكفكف للمدامع في ازاري
وقلت العلم مفقود لدينا ... وما في الدار من بالعلم داري
كأن القوم ما خلقوا لعلم ... ولكن للجهالة والبواري
لقد خسروا حياتهم وظلوا ... وما للجاهلين سوى الخسار
أما في القوم من شهم لبيب ... يحث القوم في طلب الفخار
إلام القوم في غي وجهل ... وما في الجهل غير الاحتقار
أليسوا نسل من سادوا البرايا ... أباة الضيم أرباب الوقار
فمن خير الانام خذوا حديثاً ... من الايمان حبك للديار
لقد صدق (الامين) ولست راء ... عليكم للمحبة من شعار
فان انتم تكافلتم نصرتم ... والا للمذلة والصغار
فقالت قد صدقت وأي صدق ... وقد قلت الصحيح ولم تمار
ولكن ما حياة بنات جنسي ... وما أخلاق ربات الخمار

فقلت لهـــا معارفهن اضحت ... ينقش الكف مع لبس السوار
وترجيج الحواجب واكتحال ... وصف الشعر أو سحب الازار
ولا يسطعن تدبـــيراً لبيت ... ولا يحسن تربيـــة الصغار
فراحت تلطم الخـــدين حزنا ... ودمعتها الغزيرة بانهار

الى العلجي

لذ [1] بالإله من الجهول الجاني ... علج العلوج وفتنـــة الشيطان

---

(١) رد شاعرنا بهـــذه القصيدة على قصيدة طويلة « للعلجي » سل بها سخيمته على عباد الله الصالحين ورمى فيها المصلحين وأخذ يعرض فيها بشاعرنا الفاضل واخوان له أدباء ، وهـــاك نموذجاً من تلك القصيدة لتعلم ان أديبنا المحترم لم يكن الا مدافعاً عن نفسه واخوانه قال :

عذ بالمهيمن من هوى فتان ... ما تلك إلا فتنة الشيطان
من كل عصري هواه مرسل ... ما قيـــدته ربقة الايمان
نعقت شياطين فلبت صوتهـــا ... لسخافـــة الاحلام والأذهان
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ... ولسنة المختـــار من عدنان

الى ان قال :

صروا صرور المعجبين برأيهم ... وتكبروا كتكبر السكران
وحكوا خفافيشاً تطير بظلمة ... ان كان يغشيها سنا النيران
او شابهوا في حالهم جهلاً اذا ... أرداه طيب عاش بالأنتان
فهموا كذي إسترست في زبلها ... ودعا لمس ايها القمران (كذا)

قال من قصيدة اخرى كفر بها الاستاذ المحقق فريد وجدي وأرسلهـــا من الاحساء الى الكويت لبعض سفهائه هناك ، وقد اختلف فيمن يخاطب في أولها فقيل الشيخ حافظ وهبه المصري او الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي او (كاتب هذه السطور) : =

ما باله حط الإله مقـــامه		وأحاطه بالذل والخسران
خسر السعادة مذ هوى لتعصب		وتشدد ما جـــاء بالأديان
فغدا يسب المصلحين بهديهم		وأخو السباب يبوء بالخـذلان
كره الجميل وحب كل رذيـــلة		وأخو الرذيـلة ليس بالانسان
يا ويله من ظالم متعصب		هجر الهـداة ومال للعصيان

الى ان قال :

هذا النفاق ومن ينافق فاسق		والفاسقون بأسفـل النيران
حاشا وكلا لست من عباده		بل أنت عبـد الدرهم الرنان
لولم يكن ضيف الكريم أبي الندى		(شملان) أصبح في أخس مكان
لو كان يعقل لم يسب أجله		وجفـا السباب وجاء بالبرهان
وغدا يجادل بالقضية كل من		أخطا الصواب بأفصح التبيـان
يا علج حسبك ما أقول فانني		قلت الحقيقة وهي روح جناني

* * *

فقلت العشوني

أبصر الشاعر نسوة متجمعات في (نفود نور) فدار بينه وبينهن حديث نظمه بهذه الأبيات :

لقد قـــادني شوق الى البر في أمس		فسرت أجر الذيل في مرح أمشي

= يا عائباً منا الجمود وطالباً		منا التمدن إنك الحيران
ان التمدن لو علمت فخسة		جاءت بها (الأورب) واليونان
كفاركم وجدي فريد وحزبه		حزب الضلالة قاده الشيطان

فبما تلوته عليك هنا وبأشياء أخرى أعرضت عنها تعذر شاعرنا فيما قال وتعذرنا ايضاً معه في تصدينا لكشف ستره وفضيحة سره فانـه لا حرمة له والحال هذه .

وقد رنحت روحي الصبا وأظلني ... عن الشمس غيم كان في الجو مستنشي
ولما أردت الأدب أقبل نسوة ... عليّ كأمثال الحمائم إذ تمشي
وقد طفن من حولي وهن ضواحك ... ويرمينني بالغمز واللمز والرمش
ويظهرن لي حمر الأكفّ تغنجاً ... لأنظر طرز الرقش منهن والنقش
فأبصرت شيئاً خامر العقل والنهى ... به قد هوى قلبي الى هوّة الدهش
فقمت وما بي للقيام استطاعة ... كأني مفلوج وما زلت في رعش
وظلت لفرط الحب أنحب من أسى ... وأفشيت من شكواي ما لم أكن أفشي
فقلت انعشوني بالحديث سويعة ... لتبعد عني ساعة الحمل في النعش
فظلن صموتاً واقفات بحيرة ... يفكرن كيف الأمر بالواله المغشي
فقامت عجوز بينهن خبيثة ... وقالت لعمري إن هذا أخو غش
دعوه طريحاً لا صحت منه نفسه ... ولا زال إلا في شقاء من العيش
فقال لها البعض منهن إنه ... لفي حالة يرثي لها العاذل الوحشي
فقالت اتدرينّ الصريع فقلن لا ... فقالت وربي انه الشاعر المنشي
أخو المكر خداع الغواني بشعره ... دعونا نذقه الموت من قبل أن يمشي
فحركت أجفاني اليها بعبرة ... وقلت اتقي المولى ومن بأسه فاخشي
فقامت فتاة بينهن تنمرت ... فقالت وربي أنت صاحبة الغش
وإلا فهذا سيد غير ماكر ... وليس به مما تقولين من فحش
دعينا لديه جالسات فانه ... يعز علينا تركه مفرداً مغشي
فجاءت وظلت فوق رأسي مقيمة ... وصارت علي الماء تكثر بالرش
وتظهر اشفاقاً علي ورحمة ... وتنظرني في مقلة من مها الوحش
ففتحت عيني ناظراً لجمالها ... وكاد سنا نور الحبيبة لي يغشي

عين الله ترعاها

يا من شفاء سقامي شم رياها ... ومن مدامي زلال في ثناياها

ومن هي الشمس وجهاً والجبين لها يحكي الهلال وعين العين عيناها
الله يكلأ هيفاء بليت بهـــا عشقاً وعين إله العرش ترعاها
النفس طالبة وصل التي عشقت والعين راغبة رؤيا محياهـــا

مساواة القمر للشمس

ايهـــا المغرور في مدح ذ كا ليس للشمس على البدر رجوح
لا تظن البدر نوراً دونهـــا فهما سيان في الحكم الصحيح
واستتار البـــدر من اشراقها عـــادة للبدر فيها يستريح

تهنئة الشاعر للسيد هاشم النقيب
بقصره الذي شيده في الكويت

قصر تنور بالمحاسن وجهـــه فكأنه وجه الزمان الباسم
دون القصور له الجمال تخصص كالفضل خصص بالمسود (هاشم)
لا زلت فيه معمراً يا سيدي جم السرور بظـــل عز دائم
واليك فيه دعا الزمان مؤرخاً (قصر به بشر يدوم لهاشم)

يمتاز هذا الشاعر الفاضل على كثير من اخوانه شعراء الكويت بالارتجال والبديهة وباجادته في الهجاء وبرقته في الغزل .

الشاعر الاخلاقي الفاضل الالمعي أحمد بن خالد المشاري
حث واستنهاض

فتى العلم هذا موطن الكسب والأجر فشمر ولا تكسل عن النصح والزجر
وداو كلوم الجهل في بلسم الحجا وأيقظ نياما خادرين من السكر

فتى العلم هل للعلم ثَمّ مزيـــة ... اذا ما ثوى بين الضمائر والصدر

الى أن قال :

ودع عنك أقواماً بها[1] ضل سعيهم ... فمــا دأبهم غير الغواية والختر

وترديـد أقوال السفاهـــة جهرة ... كأن لم يعوا ما في الكتاب من الأمر

كذلك أقوام بهـــا تاه رشدهم ... واسكرهم مس الرضاب من الثغر

فأنسام مـــا قد وعوه من الهدى ... وزجهمو في منهـــج البغي والخسر

ودع عنك أقواماً بها حل قصدهم ... مكاسب جـــاءت بالخيانة والغدر

كنوز حووهـــا من رياء وخلسة ... وغدر ضعيف ألجأوه الى العسر

فتى العلم دعهم فالغبـــاوة شأنهم ... وليس غبي في العلا مثل من يدري

وعرج بنا نحو الشبيبة إنهـــا ... لخير وعـــاء أودعت غالي الدر

هنـــاك تجد لوح السريرة طاهراً ... فنضد به مـــا شئت من غرر زهر

تشطير قصيدة بشار

تشطير ابيـــات بشار بن برد المشهورة التي منعه المتوكل بعدها من التغزل بالنساء :

عجبت فطمة من نعتي لها ... نعت فكر وخيال لا بصر

وأتت تسأل عني عجبـــاً ... هل يجيد النعت مكفوف البصر

بنت عشر وثلاث قسمت ... بين أصناف من الحسن غرر

آية في الحسن حـــق جمعت ... بين غصن وكـثيب وقمر

درة بحريـــة مكنونـــة ... حيرت في الحسن ارباب النظر

لو رآهـــا تاجر في درر ... مازها التاجر من بين الدرر

---

(١) بها أي الكويت .

اذرت الدمع وقالت ويلتي كيف أنجو من غلام مستتشر
كيف أنجو والهوى قيدني من ولوع الكف ركاب الخطر
خمش الثديين مني عـــابثاً ووشاحي حله حتى انتشر
فدعيني معـــه يا والدتي حبه قـد صاد قلبي وأسر
واسمحي لي ساعـة يا أمتي علنا في ساعة نقضي الوطر
أذرت الدمع فأوهت جلدي واعتراها كجنون مستتر
أيها النوام هبوا ويحـــكم ان في الجد فلاحـــاً للبشر
وادأبوا مثلي تنالوا مثلهـــا وسلوني اليوم ما طعم الثمر

في الشمس والغروب

مالت الشمس وقد حجبها حالك الغيم الى نحو المغيب
فبدت منه كحسناء غدت ترفع السجف لتوديع الحبيب
ثم راحت تمـــلأ الجو لظى نار وجد قد علا فيها لهيب

في سنة ١٣٣٩ أرسل اليه شاعر الكويت الشيخ صقر قصيدة في بمـــبي يعاتبه فيها ويشكو جفاه فأجابه شاعرنا الحبيب بهذه الأبيات :

سلام كوصل الحب للواله الصب والا كرشف من لمى ثغره العذب
تحيـــة مشتاق الى خير صاحب خلائقه تذكو على المندل الرطب
أيا صقر أشجيت الفؤاد وزدت في تباريح شوق أذكت النار في قلبي
فما أنا من يجفو على البعد خـــله ويومقه ان كان منه على قرب
فكم دمعـــة أسبلتهـــا من توله وكم زفرة نهضتها من لظى الحب
وكم ليلة أحييتهـــا من تذكر تقلبني الاشجان جنباً الى جنب

وكم صاحب [1] نبهته من جفــائه — فضاع وما اجدى وقد زاد في كربي
فأختلق الأعـذار للنفس دونـه — وان كنت مظلوماً أكن حامل الذنب
فهذي شكاتي قد أثرت دفينهـا — وهذا مصابي والأسى قاتل الصب
وما لي بتنظيم القوافي من يـد — ولكن اذا جاشت يخفف بها كربي

في الوعد

ما زلت ارقب من سما علياكمو — برقـا تألق ان يجود بمائـه
والوعد من نحو الكريم كأنه — برق يبشر بانسكاب حيـائه

أنسمة الصبح هي — على القلوب الشجيه — لتبعدي الضر عنها — من وحشة أحمديه
يا أيهـا الشهم إني — من النوى في بليه — فادمعي مرسلات — واضلعي كالحنيه
ومحنتي في ارتقـاع — وراحتي في هويه — يا احمد في المزايا — واحمـد في الطويه
من لي بخل نزيه — يحكيكم في البريه — اذا جهلت عليـه — فالحـلم منه سجيه
وينثني ذا ابتسام — له الصفـات النقيه

في الوعد أيضاً

انت يا من هو في النفس غدا — سيداً في كل فضل سندا

---

(١) يعني حضرة شاعرنا الرقيق بقوله (وكم صاحب) كاتب هذه السطور وما كنت رايم الحق لاجفو ذلك الخل الصفي ولا أسلوه وكيف وقد ملك القلب بلطفه واخلاقه التي كان يقابل بها الجفاء والتقصير بالصفح والتجاوز الى هذا أشرت بقصيدة قدمتها الى حضرته في بمبي جواباً لأبيات تفضل بها علي في الكويت .

ليس وعد الحر برقاً خلبــا يولع النفس ولا ينفي الصدا
انت حر والحجا اثبت لي : كل حر منجز ما وعـــدا

في الغزول والبدر

اهلاً بمؤنس وحشة المشتاق . زين الطليعة نير الاشراق
اهلاً بغرتك التي كم اثلجت قلباً وهاجت كامن الاشواق
يا بدر كم آنست أرباب الهوى ورنوت في عطف الى العشاق
كم كنت ثالث مغرمين بخــلوة وشهدت طيب تواصل وتلاقي
ونظرت أبهج منظر لصبابة بث الغرام بقبلة وعنـــاق
أشبهت من يهوى فهجت لواعجاً من وجده فبكى من الإحراق
سامرته حتى الصباح تعـلة وسترت ما قد باح من اشواقي

صوت الضمير

هذي النفوس بحكم الله باريها إن شاء أسعدها أو شاء يشقيها
تأتي ولا عيب فيها وهي مرغمة وتنثني ثقل الاوزار يحنيها
تأتي فيعوزها في العيش مضطرب فتنتحي طرقاً شتى مساعيها
هذي الى الخير قد فازت ببغيتها وتلك للتعس ظلت في مجاريها
والله أودعها من نوره قبساً عقلاً يعيد لها صبحاً دياجيها
إن استضاءت به فالسعد رائدها أو لا فموردها حتماً مهاويها
والعقل يظهر ان علـم تعهده كالنار كامنة والقـدح يوريها
فلا نجاة اذاً للنفس من عطب إلا بعلم من الآفات يحميها

* * *

لهفي عليها نفوس في الكويت ثوت — في حندس من ظلام الجهل غاشيها
فيها قد انتشرت أوباؤه وغدت — تفت في عضد منها وترديها
فمن رياء إلى خلف الى حسد — الى شجار على ما ليس يعنيها
الى خمول الى جبن الى خـــلد — تحت المكاره والويلات تصميها
فيا نفوساً بمهد الذل قد رقدت — تزداد نوماً اذا ما هب داعيها
لا تحسبوا القول للتشهير انظمه — بل نفثة من لهيب الحزن ارميها
منكم يئست ولما ضاع لي أمل — الى الامير(١) أبي النفس اثنيها
فيا أميراً له في الفضل سابقة — إليك ارسل آمالا وازجيها
يا أحمد من سما في كل مكرمة — وكل محمدة في الفضل حاويها
حاشا لمثلك أن يركن الى دعة — وغفلة عن نفوس أنت واليها
هذي رعاياك من جهل بها مرض — انت الطبيب لها والعلم يشفيها
هذي رعاياك فوضى في مقاصدها — ولا سراة لها للرشد تهديها
هذي رعاياك فوضى لا اجتماع لها — وللتخاذل داء قـــد فشا فيها
فاجمع لها شعثاً وانهض بها أمماً — فلفتة بانعطاف منك تحييها
هذي الشبيبة شبح الجهل يفزعها — وأنت مأمنها إذ أنت حاميها
هذب مداركها عضد مدارسها — وارحم طفولتها اذ أنت راعيها
أكثر معارفها أبعـــد مشاغبها — تفقد معاهدها واسمع شكاويها

---

(١) على الامير الجليل ان يلبي نداء هذا الفاضل واخوانه المخلصين لوطنهم عليه ان يسرع في تلبية دعوتهم الصادقة فيعضد المشاريع الخيرية في الكويت ويجتهد في تهـــذيب عقول اهلهـــا وتنوير أذهانهم .

نحن اذا جعلنا على الرؤساء مسؤولية كبرى لتقاعسهم عن الاصلاح الذي تشرئب اليه أعناق المصلحين فاننا سنجعل على سمو الامير من المسؤولية اعظم اذ هو وحده المكلف بأن يقوم باصلاح البلد وانارتها بكهرباء المعارف والعلوم من كيسه الخـــاص حيث سعادته الذي كان يجني ثمرات اتعاب الكويتيين ويعصر عرق جباههم وهو الذي يستدر ضرع خيراتهم دون سواه . حقاً ان على سموه ان يكون عصامياً في مثل تلك الاعمال وأن لا يلوي عنقه الى احد من رعيته مهما كانت ثروته ومهما كانت اعماله .

بودنا وبود كل مصلح ان يحوز شرف ذلك الاصلاح في وطننا العزيز وحده .

وإن املنا بسمو الامير الجليل لعظيم جـداً في تحقيق الآمال وكشف الغياهب والظلمات عن الكويت وغرس اشجار العلوم والمعارف بين أهلها .

عضد دعاة غدت للرشد طالبة ... واخذل بها فئة بانت مساويها
هذا رجاها بكف من تضرعها ... فاعطف بفضلك،أبلغها امانيها

* * *

أرسل الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى هــذه الأبيات الى شقيقه الأديب سليمان بن عيسى الجناعي في بمبي يمازحه فيها باخباره عن حمارتهم بأنها أتت لهم بجمارة :

يا أبا خالد تهنيك البشاره ... انجبت بنت الحمير حماره
يا لها من جحشة بيضاء لا ... يشتكى من لونها أدنى إشاره
تشبه الأرنب إلا أنهـا ... فاقت الأرنب قفزاً وشطاره
تثب الوثبـة كالظبي اذا ... أخافه الصياد من أهل المهاره
ان حمر[1] (السيف) يسمون لها ... بشهيق ونهيق وعهـاره
وهي تختال لهم في مشيها ... كربيب الجهل في بيت الاماره

فاستنجد الشقيق بصاحبنا الأديب في النيابة عنه بالجواب فلبى وجـاد بهذه الأبيات :

يا أبا عيسى لقـد بشرتنـا ... ومزجت المزح في حسن عباره
جئت تنبينا بأن قد أنجبت ... أم جحش وأتتنـا بجماره
وتفننت بتشبيـه لهـا ... تارة بالظبي والأرنب تاره
ان تكن حقاً كما مثلتها ... فاعذر الحمر اذا أبدت عهاره
مثلهـا في الحمر يغلو مهرها ... فهي حسناء وان كانت حماره

---

(١) السيف هو البحر ويريد (بحمر) الحمير التي تنقل البضائع والسلع من شاطىء بحر الكويت الى وسط المدينة .

وبما مثلت من خيلائهـــا | كنت رام أورد السهم قراره
فاستمع قول شقيق ناصح | وحليف العقل تكفيه الاشاره
إنمـــا النفس اذا ما أعجبت | تاهت القصد فلم تبصر مناره
فاخش حقاً أن (تصبها) غيرة | فكسير العجب لا ترجو انجباره

* * *

اننا نخشى اذا مـــا أسرفت | باجتراء يلهب الصدر شراره
ان ترى للحمر فيهـــا فرصة | ومتى حانت فيا عظم الخساره

الى الفاضل الاديب السيد مساعد بن السيد عبدالله الرفاعي

يا من توهم أن لي قصداً بمـــا | أعلنتـــه من ذمي الشعراء
رحماك لا تركن الى وهم بدا | فالوهم فيه مذلة النبـــلاء
انا ان ذممتك شاعراً فالذم لي | ان المراة تبين شكل الرائي
كيف المذمة تعتريك وأنت من | حاز المنصة في سماء علاء
جمعت مزاياك الفضائل كلها | يا سيد الشعراء والادبـــاء

وقد كان صاحبنا الحبيب يجيد النثر كما يجيد النظم وله أخلاق قد لا أغالي إذا قلت أنها تكفيه عن كل فخر وشرف .

الفاضل الاديب سليمان افندي العدساني
« تحية الاستاذ الشنقيطي »

في رمضان سنة ١٣٤٣ زار الاستاذ الشيخ محمد الشنقيطي الكويت فأقام له النادي هناك حفلة تكريمية ألقيت فيها عدة قصائد وخطب وكان صديقنا الفاضل من جملة الشعراء والخطباء وهذه قصيدته الغراء :

يا قوم ان نزيلكم   هذا هو الرجل الوحيد
الناطق الحق الصراح   وانـــه في ذا فريد
اني وقفت خطيبكم   يا ليت شعري هل أجيد
يا شيخ أنت رجاؤنا   في نهضة النشء الجديد
عصر الخرافة قوضت   أركانـه حتى أبيـد
يا شيخ أنت سهامنا   ان كابر الخصم العنيد
ثابر فخلفـك عصبة   قد أقسمت أن لا تحيد
فتخط للعليـا بهـا   يا صاحب الرأي السديد

* * *

ان الكويت لبعدكم   كادت لبلواها تميد
فاصفح لماضيها وغ   ض الطرف عن ذاك البعيد
هذي الكويت تبسمت   أرجاؤها لك من جديد
واستبشرت بقدومكم   فكأنما كانت بعيـد
وأقام ناديهـا لكم   ذا المهرجان مع النشيد
أما الزبير فـكم لـكم   فيها من الأثر الحميد
فلكم أشدت مدارساً   فيهـا وكم اثر مجيـد
لو كان مثلك عشرة   فينا لما بعد البعيد
عجبي لقـوم أغضبو   ك أما بهم رجل رشيد
آذوك لـما ان دعو   تهم الى أمر مفيـد
هذي السفاهة أغضبت   رب الخلائق والعبيد

تحية الزعيم التونسي

وكذا أقام النادي حفلة تكريمية لفضيلة الزعيم التونسي الكبير الاستـاذ

الشيخ عبد العزيز الثعالبي عندما زار الكويت في رحلته الكبيرة سنة ١٣٤٣، وقد ألقى كثير من الفضلاء أمام الاستاذ خطباً وقصائد نفيسة وكان صاحبنا من جملة من قام شاعراً او خطيباً ، وهذه قصيدته البديعة :

أنا لا استطيع آتي بشعر — صب في قالب بديع النظام
لا ولا استطيع ألقي خطاباً — هيبة منك يا رفيع المقـــام
غير اني وقفت يومي اضطراراً — لا اختياراً وما جهلت مقامي

* * *

أنت عبد العزيز أعلى مقاماً — كلمـــا رمت وصفكم في كلامي
فاغضضالطرف لا تلمني اذا ما — جاء وصفي لـــكم بدون المرام
يا حكيماً اذا أفاض بيـــاناً — نكس الخصم طرفه وهو دام
وخطيباً اذا أفــاض حماساً — دفع القوم للوغى والصدام
وجريا اذا تقـــدم قوماً — شمر الخصم ذيـــله لانهزام
وزعيماً اذا يهز يراعـــاً — وقف السيف باهتـــاً باحترام
كلما رمت أن أذيع علاكم — جف حبري وما بلغت مرامي

* * *

يا لقومي وما عهدت كراماً — ألفوا الذل فانهضوا باعتزام
من لحمل اللوا وصد الأعادي — من لصون الحمى ورعي الذمام
ليس عيش الجبان يا قوم عيشاً — فدعوا الجبن وانهضوا للأمام
إن هذي الحيـــاة دار عراك — عاش فيهـــا من الأنام العصامي

كان هذا الصديق الفاضل من المجيدين في نظمه ونثره معاً على عدم إكثاره وهو أقدم رجل في الكويت تعاطى الكتابة على صفحات الجرائد .

الأديب الشاب أحمد بن بشر آل رومي
في الهجو والنحو

وإني إني دعوت الهجو يأتي ... إليّ فأتقي منـــه أمره
وان شئت الهجاء فلي هجاء ... بهــا تلقى أعاديك المسره
وان شئت المديح فلي مديح ... به يلقي الشحيح إليّ تبره
فلا يأمن هجائي كل من قــد ... رمـــاني من أذيتـــه بذره
واني ان هجوت اليوم شخصاً ... رأيت به لكل الناس عبره
فأعــلي بالمديح أخا جميل ... وأسفل من لئيم القوم قدره

* * *

سأتعب في دروس النحو نفسي ... وأوذي بعد زيد النحو عمره
لأصبح ان أقل هجواً بشخص ... تمنى دونه المهجوّ قــبره
ولولا انني أخشى اعتراضاً ... على نصب الجدير بان اجره
لأودعت الجرائد كل يوم ... قصيداً مخجلاً في الأفق بدره

نعي الجمود وأهله والحث على العلوم والمعارف

سال دمع العين مني وانسكب ... من تواني قومنا عمـــا وجب
وجب اليوم عليــكم سادتي ... ان تمدوا للعــلى خير سبب
والعـــلى ليس له من سبب ... موصل غـــير علوم تنتخب
فانفضوا عنكم جموداً مهلكاً ... واطلبوا العلم وجدوا في الطلب
خاب شعب قــد تردى كسلا ... وجمــوداً يا بني قومي وتب
لا تميلوا نحو (دجال) غــدا ... باسم دين الله يحوي للذهـــب
أمعنوا الأفــكار في تدجيــله ... تبصروا تقواه زوراً وكـذب

ليس بـين العلم والدين كما ... قاله (الدجال) بون منشعب
انمـا للصفر والبيض سعى ... مظهراً تقوى ليحظـى بالأرب
اذكروا التبر وقولوا يشترى ... بصلاة وصيام في حلب
وانظروا كيف اليـه يقتدي ... تارة يزوي وتارات يثـب
ثكلته امـه كيف اغتدى ... باسم دين الله يحتـال النشب

تبكيت لبعض المتوهين

ان للدين إلهـاً فوقنا ... ينظر الخلق ولسنا مرسلين
يا (أبا القاسم) لو ترنو الى ... معظم الخلق بعين الناقدين
لرأيت الناس إلا بعضهم ... تركوا الدين وظلوا ملحدين
فاترك الامر الى الله ترح ... نفسك اليوم من الهم المتين
فحساب الناس في الحشر على ... ربهم والله خير الحاسبين

قدمنا لهـذا الفاضل أبياتاً في منافع الصحف وفوائدهـا في الحركة الفكرية والعلمية .

قصيدة الشيخ ناصر لأبيه مبارك
يهنئه فيها بزواج أخيه الشيخ أحمد

دام السرور فقم بنا يا منشدي ... بين الربوع لكي أهنىء سيدي
وامرر بروض الأنس واقطف يانعاً ... واشكر صنيع الواحد المتفرد
واسأله اتمـام الجميل فإنـه ... بر كريم الصفح للمتعبـد
هذا السعود وهـذه أعلامـه ... لاحت عليك مهابة يا معضدي
بزواجك الميمون محمود الصبـا ... أعني به حمد المبارك واليد
نلنا بهـذا الأمر غايات المنى ... إذ أنت رأس المبتدا والمسند

وقـــد أجاب عبد المسيح الانطاكي على لسان الشيخ مبارك ابنه ناصراً بقوله :

ولداه ثق بمحبتي وتوددي ولأنت عندي في المقام الأمجد
هنأتني بأخيـــك يوم زفافه لا زلت معه في هناء أرغـد
ولداه لا أنفك أسعى في رضا الرحمن سعيا إذ أروح وأغتدي

كان الشيخ أحمد ساكن الطبع ، ليّن العريكة ، حليماً متواضعاً . وهو الان الذي ينوب عن سمو أمير الكويت الجليل في فصل الخصومات اذا ما غاب عن الكويت .

ملا علي يمتدح مباركاً ويذكر صقرا

كان هذا الشاعر صغير السن اذ ذاك ، وقد طالت مدته التي امضاها مع صقر في البر ، مما تركه ينزع الى أهله ويتشوق لرؤيتهم فامتدح مباركاً بقصيدة نبطية لتكون كالمقدمة لما يريد ، ضمنها أموراً كانت تخالج ضميره فسلمها بيد (باتل ابن شعف) لينشدها امام مبارك بالنيابة عنه فتقبلها وانشدها (باتل) كما أمر فوقعت عند مبارك موقع اعجابه واستحسانه ، واعجب بها وبقائلها ايما اعجاب حتى دفعه اعجابه الى الامر ليسمعها منه بنفسه وقد لبى الشاعر طلبه وحضر بين يديه ثم شرع بانشادها مرتجلا فزادها بحركاته المناسبة وحسن القائه جمالا على جمالها وعندما انتهى قال له مبارك كل ما طلبته سيتم وسنقوم به وبعد أن قضى مبارك ما أراده ، أذن له بالذهاب لزيارة أهله وهذه هي القصيدة :

راجب من [1] فوق مسلوب الضمير حر المذعور واعموقه حرار

---

(١) راجب اي راكب .

لا مشى [١] جنه [٢] ايجنحان يطير ... لا قلب [٣] عينه تقل مشهاب نار
لا رجبته [٤] ما جدرته [٥] بالجرير ... قوته فكت قراريص العـــذار
جيت من بغـــداد عجل المسير ... مجهدا بالمشي جني [٦] فوق نار
عاني [٧] اللي لنـــا يسعى بخير ... حاجم [٨] عره من المعبود ثار
طوع العـــدوان بالسيف الشطير ... جم [٩] صبي يم [١٠] حوض الموتزار
لابته [١١] مــا يلبسون الا حرير ... كلهم لاشفتهم [١٢] مثـــل الحرار
كلهم عودهم الشيخ الجبير [١٣] ... باللقـــا عـــادتهم قصف العمار
ماحجيت [١٤] الا الصحيح اللي يصير ... كل هرجي [١٥] للخلائق به قرار
من سمع به قـــال بالله تستجير ... كل من عـــاداه يبشر بالدمار
أبو جـابر عادته يحجي [١٦] القصير ... للمجلا [١٧] حطـــه ربي استار
لو يبي [١٨] يأمر وهو فوق السرير ... طوع اللي كان في رأسه اسطار [١٩]
جعل من عاداه بالهبـــة [٢٠] كسير ... أو قريص [٢١] فيه سم الحظف سار
أو نجي له مثـــل ما جينا الظفير ... يوم فاجينا اعـــدانا في نهـــار
قدمنـــا صقر على الصفرا امغير ... فارس يا شيخ من ماكر حرار
جيت أتاصيك [٢٢] يا زين [٢٣] الفقير ... ابي [٢٤] خرجية وابي كسوة حرار
ان عطيتني مـــا هو جثير [٢٥] ... عادتك تعطي الركائب والمهـــار
والفرس ما اريدها تبغي [٢٦] اشمير ... يا حمى من خاف لا طال [٢٧] المغار

---

(١) لا مشى أي اذا مشى (٢) جنه أي كأنه (٣) لا قلب أي اذا قلب (٤) لا رجبته أي اذا ركبته (٥) ما جدرته أي ما قدرت عليه بالجرير أي الحبل والمراد به الزمام (٦) جني أي كأني (٧) عالي للي أي للذي (٨) حاجم حا كم (٩) جم صبي أي كم ولد (١٠) يم أي نحو حوض الموت زار من بأسه وشدته (١١) لابته أي جماعته (١٢) لاشفتهم أي رأيتهم مثل الطيور الحرار (١٣) الجبير أي الكبير (١٤) ما حجيت ما قلت (١٥) هرجي أي كلامي (١٦) يحجي القصير أي يحفظ الجار ويمنعه (١٧) للمجلا أي الذي اجلي من بلاده جعله الله جنة من صدمات اعدائه (١٨) لو يبي أي لو يريد (١٩) اسطار أي نعرة وكبر (٢٠) بالهبة أي المعركة (٢١) أو قريص أي رجل مقروص فيه ألم الحياة سرى (٢٢) تاصيك أي قاصدك (٢٣) يا زين يا مليحاً (٢٤) ابي خرجية أي اريد دراهم اصرف منها (٢٥) ما هو جثير أي كثير (٢٦) تبغي أي تريد (٢٧) لاطال المغار أي اذا طالت الغارة .

ثم صـلى الله على السيد البشير عـد من صلى الربه ثم زار

وهاك ما قاله شاعر الكويت الفاضل الشيخ صقر في هـذا ، يمدح الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح .

الى ذي المعالي نجل جابر الذي بيمناه من هذي البلاد زمامها
اوجه من شعري الرصين محايداً كساها جمالاً اذ كسته نظامها
(وأحمد) محمود على كل مقول ففي حمده مثل الكهول غلامها
وليست اياديه يطاوع عدهـا وان جد من حسابهن قيامها
ومن خير هاتيك الايادي صنيعة سيشكرها ندب الورى وهمامها
واعني بها ايجاده نجل احمـد جهينة اخبار الكويت حدامها
واسعاف تاريخ الكويت ابن جابر به يعتلي بين البـلاد مقامها
فلا زلت تعليها وترفع شأنها ولا زال مرعياً لديك زمامها

سالم وشاعر الكويت

من حسنات الشيخ سالم التي امتاز بها على ما سواه من حكام آل الصباح اعتناؤه بشاعر الكويت الفاضل الشيخ صقر بن سالم الشبيب ومنحه القرب منه حتى جعله شاعره الخاص وما زال يواليه بانعامه مـدة حياته الى أن انبعثت قريحة شاعرنا النابغ بتحبير القصائد الخالدة في مدحه وحبك المقاطيع الشيقة في نشر فضله ولا بدع فالاحسان الذي لا يشوبه غرض سافـل يملك أحرار الرجال ويقيدهم بربقـة الفضل لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها .

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

قد حسن سالم الى هذا الشاعر الذكي بما أنساه اذ ذاك مـا كان يقاسيه

اليوم من ألم الحياة ومضض العيش وما أبكاه بعد رحيله بالدموع الحمر وأخذ يندبه ندب الخنساء لصخر ولا عجب اذا ما رأيناه يكاد يذوب من التلهف عليه وعلى أيامه ويتمزق قلبه من التأسف على انقطاع تعطفاته فصبرا ايهـــا البائس صبراً .

كان أول اتصال شاعرنا بحضرة الأمير أن قدم اليه قصيدة شكا اليه في آخرها ما يراق في الطرقات من المياه التي تؤذي المارين ولا سيا العميان وهي قصيدة غراء محورها يدور على أم أيتام صغار تحطم ما في يدها من البيض الذي كانت تجمعه من دجاجة هي كل ما تركه زوجها لها ولأولادها وكان الذي أوقعها ماء في الطريق فظلت تبـــكي وتنوح وتندب سوء حظها حتى شعر بها شاعرنا المتألم الحزين فمدها بخمسة دراهم كانت في يده وفي أول تلك القصيدة يقول :

ومحزونة في الدرب تبكي وتلطم	وتعول من عظم المصاب وترزم

إلى أن يقول :

فأخرجت من جيبي دارهم خمسة	ولم يك عندي غير هاتيك درهم
فناولتها مـــا يسر الله قائلا	خذي واعذري اني لمثلك معدم
دعت لي إذ ناولتهـا ثم أنشأت	تسب الذي ألقى المياه وتشتم
فقالت أظن الشيخ لو كان عالماً	بما منه نشقى في الطريق ونسأم
لشدد في نهي الرعايا من الأذى	وهددهم حتى يكفوا ويحجموا
وحاشا لذاك الشيخ تلفيه راضيا	بما قد غدت منه الضعاف تظلم
تبسمت لمـــا ان علمت مديحها	ومن عادتي عند السرور التبسم

وقد لبى الامير نداءه وشدد في الردع والزجر وكافأه أيضاً بما جعل لسانه رطباً بشكره وقد اتبعها بقصيدة أخرى ضمنها مع مدحه حاجة أبهمها فقال:

فيا فرحتي ان نلت عندك حاجتي	ويا حسرتي ان لم انلها ويا خسري

وأكبر ظني انك اليوم مـانحي ... من المال ما أرقى به ذروة النسر
وحاشاك من تخييب من جاء عافيا ... تقلبه الايام بطنـاً الى ظهر
وتصفعه صفعـاً يفيض دموعه ... فوتراً إلى شفع وشفعاً الى وتر
ولا غرو إن أبديت عندك حاجتي ... ففزت بهـا يا ابن الغطارفة الغر

أما الامير فعلم ان شاعرنا يريد بالحاجة اصلاح بيته المشرف على السقوط والذي أكل البلاء عليه وشرب فبادر الى اجابته وأسرع الى تلبيته وأصدر أمره الى من أوكل اليه أمر البناء وحثه على انجاز مهمته فقام بما أمر به غير أنه كان يتباطأ أحياناً وأحياناً يعد الشاعر ثم يخلف وتكرر ذلك منه مرات فأراد الشاعر مداعبته بتثاقله بأبيـات يقدمها الى سمو الأمير في هذا المعنى فقال :

أبا الشهم عبدالله لو انهم مشوا ... اليـه بجـد لابتنوه وأتموا
بخمسة أيام ولكنهم مشوا ... اليه كما يمشي الى السجن مجرم

وقد لام الامير الوكيـل بعد هذا لوم المازح المداعب وحضه على إرضاء الشاعر والوقوف عند أمره وما هي إلا أيام حتى كان البيت كالعروس الفاتنة ولا يقل ما صرفه عليه عن ثلاثة آلاف روبية وقد شكر سمو الامير على هذا الاحسان العظيم والفضل الشامل بقصيدة قدمها الى سموه أيضاً فقال :

كريم نفى عني هموماً أقلهـا ... تذيب اصم الصخر لو حل بالصخر
فشكري له شكر المنابت للحيـا ... اذا ما اكتست منه ثياباً من الزهر
وما لي لا أوليـه شكري والثنا ... ولولاه ادنتني الهموم من القبر
واعـلم اني لا أقوم بشكره ... ولو انني أفنيت في شكره عمري
ولو ان من تحوي الكويت من الورى ... يعيرونني الافواه للحمد والشكر
ولو انني أوقفت نطقي كلـه ... على شكره ما قمت من ذاك بالعشر
وكيف أقوم اليوم في شكر سيد ... أزالت عطاياه همومي من صدري

زرت سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح يوماً بعد طول غيبة فأخذ يطارحني (أدام الله فضله) المسائل العلمية والأدبية بمهارة غريبة كان في أثنائها يرميني بمسائل واشكالات حيرني بها . ووقفت أمامها موقف المعجب بذكائه الفطري واستعداده الغريزي وقد دفعني ذلك إلى أن أقدم لسموه قصيدة أبثه فيها اعجابي به وبأبحاثه الشيقة اللذيذة وهذه هي :

يا أيها العلم الراقي بفطنته ... أوج الصواب وصدق الرأي والخبر
اني غدوت وأيم الحق منتعشاً ... من بعد ما كنت من يأسي على خطر
اني طربت لأبحاث أتيت بها ... وقد حكت بسناها طلعة القمر
لم لا فديتك لا أنفك منتعشاً ... وأنت تقذف من يأتيك بالدرر
فمن محادثة في العلم رائقة ... الى مذاكرة تجلو صدى الفكر
الى مسائل في الآداب تذكرنا ... عصر الرشيد وعصر السادة الغرر
لذا وحقك لم ابصر لطلعتكم ... إلا وبت بأنس قد جلا كدري

* * *

هذي المحامد فاخطب جودها أبداً ... اليك تأتي بلا خوف ولا حذر
فأنت كفؤ لها والفضل يشهد لي ... والنحو والشعر والتقويم في النظر
ما للمحامد لا تأتيك طائعة ... وأنت ملجا لها في ساعة الضرر
ما للمحامد لا تأتي وأنت بها ... أخو غرام تعانيه الى السحر
اشرب فديتك كأس العلم ان له ... طعماً لذيذاً كطعم الماء ذي الخَصَر
وفيه تعلو ذرى العلياء من سقطت ... أبناؤها ورماها الدهر بالشرر
أستغفر الله من امري لكم ولكم ... رأي الى المجد يهديكم مدى العصر
وقد شربتم كؤوس العلم مترعة ... كما علمتم بأن العلم كالمطر
يا عاذلين دعوا عذلي فليس لكم ... في عذلكم منهج يرضاه ذو بصر
هذا الذي فضله كالشمس مشرقة ... هذا الذي فخره كالروض ذي الزهر

هذا الذي ترك الاصلاح منشرحاً | والجهل غادره في السقم والخور
فان شككتم فهيا نحو مجلسه | تروا به صدق ما أعلنت من خبري

والخلاصة ان سمو الأمير الجليل من الرجال الافذاذ في الكويت ومن الذين جمعوا مع تلك الاخلاق الجميلة هاتيك المواهب العالية التي بمقدار ما تسر أصحابه المخلصين تسيء من يكاد الحسد يلتهم فؤاده التهاماً . وقد مدح سموه شاعر الكويت الحر الفاضل الشيخ صقر بقصيدة عصماء عطرها بعبير مناقبه ثم تلاه الشاعر الجديد الفاضل عبد اللطيف بن نصف بأخرى شرفها بأوصافه المحمودة ، وهاك نموذجاً مما قاله الاول من سحره الحلال :

ومن يقتدي والشهم ذو الجود سالم | أبوه وذو العليا المبارك جده
فأجدر به أن لا يخيب آملا | وهيهات يأبى ان يخيب مجده
فيا من غدا في الناس محمود مدحه | يدور وحسن العقل والقول نده
ويا من به روض المديح تبسمت | أزاهره من بعد ما جف ورده
ويا من به نشر المدائح قد حلا | ولولاه لم ينشر لمدحي برده

وأما الثاني فهاك من جواهره المنثورة ما يضيء أمامك الطريق ، وقد قدمها الى سعادته معتذراً وشاكراً فقال :

أعبدالله عفواً عن فتى لم | يود من الامور سوى رضاكا
أتيت يقودني أمل صريح | وحلم قد تجسم في علاكا
وهبني قد أسأت بغير قصد | أليس العفو يشمل من أتاكا
رجائي فيك أكبر شافع لي | وهل خاب امرؤ يوماً رجاكا
أعوذ بمجدك العالي ذراه | ويا لله من مجد هناكا
وحزم لا تغيره الليالي | وعزم قد بلغت به السماكا
بأن ينتابني يأس لما بي | ويضنيني الأسى وأنا أراكا

على أني وحقك لست ممن تضعضعه الخطوب ولست ذاكا
جزيت عن الشبيبة ألف خير ولم أبلغ بهـا أبـداً جزاكا
نصرتهم وكنت لهم مجيراً ولم يخذل أناس في حماكا
مددتهم بنورك فاستناروا وراحوا سائرين على سناكا
وإن ما يحمدون وأنت أهل فان الحمد يشهد حينذاكا
فشيد في الكويت ربوع علم ترقبهـا فليس هنا سواكا

وفي الختام فليحي الامير للعلم وأهله ، وليعش للفضل وذويـه وليبقَ حصناً للحق وقاصديه .

بعث الاستـاذ الفاضل الشيخ عبدالله الخلف بقصيـدة الى المؤلف في الجزيرة الصغيرة ، وذلك جواباً على أبيات كان وجهها اليه عندما ذهب مرة مع بعض الاخوان للنزهة الى تلك الجزيرة فأقاموا أياماً فيها .

قال :

على هاجري الأوطان يبغون دونهـا وجـل هواهم في سباخ الجزيرة
مناظرها تعزى الى ضد وصفهـا فلا حسن فيهـا لرب البصيرة
أعشاق سبخاهـا وحلال ربعها بسوء منـاخ في أراض صغيرة
لئن طاب منها الليل فالويل في الضحى إذا اتقدت رمداؤهـا في الظهيرة
أيدفع للأخصاص حر شموسهـا ومن قصب بال بنـاء الحظيرة
ومأوا كم خص العوازم ذو الأذى كبير به كرب العيون القريرة
ومن عجب أن راقكم منه منظر يشق على كل النفوس الكبـيرة
اذا صال جمع البق والفلش الضحى وجاء اليـكم بالجيوش الكثيرة
فما عاصم منه كبير مكبر به الكرب والمكروب من ذي المغيرة

اما أبياتي التي بعثتها الى حضرته فمنها :

رحلنا الى ارض الجزيرة علنا نزيل هموماً بالفؤاد استقلت
فنلنا بحمد الله ما فيه أنسنـا ولو نالنا في ذاك بعض المشقة
فأعظم ما يدني الىالقلب أنسه مناظر يعزى حسنها للطبيعة
كمنظرنا للبحر والبحر هادىء ومنظره والموج يبدو كهضبة
وما فيه من سفن تمر كأنهـا طيور ببحر الجو تجري بسرعة
ومنظرنا تلك الحضور وأهلها وقد حملوا الاسماك منها (بحلة)
وما ضرنا حر الجزيرة اذ غدا كنار لها في القفر اعظم شعلة
ولا البق اذ يمسي علينا محلقاً كما حلق البالون يوم الكريهة
فيرمي علينا من مدافع صوته قنابل ترمي الكل منا بنشوة

وبعث الى الاستاذ الفاضل الشيخ عبدالمحسن ابا بطين قاضي الزبير سابقاً قصيدة يتشوق فيها الى تلك الجزيرة ويمدحها ويعرض بذكر يوم الخميس الذي كنت واخواناً لي من المعلمين الفضلاء نرتاد الذهاب فيـه اليها تسلية للنفس وترويحاً عنها :

يا ليتني احظى بها لو ساعة فانال فيها الأنس والأفراحا
فلهاعدا حسن الهواء فضيلة مرأى عجيب يذهب الاتراحا
ولها على لبنان فضل واضح فسلوا ملوك الارض والسياحا
وعلمت أن بهـا عجائب جمة لما سناها من بعيد لاحـا
فترابها كالمسك فاح اريجـه او ما ترى واد بهـا فياحا ؟
بالله ان سرتم اليهـا ثوبوا لمحبكم من مائهـا اقداحا
ما شاقني جزر سواهـا تنبت الزيتون والرمان والتفاحا
وبلابل تشدو واقمار بهـا وكواعب يسلبننا الارواحا
اني اهنىء سادتي من معكم يوم الخميس الى الجزيرة راحا

وقد أجبت صاحبنا المفضال بقصيدة أرسلتها اليه هناك ، منها في ذكر تلك الجزيرة يوم الخميس :

فانظر الى وصف الاديب بنظمه ... لجزيرة تحوي بهـــا الافراحا
فبذاك تعلم انه العلـــم الذي ... في الشعر أمسى الكوكب الوضاحا
فبوصفه حسدت صخور جثم ... فيها واضحى روضها فياحـــا
يا فاضلاً في وصفها لم يعد مـــا ... في القلب مني لا عدمت فلاحا
ان الجزيرة انسنا يـــا انسنا ... وبحبها جمع غفـــير باحـــا
وانا فديتك عذلي في حُبهـــا ... جمع وكل قـــدْ غدا ملحاحا
لكنني من عـــذلهم لا أنثني ... حتى ولو أولوا حشاي جراحا
لا تسألن عن أنسنا بخميسنـــا ... وقد امتطينا قارباً ملواحا
أمسى يشق بنـــا العباب بجهده ... فغدا كطير الأفق مد جناحا
لا تسألن عنـــه فديتك انه ... ينثي العناء وينعش الأرواحا
يا مـــا أميلح سيرنا في جوزه ... والكل منا قد غدا ملاحـــا

عام كساد تجارة اللؤلؤ

واليك هذه الابيات التي قالها احد الفقراء في هذا العام فشنف سمعك بما تشرحه لك من الحالة هناك لتعلم الحقيقة فيما قلت :

تجارنا عقب المعرفـــة جفونا ... زال الشتا احمود ما سقمونا[1]
ما ادري عسر بهم والا جفونـــا ... الله عليهـــم وان نواو للتعاكيس
ما ادري ويش جرى للغوص كله ... مثـــل الحير تنقاد خمسة اهله

---

(١) ما سقمونا : أي ما أعطونا تسقاما و (التسقام) الدراهم التي يعطيها صاحب السفينة للعمال بعد رجوعهم من الغوص أما اعطاؤه اياهم الدراهم قرب سفرهم فيسمى (سلفاً) .

تشكي العرا والجوع وايا[1] المذلة ... وتركض الخدمتهم امثال البنابيس[2]

وين[3] القماش[4] اللي[5] من الدر جبنا[6] ... الله عليهم وان كلوا من تعبنا

ما تعمر دار بها الظلم يبني ... شيء يغضب الله ويرضى به ابليس

قالوا لك العذر يا(زيد)جتنا اعلومك ... وحنا بعد والله ما نلومك

مير[7] استعن بقوة اعزومك ... الى ماتجي شملان[8] ونرخي[9] لك الكيس

اقماشنا بالهند والله طايح ... وحنا غدينا بين شاني وصايح

هذي السنة صارت علينا فضايح ... انتم تبون[10] افلوس[11] واحنا مفاليس

قل انتم أهل الجودات وأهل المروة ... مير شيء حدث فيكم يا ناس توه[12]

اشوف بالوقت تاخذونا قوه ... ياما حديتونا[13] بعجر ودبابيس

قولوا لبو مهلهل[14] وشملان وهلال ... وابو حمود لا تخبت لهم بال

يا أبو علي يا احسين قل زكوا المال ... زهايد الدنيا وهذا أي بهانيس

---

(١) وايا المذلة أي مع المذلة . (٢) البنابيس العبيد السود . (٣) وين بمعنى أين . (٤) القماش اللؤلؤ . (٥) اللي أي الذي . (٦) جبنا أتينا به من البحر . (٧) مير بمعنى لكن . (٨) شملان هو من اكبر تجار اللؤلؤ الذين يسافرون من الكويت الى بمبي لعرض لؤلؤهم هناك . (٩) نرخي لك الكيس أي نفتحه والكيس الوعاء الذي توضع فيه الدراهم .

(١٠) تبون أي تريدون . (١١) افلوس دراهم . (١٢) توه في الوقت القريب .

(١٣) يا ما حديتونا سقتونا بعجر ودبابيس . العجر جمع عجر أو هي عصا ملومة الرأس و (الدبابيس) جمع دبوس وهو عصا في رأسها قطعة من الحديد أو القار .

(١٤) هؤلاء المذكورون هم أقطاب تجار اللؤلؤ في الكويت حمد الخالد وشملان بن علي بن سيف وهلال المطيري وناصر البدر وحسين بن علي اخو شملان، يأمرهم الشاعر باخراج الزكاة الى أهلها، ولكننا نقول والحق يقال ان جلهم كانوا يبادرون الى اخراجها في وقتها فيطفئون باحسانهم ومعروفهم ظمأ كثير من الفقراء المحتاجين، كانوا يبادرون بذلك رجاء الثواب واحتساباً للاجر وهم ومن على شاكلتهم في الكويت من الفريق الممتاز باحياء هذا الركن العظيم الذي أميت في كثير من البلاد الاسلامية ، جزاهم الله أفضل الجزاء ، على ان المثرين هناك من لم يكن له في اخراجها أثر يذكر . ومنهم من لا يخرج الا القليل ، ومنهم من لا يراعي في اخراجها المصرف الشرعي فتراه يعطي قريبه الغني كثيراً من المال في الوقت الذي كان يحرم الفقير المحتاج النزر اليسير. وهذا البون الشاسع يحمل للفريق الاول فضلاً لا ينكر وميزة حسنة يغبط عليها ، فعسى أن يلتبه الفريق الآخر ويقتدي باخوانه .

قصيدة الأديب الفاضل خالد بن محمد الفرج الكويتي في وصف الجموع المصارعة لأجل الوصول الى ماء الشرب الذي تنقله السفن من شط العرب :

تصور فدفداً لا شيء فيه ... سوى رمل به وطأ السباع
ولا ماء لدى الرمضاء إلا ... عليه الرمل ناف بألف باع
ولا شجراً لدى الصحراء إلا ... هشيم جاء من أقصى البقاع
يحار به الدليل ويغتويه ... به شبه الحضيض من اليفاع
فذاك هو الكويت وساكنوه ... اذا دهموا (ببوم) غير ساعي
ولا تتصورن « البوم » طيرا ... فما هو غير فلك ذي شراع
يجوب البحر ساعات طوالا ... يقل الماء للبلد المضاع
اعرني سمعك الواعي فاني ... لمحتاج لسمع منك واعي
اقص عليك ما أضنى فؤادي ... وكل عن القيام به يراعي
(ببوم) فيه أعمدة السواقي ... تصوبها الرياح الى ارتفاع
وقال البحر للسفن الجواري ... دعوا ظهري هلموا نحو قاعي
هناك ترى الجموع على (بويم) ... به وشل أقل من الذراع
هناك حمي الوطيس فكل وغد ... يسابب صاحب الأمر المطاع
فكم من حرة غرقت وحر ... رماه لمائه صاع بصاع
وكاد ظمىء الضعيف وكاد يقضي ... وصار الماء للبطل الشجاع
بني وطني ألا انتبهوا وهبوا ... وشدوا أمركم بالاجتماع
ولا تبقوا على الأموال فيما ... يكون لنفعكم في العصر ساعي
أراكم تجلبون القوت جمعا ... واغلى ما يكون من المتاع
وتجنون الدراري وهي كنز ... يفوق جميع أنواع المساعي
أتبقون الكنوز لناهبيها ... وتبنون المباني للتداعي
وأمكم الكويت تئن عطشى ... ألا فلتنع عقلكم النواعي
فهبوا واجمعوا ما فيه نفع ... فما نيل الخلود بمستطاع

امرأة من بيت آل العبيدي ترثي ابنها
القتيل في وقعة الصريف بين ابن الرشيد والكويتيين

قلت آه من علم لقـا به [١] اقرينيس   يا ليت منـه ميتاً ما درى به
عـلم لقا به مرس القلب تمريس   والنار عجت في الضمير التهـابه
واليوم له عن جفن عيني مراريس   والحنظـل المذيوق زاده شرابه
على الله اللي كفى [٢]على ضمر العيس   واليوم ما ادري أي خبب لقـا به
نصيت[٣] بيتـه قلت يا اقرينس   وين الحبيب وقال ما علمنـا به
اخفى مع البيرق[٤] الحرب السناعيس[٥]   وان تسأليه والي المحـدير جابه
رديت من كثر ابكا والهواجس   دمعي كما وبل نشا من سحابه
يا الله يا فـكاك حبل الحابيس   انك تفك محمـداً من صوابه
ايجـاه محمد ويعقوب وادريس   عسى طلبتي عند ربي مجـابه
واعداد ما هبت هبوب النسانيس   على النبي صليت هو والصحابه

التاريخ يشكر ملا صالح بن محمد[٦] الملا رئيس الكتاب

أبا محمد لم لا أثني عليك ولك من الاخلاق الزاهرة ما تحاكي البـدر ليلة تمامه . تواضع في غير ذلة . وحلم عن كثير من الهفوات . وبذل في سبيل المعروف والاحسان . وبشاشة جذابة هي كالسحر الحلال . أبا محمد لم لا أثني عليك ولك من الثبات ما برزت به حاملاً راية الفوز على كثير من أقرانك . وبرهنت به على انك ذو نفس كبيرة وعزيمة قوية وهمة قعساء تلين الصخور

---

(١) لقابه أي آتى به . (٢) اللي كفن أي الذي (٣) نصيت بيته أي ذهبت الى بيتـه
(٤) البيرق العلم . (٥) والسناعيس لقب لقبيلة شمر التابعة لابن الرشيد .
(٦) نظرا لقيام هذا الفاضل بالمهمة التي أسندها اليه الأمير في البحث عن الرسميات فقدرأيت ان يكون شكره على تعبه في آخر الكتاب لأن شكره في الحقيقة شكر للأمير نفسه .

ولا تلين وهل ادل على ما قلته من قبضك زمام الرئاسة للكتاب في حكومة الكويت الموقرة تلك المدة الطويلة من أيام مبارك بطل الكويت واسدها إلى هذا اليوم يوم حكومة اميرنا المحبوب .

أبا محمد لم لا أثني عليك وهذه أخلاقك الزاهية . ولم لا أثني عليك وقد اعتنيت بتاريخ الكويت اعتناء لم يتسن لأحد سواك من مواطنيك . أبا محمد أنا ان انس جميلاً لأحد فليس في استطاعتي أن انسى جميلك واحسانك علي وعلى التاريخ . نعم لا أنسى ذلك ولن أنساه وكـــذا لا أنسى التعب الذي كان ينتابك إبان البحث والتنقيب عما يهم التاريخ ويكسوه بهـــاء وجمالا . ولا انسى الليالي الطوال التي قضيتها واياك في بيتك العامر . نستنطق الدفاتر ونستفهم الطروس حتى اذا ما عثرنا على كلمة صالحة أو حادثة ذات اعتبار لها مساس بالموضوع طرت بها فرحاً وتهلل وجهك بشراً وسروراً كان التاريخ لك وأنت القائم به وباعبائه . انا لا انسى ذلك كله وكيف لي أن أنساه وقد بنيت لك من جرائه شرفاً لا يمحي على مر الدهور والعصور . وأسست لك به مجداً يفنى الزمان وحسنه يتجدد .

طوقتني أبا محمد منة كبرى لا قبل لي بالقيام بحقها وحملتني منة أنا عاجز عن شكرها ولكني سأذكرها ما دمت حياً وحق على وطني أن يذكرهـــا ما دامت روحه تجري في مفاصله هاك أبا محمد هذه القصيدة التي نشر فيهـــا شاعر الكويت ما لك من الفضل والفخر فمساها تفي بشيء من الواجب :

ساشكر صالح الملا حياتي على إسعافه الحر ابن أحمد
واولى الناس بالشكران شهم حميد السعي مثل ابي محمد
سأشكره واحمده واثني باشعاري عليه بكل مشهد
مكارم صالـح تأبى علينا لكثرتها بشعر ان تعدد
فإيجاز الثنـــا عنهن عجز على أن لا شبيه لمن يشهد

مكارم لا تبيد وليس تفنى وخير المجد في الدنيا المخلد
قدم في أهنأ العيشات واسلم وطرف عداتك البعداء يسهد
فانك في الكويت اليوم شمس اشعتها فضائـــل ليس تجحد
ومن ذا يستطيع جحود فضل له منه عليـــه الدهر يشهد
سأنظم واصفـــاً فيك المزايا قصائد دونهـــا الدر المنضد

الاديب الفاضل ملا صالح بن محمد الملا
رئيس الكتاب في حكومة الكويت الموقرة

الشيخ صباح بن دعيج وخدامه حوله وهو الرجل الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في حفظ الأمن في الكويت وهو الرجل الذي ترك الكويتيين يلهجون بالثناء عليه لنشاطه في مهمته ولقد أحسن سمو الأمير في تعيين هذا الفاضل لتلك الوظيفة التي هو أهل لها .

التقاريض

قال الكاتب القدير الأديب الفاضل السيد هاشم الرفاعي بعد ان اطلع على نموذج من التاريخ قبل ان يتفضل سمو الأمير على التاريخ بالرسميات .

سيدي الاستاذ يصعب على المؤرخ ان يقوم بتدوين تاريخ حكومة مر على تكوينها زهاء ثلاثة قرون وهو لا يعتمد ، او بعبارة أوضح لا يجد ما يعتمد عليه في مهمته الشاقة ، غير ما يتسقطه من الاخبار نقلاً عن الافواه ومـا يستقصيه من الحوادث عن السنة الرواة ، فلا كتب يرجع اليها في استجلاء بعض الحوادث ولا سجلات بسطت فيها الوقائع يمكن مراجعتها عند الاقتضاء

فمؤرخ هذا شأنه لا بد له من التقدم رويداً رويداً في طريقه المظلم الوعر، ومن اجتياز عقبة كأداء للوصول الى ضالته المنشودة والقبض عليها سليمة لم تدنسها يد الاغراض ، ولم تخدش محاسنها رواية جاهل ، او متهور وما دام الأمر كذلك فلا بد له من أتعاب كثيرة . مشقة عظيمة وعناء يهون عنده كل عناء اذا كان من الذين ينشدون الحقيقة اولئك الذين رزقوا فضيلة الحرية الفكرية والصراحة التي يتطلبها الموضوع، وعندي ان هذا الصنف من المؤرخين هم الذين يستحقون اعجاب الجمهور وهم المؤرخون حقاً .

وانت ايها الاستاذ الجليل من هذه الطائفة فلا تعلم بوجود كتاب الم ولو بجانب صغير من حوادث الكويت التي اخذت على عاتقك تدوينها لترجع اليه في ابحاثك. اذاً يحق لنا ان نكبر عملك ونقدر خدمتك ونحفظ لك في سويداء قلوبنا هذا العمل الخالد ، والاثر الجليل الجميل ، وهذا ما يجب على المنصف ان يقول فيك بصفتك مؤرخاً وبصفته أديباً ليس الا . اما اذا كان المنصف من مواطنيك فبامكانه ان يقول فيك اكثر من هذا واي خدمة ادبية اكبر من الخدمة الثمينة التي قمت بها اليوم لتقدمها لامتك ووطنك اهل الكويت الذين حرموا من لذة الاطلاع على ما سلف من حوادث بلدتهم التي جعلها الجهل عملاً بدون ضابط يضبطها ، سيغتبطون بتاريخك العتيد ، وسيكون كنبراس يضيء لهم طريق السعادة والفلاح فيعتبرون به لتلافي ما يرونه ماثلا امام اعينهم من اغلاط الماضي ، وعبر الحوادث فيتجنبون الضار ويأخذون بالحسن وغير هذا فيكفيك فخراً لانك اول من دون تاريخ الكويت فأهنئك ايها الصديق لكونك أحرزت قصب السبق في هذا المضمار على مئات الالوف من مواطنيك الذين استوطنوا الكويت منذ تأسست الى يومنا هذا ، واتمنى لو ان سمو شيخ الكويت يمدك بما قد يكون لديه من المعلومات ، ويطلعك على بعض المستندات التي لا غناء للمؤرخ عنها ، وحبذا لو فعل ذلك .

وقال بلبل الشباب المفرد الاديب الفاضل عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف الشاعر الجديد :

كتابك يا ابن احمد والمعالي ... لقد اروى من الصادي غليلا
كتابك زنت للآداب جيداً ... به وحبوتنا ذكراً جميلا
بـه فصح اذا تليت حسبنا ... مديحهـا المقفع والخليلا
فتى الاصلاح كم لك من أياد ... تزول الصالحات ولن تزولا
وكم لك في رياض الفضل غرس ... جنيت لنا به مجـدا أثيلا
وكم لك في البلاغة معجزات ... بهرت بهـا من القوم العقولا
رفعت عن الكويت وساكنيها ... من الأحمـال قتالا ثقيلا
اضاءت شمس فضلك في دجاها ... فأبرأ نورها الداء الدخيلا
واصبح وعرها سهلا وأمست ... تجر من الفخار بك الذيولا
هززت بها يراعك للمعـالي ... فـكان الصارم العضب الصقيلا
وذدت به وحسبك ذاك ذوداً ... عن الأخلاق شانئهـا الجهولا
ومن غير ابن أحمد ان ترامت ... بها الأرزاء يغنيهـا فتيلا
لعمر الحق ان قد طم برد ... جليل أنت لابسه جليلا
تضاءل جنب ما أسديت شعري ... فبات كثيره نزراً قليلا

من الكويت الى بغداد

بعد ان اطلع شاعر الكويت الفاضل الشيخ صقر على نموذج من الجزء الأول من التاريخ بعد طبعه أرسل إلي هذه القصيدة العصماء وأنا في بغداد :

حسدت بك الزوراء غير ملومة ... بلد بثثت العلم في أبنائهـا
عجل مآبك للكويت مبـادراً ... ان يفتك التحسيد في احشائها
حسدت وقد علمت بأنك زائر ... دار السلام اليوم من جرائهـا

وتحاسد البلدان داء معضل   منذ كانت الدنيا على علمائها
يا من به ارتقت الكويت الى العلا   حتام أنت تكد في إعلائها
استبق مهجتك الكريمة اننا   في حاجة كبرى الى استقنائها
ان كنت تكدح للمعالي فاتئد   فلقد سكنت اليوم في حوبائها

* * *

أبرزت تاريخ الكويت يميس في   حلل الصراحة حالياً بجلائها
لم تخش لومة لائميك مصرحاً   فظفرت من أحرارها بثنائها
أبديت كل حقيقة فيه كما   كانت وما دلست في إبدائها
فاثبت على نشر الحقائق عالماً   إن الحقائق أنت من أمنائها

* * *

أما نواك فأشعلت في أضلعي   ناراً اليك الرأي في إطفائها
اشوت تحث اليه اسهم سلوة   لولا نواك عجبت من اشوائها
مذ أسهم الجزع المميتات انثنت   مفترة بحشاي عن إصمائها
احياء نفسي عن لقائك ناشيء   قل لي أتسلو النفس عن احيائها ؟
تصبي اليك النفس فيك خلائق   لم تنتج حتى العمي من اصبائها
ما الشمس تسبح في الفضاء مضيئة   رأد الضحى بأتم من أضوائها
كلا ولا تصفو قريحة شاعر   هبه أبا تمّام مثل صفائها
الخ الخ الخ

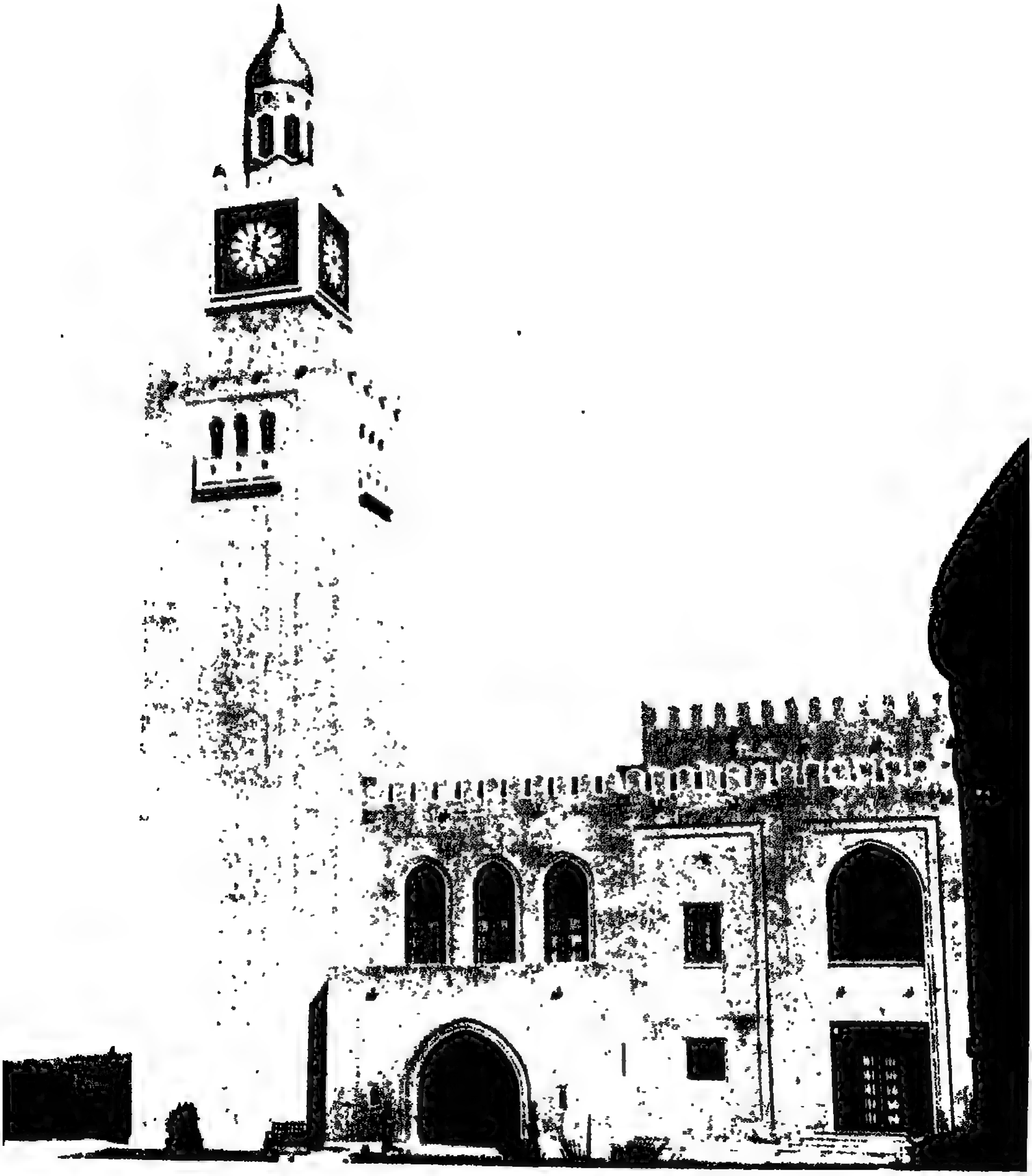

محتويات الكتاب

(فهرس)

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٩
المقدمة	١١
تصدير	١٥
التاريخ يشكر الأمير أحمد الجابر الصباح	١٩
تبويب التاريخ	٢٣
التاريخ والرسميات	٢٥

الجزء الاول

الباب الأول

متى تأسست دولة الكويت ؟	٣١
البلاد التي مر عليها آل الصباح قبل الكويت	٣٥

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني	
موقع الكويت الطبيعي	٣٧
الباب الثالث	
مساجد الكويت	٤١
الباب الرابع	
قرى الكويت	٤٧
الباب الخامس	
بعض اماكن الكويت المشهورة	٥١
الباب السادس	
آثار الكويت	٥٧
الباب التاسع	
موارد الكويت المائية	٥٩
الباب الثامن	
تجارة الكويت	٦١

الموضوع	الصفحة
الباب التاسع	
المشكلة التجارية بين الكويت ونجد	٦٧
الباب العاشر	
صناعات الكويت	٧١
أهمية اللؤلؤ في الكويت	٧٣
واردات الكويت	٨٤
الناحية الاقتصادية ، الثروة المعدنية (البترول)	٨٥
الحكم في الكويت	٩٠
القضاء في الكويت وأول من تولاه	٩٢
الحوادث المشهورة في تاريخ الكويت	٩٥
طمع الدول في الكويت	٩٨
حكام الكويت	١٠٩
الحاكم الأول : صباح الأول	١٠٩
الحاكم الثاني : عبدالله الأول بن صباح الأول	١١٠
واقعة الرقة بين أهل الكويت وكعب	١١٠
هجرة آل خليفة حكام البحرين من الكويت	١١٢
غزوات تعرضت لها الكويت	١١٣
بندر يغزو الكويت	١١٧
غزو جابر على النصار في البريم	١١٨

الموضوع	الصفحة
راشد السعدون يلجأ الى الكويت	١١٩
استخلاص البصرة	١٢٠
مساعدة جابر في انقاذ المحمرة	١٢١
جابر وأهل بلده	١٢٤
جابر والانكليز	١٢٥
وقعة ملح	١٢٧
وقعة الطبعة	١٢٩
الحاكم الخامس عبدالله الثاني ابن صباح الثاني	١٣٢
غزو القطيف والاحساء	١٣٣
غزو سعود آل سعود الكويت	١٣٦
غزو محمد آل الرشيد الكويت	١٣٦
الحاكم السادس محمد بن صباح الثاني	١٣٧
محمد وجراح ومبارك	١٣٨
الخلف بين مبارك وأخويه	١٣٩
الحاكم السابع مبارك آل الصباح	١٤٦
مبايعة الكويتيين مباركاً	١٤٨
يوسف بعد قتل مبارك اخويه	١٤٩
يوسف يغزو الكويت بسفن بحرية	١٥٤
مركبان في ميناء الكويت انكليزي وعثماني	١٥٦
يوسف ومحمد آل الرشيد	١٥٩
حادثة الصريف	١٦١

الموضوع	الصفحة
الحكومة العثمانية تهم بمهاجمة الكويت	١٦٦
النقط العسكرية في حدود الكويت	١٧١
استيلاء ابن سعود على الرياض	١٧٢
ابن الرشيد بعد احتلال الرياض	١٧٤
ابناء القتيلين يحاولون الهجوم على الكويت	١٧٧
وقعة جولبن	١٨١
زيارة اللورد كرزن الكويت	١٨٣
الاتراك يقتصون من مبارك	١٨٤
وقعة هدية	١٨٥
سعدون يوسط وجهاء للصلح	١٨٨
هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت	١٩٠
مبارك يتخوف على كاظمة من الاتراك	١٩٨
زيارة هاردنك حاكم الهند للكويت	٢٠٢
عصيان الكويتيين مباركاً	٢٠٣
مبارك والعالمان الشنقيطي وحافظ	٢٠٦
مبارك ومدبري حركة العصيان	٢٠٧
اسباب التغير بين مبارك وابن سعود	٢٠٩
مبارك والاخلاق	٢١٧
مبارك وكتابة الجرائد	٢٢٤
غزو مبارك على الصميد	٢٢٦
غزو مبارك على السعيد	٢٢٦

الموضوع	الصفحة
غزو مبارك على بني هاجر	٢٢٦
غزو مبارك على سليمان المنصور	٢٢٦
الحاكم الثامن الشيخ جابر الثاني ابن مبارك آل الصباح	٢٣٠
الحاكم التاسع الشيخ سالم بن مبارك	٢٣٢
تزكية ابن سعود للعوازم	٢٣٧
سالم والحصار	٢٣٨
سالم والشنقيطي	٢٤٠
سالم وابن سعود	٢٤٤
واقعة حمض	٢٤٨
بناء سور الكويت	٢٥٠
سالم والحكومة الانكليزية	٢٥٣
حادثة الجهرى	٢٥٤
بعد حادثة الجهرى	٢٦٤
الحاكم العاشر احمد بن جابر آل الصباح	٢٧٢
البعثة العلمية في عصر الامير	٢٨٠
ابن سعود يضرب رسماً على السفن الكويتية	٢٨٣
هجوم ابن حثلين والفغم على أطراف الكويت	٢٨٣

الجزء الثاني

أقطاب النهضة في الكويت	٣١٥
من تقاليد الكويت	٣٣٤

الموضوع	الصفحة
الحركة الفكرية والعلمية أمس	٣٤٢
الكويتيون والدجالون	٣٤٢
الحركة الفكرية والعلمية اليوم	٣٥١
الزعيم التونسي في الكويت	٣٥٥
مدارس الكويت	٣٦٦
الجمعية الخيرية	٣٧٢
المكتبة الأهلية	٣٧٤
النادي الأدبي	٣٧٥
استعداد الكويتيين وذكاؤهم	٣٧٦
صحيفة الأدب في الكويت	٣٧٧
التاريخ يشكر ملا صالح رئيس الكتاب	٤٣٠
تقاريض الكتاب	٤٣٤
الفهرس	٤٣٧